

الموقف من الشهات

على خليفة رسول الله ﷺ

أبي بكر الصديق رضي الله عنه

تأليف:

د. حامد محمد الخليفة

١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م

این کتاب از سایت کتابخانه عقیده دانلود شده است.

تم تنزيل هذا الكتاب من موقع العقيدة الإلكترونية

www.aqeedeh.com

book@aqeedeh.com

آدرس ایمیل:

سایت های مفید (المواقع المفيدة باللغة الفارسية)

www.aqeedeh.com

www.islamtxt.com

www.ahlesonnat.com

www.isl.org.uk

www.islamtape.com

www.blestfamily.com

www.islamworldnews.com

www.islamage.com

www.islamwebpedia.com

www.islampp.com

www.videofarda.com

www.nourtv.net

www.sadaislam.com

www.islamhouse.com

www.bidary.net

www.tabesh.net

www.farsi.sunnionline.us

www.sunni-news.net

www.mohtadeen.com

www.ijtehadat.com

www.islam411.com

www.videofarsi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ
لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ
أُورِثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(الأعراف: ٤٣)

الإهداء

إلى محبي خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه
وإلى كل حريص على وحدة الأمة وأمنها ورفقها وسلامة
عقيدتها

سائلاً الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی
أن يجعل جهدي خالصاً لوجهه الكريم.



الفهرس

الفصل الأول أبو بكر الصديق ؓ اسمه ونسبه وألقابه وأسرته وإسلامه

وصفاته وعلمه	٩
المبحث الأول اسمه ونسبه وألقابه	١١
مولده وسنه	١١
أشهر ألقابه	١٢
آثار الصحبة	٢٦
- الأول في الأمة والمتقدم على السابقين ؓ	٢٩
المبحث الثاني أسرة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق ؓ ومواليه	٣٥
أبواه	٣٥
- زوجاته	٣٦
- أولاد أبي بكر ؓ	٣٨
إخوان خليفة رسول الله	٤٣
موالي أبي بكر الصديق ؓ	٤٣
إسلام أبي بكر الصديق ؓ	٤٦
المبحث الثالث صفاته الخلقية والخلقية	٦١
صفاته البدنية وخضابه	٦١
فهم أبي بكر ؓ عن رسول الله ﷺ	٧٢
منهجه في الثبوت من الأخبار	٧٩

ألفصل أثناني بعض بهتان أعداء الصحابة على خليفة رسول الله ﷺ

وأنكارهم لخصائصه ٨٦

المبحث الأول بعض بهتان أعداء الصحابة على خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ في

الغار ٨٧

تمهيد ٨٧

من شبهات أعداء الصحابة على أبي بكر ﷺ يوم الغار ٩٠

المبحث الثاني ومن شبهات أعداء الصحابة إنكارهم لخصائص أبي بكر الصديق ﷺ في

الكتاب والسنة ١٠٥

معية الله للنبي ﷺ ولصاحبه أبي بكر ﷺ ١٠٥

من خصائص أبي بكر الصديق ﷺ أنه (ثَانِي اثْنَيْنِ) ١٢٠

المبحث الثالث شبهات أعداء الصحابة حول علم خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق وعلم

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ١٢٩

حول إنفاق أبي بكر وعلي رضي الله عنهما المال ١٤٨

ألفصل أثلث من شبهاتهم على إمامة أبي بكر الصديق ﷺ

للمهاجرين والأنصار ١٥٩

المبحث الأول إمامة أبي بكر الصديق ﷺ للمهاجرين والأنصار في الصلاة ١٥٩

سبب محاولة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها صرف الإمامة عن أبيها ﷺ ١٦٣

رد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على من طعن في أبي بكر الصديق ﷺ ١٧٨

استخلافه ﷺ بعض أصحابه ١٨٧

- المبحث الثاني شبهة يوم الرزية ودفاع أعداء الصحابة عن مسليمة الكذاب والمرتدين وشبهة
مقتل مالك بن نويرة ١٩١
- أولاً: شبهة يوم الرزية ١٩١
- من مسوغات عدم كتابة النبي ﷺ للكتاب الذي أراد كتابته ١٩٦
- ثانياً: دفاع أعداء الصحابة عن مسليمة الكذاب والمرتدين وطعنهم بأبي بكر الصديق ﷺ
..... ٢٠٤
- ثالثاً: شبهات الرافضة حول قتل مالك بن نويرة ٢١٨

الفصل الرابع الموقف من الشبهات على بيعته أبي بكر الصديق

- يوم السقيفة ٢٢٧
- المبحث الأول يوم السقيفة يوم تجلت فيه الشورى وتألق الحوار ٢٢٧
- تمهيد ٢٢٧
- من الإشارات القرآنية على خلافة أبي بكر ﷺ ٢٣١
- الإشارات والإرشادات إلى خلافة أبي بكر الصديق ﷺ في نصوص الحديث الصحيح
..... ٢٣٩
- المبحث الثاني بعض مؤهلات أبي بكر الصديق ﷺ للخلافة ورد الشبهات عن بيعة السقيفة
من مؤهلات خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ أنه الأول ٢٤٥
- الأول من مؤهلات خليفة رسول الله ٢٤٥
- الرد على شبهة أعداء الصحابة عن قول الفاروق ﷺ (زوّرت مقالة أعجبتني) ٢٧٤
- الرد على شبهة كانت بيعة أبي بكر الصديق ﷺ (فلتت فتمت) ٢٨١

المبحث الثالث جذور بيعة الأنصار يوم السقيفة بدأت من بيعة العقبة الكبرى قبل الهجرة النبوية	٢٨٩
موقف الأنصار يوم السقيفة وبيعة أبي بكر الصديق ﷺ	٢٩٥
أهم مواقف الأنصار يوم السقيفة	٣٠٥
المبحث الرابع حديث الأئمة من قريش	٣٣٣
الأئمة من قريش	٣٣٣
من قال بالإجماع على حديث: "الأئمة من قريش"	٣٣٧
من يرى الإمامة في قريش من غير أهل السنة والجماعة	٣٣٩
السؤال الكبير لأعداء الصحابة لماذا تغيبهم بيعة السقيفة إن كانوا مؤمنين؟!	٣٤٤
أهم المراجع والمصادر	٣٥٥

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وصفيه وخليله، أذى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١، ٧٠).

أما بعد:

فإنه لمن المفارقات أن تشغل أمة الكتاب والسنة والجماعة؛ عن أهدافها الكبرى في هذا العصر، بالدفاع عن ثوابتها ورموزها وأئمتها، وما يفترض أن يكون خارج دائرة النظر والبحث، لانفراق الأمة وإجماعها عليه! فحين ينشغل المخلصون بالدفاع عن رموز أمتهم وسلامة عقيدتها ووحدة صفها، فمن يخطط لواقعها ويستشرف لها مستقبلها لتواكب السائرين، وتنافس السابقين؟ وحين يصير الحال إلى دفع الشبهات عن الرجل الثاني في الأمة بعد رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق (ثاني اثنين) ﷺ، فهذا يؤشر إلى تغلغل الزحف الأسود في الأعماق، ووصوله إلى الخصوصيات، وأن ثقافة الشك والريبة ونشر الشبهات على الثوابت والرموز، التي تبثها الغارقة في الغدر والمكر ضد أمتنا وعقيدتنا، لها ربيثة تتخندق حولها، وتحتمي بها داخل حصوننا، ولها كباش تقودهم من قرونها من أبناء جلدتنا، تنطح بهم كل مخلص أمين، بفتاوى زائفة، وأفكار فاشلة،

واجتهادات تائهة، لتبعثر وتشوه كل جهد أصيل، وموقف نبيل، يعمل على ترميم الثغور، وتنقية القصور، وإشادة الحصون!.

وعلى الرغم من أن (ثاني اثنين) خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ بإيمانه وعلمة وشجاعته وقيادته وكرمه، وقربه من رسول الله ﷺ ومحبة الأمة له، لا يحتاج إلى من يرد عنه الشبهات لأنه فوق الشبهات، ولأن النيل منه علامة على الشعوبية والزندقة، وإشارة إلى أهل الرفض والردة، فمن ثبت عليه تهمة بغض الصديق ﷺ فهذا فيه الدليل الواضح؛ على أن صاحبه من أعداء رسول الله ﷺ من بقايا المشركين، وإخوان المرتدين، وأعداء الغزاة والمحتلين. فأعداء رسول الله ﷺ هم خصوم أبي بكر الصديق ﷺ وعلى هذا فرد الشبهات عن خليفة النبي ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ يعني في المقام الأول، رصد مواطن الخطر ومنابع الشر، وبيان اتجاهاتها وأهدافها ومقاصدها، ومن يتلقاها ويتعاون معها، ومن ثم العمل على فضح ربيتها وتكسير قرونها، لتنقية صفوفنا، وصيانة حصوننا، فأبو بكر الصديق ﷺ إمام الأمة وقائدها بعد نبينا ﷺ لا يقبل تحت راياته المترددين، ولا التائهيين المفرطين بالهوية، فسبيله واضحة، ومقاصده نيرة، وأهدافه سامية، وجنده نبلاء أمناء أوفياء.

فمن اختار إمامة الصديق ﷺ فقد رضي بالكتاب والسنة منهجاً، وأن أعداء الصحابة وبكل أصنافهم هم خصومها، المتربصين بالعقيدة والقيادة، المتعاونين مع الأعداء على مر العصور، فطريق أبي بكر الصديق ﷺ هو سبيل الدفاع عن وحدة الأمة وحاضرها ومستقبلها، وتحمل تبعات ذلك، والعمل بكل الطاقات لصيانة موروثها، وحماية حصونها، ومواجهة أعدائها.

فكل يد تمتد إلى أعداء الصحابة إنما هي يد مشاركة في تقوية شبهاتهم وحماية ربيتهم، ومن أكل من حلوائهم خبط في أهوائهم، فلا عذر ولا مسوغ لمن لازل مصرّاً على الخوض في أوحالهم، فالصديق ﷺ وأولياؤه أمة من دون الناس، وأعداؤه وأولياؤهم أمة أخرى لا يلتقيان!.

وهذا الموضوع إذ يعمل على ردّ الشبهات فإنّه بالقدر ذاته ينبه إلى مصادر الشرّ وأعوانه، ويهيب بأبناء أمة السنّة والجماعة أن يتعاملوا مع أعدائهم بالمثل، العين بالعين، والسنن بالسنن أ والبادئ أظلم، وإن لم يتحقق هذا فلا أقلّ من حراسة عقيدة الكتاب والسنّة وحملتها الصحابة ﷺ، وأن يفقه كل مسلم أنّ الانتماء لهذه العقيدة له ضوابط ونواقض وأنّ موالاتها يعني البراءة ممن يرفضها ويردها، وما سوى هذا فإنّها هو ادعاء وعبث، لا يُسمن ولا يغني من جوع.

وهذا البحث عالج مجموعة من الأباطيل التي تستهدف عقيدة السنّة والجماعة، وخليفة نبيها ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ. وقد ابتدأ فصوله المهمة بتمهيد لكل فصل منها، أغنى عن إطالة الكلام في المقدمة، وبيّن فيه أهمية تنقيح وتنقية ثقافة الأمة وفكرها، ونزع كل مافيه من الشوائب، وأكد على وجوب ردّ الشبهات وطمسها، من غير أن يكون لها نصيب في الانتشار بين طيات تلك الردود، وأن يتحلى الكُتّاب المسلمون بالثقة المطلقة بعقيدة الكتاب والسنّة، وبالصحابة الذين هم خير من حملها وبلّغها، وعمل بما فيهما رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة فصول وعدد من المباحث، تناولت في طياتها أهم وأوسع الشبهات المنتشرة بين الناس، للطعن بخليفة رسول الله ﷺ والمادفة إلى طمس إنجازاته العظيمة في خدمة الدين والأمة، وتقييح محاسنه ﷺ التي أنارت بهديها وإشراقها الظلمات، فجمعت الأمة يوم السقيفة، وردمت هاوية الردة، وأطفأت نار المجوس، وزعزعت عرش الصليب، لينساح الفتح الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها على هدي الكتاب والسنّة، تحفّه الرأفة والرحمة؛ مع النباهة والإعداد والحيلة، وتحكمه قيم العدل والإنصاف، وحُب الخير والعافية، حتى انفتحت له قلوب العباد، قبل أن تنفتح لها الحصون والقلاع.

وفي ختام هذه المقدمة فكلُّ يؤخذ منه ويُرَدُّ عليه إلا رسول الله ﷺ، وهذا جهد المقل؛ أبتغي به وجه الله تعالى، وخدمة أمّتي وعقيدتها وأمنها، ونصرة قادتها وأئمتها الصحابة الكرام ﷺ معتقداً أنّ كل متخلف عن هذا الواجب، إنّما هو معينٌ لدعاة الفتنة أو راضٍ بها، ولن يصلح آخر هذه

الأمّة إلا بما صلح به أولها، فإن أحسنت فهذا من توفيق الله وكرمه، وإن كانت الأخرى فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله العظيم من كل خطأ وزلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدوحة

٢٠١٠/٦/٢١

الفصل الأول

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

اسمه ونسبه وألقابه وأسرته وإسلامه
وصفاته وعلمه

المبحث الأول اسمه ونسبه وألقابه

هو خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي التيمي يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في الجلد السادس. يكنى بأبي بكر ﷺ والبكر هو الفتي من الإبل وكانت العرب تُكنى وتُسمى به؛ وكان اسم ابنه الأكبر هو عبد الله أصابه سهم في حصار الطائف فعوفي منه ثم انتقض عليه فيها بعد فتوفى شهيداً ﷺ^(١).

مولده وسنة

ولد خليفة رسول الله بمكة عام ((٥٧٣ م)) بعد عام الفيل بستين وستة أشهر، بمنى^(٢)، ومنى في أطراف مكة وهي من أرض الحرم، وقيل: سميت منى لما يمنى ويراق من دماء الهدي الذي يُنحر فيها، وهي تمتد من مهبط العقبة إلى وادي مُحَسَّر^(٣).

وعن أم المؤمنين الطاهرة الصديقة عائشة رضي الله عنها. قالت: تذاكر رسول الله ﷺ وأبو بكر ميلادهما عندي، فكان رسول الله ﷺ أكبر من أبي بكر، فتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة، وتوفي أبو بكر ﷺ وهو ابن ثلاث وستين للستين ونصف التي عاشها بعد رسول

(١) الزيري، نسب قريش، ٢٧٥. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/١٤٤. المعجم الكبير ج: ١/٥١.

الطنطاوي، أبو بكر الصديق، ٤٦. الصلابي، أبو بكر الصديق، ١٧.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/٥٣.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٨/٣٢١.

الله ﷺ^(١)، وكان خليفة رسول الله من أسن الصحابة رضي الله عنهم وهذا ما يؤكد حديث أنس بن مالك قال: قدم علينا رسول الله ﷺ فكان أسن أصحابه أبو بكر ﷺ^(٢).

أشهر الألقاب

امتاز خليفة رسول الله بمزايا انفرد بها من بين جميع الصحابة الكرام ومن بين خلفاء الأنبياء وبما لا يمكن مقارنته مع أحد ممن سبق ذكره، ونظراً لكثرة هذه المزايا وما اشتملت عليه مواقفه وسيرته من مناقب، وما رَينُهُ به رسول الله ﷺ من فضائل، أليس هو ثاني رجل في الأمة ليس قبله سوى رسول الله ﷺ بشهادة كتاب الله في قوله تعالى: ﴿ثَانِيِ اثْنَيْنِ﴾ وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) وقول رسول الله ﷺ: (يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر).

وخليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ تعددت خصائصه وتنوعت مفاخره وتعطرت صفاته بطيب ذكره فكثرت ألقابه المعبرة عن تلك الصفات ومن أشهر تلك الألقاب:

- الصديق

اقترن اسم أبي بكر بالصديق ﷺ، وكان علي بن أبي طالب ﷺ يحلف بالله، بأن الله تعالى أنزل اسم أبي بكر الصديق من السماء صديقاً^(٣) وقال: ((إن الله عز وجل هو الذي سمى أبا بكر على لسان رسول الله ﷺ صديقاً))^(٤) وقالت أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ لما أُسري به إني أريد أن أخرج إلى قريش فأخبرهم فكذبوه وصدقه أبو بكر ﷺ فسمي يومئذ

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٦.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٤.

(٣) ابن الجوزي: الصفة ١ / ١٢٣، وألقاب أبي بكر ﷺ في كتاب: إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ مفصلة بشكل أوسع فمن أراد التوسع في ميادين الصديق ﷺ يجده هناك.

(٤) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (٥٨).

الصدِّيق^(١) وقالت: إن النبي ﷺ قال لأبي بكر ﷺ: ((إن الله عز وجل سمّاك الصدِّيق))^(٢) وعن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ صعد أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ فرجف بهم الجبل. فقال ﷺ: ((أثبتُّ أحدٌ فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشَهِيدان))^(٣) وقوله: " يكون بعدي اثنا عشر خليفة أبو بكر الصدِّيق لا يلبث إلا قليلاً "^(٤) وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ليلة أُسري به لجبريل إن قومي لا يصدقوني، فقال له جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصدِّيق^(٥) وهذا الحديث له شاهد من حديث النَّزال بن سبرة عن علي ﷺ قال: وافقنا علياً ﷺ يوماً طيب النفس وهو يمزح، فقلنا: حدثنا عن أصحابك قال: كل أصحاب رسول الله ﷺ أصحابي، فقلنا: حدثنا عن أبي بكر ﷺ فقال: ذاك امرؤ سباه الله صدِّيقاً على لسان جبريل ومحمد ﷺ^(٦).

وعن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما أُسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى- تحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر ﷺ فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصدِّيق^(٧) وقيل له: «الصدِّيق» أيضاً، لما روي عن الطاهرة عائشة رضي الله عنها. قالت: « لما أُسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يُحدِّث بذلك الناس، فارتد ناس

(١) الطبراني: المعجم الكبير: ٦٠ / ١

(٢) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (٦٠).

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب لو كنت متخذاً خليلاً، ح (٣٣٩٩).

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٢٩ / ٣٠.

(٥) المنتظم، ٥٤ / ٤. المعجم الأوسط، باب من اسمه محمد، (٧١٧٣). ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢١٥ / ١.

(٦) المستدرک: باب: أبو بكر الصدِّيق، ٤٤٠٤، ٤٤٠٥، ابن الجوزي: الصفوة، ١ / ١٢٣. أبو نعيم: معرفة الصحابة، (٦٢).

(٧) المستدرک، كتاب معرفة الصحابة. باب أبو بكر الصدِّيق. ح (٤٤٠٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

مَنْ كَانَ آمَنَ وَصَدَّقَ بِهِ وَفُتِنُوا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي لِأُصَدِّقَهُ فِيهَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أَصَدِّقَهُ بِخَبَرِ
السَّمَاءِ عَدْوَةَ أَوْ رَوْحَةَ^(١) فَلذَلِكَ سَمِيَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقَ رضي الله عنه، وَذَكَرَ أَبُو مَجْنَنَ التَّقْفِي فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ
بَيِّنَ اعْتِرَافَ الْمُسْلِمِينَ لِخَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ بِهَذِهِ الْمُنْقَبَةِ الَّتِي تَفْرُدُ بِهَا عَنْ بَاقِي الصَّحَابَةِ. فَقَالَ:

وَسُمِّيتَ صَدِيقًا وَكُلُّ مُهَاجِرٍ سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرَ مُنْكَرٍ
سَبَقَتْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ شَاهِدٌ وَكُنْتَ جَلِيسًا فِي الْعَرِيشِ الْمَشْهُرِ^(٢).
وَلَمْ تَقْعَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه هِنَاةٌ فِي الْإِسْلَامِ مِنْذُ أَنْ أَسْلَمَ؛ فَاتَّصَفَ بِهَذَا الْإِسْمِ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ
أَجْمَعِينَ وَمَدَحَهُ الشُّعْرَاءُ بِهِ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قُرَيْبٍ الْبَاهِلِيُّ الْمَشْهُورُ بِالْأَصْمَعِيِّ:

وَلَكِنِّي أَحَبُّ بِكُلِّ قَلْبِي وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ
رَسُولَ اللَّهِ وَالصَّدِيقَ حَبِّاً بِهِ أَرْجُو غَدًا حُسْنَ الثَّوَابِ^(٣)
وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَرَفَ بِالصَّدَقِ مِنْذُ الْجَاهِلِيَّةِ لَكِنِ الصَّدَقُ شَيْءٌ وَالتَّصَدِّيقُ شَيْءٌ آخَرٌ، وَقَدْ عَرَفَ
بِهِمَا جَمِيعًا لَكِنِ الصَّدِيقُ صِفَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ وَرَتَبَةٌ رَبَّانِيَّةٌ اِكْتَسَبَهَا مِنْ إِيمَانِهِ بِالْغَيْبِ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ
اللَّهِ صلوات الله عليه، وَقَدْ اِمْتَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْغَيْبِ الَّذِي يَأْتِي بِهِ الْأَنْبِيَاءُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ
لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾
(البقرة: ١٧٣).

وَقِيلَ سَمِيَ صَدِيقًا لِبِدَارِهِ وَمَسَارَعَتِهِ إِلَى تَصَدِّيقِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ وَحْيٍ وَسُنَّةٍ
وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ وَبِعْثٍ وَنَشُورٍ وَجَنَّةٍ وَنَارٍ وَنَصْرٍ وَتَمَكِينٍ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ؛ وَيَأْقِبَالٍ وَحِمَاسٍ شَدِيدِينَ
دُونَ أَيِّ تَرَدُّدٍ أَوْ تَسَاؤُلٍ أَوْ مَوَازَنَةٍ وَتَفْكِيرٍ؛ لَمَّا وَافَقَ ذَلِكَ فِيهِ مِنْ فِطْرَةِ سَلِيمَةٍ وَطَوِيَّةٍ نَاضِجَةٍ وَقَلْبِ
عَقُولٍ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه إِنَّمَا هُوَ حَقٌّ وَيَقِينٌ يَجِبُ أَنْ يَدِينُ بِهِ جَمِيعُ النَّاسِ لَمَّا فِيهِ مِنْ
الْهُدَى وَالْخَيْرِ وَالنُّورِ.

(١) الْمُسْتَدْرَكُ، ك. مَعْرِفَةُ الصَّحَابَةِ، بَابُ أَبُو بَكْرٍ، (٤٤٠٧) الصَّنْعَانِيُّ: ك. الْمَغَازِي، بَابُ، فِي حَفْرِ زَمْزَمِ، ح (٩٧١٩).

(٢) ابْنُ الْأَثِيرِ، أَسَدُ الْغَابَةِ، ٣/٣١٠.

(٣) الطَّنْطَاوِيُّ، أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقِ، ٤٩.

والصديق هو الاسم الذي لازم سيرة خليفة رسول الله في كل مفرداتها في مكة وفي المدينة وفي حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، وفي السلم والحرب، والحاجة والغنى، والشدة والرخاء، فلم يتغير أو يتأفف في موقف سياسي أو عسكري أو اجتماعي أو مالي أو غير ذلك، بل كان إيماناً وتصديقاً و يقيناً كاملاً لكل ما جاء به رسول الله ﷺ. لهذا كانت هذه الكرامة ملازمة لخليفة رسول الله في كل أحواله، لم يتردد أحد من المسلمين في التلذذ بالنطق بها والاعتزاز بتاريخها والإيمان بمنهجها الذي يغيظ المشركين ويبلس عند سماعه الرافضة المرتدون الذين قهر خليفة رسول الله مكرهم وكذبهم المتنبي، بتصديقه وإيمانه وعزمه وجهاده في كل المواقف التي رفضوا فيها الانقياد والتسليم لما جاء به رسول الله ﷺ ولا سيما ما قاموا به من تأمر على الإسلام والمسلمين تمثل في حركة رفض السنة والتشكيك بالقرآن أو رفض الزكاة أو اغتيال أعلام المؤمنين، أو بالتعاون مع مسيطة الكذاب وأمثاله من المتنبيين والكذابين الذين آمنوا بقرية الوصية التي دبح أصولها عبد الله بن سبأ الهمداني اليهودي؛ مؤسس حركة رفض خلافة الشيخين وزيري رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وواضع مبدأ الرجعة وبُغض الصحابة وكرهية العرب، في تركيبة عجيبة تغذي الحقد الطائفي الذي يركز عليه دين أعداء السنة السنة وأهلها^(١).

(١) ابن سبأ هو أول من وضع مبدأ الرجعة - أي الحياة بعد الموت - وهو أول من قال كاذباً: بالوصية وأن علياً وصي محمد ﷺ ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء وأن الصحابة لم يجيزوا وصية رسول الله ﷺ لعلي ﷺ فهم بدلوا الدين وأن هذا الدين وهذا القرآن الذي يدين به أهل السنة إنما هو دين مكذوب لا أصل له، وأن الدين هو دين الأئمة المعصومين القادرين أن يُجيو الناس ويُميتوهم وهم فوق الأنبياء في العلم والقداسة. انظر الطبري: تاريخ، ٤/ ٢٤٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٣٦ وقال ابن كثير يرحم الله: إنما هذا مما يفتره الرافضة والقصاص الأغبياء من أنه ﷺ أوصى إلى علي ﷺ فكذب وبهتان واقترأ عظيم، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة وممالاتهم على ترك إنفاذ وصية رسول الله ﷺ وكل من يؤمن بالله ورسوله يعلم أن هذا باطل لا أصل له وإنما هو من الهذيان التي تفتريها مراجعهم لزيادة بُعدهم عن الدين ولتبغيض الصحابة إليهم لكي يشكوا بالقرآن والسنة التي حملها أصحاب رسول الله وأوصلوها إلى العالمين بعد صبر وجهاد طويلين. وكل هذا من الباطل الذي لا يغتر به أو يصدقه إلا غبي عي رافضي خارج على سنة رسول الله ﷺ وتعاليمه.

- عتيق

ومن أشهر ألقاب خليفة رسول الله الأخرى لقب عتيق، وقد أورد المؤلفون تفسيرات متعددة لأسباب إظهار حقيقة هذا الاسم وبيان معانيه والصفات الدالة عليه، لعل أهمها وأشهرها: جمال وجه الصديق ﷺ: وهذا ما روي عن الليث بن سعد قال: إنما سمي عتيقاً لعتاقة وجهه، أما اسمه فعبد الله بن عثمان^(١) وقوله أيضاً: إنما سمي أبو بكر عتيقاً لجمال وجهه^(٢) وفي رواية ابن قتيبة لُقِّبَه رسول الله ﷺ بذلك لجمال وجهه^(٣) وقيل غير ذلك.

قال ابن هشام: اسم أبي بكر: عبد الله، وعتيق: لقبٌ له لحسن وجهه وعتقه^(٤) وأخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا عن طريق ابن أبي مليكة قال: كان اسم أبي بكر عبد الله وإنما كان عتيق لقباً، وقال الفلاس: سمي عتيقاً لعتاقة وجهه^(٥) أي لجماله وحسنه وكمال أوصافه. وعن يحيى بن معين أن اسم أبي بكر ﷺ ((عبد الله بن عثمان وعتمان هو أبو قحافة ولقبه عتيق لأن وجهه كان جميلاً فسمي عتيقاً))^(٦).

- عتيقاً من النار

وقد روي أن رسول الله ﷺ سماه عتيقاً من النار^(٧) عن أم المؤمنين عائشة أنها سئلت لم سمي أبو بكر ﷺ عتيقاً؟ فقالت: نظر إليه رسول الله ﷺ فقال هذا عتيق الله من النار^(٨) وقالت: إنني لفي

(١) الطبراني: المعجم الكبير: ١ / ٥٣.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ١٢.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ١ / ٥٢ - ٥٣. ابن حجر، الإصابة، ١ / ١٤٦. ابن الجوزي: الصفوة ١ / ١٢٣.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ١ / ٢٨٦.

(٥) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ٤ / ١٤٦.

(٦) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ١٤.

(٧) الطبراني: المعجم الكبير: ١ / ٥٣.

(٨) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٤ / ١٤٦. علي بن برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (٩٧٥ / ١٠٤٤) دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

بיתי ورسول الله ﷺ: وأصحابه في الفناء وبينهم الستر، إذ أقبل أبو بكر ﷺ فقال رسول الله ﷺ: من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا، وقالت رضي الله عنها: إن اسمه الذي سمّاه به أهله عبد الله ولكن غلب عليه عتيق^(١) وروي العتيق لقب لُقّب به النبي ﷺ: حين قال له: «أنت عتيق الله من النار»^(٢) وقالت: إنه دخل على النبي ﷺ يوماً فقال له: أنت عتيق من النار. ومنذ ذلك اليوم سمي بهذا الاسم^(٣).

- صفاء نسبه

وقال مصعب الزبيري: سمي أبو بكر عتيقاً لأنه لم يكن في نسبه شيء يُعابُ به^(٤) فكما هي سيرته صفاء ونقاء وسمو وعلو فإن نسبه كذلك أصالة ووجاهة وسيادة، وكذلك أصحابه وجلساؤه وأحابه السائرون على منهجه وطريقه، وعلى الرغم من شدة أحقاد أعداء الصحابة عليه لم يجدوا مجالاً لانتقاصه، فهو علم أشم لا يتعرض له بسوء إلا محاربٌ لرسول الله ﷺ ومبغض لأُمَّته ولكتابه وسنته.

- قديم في الخير:

وقال أحمد بن الهيثم: وإنما سمي عتيقاً لأنه عتيق في الخير، أي قديم في الخير^(٥) وكذلك جاء في تاريخ الفضل بن دكين إنها سمي عتيقاً "لأنه قديم في الخير"^(٦) أي أنه كان من أهل الفضل والجلود وفعل الخيرات والمعروف قبل الإسلام وبعده وأن ذلك جِبلةً فيه فطره الله عليها ﷺ وعرفه الناس بالخير والوفاء والسداد.

(١) المستدرک، ك. معرفة الصحابة حديث: ٤٤٠٤ - ٣ / ٦٤، وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، ١٥ / ٢٨٠. سنن الترمذي، مناقب أبي بكر الصديق، ح (٣٦٧٩) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح (١٥٧٤).

(٣) الطبراني: المعجم الكبير، ١ / ٦٠.

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٢.

(٥) ابن عساکر: ٣٠ / ١٢.

(٦) ابن حجر: الإصابة، ٤ / ١٤٦.

- أحد ثلاثة إخوة

ومما روي من إجابات أخرى عن سبب تسمية أبي بكر رضي الله عنه بهذا الاسم أيضاً أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سئلت عن اسم أبي بكر رضي الله عنه فقالت: عبد الله فقيل إنهم يقولون: عتيق. فقالت: إن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد فسمى واحداً **عَتِيقاً** ومعتقاً و**عُتَيْقاً** بالتصغير^(١). وعن عمارة بن غزيرة قال: سألت عبد الرحمن بن القاسم عن اسم أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: عتيق وكانوا إخوة ثلاثة بني أبي قحافة عتيق ومعتق ومعيتق. ويقال: كان له أخوان يقال لأحدهما عتيق، ومعيتق فسمي بأحدهما^(٢) لكن هذين الأخوين لا ذكر لهما في الجاهلية ولا في أخبار الإسلام، إلا إذا كانا توفيا في فترة الصغر والرضاعة.

- لعتقه من الموت: عن موسى بن طلحة قال: قلت لأبي طلحة، لم سُمي أبو بكر رضي الله عنه عتيقاً؟ قال: كانت أمه لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به البيت ثم قالت: اللهم إن هذا عتيق من الموت ف**هَبْهُ** لي^(٣) وقيل: كانت أم أبي بكر لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به البيت فقالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت ف**هَبْهُ** لي^(٤) وقال موسى بن طلحة: قيل إنه اسم سمته به أمه^(٥) وأما ابن إسحاق فقال: أبو قحافة أي والد خليفة رسول الله كان اسمه عتيقاً لكن ابن إسحاق ينفرد بهذه الرواية ولم يذكر ذلك غيره، ولا يوجد في سيرة أبي بكر رضي الله عنه ما يؤيد هذه الرواية. وعن مغيرة بن زياد قال: أرسلت إلى ابن أبي مليكة أسأله عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما كان اسمه؟ قال فأتيته فسألته. فقال: كان اسمه عبد الله بن عثمان وإنما كان عتيق كذا وكذا يعني لقباً.

- لإعتاقه المستضعفين

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ١ / ٥٣. ابن حجر: الإصابة، ٤ / ١٤٦. وفي سننه ابن لهيعة.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٢.

(٣) عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢١.

(٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ١ / ١٢٣.

(٥) ينظر ابن حجر: الإصابة، ٤ / ١٤٥.

وروي إنما سمي بعتيق لعته للرقيق ولا سيما المستضعفين في عصر كان الرق حُلُقاً من أخلاقه والطبقية صفة من صفاته يتباهى بها الناس ويتفاخرون، عن علي ابن محمد قال: إنهم أجمعوا على أن اسم أبي بكر ﷺ عبد الله وأنه إنما قيل له عتيق عن عته ﷺ^(١) وهذا يقود إلى الحديث عما قام به خليفة رسول الله من دور رائد وسابق في هذا الباب الإيماني الإنساني الحضاري، الذي يجب أن يُسمى من يتصف به المعتق لما فيه من الشئال والسجيا التي توافق هذا الخلق السامي والمعدن النبيل الذي يواجه العبودية ويرفض الرق وذل الإنسان لأخيه الإنسان.

- المُعتق: فالمعتق أيضاً وهي صفة له انفرد بها من بين الصحابة في أيام الإسلام الأولى أيام المحن والابتلاء التي كان الثابت فيها على دينه كالقابض على الجمر لما يعانيه المسلمون من طغيان المشركين وعدوانيتهم، في ذلك الوقت العصيب الذي قلَّ فيه النصير والمعين حجب الله تعالى إلى خليفة رسوله ﷺ القيام بإنقاذ المستضعفين من مخالب الجاهلية وجبروتها ممن لا ناصر لهم ولا معين ولا أهل ولا عشيرة وممن لا يُرتجى منهم نصره ولا مؤنة ولا مكافأة دنيوية، لما كانوا عليه من الضعف والفقر والهوان الذي أنزلته بهم جاهلية المشركين، لذلك كانت أعماله هذه مشار استغراب وسخرية جبايرة المال والسلطان والجاهلية والترف، بقدر ما كانت محل قبول ورضاً عند الله تعالى ومحل إعجاب وقبول عند رسول الله ﷺ ومحل سرور وفخار وشفاء عند المؤمنين ﷺ الذين كانت حالهم حال الجسد الواحد في آلامهم وآمالهم.

وقد أعتق خليفة رسول الله سبعة ممن كان يعذب في الله منهم: بلال مؤذن رسول الله ﷺ^(٢) وهذا ما لم يفعله غيره، وهو مما تفرد به خليفة رسول الله في أيام كان المؤمنون يستترون فيها بإيمانهم ويلوذون بعشائرتهم أو ببعض أهل الرأفة والرحمة من رجالات قريش، فكان عمر

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥٠.

(٢) ابن عساکر: ٣٠/ ١٤.

الفاروق رضي الله عنه يشيد بفضل وإقدام خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستبسال الذي كان يديه مولاه بلال رضي الله عنه فيردد في مجالس المهاجرين والأنصار رضي الله عنه: " أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا " ^(١). وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إذا ذكر عنده خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه: والذي نفسي بيده، ما استبقنا إلى خير قط، إلا سبقنا إليه أبو بكر رضي الله عنه. وذكر النووي في التهذيب أن الثعلبي أكد الإجماع على أن أبا بكر أول الناس إسلاماً ^(٢).

وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب: فقال: يا أمير المؤمنين، كيف سبق المهاجرون والأنصار إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأنت أسبق منه سابقة؟ قال علي: سبقني أبو بكر إلى أربع لم أوتهن، ولم أعتض منهن بشيء: سبقني إلى إفشاء الإسلام، وقدم الهجرة، ومصاحبته النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، وإقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب، أظهر الإسلام وأخفيه، وتستحقني قريش وتستوفيه. والله لو أن أبا بكر رضي الله عنه زال عن مزيله، ما بلغ الدين العيرين - جبلين - ولكان الناس ككرة ككرة طالوت. ويحك إن الله ذم الناس، ومدح أبا بكر. فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) فرحمة الله على أبي بكر ^(٣).

وقال الشعبي: قال: قال رجل لبلال رضي الله عنه من سبق؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم قال: من صلى؟ قال: أبو بكر. قال الرجل: إنما أعني في الخيل. قال بلال: وأنا إنما أعني في الخير ^(٤) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق فوافق ذلك ما لا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً فحئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله. قال وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت:

(١) مصنف ابن أبي شيبة: في فضل عمر بن الخطاب، ح (٣١٩٦٦) صحيح البخاري: مناقب بلال (٣٥٤٤).

(٢) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٧٦.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٧٧/٣٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ٣/١٧٢. البلاذري: الشيخان، ٣٠.

لا أسبقك إلى شيء أبداً»^(١) فكان عمر رضي الله عنه يعلن على المنبر أمام جماهير الصحابة أن الصديق كان «سابقاً مبرزاً»^(٢).

ومثلما سبق بالإسلام والكرم والشجاعة والعلم والدعوة والجهاد كذلك سبق بالتواضع والزهد وخدمة الضعفاء والمساكين وما إلى ذلك من أخلاق الصالحين، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيسقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلاً يُسبق إليها ولكنه في كل مرة يجد أن هناك من قام على شأنها، فرصده عمر رضي الله عنه فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه هو الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمرى^(٣).

وكان عمار يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا "خمسة أعبد و امرأتان وأبو بكر"^(٤). فيظهر في هذا النص شهادة عمار بن ياسر رضي الله عنه أن الصديق رضي الله عنه كان الرجل الحر الوحيد مع الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أسلم في أول الإسلام، أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد كان غلاماً صغيراً في ذلك الوقت بحاجة إلى من يرعاه فكان علي رضي الله عنه يعلم مقام أبي بكر في الأمة فلا يقبل أن يتجاوزوه أحد بل يعاقب من يقول بغير ذلك، وأعداء الصحابة يزعمون مفترين أن علياً رضي الله عنه كان يرى أنه أولى من الصديق بالإمامة والخلافة.

فأبو بكر رضي الله عنه هو الثاني في الأمة في الجهاد والكرم وفي العلم والشجاعة والصبر والتحمل والسياسة والغيرة على الدين ومواساة المسلمين، والثاني: في قيادة الأمة ونشر الإسلام وطمس معالم الجاهلية وفي فتح صفحة الفتوح والجرأة على الدول الكبرى المتجبرة في الأرض التي كانت تنشر الفساد والظلم بين الناس. والثاني: في توجيه العرب المسلمين إلى الانطلاق الحضاري لقيادة

(١) سنن أبي داود: باب الرجل يخرج من ماله (١٦٧٨) سنن الترمذي: باب في مناقب أبي بكر (٣٧٧٥).

(٢) عمر الشيباني: كتاب الزهد، ١ / ١١٠.

(٣) تاريخ الخلفاء: ١ / ٧٤. ابن عساکر: ٣٠ / ٣٢٢.

(٤) البخاري: ك. فضائل الصحابة، باب إسلام أبي بكر رضي الله عنه ح (٣٦٤٤).

البشرية نحو الأفضل والأعدل والأكرم، والثاني: في توجيه جيوش المسلمين الوجهة الربانية الصحيحة التي أثمرت العدل والاستقرار والعزة والألفة والتعاون بين القبائل العربية، وهو الثاني: في كل مكرمة وفي كل طريق سلكه رسول الله ﷺ أو كان ينوي سلوكه والخوض فيه، وبقي على ذات العهد والعنفوان واليقين والسداد الذي كان عليه في حياة رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) فأثبت الله هنا كرامة الصديق ﷺ، وأنه كان الناصر الوحيد والصاحب الأمين لرسول الله ﷺ يوم عزّ الناصر، وقل النصير، وفي هذه الآية رد كاسح ماحق على زنادقة الرفض الذين يهمسون في آذان الغوغاء كراهية خليفة رسول الله ﷺ بالإفك والبهتان المناقض لصريح القرآن، متجاهلين أن أسرة الصاحب الأمين كلها كانت في ذلك اليوم العصيب مستنفرةً ومُجندةً للقيام بحق الصحبة وخدمة الرسول ﷺ ونصرته، فأساء بنت أبي بكر ﷺ هي التي توصل الطعام لهما في الغار، وعائشة ببراءتها وطفولتها ونقاها وصفائها وطهرها وذكائها ورعاية الله تعالى لها؛ هي التي تعينها في البيت على تهيئة ذلك وإنجازه، وعبد الله بن الصديق شهيد الطائف هو الذي يتسمع لهما الأخبار وما يتأمر به المشركون، وعامر ابن فهيرة مولى الصاحب الأمين هو الذي يغدو بسرّحه إليهم ليحلبوا ويستقوا ويُعمّي بآثار غنمه على آثار عبد الله ابن أبي بكر ﷺ عين رسول الله ﷺ وصاحبه الأكبر ﷺ في أيام الغار الخالدة، ومأل الصاحب كله مسخر لرعايته، ورحائله هي التي حملت رسول الله ﷺ إلى المدينة، وغنمه هي التي تعفي على آثار من يأتيهم بالأخبار وال زاد، والصاحب هو المؤنس الوحيد بعد الله سبحانه وتعالى، وهذه منقبة ليست بعدها منقبة وكرامة أثبتها الله تعالى في كتابه العزيز وجعلها قرآناً خالداً يتلى إلى آخر الدهر تؤكد الدور الرائد الذي قام به الصاحب الصديق ﷺ وأسرته الكريمة من نصرته ومؤازرة لرسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة ٤٠) وفي هذه الآية من الخصائص والفضائل والمزايا التي اختص بها خليفة رسول الله ﷺ ما لا يحصى. منها:

- تفرد بلقب صاحب المضاف إلى أشرف مصحوب وهو رسول الله ﷺ إذ جاء اللفظ هكذا: ((صاحبه)) ومعلوم أنه كان لرسول الله ﷺ عشرات الألوف من الأصحاب لو أقسم أحدهم على الله تعالى لأبّره، فلم يختار الله عز وجل أحداً منهم يشرفه في القرآن كله بإضافته إلى نبيه ﷺ بهذه التسمية غير أبي بكر ﷺ، فيا لها من مزية تفرد بها ومكرمة سما إليها! ويا له من شرف تناهى إليه وما انتهى! إن كل فضيلة تعلق بالصحة فأبو بكر ﷺ أولى بها وله منها السهم الأوفر لأنه الفائز بلقب صاحب في القرآن دون بقية الأصحاب الكرام ﷺ.

قال بعض العلماء: من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة الآخرين صاحباً لرسول الله ﷺ فهو كذاب مبتدع ومن أنكر أن يكون أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر لأنه أنكر نص القرآن الكريم^(١) فلينظر كل مسلم إلى هذه المسألة بكل تفكير وإمعان وليفقه بعقله وقلبه أن محبة رسول الله هي محبة لخليفته وبغض رسول الله ﷺ هو بغض لخليفته ﷺ ومن شك في هذه القاعدة فهو شاك في القرآن والنبوة مهما انتحل من الأعذار والحيل إذ من المستحيل أن يجب رسول الله ﷺ من يبغض صاحبه وخليفته ﷺ.

- وصاحبه قبل الإسلام وبعده وفي حياته وبعد مماته ﷺ فلم تكن صحبة الصديق لرسول الله ﷺ عارضة وإنما كان أبو بكر ﷺ قبل الإسلام صديقاً لرسول الله ﷺ يصحبه في حله وترحاله لا يفرق بينهما إلا الليل يأوي فيه كل منهما إلى بيته. والمتأمل ماذا قالت قريش لأبي بكر ﷺ يوم صدع النبي ﷺ بدعوتهم إلى الإسلام قالت قريش: لقد جُنّ (صاحبك) وصبيحة الإسراء قالوا له: اسمع إلى ما يقول ((صاحبك)). ولما عزم على الهجرة قال له النبي ﷺ: على رسلك يا أبا بكر لعل الله يجعل لك ((صاحباً)). حتى إذا جاءه ليخبره أن الله قد أذن له في الهجرة قال أبو بكر ﷺ: الصُّحْبَةُ يا رسول الله! قال ﷺ: ((الصحة)) وعن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما شعرت قبل ذلك أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر ﷺ يبكي حين أذن له رسول

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤/٣٥٤.

الله ﷺ في صحبته». ألا ما أعظم منزلة هذه «الصحبة» منزلة تبكي لها الرجال دموعاً وتصبر من أجلها على الأذى والعدوان وتنفق من أجلها الدماء والأموال! إنها شرف لم يؤثر به رسول الله ﷺ أحداً سوى صاحبه الذي اختار «صحبته»^(١) ودامت تلك الصحبة إلى يوم وفاة النبي ﷺ ثم استمرا أصحابين متجاوزين بعد وفاة أبي بكر ﷺ وسيبقيان كذلك بإذن الله إلى يوم البعث والنشور ووفودهم إلى الرحمن ﷻ!

ونظراً لهذه الصحبة الدائمة والمعية الأبدية لم يعد لأعداء الصحابة منفذ للنيل من أبي بكر ﷺ إلا إذا كذبوا القرآن واتهموا النبي ﷺ وأسأوا الظن فيه، ولما كان حقدهم على الصحابة بمكان الدين والهدف الأول لهم فإنهم لم يتورعوا عن نبر الربوبية والقرآن والنبوة حتى قال قائلهم إن أهل السنة يقولون: «إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وخليفته أبو بكر ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي»^(٢) ولعل هذا النص هو خير معبر عن الواقع والوجه الإيباري المزيف الذي يستترون به للوصول إلى أهدافهم المتمثلة في العمل على إطفاء نور الإسلام باغتيال أعلامه وعلمائه وطمس الأبقار التي تضيء دنياه بنور السنة في كل عصر ومصر- يتمكنون منهم فيه^(٣).

(١) ينظر: الدليمي، المنهج القرآني، ٢٣٢.

(٢) نعمة الجزائري: الأنوار النعمانية، ٢/٢٧٨.

(٣) كما هو حاصل في العراق في هذا اليوم الخميس ٢٤/ محرم/ ١٤٢٧هـ - ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٦م حيث تم الإعلان الرسمي عن قتل الرافضة لأكثر من (٢٥) إماماً وخطيب مسجد من أهل السنة، وقتل = حوالي (٣٠٠) من أعلام الدين والعشائر وإحراق وتدمير واغتصاب أكثر من (١٧٠) مسجداً وجامعاً، كل ذلك خلال يومين فقط وهذا ما أحصي وتم إعلانه، وغير ذلك مما يقوم به أراذل الناس إذا سلطوا على أهل الشرف والدين وما خفي أعظم، مما ينبئ بوضوح لا يقبل لبساً أن الأمور مدبرة ومخطط لها، وافتعلت بعض الأحداث كعلامة للبدء بالتنفيذ ومباشرة القتل والحرق والنهب والسلب، وقطع الطرق وإرهاب الأمنين وتهجير أهل السنة من بيوتهم، ومن جوار الصحابة، حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي وأنس بن مالك ﷺ الذي نبشوا قبره قاتلهم الله، ومن جوار الأسدين الشهيدان طلحة والزبير رضي الله عنهما وإخوانهم ﷺ وتمزيق المصاحف وإحراقها وتدنيستها بمساندة وتوجيه وحماية ورعاية من الحكومة الراضية المتحالفة مع الصليبيين، ومباركة من القوى الراضية المجاورة وسرور من الاحتلال الصليبي. وعامة أهل السنة للأسف إلا من رحم الله في العراق وفي البلاد المجاورة في شغل عما يجري للسنة في العالم، من قتل

وإلا كيف يُساء الظنُّ برسول الله ﷺ! ويُطعن بأفعاله وخياراته المعصومة؟ أيتخذ النبي ﷺ له صاحباً ثم لا يكون هو خير الأصحاب؟! ألا يحسن الاختيار ﷺ؟! وكيف دامت صحبتها طيلة هذه المدة وهو لا ينصحه ولا يرشده؟! أهكذا الظن بصفوة الرسل وخيرة الخلق وهو القائل: ((لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي))^(١) أم المقصود من كل هذا هو الطعن برسول الله ﷺ وليس المقصود بالنهي الصحبة العارضة، ولما كان طعنهم المباشر برسول الله ﷺ يكشف أستارهم طعنوا بخير أصحابه وأقربهم إلى نفسه للوصول إلى الهدف ذاته بطريقة أخرى.

لقد كانت صحبة النبي ﷺ " لصاحبه " وخليفته صحبة الدين والغايات العظيمة السامية، ولذلك قال ﷺ: ((لو كنتُ متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن))^(٢).

ولو لم يكن أبو بكر ﷺ بطبعه وفطرته وسمو معدنه وسماحة وقوة نفسه مؤهلاً لصحبة النبي ﷺ لما كانت صحبتها صحبة، والسؤال الذي يطرح نفسه مادام مقام خليفة رسول الله ﷺ عند آل بيت النبوة معلوماً ومعروفاً بأسمى درجات الحب والتقريب والتبجيل، فيا ليت شعري أي بيت هذا الذي يستظل تحت ظلاله أعداء الصحابة ومبغضو إمام الصحابة وقائد الأمة بعد رسول الله ﷺ ويا ليت أهل السنة يعلمون؟!.

وإبادة واغتيالات وانتهاكات لمجرد أنهم يحملون في بطاقتهم اسم صحابي ولا سيما مَنْ اسمه عمر أو عثمان بل أي اسم منبعث معناه من السنة النبوية وكل ذلك يتناوله أهل السنة في الحديث باستحياء وتمويه ودون أي تشخيص وتسمية لعدوهم المجاور لهم في ديارهم الذي يزرع ثقافة الحقد في صدور أتباعه على أهل السنة على شكل أوراد وعبادات وهبات يتقربون بها إلى آلهتهم وسدنتهم، في ثقافة يومية تغص بمفردات التحريض المباشر والكرامية والاستفزاز وشتم الصحابة وأمهات المؤمنين وتزييف ظاهر للأحداث، مما ينبئ عن مستقبل خطير لأهل الإسلام إذا بقي أهل السنة على هذا الفهم القاصر والمجرد من روح الولاء والبراء، والله المستعان.

(١) صحيح ابن حبان، باب المجالسة، (٥٥٤) أبو داود: سنن أبي داود، باب من يؤمر أن يجالس، ح (٣٨٣٢).

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، ح (٣٦٦١).

آشهر الصحبة

للصحبة آثارها في أخلاق الأصحاب وسلوكهم نتيجة لتفاعلات تجاربهم وتمازج خواطرهم وآمالهم وآلامهم وهذا ما حصل لخليفة رسول الله وتأثره بأخلاق النبي ﷺ ومواقفه وأفعاله ووسائل معالجته للأحداث وتبليغ الرسالة ومواجهة المعضلات. وكلما كانت الصحبة أصدق ومدتها أطول، كانت فرصة التمازج والتعلم أكبر وأكثر، مما يؤدي إلى رقي النفوس وتفاهمها وتلاقي المشاعر وتمازجها مما يتيح المجال للصفاء والارتقاء وتخلق الصاحب بأخلاق صاحبه أكثر وأكثر، حتى يمكن أن يكون صورة أخرى له تعكس ما في صورة الأصل من قيم ومواقف وقسمات وملامح لأن الأثر يعتمد على قوة المؤثر وعلى مدى صلاحية المحل للتأثر. قال النبي ﷺ: «(المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)»^(١) وقديماً قال القائل: قل لي مَنْ تُصاحب أَقُلْ لَكَ من أنت؟ وقال الشاعر:

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
وآثار صحبة الصديق ﷺ لرسول الله ﷺ واضحة المعالم في أخلاقه وعلمه وكرمه ويقينه وجهاده وشجاعته وفي سلوكه وأخلاقه وتواضعه وحبه وبغضه وولائه وبرائه، وورعه وزهده وسياسته ومكانته، وكانت معالم هذه الآثار من الظهور والبروز والوضوح ما يشكل دليلاً قاطعاً على صدق هذه الصحبة وقوة عراها وسمو مقاصدها وعلو منزلتها وعميق آثارها.

- وهو الأَوَّاهُ لرافته ورحمته^(٢) وهو المعنيُّ في قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ (الليل: ١٧-٢١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: وسيجنبها الأتقى أي سيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى ثم فسره بقوله: ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ (الشمس: ١٨) أي ينفق ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ (الليل: ١٩) أي ليس بذله ماله في

(١) المستدرک علی الصحیحین، ک. البر والصلة، ح (٧٣١٩) ابن حنبل: المسند، مسند أبي هريرة، ح (٨٠١٥).

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٤ / ٣٧٩. ابن الجوزي: المنتظم، ٤ / ٦٢.

مكافأة من أسدى إليه معروفاً فهو يعطي في مقابلة ذلك ولكن ما دفعه إلى ذلك ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (الليل: ٢٠) أي طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات قال الله تعالى: ﴿ولسوف يرضى﴾ أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات.

وهذه الآيات نزلت في خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه وذلك الوعد الحق الذي ادخره الحق عز وجل لصاحب نبيه هو الوعد بالمكافأة الكبرى والجائزة العظمى وكأن الله تعالى لم يرض له الدنيا وزينتها بكل ما فيها ليكافئ بها عبده الأتقى فادخر له كل ذلك تكرامة وتشريفاً فبقي في الدنيا على حاله من التقشف والزهد حتى رحل إلى مولاه دون أن يأخذ مكافأة على ما قدم وأعطى في سبيل الله تعالى ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ (الليل: ١٩) فكم من أموال بذلها بنفس رضية ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه حتى على السادات والرؤساء من القبائل؛ ولهذا قال له عروة بن مسعود الثقفي وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يدك عندى لم أجرك بها لأجبتك، وكان الصديق الأتقى قد أغلظ له في المقال لما تلفظ به من كلام ينال من المسلمين بين يدي رسول الله ﷺ فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء الناس وزعماء القبائل فكيف بمن عداهم؟ لا شك أنه سيكون أكثر إحاطة ورعاية كما اتضح ذلك مع من أعتقهم من خالص ماله ابتغاء لمرضاة ربه ﷻ، ليتأكد أنه كان يقوم بكل ذلك سحياً وعلى الفطرة التي فطره الله عليها وهي فطرة التقوى وعمل المعروف وحب الخير للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَكَسُوفَ يَرْضَى﴾ (الليل: ٢٠، ٢١). وعن ابن عباس في قوله تعالى: وسيجنبها الأتقى. قال: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالأتقى هو الأفضل والأكرم. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: من الآية ١٣) فهو أفضل الأمة بعد النبي ﷺ وأكرمها عند الله. وسورة الليل مكية ومن أول ما نزل من القرآن يأتي ترتيبها في المصحف قبل سورة الضحى وجميع ما فيها من فضائل

(١) ينظر: ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٢٩٤. الغزالي: فقه السيرة، ٣٢٦.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٥/ ٤٥٥. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة الليل.

نزلت بحق خليفة رسول الله. قال أبو قحافة لأبي بكر رضي الله عنه: أراك تُعتق رقاباً ضعافاً؟ فلو أنك أعتقت رجالاً جلدًا يمنعونك ويقومون دونك يا بني؟ فقال: يا أبت إنما أريد ما عند الله فنزلت هذه الآيات فيه: ﴿فأما من أعطى واتقى...﴾^(١).

وقد نَوَّه رسولُ الله ﷺ بفضائل أبي بكر رضي الله عنه فقال ﷺ: "ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها ما خلا أبا بكر فإن له يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته"^(٢) وفي السورة وعد لأبي بكر رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿ولسوف يرضى﴾ وهو شبه الوعد الذي وعد الله به نبيه ﷺ في سورة الضحى بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى: ٥) وهذه خصيصة أخرى خص الله تعالى بها أبا بكر رضي الله عنه كذلك وفيها قوله تعالى: ﴿فَسُنِّسِرُهُ لِيُسْرِيَ﴾ (الليل: ٧) وهو ما قاله الله تعالى عن رسول الله ﷺ في سورة الأعلى: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ وذلك خاص بأبي بكر أيضاً.

وجاء في الأثر: «لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح كفة بها» وهذا ليقين الصديق رضي الله عنه وثباته وإخلاصه، قال القرطبي أدل دليل على شجاعته وجراته ثباته يوم وفاة رسول الله ﷺ «فإن الشجاعة والجرأة حدُّهما ثبوتُ القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ

(١) الحاكم: المستدرک، تفسیر سورة الليل، ح (٣٤٩٢) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٦٩/٣٠.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير، فضائل أبي بكر رضي الله عنه ح (١١٤٦١) وهذا حديث موقوف على عمر رضي الله عنه فقد رواه إسحاق بن راهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عنه، وهو عند ابن المبارك في الزهد، ومعاذ بن المنثري في زيادات مسند مسدد، وكذا أخرجه ابن عدي في ترجمة عيسى بن عبد الله من كامله، وفي مسند الفردوس، معاً من حديث ابن عمر مرفوعاً، بلفظ: لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها، وفي سننه عيسى بن عبد الله بن سليمان، وهو ضعيف، لكنه لم ينفرد به، فقد أخرجه ابن عدي أيضاً من طريق غيره بلفظ: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم. وله شاهد في السنن أيضاً، عن أبي بكر مرفوعاً: أن رجلاً قال: يا رسول الله، رأيت كأن ميزاناً أنزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت، ثم وزن أبو بكر بمن بقي فرجح، الحديث، وعلى ذلك إن كانت هذه الرواية في رفعها إلى الرسول ﷺ ضعف ولكن حديث أبي داود يشهد لها بالصحة، وهذا يتوافق مع ما ورد لأبي بكر رضي الله عنه من فضائل صحيحة. الشحود: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، ١١٣/١٢.

فظهرت عنده شجاعته وعلمه ﷺ. وقد قال ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها من أعظم المصائب»^(١).

أما موقفه من المرتدين وما نعي الزكاة فقد اتضح حين جاءه عمر ﷺ يقول له: "يا خليفة رسول الله ((تألف الناس وارفق بهم)) فصاح في وجهه بحزم ويقين: «أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام! رجوت نصرك فجئتني بخذلانك!» وأقسم بالله ليقاتلنهم حتى يؤدوا الخيطة والمخيطة ثم قال: «إنه قد انقطع الوحي وتم الدين، أو يتقص الدين وأنا حي!!»^(٢) فألج بمواقفه وعلمه صدور المؤمنين، وأقرّ عيون الصالحين، فاتقدت في صدور المنافقين أحقاد الغادرين وحسداهم له ولأمته، فملأوا كتب التاريخ والأدب بالباطل والبهتان، لتشويه إنجازاته وطمس أنوار حسناته، وللتشويش على مكانه الأول في الأمة بعد النبي ﷺ.

- الأول في الأمة والتمتدح على السابقين ﷺ

أصحاب رسول الله ﷺ كلهم في مقام الصدارة والقدوة، كل منهم على مرتبته التي أوصله إليها سبقه وصبره واجتهاده، فهم جميعاً أوائل وسباقون في ميادين الجهاد والعطاء والعلم والوفاء والنصرة وغير ذلك ولكن السابق الأول والوحيد في كثير من المواقف هو خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بلا منازع ولا منافس، أكد ذلك انقياد المهاجرين والأنصار له وتسليمهم لإمامته يوم السقيفة.

فخليفة رسول الله هو أول رجل أسلم إسلاماً عملياً تاماً متحملاً تبعات إسلامه وخياره، وأول من تحمل مسؤولياته تجاه رسول الله ﷺ كاملة في الدفاع والنصرة والإنفاق والهجرة والدعوة، فأبي كلام يثار حول هذه المسألة ما هو إلا من باب اللغو والشغب ووضع العقبات

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ٢٢٢، ٢/ ١٧٦. سنن الدارمي، باب في وفاة النبي ﷺ ح (٨٤) (٨٥) قال

حسين سليم أسد: إسناده صحيح وهو مرسل.

(٢) مشكاة المصابيح: ٣/ ١٧٠٠.

أمام الرؤية الموحدة لقيادة الأمة وإمامتها التي قادها خليفة رسول الله بجدارة وأمانة ونجاح مستمر، لا تشبهه قيادة أخرى سوى قيادة رسول الله ﷺ وهو أول من صدق النبي في كل ماجاء به عن ربه بتسليم كامل لا تشوبه أي شائبة من تردد أو تساؤل. وأول من أسلم والداه أبوه وأمه. وأول من أنفق ماله كله في سبيل الله ونصرة رسوله ﷺ وأول من دعا الناس لمتابعة رسول الله ﷺ والأول في الدعوة من بين الصحابة حيث أسلم على يديه الكثير من الناس ومنهم نصف العشرة المبشرين بالجنة. وأول من أعتق المستضعفين من المسلمين في سبيل الله. وأول من صاهر رسول الله ﷺ من أصحابه الكرام. وأول من جند أسرته رجالاً ونساءً لنصرة رسول الله ﷺ. وأول من بنى مسجداً في بيته ليعبد الله ويعلن عن دعوته. وأول من رضي بجوار الله ورد جوار الجاهلية. وأول من وصى رسول الله بنفسه وماله. وأول من دعا رسول الله ﷺ لإعلان الإسلام في مكة. وأول خطيب خطب في المسلمين بحضور رسول الله ﷺ ودعا إلى الله جهاراً على الملأ بحضور المسلمين والمشركين. وأول من استشهد بالقرآن دفاعاً عن رسول الله ﷺ. وأول من حج بالمسلمين في حياة رسول الله ﷺ وأول من شهد المشاهد كلها مع رسول الله، وأول من خلف النبي ﷺ وعلم المسلمين كيف يكون الثبات والاتباع والافتداء بسيد الأنبياء ﷺ. وأول من قاتل من فرق بين الصلاة والزكاة. وأول من قاتل الفرس بجيوش نظامية من المسلمين. وأول من زحف إلى الروم بجيوش الإسلام بنية إدخالهم في الدين أو إخضاعهم لعدل الإسلام أو طردهم من بلاد العرب والمسلمين. وهو أول قائد واجه الروم والفرس أي الغرب والشرق في وقت واحد وانتصر عليهما في جهاده معهما، وهو أول من جمع القرآن، وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية والإسلام، ولم يسجد لصنم قط. وهو أول من قاء ما في أمعائه تخرجاً من الشبهات وأن يدخل جسده لقمة من الحرام. وأول خليفة لم يغيره مقام الخلافة عما كان عليه قبل توليها. وهو الأول في المكانة عند رسول الله ﷺ وأول من خلف النبي ﷺ وعلم المسلمين كيف يكون الثبات والافتداء بسيد الأنبياء ﷺ وهو الأول في الشورى عند رسول الله ﷺ. والأول في فقه وعلم ومرامي كلام رسول الله ﷺ وفحواه فقد كان وحده الذي فهم ما يرمي إليه رسول الله ﷺ بقوله إن

عبداً خيره الله من أن يؤتية من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده. وهو الأول في الزهد. والأول في الورع. والأول في الكرم والجود. وهو الأول في المكانة والوجاهة والسيادة عند رسول الله ﷺ وعند أصحابه وعند الأمة إلى هذا اليوم، لا يخرج عن ذلك إلا تائه أو زنديق أو مرتد، وهو الأول في كل موقف محمود ومشهد مرموق في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ﷺ فجزاه الله عن دينه ونبيه ﷺ وأمته وعقيدته؛ بخير ما جرى الصديقين والأئمة الراشدين عن أنبيائهم ودينهم وأممهم.

وسيتضح لكل قارئ أن أبا بكر الصديق ﷺ هو الأول في الأمة، وأن هذه المرتبة كانت من الأسباب التي لم يستطع أحد من المسلمين تجاوزها يوم الحوار والشورى بين المهاجرين والأنصار ﷺ كما سيتبين ذلك جلياً في موضعه من رد الشبهات عن بيعة السقيفة.

- فالصديق ﷺ هو الإمام القائد المؤهل الذي سدّ مسدّ رسول الله ﷺ يوم غيابه، حيث أعدّه النبي ﷺ لتلك المهمة التي تنوء بها الجبال، وإلا كيف يمكن لرجل لا يملك إلا إيمانه و يقينه وتوكله أن يسدّ ثغرة تركها أعظم نبي أرسله الله تعالى إلى البشر- ليؤدي أعظم وأوسع رسالة يراها ويوجهها الوحي في اتصال دائم ما بين السماء والأرض، لهذا كان التكليف مضمناً ولولا إعداد رسول الله ﷺ لصاحبه الصديق وتزويده بتجاربه وحرصه أن لا يغيب عن واحدة منها حيث احتفظ به ﷺ صاحباً في كل أحواله، مما أشهر مكانته للقاصي والداني، حتى علم المشركون تلك المنزلة يؤكد ذلك نداء أبي سفيان بن حرب يوم أحد بعد أن أشيع أن النبي ﷺ قد قتل فقال: أفي القوم محمداً؟ أفي القوم ابن أبي قحافة أبو بكر؟ ولم يكتف رسول الله ﷺ بكل هذه التأكيدات التي تؤكد منزلة أبي بكر في الأمة حتى أعلن ﷺ أنه قد خلفه فيهم إماماً يقوم مقامه ويقف موقفه ﷺ فعندما سمع تكبير غير أبي بكر في إمامة الصلاة خرج وهو يقول: «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون»^(١) فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد

(١) سنن أبي داود: كتاب السنة، باب استخلاف أبي بكر ﷺ ح (٤٦٦٠) وهو حديث حسن .

أن صلى عمر رضي الله عنه تلك الصلاة فصلى بالناس . وغير ذلك من المواقف التي جاءت في كتب الصحاح والسنن التي ستتضح في مبحث صلاة أبي بكر رضي الله عنه في المسلمين .
 فهو الذي أجمع الصحابة والتابعون ومن بعدهم على مخاطبته بيا خليفة رسول الله في كل شؤونهم ، فهو لا يقال له أمير المؤمنين وإنما يقال : خليفة رسول الله وهذا تصديق لقوله تعالى : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) هذه المعية التي بقيت له في حياته ولم تفارقه بعد مماته ولن تفارقه إلى قيام الساعة . تأكيد لمعية الله تعالى مع النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته رضي الله عنه فلا يذكر أبو بكر رضي الله عنه حتى يذكر الله والرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في قولنا : خليفة رسول الله . وقد كان لقب خليفة رسول الله الذي اختص به الصديق رضي الله عنه تشریفاً من الله تعالى له أولاً ؛ وإجماعاً من الأمة ثانياً على أنه هو الذي سد مسد رسول الله بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وهو الذي حمل الأمة على السير في طريقه دون أي التفتات أو تردد ، وقد زاد تمسك الصديق بمنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة تعلقاً به وأنساً بوجوده حتى خفف عليهم وحشة فقد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وثقة بتدبيره وتخطيطه واجتهاده وعلى الصعد كافة ؛ لذلك أجمع الصحابة على مخاطبته بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل الأحوال وفي جميع المناسبات ومن ذلك :

- في السياسة وشؤون الحكم^(١) فلم يخاطبه الصحابة رضي الله عنهم إلا بهذا اللقب الذي تفرد به من بين جميع الصحابة ، فمن تولى الخلافة من بعده خوطب بأمر المؤمنين ولم يخاطب بها خوطب به رضي الله عنه .
 وكذلك مع الجيوش وقيادتها^(٢) وفي وصاياه لقادة الجيوش^(٣) وفي رعاية أبناء الشهداء^(٤) في الاتباع والافتداء ورفض تقليد الفرس والروم^(٥) وفي الإفتاء^(٦) وفي الاتباع والافتداء في ميراث

(١) ابن حنبل : المسند ، مسند أبي بكر الصديق ، ح ٦٢ ، ح ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) سعيد بن منصور : السنن ، ك : ما يؤمر به الجيوش إذا خرجوا ، ح ٢٣٨٣ .

(٣) البيهقي : السنن الكبرى ، ك : السير ، باب من اختار الكف عن القطع والتحريق إذا كان الأغلب أنها ستصير دار إسلام أو دار عهد ، ح ١٨٦٣٥ . ابن أبي شيبه : المصنف ، ك : ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه ، ح ٢١٨ .

(٤) سعيد بن منصور : السنن . كتاب : باب ما جاء في حمل الرؤوس ، ح ٢٨٤٢ .

(٥) محمد مال الله : موقف الخميني من أهل السنة ، ٣٢ ، ٣٣ .

السيدة فاطمة رضي الله عنها^(١) وفي المشاورة وقبول الرأي الصواب^(٢) وفي العطاء وقسمة الأموال^(٣) وفي مخاطبته في طلب إقطاع بعض الأراضي للانتفاع بها^(٤) وفي حل المشاكل والأسرية وترتيب العلاقات العائلية^(٥) وفي محاسبة النفس وضبط ألفاظ اللسان^(٦) وفي السقيفة ويوم البيعة لأبي بكر بالإمامة الكبرى والخلافة العظمى بعد رسول الله ﷺ^(٧) كما خاطبه المهاجرون والأنصار حين اعتذر أمامهم عن الخلافة متمسكين به وأنه هو ﷺ خيارهم الوحيد وكذلك حين خطبهم خطبته الأولى في خلافته^(٨) وفي بيان تمسكه بمن كان يعمل لرسول الله ﷺ من الولاية^(٩) وخاطبوه بياخليفة رسول الله ﷺ راضين واثقين يوم اختار لهم عمر الفاروق ﷺ خليفة وإماماً من بعده، وفي استخلاف عمر^(١٠) وفي شدته على المرتدين وقبول الرأي المصيب في الشورى^(١١) وفي مواجهة

-
- (١) ابن أبي شيبة: المصنف، ك. الطلاق. باب: ما قالوا في الأولياء والأعمام أيهم أحق بالولد؟ ح ١.
- (٢) أبو يعلى: كتاب: مسند فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ح ٦٧٥٢. البيهقي: السنن الكبرى، ك، قسم الفيء والغنيمة، باب بيان مصرف خمس الخمس وأنه بعد رسول الله ﷺ إلى الذي يلي أمر المسلمين، ح ١٣٠١٦.
- (٣) البيهقي: السنن الكبرى، ك. الفرائض. باب: باب فرض الجدة والجدتين، ح ١٢٥٩٩. عبد الرزاق: المصنف، ك: كتاب الفرائض، باب: باب فرض الجدات، ح: ١٩٠٨٤.
- (٤) البزار: المسند البحر الزخار، ك: مسند عمر بن الخطاب، باب: أسلم مولى عمر عن عمر، ح ٢٨٦.
- (٥) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قسم الصدقات. باب، سقوط سهم المؤلفلة قلوبهم، ح ١٣٤٦٤.
- (٦) البيهقي: السنن الكبرى، ك. النفقات. باب نفقة الأبوين، ح ١٦١٨٢.
- (٧) أبي يعلى: المسند، ك: مسند أبي بكر الصديق، باب: مسند أبي بكر الصديق، ح ٥. ابن أبي شيبة: المصنف، ك: المغازي باب: ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته في الردة، ح ٦.
- (٨) البيهقي: السنن الكبرى، باب الأئمة من قريش، ح ١٧٠٠٦. الحاكم: المستدرک على الصحيحين، ٣/ ٨٠. وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. البدر: الصرة من الدراهم.
- (٩) الطبراني: المعجم الأوسط، باب، من اسمه منتصر، ح ٨٥٩٧.
- (١٠) المعجم الكبير، ك. باب الباء، باب، بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ شهد بدرًا يكنى أبا عبد الله، ح ١٠١٣.
- (١١) المستدرک على الصحيحين، ح ٤٤٦٩، ٣/ ٨٥. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
- (١٢) الطبراني: المعجم الأوسط، ك. من اسمه أحمد. باب: أحمد بن عمرو القطراني، ح ١٩٧٤.

الردة ووسائل التعامل معهم^(١) وفي حمل المسلمين على مواجهة المرتدين بأقصى- درجات القوة والحزم^(٢) ولما برز أبو بكر رضي الله عنه واستوى على راحلته لمواجهة المرتدين الذين رفضوا خلافته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد: شمس سيفك، ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فو الله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً^(٣).

وفي مرضه الذي مات فيه رضي الله عنه كان يدخل عليه الصحابة يعودونه في مرضه فيقولون: يا خليفة رسول الله! ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك، قال: قد نظر إلي، قالوا: فماذا قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد^(٤) واستمر السلام عليه بخليفة رسول الله بعد وفاته رضي الله عنه وسيبقى خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله^(٥) لا يخرج عن الإقرار بإمامته وخلافته إلا من ارتضى مسيلمة الكذاب إماماً وقائداً.

(١) بقعاء: اسم قرية من قرى اليمامة وقيل: ماء مر لبني عبس وقيل مياه لبني سليط، وبقعاء الموضع الذي خرج إليه أبو بكر رضي الله عنه لتجهيز المسلمين لقتال أهل الردة، وهو تلقاء نجد على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة، قال الواقدي: وبقعاء هو ذو القصة، وبقعاء مواضع متعددة. قال الشاعر:

وقد كان في بقعاء ري لشائكم وتلعة والجوفاء يجري غديرها

ياقوت: معجم البلدان، ٢ / ٣٧١.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١ / ٦٧.

(٣) الهندي: كنز العمال، ٦ / ٨٢٥. ح (١٦٨٣٨) المحب الطبري: الصواعق المحرقة، ٤١. تاريخ الخلفاء: ١ / ٧٠.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف، ك. الزهد، ح ١٠.

(٥) مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، ١ / ٧٤٥. فصل في السلام على النبي صلى الله عليه وآله. مشكاة المصابيح، ٣ / ١٧٠٠.

المبحث الثاني

أسرة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق ﷺ ومواليه

أ.ج.وأه

- والده هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب يكنى أبا قحافة أسلم يوم فتح مكة^(١) وكان يوم فتح مكة مكفوف البصر^(٢) وكان أبو قحافة شقيقاً على ولده أبي بكر ﷺ قال له حين أعتق من أعتق من المستضعفين: يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلدأ يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبت إني أريد ما عند الله فأنزل الله عز وجل فيه قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾^(٣) وتوفي أبو قحافة ﷺ بمكة في محرم سنة أربع عشرة وهو ابن سبع وتسعين سنة بعد موت أبي بكر ﷺ بستة أشهر وأيام^(٤).

- والدته:

هي أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وهي من السابقات إلى الإسلام^(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسلمت أم أبي بكر وأم عثمان وأم طلحة وأم الزبير وأم عبد الرحمن بن عوف وأم عمار بن ياسر رضي الله عنهم وأم أبي بكر رضي الله عنه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن عمرو بن كعب

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣ / ١٠٣٦ . ابن الجوزي: المنتظم، ٤ / ٧٧ .

(٢) ذي طوى: واد بمكة. ياقوت: ٦ / ٢٦٩ .

(٣) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٥٥ .

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ٤ / ٧٧ . البلاذري: الشيخان: ص ٨٨ .

(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤ / ١٩٣٤ .

بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك. ولما توفي أبو بكر ورثه أبواه جميعاً وكانا قد أسلما وماتت أم أبي بكر قبل أبيه أبي قحافة^(١).

- وجدة أم الخير أم أمها: دلاف وهي أميمة بنت عبيد بن الناقذ الخزاعي من قبيلة خزاعة^(٢).

- وجدة أبي بكر ﷺ أم أبي قحافة: أمينة بنت عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب^(٣) عن عائشة قالت: ما أسلم أبوا أحد من المهاجرين إلا أبوي أبي بكر ﷺ^(٤) وأسلمت أم الخير سلمى بنت صخر رضي الله عنها قديماً في دار الأرقم بن أبي الأرقم بن عبد مناف بن أسد المخزومي، حينما ألح أبو بكر ﷺ على رسول الله ﷺ بالظهور وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلاً فقام أبو بكر ﷺ أول خطيب يدعو إلى الله وإلى رسوله فثار المشركون على المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد... وفي ذلك اليوم الذي أُوذي فيه الصديق ﷺ على أيدي عتاة قريش، دعا لها رسول الله ﷺ استجابة لرغبة صاحبه أبي بكر ﷺ فأسلمت رضي الله عنها^(٥).

مزوجاته

تزوج أبو بكر ﷺ في حياته من أربع نسوة أنجبن له ثلاثة ذكور وثلاث إناث، اثنتان من زوجاته في الجاهلية وهما:

- قتيلة: بنت عبد العزى بن أسعد بن جابر بن مالك من بني عامر بن لؤي^(٦) وهي والدة عبد الله وأسماء ذات النطاقين رضي الله عنهما.

(١) المعجم الكبير: ١ / ٥١. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ١٧. ابن الجوزي: الصفوة، ١ / ١٢٣. وهم من قال

أنها أسلمت مع أبي قحافة يوم إسلامه. البلاذري: الشيخان: ٨٩.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٣.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير، ١ / ٥٢.

(٤) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ١٠٦.

(٥) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ١ / ٤٣٩ الطنطاوي: أبو بكر، ٥٩.

(٦) الزبيری، نسب قريش، ٢٧٦، ابن سعد، الطبقات، ٣ / ١٦٩، ٨ / ٢٤٩. الصلابي، أبو بكر الصديق، ٢٣.

- وأم رومان: بنت عامر بن عويمر من بني كنانة بن خزيمة^(١) أسلمت قديماً وبايعت وهاجرت وهي أم عبد الرحمن وعائشة رضي الله عنهما. واسم أم رومان ((دعد)) وأبوها عامر بن عويمر بن عبد شمس من بني كنانة بن خزيمة ويقال: عمير بن عامر ولما أسلم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أتى أبا بكر رضي الله عنه فأخبره بما لقيه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت أم رومان امرأة أبي بكر وهو يفاوضه أمر الإسلام، فلما خرج سعد قالت لأبي بكر رضي الله عنه: ما الذي كنتما فيه؟ فأخبرها، ودعاها إلى شهادة الحق ورفض الأوثان فأسلمت، وقالت: لقد كنت أعلم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خالق لكل خير^(٢).

وقيل: اسمها زينب وكانت تحت عبد الله بن حارث بن سخبرة بن جرثومة الأزدي، وكان قد أقام بها في مكة فحالف أبا بكر رضي الله عنه قبل الإسلام وتوفي عن أم رومان بعد أن ولدت له الطفيل ثم خلف عليها أبو بكر رضي الله عنه فأسلمت قديماً وبايعت وهاجرت بعدما استقر المقام بأبي بكر في المدينة. والصحيح أنها توفيت في خلافة عثمان كما ذكر ذلك البخاري في (التاريخ الأوسط) و(التاريخ الصغير). وفي (المنتظم) ذكر ابن الجوزي أنها توفيت في ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة، إلا أن هذا بعيد لأنها ذكرت في أحداث بعد هذه السنة^(٣).

وتزوج في الإسلام امرأتين هما:

- أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث^(٤) الخثعمية وهي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها. وهي من المهاجرات أسلمت قديماً قبل دخول دار الأرقم، ثم بايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فولدت له هناك محمداً وعبد الله وعوناً؛ ثم هاجرت معه إلى المدينة فاستشهد في معركة مؤتة، فتزوجها أبو بكر رضي الله عنه فولدت له محمد بن أبي بكر. وتزوجها بعد أبي بكر

(١) الزبير، نسب قريش، ٢٧٦، ابن سعد، الطبقات، ٣/١٦٩، ٨/٢٤٩. الصلابي، أبو بكر الصديق، ٢٣.

(٢) البلاذري: الشيطان، ٩٠.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم: ٣/٢٩١. الطنطاوي: أبو بكر، ٢٥٣.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٤/١٧٨٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/٢٨٢.

عليّ بن أبي طالب ﷺ فذكر أنها ولدت منه ولدًا اسمه محمد فكان يقال لها أم المحمدين^(١)، وروي أن النبي ﷺ زوجها لأبي بكر ﷺ يوم حنين فولدت له محمداً، ثم مات عنها فتزوجها علي ﷺ فولدت له يحيى لا خلاف في ذلك ولما مات أبو بكر ﷺ أوصى أن تغسله. وكان عمر ﷺ يسألها عن تفسير المنام ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره^(٢).

- حبيبة ويقال: مليكة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجية الأنصارية وكانت قد أسلمت وبايعت وتوفي عنها أبو بكر ﷺ وهي حامل فولدت له بعد وفاته أم كلثوم بنت خليفة رسول الله أبي بكر ﷺ ثم خلف على حبيبة بعد أبي بكر ﷺ خبيب بن إساف ﷺ^(٣).

أولاد أبي بكر ﷺ

كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه من الولد ستة: ثلاثة بنين، وثلاث بنات ﷺ وهم:
- عائشة وعبد الرحمن: وأمهما أم رومان دعد بنت عامر الكنانية رضي الله عنها، وعائشة رضي الله عنها هي زوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة قال ﷺ: ((عائشة زوجتي في الجنة))^(٤) وكانت مدة مقام رسول الله ﷺ مع الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تسع سنين، وتوفي ﷺ عنها ولها من السنين ثماني عشرة سنة، وكانت فقيهة النساء حتى قيل بأن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها، وكانت عالمة بأكثر العلوم، قال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة رضي الله عنها إلا وجدنا عندها منه علماً، وقال عروة بن الزبير: ما رأيت أعلم بفقهِه ولا طب ولا شعر من عائشة رضي الله عنها. وعن مسروق قال: رأيت

(١) المسعودي: مروج الذهب، ٢/ ٢٣٢. وقال: ولدت لعلي أولاداً كلهم درجوا ولا عقب لعلي ﷺ منها.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥١-٣٥٦.

(٣) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥١-٣٥٦.

(٤) صحيح مسلم، ك. فضائل الصحابة، باب. فضل عائشة رضي الله عنها. ٤/ ١٨٩٤. ابن حجر: الإصابة، ٨/ ١٩.

مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكاابر يسألونها عن الفرائض^(١) وقال عطاء بن أبي رباح: «كانت عائشة رضي الله عنها أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة»^(٢) وهي التي قال عنها رسول الله ﷺ مادحاً ومنوهاً بمكانتها في الأمة: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٣) ومعلوم أن الثريد هو أفضل طعام العرب وأكثره عافية وصحة وهناءة، وهو الذي يقدمونه في أكرم المناسبات والأعياد والأفراح.

ولما مرضت رضي الله عنها دخل عليها عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يعودها قبيل وفاتها. فقال: «أنت بخير إن شاء الله زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكرةً غيرك ونزل عذرك من السماء»^(٤) وتوفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلون من رمضان سنة ٥٨ للهجرة وقيل سنة ٥٧، وقيل ٥٩. ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، بعد أن آثرت بمكانها الذي كانت تدخره لنفسها من حجرتها التي دفن فيها زوجها ﷺ وأبوها ﷺ آثرت فيه عمر ﷺ بعد أن استأذنها في ذلك ليدفن مع صاحبيه قرير العين هانيها، فرضي الله عن أم المؤمنين التي أبت إلا أن تكون كريمة في كل شئ وأرضاهما وجزاهما عن الإسلام والمسلمين بخير ما جزى الأنصار والمهاجرين والمجاهدين المصلحين وأشرف الناس والعلماء العاملين وصلى عليها بعد وفاتها صاحب رسول الله أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ﷺ^(٥).

- عبد الرحمن بن أبي بكر:

ويكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا محمد، أمه أم رومان، وهو شقيق عائشة رضي الله عنهما شهد بدرًا وأحدًا مع المشركين، ثم من الله على عبد الرحمن فأسلم في هدنة الحديبية، وكان اسمه عبد

(١) ابن حجر: الإصابة، ٢٣٣. ومعلوم أن علم الفرائض من أصعب علوم الفقه لما فيه من المسائل والموارث التي يصعب فهمها على كثير من الناس.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ٨ / ٢٣٢.

(٣) صحيح البخاري، ٤ / ٢٠٠. ٣٦ / ٥. صحيح مسلم، ك. فضائل الصحاب، ٤ / ١٨٩٥.

(٤) صحيح البخاري، ك. تفسير القرآن، باب: ولولا إذ سمعتموه...، ح ٤٧٥٣.

(٥) ينظر ابن الجوزي: الصفوة، ١ / ١٢٥.

الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن، وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد ﷺ فقتل سبعة من أكابر المرتدين وهو الذي قتل محكم اليمامة ابن طفيل^(١) رماه بسهم في نحره فقتله. وشهد يوم البصرة أو ما يسمى بيوم الجمل مع طلحة والزبير رضي الله عنهما مع شقيقته أم المؤمنين الطاهرة المصلحة عائشة رضي الله عنها وكانت تدعو الناس إلى الصلح فاستهدف هودجها الرافضة السبئية يريدون قتلها حتى أصبح هودجها كالفنذ من كثرة السهام التي رموها عليه^(٢) قاتلهم الله تعالى، وكان أخوها محمد بن أبي بكر مع علي ﷺ وهو الذي تولى صحبتها في ذلك اليوم، ومن ثم عادت إلى مكة وأقامت بها حتى أدت فريضة الحج ثم عادت إلى المدينة^(٣).

وعاش عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما حتى فاوض معاوية ﷺ الناس على بيعة ابنه يزيد خشية على الأمة من الفتنة وانفراط الصف فكان عبد الرحمن ﷺ من أكبر أربعة معارضين لتلك البيعة فعاملهم معاوية ﷺ بلطفه وحلمه المعهود ولم يجبر أحداً من الناس على بيعة يزيد من بعده، ولم يعيش عبد الرحمن حتى يشهد تلك البيعة التي كان يعارضها وكان يقول: لا أبيع ديني بدنياي. وكان رجلاً صالحاً لم يجرب عليه كذب قط وكانت فيه دعابة^(٤) ولطف وأدب جم، وخرج إلى مكة قبل أن تتم البيعة ليزيد، فتوفي فجأة سنة (٥٣) بموضع على عشرة أميال من مكة، ويقال إنه مات في نومة نامها ﷺ وولد عبد الرحمن: محمداً، وعبد الله، وحفصة، فأما محمد بن عبد الرحمن فولد عبد الله بن محمد وله عقب يقال لهم: آل أبي عتيق من بين ولد أبي بكر، وذلك أن عدة من ولد أبي بكر تفاضلوا، فقال أحدهم: أنا ابن الصديق، وقال الآخر: أنا ابن ثاني اثنين، وقال محمد: أنا ابن عتيق، فنسب إلى ذلك هو وولده إلى اليوم^(٥).

(١) هو محكم بن الطفيل وزير مسيلمة الكذاب، قتله عبد الرحمن بن أبي بكر يوم اليمامة، البداية والنهاية، ٦/ ٣٤١.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٦٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ١٣٠. الخليفة: الإنصاف، ٣٩٦.

(٣) الطبري: ٥/ ٢٨١. ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٥٨. الخليفة: الإنصاف، ٤٠٤.

(٤) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٥٧.

(٥) البلاذري: الشيخان، ٩١. ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ٣٤٦. الطنطاوي: ٢٥٨، ٢٥٩.

- عبد الله وأسما ذات النطاقين: وأمهما قتيلة بنت عبد العزى من بني عامر بن لؤي.

- عبد الله هو أكبر أولاد خليفة رسول الله الذكور. وهو صاحب الدور الرائد في يوم الهجرة عندما كان رسول الله ﷺ وخليفته متواريين في الغار^(١) وكان غلاماً شاباً فطناً وكان يأتيهما بأخبار قريش وما يأترون به ضد رسول الله ﷺ وخليفته ﷺ وكان يبيت عندهما ويخرج من السحر فيصبح مع قريش، ولما رجع الدليل عبد الله بن أريقط الدثلي من المدينة بعد أن أوصل رسول الله ﷺ وصاحبه ﷺ أخبر عبد الله بوصولهما إلى المدينة سالمين فخرج بعيال أبي بكر وبصحبتهم طلحة بن عبيد الله حتى قدموا المدينة، وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف مع النبي ﷺ وجرح بالطائف، فاندمل جرحه ثم انتقض عليه فمات في خلافة خليفة رسول الله ﷺ في شوال سنة (١١) للهجرة ودفن بعد الظهر وصلى عليه أبوه ﷺ ونزل في قبره أخوه عبد الرحمن وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم، ويعد من شهداء الطائف، وكانت وفاته بعد وفاة رسول الله ﷺ بأربعين ليلة، وترك زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو العدوية أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكانت امرأة لها هيئة وجمال وتمام وكمال وجزالة في عقلها ومنظرها ورأيها^(٢).

- أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر ﷺ أمها قتيلة وهي شقيقة عبد الله بن أبي بكر وهي أكبر بنات خليفة رسول الله كما أن عبد الله أكبر أولاده، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، وتزوجها الزبير بن العوام ﷺ ابن عمه النبي ﷺ صفيية بنت عبد المطلب رضي الله عنها.

أكبر أبنائها هو أمير المؤمنين الشجاع العالم الفصيح الزاهد العابد عبد الله بن الزبير ﷺ أسلمت قديماً قيل بعد سبعة عشر نفساً، سهاها رسول الله بذات النطاقين لأنها هيأت له ومعها أختها الصغيرة الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما أراد الهجرة سفرة فاحتاجت إلى ما تشدها به فلم تجد شيئاً، فشقت خمارها نصفين فشدت بنصفه السفرة واتخذت النصف الآخر منطقاً

(١) البلاذري، الشيخان: ١٠٢.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ٤/٢٥. الطنطاوي: أبو بكر، ٢٥٥.

تمنطقت به. وروي أنه قال لها النبي ﷺ: (أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة) (١) ثم هاجرت بعد ذلك، وتوفيت في المدينة أوائل سنة أربع وسبعين رضي الله عنها وأرضاها (٢).

- ومحمد بن أبي بكر: وأمه أسهاء بنت عميس بن معبد الخثعمية ﷺ وكان يكنى أبا القاسم، وكان من فتيان قريش، وكان ممن لبست عليه حركة الزندقة السبئية، إلا أن ابن أبي بكر تدارك نفسه بالتوبة قبيل غدر الزنادقة بالشهيد عثمان ﷺ فلم يشارك بشيء من دمائه عثمان ﷺ وإن كان تحرك معهم بعد أن غرروا به بإفكهم وبهتانهم وأباطيلهم في بداية مؤامرتهم القذرة، وكان علي ﷺ يثني عليه ويفضله وكانت له عبادة واجتهاد (٣) وقتل محمد في مصر فتولت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تربية ولده القاسم فنشأ في حجرها فكان من أنبل أهل عصره وأعلمهم وكان فاضلاً فقيهاً. وتوفي بقديد (٤) سنة ١٠٨ هـ.

- أم كلثوم: أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس الخزرجية الأنصارية وهذا البطن من الخزرج يعرفون ببني الأغر (٥) وأم كلثوم تابعة مات أبوها ﷺ وهي حمل في بطن أمها فولدت بعد وفاته ﷺ ثم خطبها أمير المؤمنين عمر ﷺ إلى الطاهرة أم المؤمنين عائشة فأنعمت ورحبت به؛ وكرهت أم كلثوم ذلك لخشونة عيش عمر ﷺ وزهده وشدة ورعه وعبادته، فتزوج عمر أم كلثوم بنت علي بنت فاطمة رضي الله عنهم. ولما أمسك عمر عن ابنة أبي بكر ﷺ تزوجها أبو محمد طلحة بن عبيد الله ﷺ فولدت له زكريا وعائشة ثم قتل عنها ﷺ غدرًا على أيدي الرافضة السبئية في فتنتهم يوم البصرة أو ما يسمونه بيوم الجمل، فتزوجها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر (٦).

(١) تاريخ دمشق، ٤٠/٢٣٩. المزي: تهذيب الكمال، كتاب النساء، باب الألف، ٥/١٢٤.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ٤/١٣. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦١.

(٣) البلاذري: الشيخان، ١٠٤.

(٤) قديد: اسم موضع قرب مكة ينسب عليه بعض الأعلام بنسبة القديدي. ياقوت: معجم البلدان، ٧/٢٣.

(٥) البلاذري: الشيخان، ٨٨.

(٦) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٤.

إخوة خاتمة قرى الله

ولد لأبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب رضي الله عنه: أبو بكر وأم فروة، وقريبة رضي الله عنها.

- أم فروة: أما أم فروة فتزوجها رجل من الأزد فولدت له جارية. ثم تزوجها تميم الداري رضي الله عنه ثم تزوجها الأشعث بن قيس الكندي بعد أن أسره المسلمون في حروب الردة فعفا عنه خليفة رسول الله وزوجه أم فروة بعد أن تاب وحسن إسلامه.

- قريبة: وأما قريبة فكانت عند قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه^(١) الأمير الأريب اللبيب الذي كان بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) ولم تلد له شيئاً وهي شقيقة أم فروة^(٣) ومر فيها سبق من ألقاب الصديق أنه كان يدعى عتيقاً وأنه كان له أخوان آخران يحملان أسماء قريبة من هذا اللقب وهما معتق ومعيتق ولكن من خلال البحث في أسرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لم يظهر ما يؤكد أي دور لهذين الأخوين في الحياة مما يوضح أنهما إن صححت الرواية في ذلك يكونا ماتا صغيرين قبل عتيق رضي الله عنه.

وآل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

- بلال بن رباح رضي الله عنه مولى أبي بكر رضي الله عنه ومؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لبعض بني جمح مؤلداً من مولديهم، قيل: من مولدي مكة، وقيل: من مولدي السراة، واسم أبيه رباح واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب. وكان ديوانه في خثعم وليس بالشام حبشي إلا وديوانه في خثعم، مات بدمشق، ودفن عند الباب الصغير بمقبرتها سنة عشرين وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل: توفي سنة إحدى وعشرين، وقيل: توفي وهو ابن سبعين سنة، ويقال: كان ترب أبي بكر رضي الله عنهما وله أخ يسمى خالداً وأخت تسمى غفرة. ولم يعقب بلال رضي الله عنه^(٤).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٠٢.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٠٢. الهندي: كنز العمال، ح (٣٨٤٧٨). الخليفة: الإنصاف، ٤٢١.

(٣) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٥١.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ٥٥. ابن الأثير: أسد الغابة: ١/ ٢٣٦. الطنطاوي: أبو بكر، ٢٦٧.

- عامر بن فهيرة:

مولى أبي بكر الصديق ﷺ أبو عمرو ﷺ كان مؤلداً من مولدي الأزدي أسود اللون مملوكاً للطفيل بن عبد الله بن سخبرة، أخو أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها لأنها أم رومان رضي الله عنها، فأسلم وهو مملوك فاشتراه أبو بكر ﷺ من الطفيل، فأعتقه وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وقبل أن يدعو فيها إلى الإسلام وكان حسن الإسلام وكان يرى الغنم في جبل ثور ثم يروح بها على رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ في الغار ذكر ذلك كله موسى بن عقبة، وابن إسحاق، وكان رفيق رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ في هجرتهم إلى المدينة، وشهد بدرًا، وأحدًا، ثم قتل يوم بئر معونة^(١) وهو ابن أربعين سنة.

- أبو نافع: وهو مولى عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما وكان مكثراً من المال وكان ينزل البصرة^(٢).

- موسى بن دينار: ذكر مع موالى أبي بكر الصديق ﷺ روى ما قاله النبي ﷺ وأصحابه عن الشيب روى عنه مجاهد^(٣).

- مرة بن أبي عثمان: مولى عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أيضاً، كتبت له أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها كتاباً إلى (زياد بن أبيه) والي البصرة فأكرمه وألطفه ثم أقطعه مائة جريب على نهر الأبله بالبصرة وحفر له نهراً فنسب إليه^(٤).

- سعد بن عائذ: هو سعد القرظ المؤذن المذكور في الوسيط في الأذان للصباح هو مولى عمار بن ياسر ﷺ هو بإضافة سعد إلى القرظ بفتح القاف وهذا لا خلاف فيه عند أهل العلم، جعله النبي

(١) بئر معونة: بين أرض بني عامر وبني سليم وقيل ماء لبني عامر بن صعصعة وقيل غير هذا. ياقوت: ٢ / ٢٤٢.

(٢) الخلال: السنة، (٣٣٣٩) صحيح. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١ / ٤٤١.

(٤) الطنطاوي: أبو بكر، ٢٦٨.

ﷺ مؤذناً بقباء فلما ولي أبو بكر ﷺ الخلافة وترك بلال الأذان نقله أبو بكر ﷺ إلى مسجد رسول الله ﷺ ليؤذن فيه فلم يزل يؤذن فيه حتى مات في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي فتوارث بنوه الأذان، وقيل الذي نقله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ^(١).

- شديد: حاجبه ومولاه أدرك النبي ﷺ وكان هو الذي أحضر عمر بعد أبي بكر رضي الله عنهما فروى أحمد من طريق قيس بن أبي حازم قال: رأيت عمر بيده عسيب نخل يجلس الناس يقول: اسمعوا وصية خليفة رسول الله، فجاء مولى لأبي بكر يقال له شديد بصحيفة فقرأها على الناس. يقول أبو بكر ﷺ: اسمعوا وأطيعوا لمن في هذه الصحيفة فو الله ما ألوكم. قال قيس: ثم رأيت عمر ﷺ بعد ذلك قد صعد المنبر^(٢).

- أبو القاسم مولى أبي بكر ﷺ: له صحبة شهد فتح خيبر وروى عنه أبو الجهم الكوفي أنه قال: لما فتحت خيبر أكل الناس الثوم. فقال رسول الله ﷺ: «من أكل من هذه البقلة فلا يقربنَّ مسجدنا حتى يذهب ريحها من فيه» ذكره البغوي في الصحابة وأخرج له حديثين ثم قال: لا أعرف للقاسم غير هذا^(٣).

- سعد مولى أبي بكر الصديق ﷺ: ويقال سعيد والأول أشهر وأصح، أخرج عنه ابن ماجه وروى عنه الحسن البصري وأشار إليه الترمذي وكان يخدم النبي ﷺ^(٤) وسكن البصرة. عن الحسن، عن سعد مولى أبي بكر الصديق، عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي بكر ﷺ وكان سعد مملوكاً له، وكان رسول الله ﷺ يعجبه خدمته، قال رسول الله ﷺ: «أعتق سعداً» فقال أبو بكر ﷺ: مالنا هاهنا غيره، فقال رسول الله ﷺ: "أعتق سعداً، أتتك الرجال، أتتك الرجال"^(٥).

(١) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، باب سعد (٢٠٣) البيهقي: السنن الكبرى، ح (٢٠٥٢).

(٢) الطنطاوي: أبو بكر، ٢٦٩.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة: ٦٨/٥. ابن عبد البر: الاستيعاب: كتاب الكنى، ٩٨/٤.

(٤) الطنطاوي: أبو بكر ٢٦٩.

(٥) ابن كثير: السيرة، ٤/٦٦٢، دلائل النبوة، (٢٦١٤) الإصابة، ٤/٤٤١. ابن الأثير: أسد الغابة، ٢/٢٨٦.

- صفة: وهي أم محمد بن سيرين طيها ثلاث من أزواج النبي ﷺ ودعون لها، وحضر- إملأها
ثانية عشر بدرياً فيهم أبي بن كعب يدعو وهم يؤمنون^(١).

- كثير بن عبيد التيمي: ذكره ابن حبان في الثقات وله عنده حديث أنس: "يا ابن آدم إنك ما دعوتني
ورجوتني غفرتُ لك"^(٢) روى عن عائشة وأبي هريرة وغيرهما ذكره البخاري وابن حبان وغيرهما في
التابعين واستدركه ابن فتحون ظناً منه إن الموصوف بكونه رضيع عائشة وليس كما ظن وإنما
الموصوف بذلك والده عبيد وقد مضى ذكره. وعنه: ابنه أبو العنيس سعيد، وابن ابنه عنيسة بن سعيد،
وابن عوف، وشعيب بن الحبحاب، وعبد الله بن دكين، ومجالد، وغيرهم. ذكره ابن حبان في
«الثقات»^(٣).

- سَعِيدُ بن عَبِيدِ بن كثير: حدث عنه أبو النَّضْرِ، وهو مجهول، قال أبو حَاتِمٍ: هو من موالى أبي بكر
الصديق ﷺ وهو ابن أخي أبي العيس^(٤).

إسلام أبي بكر الصديق ﷺ سبب إسلامه

من تتبع سيرة خليفة رسول الله يجد أن اهتماماته ومطالعاته وساعاته عن الدين والأنبياء وعبادة
الله الواحد وعن حال المشركين بالله، وكذلك لقاءاته في أسفاره التجارية مع من يتحدث عن
الأديان والنبوة ومع بعض الرهبان والقساوسة وغيرهم من أصحاب هذا الشأن، فضلاً عن
صحبه لرسول الله ﷺ وقربه من نفسه واطلاع كل منهما على توجهات الآخر واهتماماته
وتوافقهما التام في كل ذلك، وأيضاً فطرة خليفة رسول الله السليمة التي جعلت منه مسلماً فطرياً
قبل أن يدعى إلى ذلك، فهو لم يشرب الخمر قط ولم يسجد لصنم قط، ويعمل على نصرته

(١) ابن حجر: الإصابة، ترجمة، (٧٥١٥). (٦٥٦٠). ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٥/ ٥٧.

(٢) سنن الترمذي: باب التوبة (٣٥٤٠) المعجم الأوسط، ك. من اسمه أحمد، باب. من اسمه محمد (٥٤٨٣).

(٣) ابن حجر: الإصابة، ترجمة، (٧٥١٥). (٦٥٦٠) تهذيب التهذيب، ٥/ ٥٧. ابن حبان: الثقات، ٥/ ٣٣٢.

(٤) ابن حجر: لسان الميزان: ٣/ ١٣٧. (٣٧٥٢) (٣٢٣٩).

الضعفاء والمظلومين، ويصلح بين الناس ويطعم الجياع، ويعين على النوائب إلى غير ذلك من أخلاق وقيم كان يتصف بها رسول الله ﷺ مما جعل منه نسخة ثانية عن صاحبه ﷺ قبل أن ينزل إليه الوحي، ونظراً لهذه الأسباب الفطرية، والروابط الأخوية والألفة الروحية والصحبة والتوافق في السن وصلات القربى والجوار ورابطة البيت الحرام والكعبة المشرفة التي يجاورانها؛ كل ذلك وغيره يؤكد أن أبا بكر ﷺ كان المطلع الحقيقي الأول على كل ما يحصل لرسول الله ﷺ وأنه كان مؤهلاً لأن يصدق كل ما يسمعه من رسول الله ﷺ وكل ما يتحدث به عن الوحي وأحواله وعن القرآن وأقواله، وعن كل ما جاء به من أمر أو نهي، أو الإعلام بالغيب والحديث عن الساعة وعن الجنة والنار وما إلى ذلك، وهذا ما صدقه الواقع في إسلام أبي بكر ﷺ الذي لم يتلثم ولم يتردد وإنما الأمر عنده معلوم في عامة خطوطه العريضة، لأن كل ما جاء به الإسلام من المكارم كانت متمثلة في أخلاق رسول الله ﷺ وهو لا يعلم الوقت الذي يوحى فيه إلى رسول الله ﷺ فما إن حصل ذلك حتى أسرع إلى تصديق صفيته وخليته ﷺ والتلاحم الكامل معه لمشاركته في تحمل كل أعباء المرحلة ولهذا كان خليفة رسول الله ﷺ مميزاً في خصائصه ومواقفه وفي كل ما يفعله أو يقوله. وقد ذكر في سبب إسلامه عوامل متعددة منها:

- ما قصه رسول الله ﷺ على أم المؤمنين خديجة بقوله: إني إذا خلوت وحدي أرى ضوءاً وأسمع نداء: يا محمد أنا جبريل. وقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً. فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك، إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث. فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: اذهب مع محمد ﷺ إلى ورقة بن نوفل فإنه رجل يقرأ الكتب فيذكر له ما يسمع. فانطلقا إليه فقصا عليه فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد أنا جبريل. فانطلق هارباً. فقال ورقة: سبوح سبوح! وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي يعبد فيها الأوثان، جبريل أمين الله تعالى على وحيه بينه وبين رسله، لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم اتئني فأخبرني. قال ﷺ: ((

ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عكم عنه حين ذكرته له ولا تردد^(١).

وقوله: الكبوة، أي التأخر وقلة الإجابة من قولهم كبا الزند: إذا لم يُورِ ناراً. ما عكم: أي ما تلبّث بل أجاب بسرعة. قال البيهقي: وذلك لما كان يرى من دلائل نبوته ويسمع بشأنه قبل دعوته، فلما دعاه وقد سبق فيه تفكره ونظره أسلم على الفور. وقال السهيلي: وكان من أسباب ذلك توفيق الله تعالى إياه فيما ذكروا أنه رأى رؤيا قبل ذلك، وأنه رأى القمر نزل إلى مكة ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة وبيوتها فدخل في كل بيت شعبة، ثم كان جميعه في حجره. فقصها على بعض أهل الكتابين فعبرها له بأن النبي ﷺ المنتظر قد أظل زمانه، اتبعه فتكون أسعد الناس به، فلما دعاه رسول الله ﷺ لم يتوقف^(٢).

وأيضاً الصفات والأخلاق المشابهة لما يحبه رسول الله ﷺ في تخلقه بمكارم الأخلاق ومحاسن القيم، وهذا ما قاله ابن الدغنة زعيم الأحابيش الذين كانوا يسكنون قريباً من مكة حينما عزم أبو بكر ﷺ على الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينه. فقال له: مثلك لا يخرج يا أبا بكر، ووصفه بصفات، وصفت بها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ حينما قالت: ((كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق))^(٣) وهذا يعني لكل عاقل أن خليفة رسول الله تعرفه العرب بما تعرف به رسول الله ﷺ وأن صفاتهم ورغباتهم وآمالهم وآلامهم واحدة، والناس ينظرون إليهم بعين واحدة وهذا ما أكدته قريش يوم الهجرة حين أعلنت عن جائزتها الكبرى مائة ناقة لمن يمسك بمحمد ﷺ أو بصاحبه أبي بكر ﷺ فجعلت الجائزة لمن يأتي بأي منهما واحدة، لما يترتب على دور كل منهما في الأمة فرسول الله ﷺ هو الرأس المطلوب الأول لأهل الشرك والكفر ويأتي بعده صاحبه الصديق ﷺ

(١) البداية والنهاية ١ / ١٠٨، ٣ / ٢٧، السيرة النبوية: ١ / ٤٣٣، دلائل النبوة: (٤٦٩) سبل الهدى، ١ / ٢٣٤.

(٢) ينظر الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٢ / ٣٠٣.

(٣) ابن حجر: شرح فتح الباري، كتاب بدء الوحي، ح (٣). ابن حجر: شرح فتح الباري، ١ / ٣٤.

لأنه هو الذي يسد مسده إن غاب، وهذا كله من المتفق عليه المعلوم لدى أعدائهم؛ فكيف لا يكون معلوماً عند أتباعهم ومن يقتدي بهم؟.

- وعن الطاهرة عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرج أبو بكر الصديق ﷺ يريد رسول الله ﷺ وكان له صديقاً في الجاهلية فلقيه فقال: يا أبا القاسم فُقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لأبائها، فقال رسول الله ﷺ: إني رسول الله أدعوك إلى الله، فلما فرغ رسول الله ﷺ أسلم أبو بكر، فانصرف عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحدٌ أكثر منه سروراً بإسلام أبي بكر^(١).

وروى ابن عساكر أن أبا بكر ﷺ كان تاجراً بالشام فرأى رؤيا فقصها على بحيرى الراهب فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة. قال: من أيها؟ قال: من قريش. قال: فأى شيء أنت؟ قال: تاجر. قال: صدق الله تعالى رؤياك، فإنه يُبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته. فأسرّها أبو بكر حتى بُعث النبي ﷺ فقال: يا محمد ﷺ ما الدليل على ما تدعي؟ قال: الرؤيا التي رأيت بالشام. فعانقه وقبل بين عينيه وقال: أشهد أنك رسول الله.

ومن سرعة أبي بكر هذه في القبول وشدة الحرص على التلقي من رسول الله ﷺ وكأنه كان في انتظار تلك اللحظة ما ينبىء أن لديه علماً بهذه المعاني وأنه كان يرقب تلك الساعة المباركة التي يفصح فيها رسول الله ﷺ عن بدئه بمهمته العظمى ليشاركة لذة هومها وتعبها ونظراً لهذا التحفز الدائم في أبي بكر ﷺ قال ﷺ: ((ما عرضت الإسلام على أحد، إلا كانت له عنده كبوة وتردد غير أبي بكر، فإنه لم يتلعثم)). وعن الشعبي قال: قال أبو بكر لعلي: أكرهت إمارتي؟ قال: لا. قال أبو بكر: إني كنت في هذا الأمر قبلك^(٢).

وقال حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

(١) ابن كثير: السيرة، ١/ ٤٣٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٧. الصالحي: سبل الهدى، ١/ ١٢٥.

(٢) السيوطي: الخصائص الكبرى، ٥١، الرياض النضرة، ٣٤. تاريخ دمشق: ٣٠/ ٣٠، البلاذري: الشيخان، ٢١.

القائم الثاني المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسالا^(١).
ومن مجموع هذه الأسباب التي تروى عن إسلام أبي بكر يتضح من مجموعها أنه لم يكن مجرداً من
معرفة إرهابات تلك المرحلة وأنه لديه علم عن حال رسول الله ﷺ كاف أن يجعل منه أول من يحييه
إلى دعوته ويصدقه في كل ما جاء به من الهدى والنور.

- أول من أسلم:

هناك العديد من الروايات التي تشير إلى أن خليفة رسول الله كان على علم بكثير من أخبار
أهل الكتاب، وما عند بقايا أهل الحنيفية من أخبار عن ظهور نبي من أهل الحرم ومن قریش
خاصة، يؤكد ذلك كثرة القصص التي أوردها أهل السير في توضيح كثرة ما سمعه أو رواه عن
أخبار النبي المنتظر ولا سيّما ما سمعه عند بعض الرهبان في الشام، أو عند بعض متقدمي السن
في اليمن، هذا فضلاً عن فطرة خليفة رسول الله السليمة وبعده عما كان يعبد قومه من الأصنام
والسجود لها أو التقرب إليها بالدعاء والقرابين، وما كان يتمتع به من فكر سديد رشيد وعقل
راجح وإحاطة تامة بثقافة عصره وما امتاز به من مروءة ونبل وأخلاق كريمة ومعدن طيب
أصيل؛ جعلته أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ قبل البعثة ثم ازداد قرباً ومودة بعد البعثة، فجعلت
منه تلك العلوم المثال الحي لأقصى ما يمكن أن يقوم به الإنسان في خدمة المبادئ العظيمة، فهذه
العوامل وغيرها جعلت من أبي بكر ﷺ الرجل الثاني في دولة الإسلام بعد رسول الله ﷺ وأوضحت
عامّة الشواهد استعداده ليكون أول من يجيب داعي الله على هذه الأرض، ويكون أول من يسلم الله
ويصدق رسوله ﷺ، وكثرت الروايات أن رسول الله ﷺ قال: ((ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا
كانت له عنه كِبْوةٌ وتَرَدُّدٌ ونَظَرٌ، إلا أبا بكر ما عَتَمَ حين ذكرته له، وما تردد فيه)) وعن عيسى بن يزيد
قال: قال أبو بكر الصديق ﷺ: كنت جالساً بفناء الكعبة، وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعداً، فمر به

(١) البلاذري: الشيخان، ٢٥.

أُمِّيَّة بن أبي الصَّلْت فقال: كيف أصبحت يا باغي الخير؟ قال: بخير. قال: هل وجدت؟ قال: لا، ولم أَلْ مِنْ طَلَب. ثم قال:

كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَا قَضَى اللَّهُ وَالْحَنِيفَةَ بُورُ

أما إن هذا النبي الذي ينتظر منّا أو منكم، أو من أهل فلسطين. قال: ولم أكن سمعتُ قبل ذلك نَبِيَّ يُنْتَظَرُ أو يُبْعَثُ. قال: فخرجتُ أريد وَرَقَةَ بن نوفل وكان كثير النظر في السماء، كثير همّهمّة الصدر قال: فاستوقفته ثم اقتصصت عليه الحديث، فقال: نَعَمْ يا ابن أخي، أبى أهل الكتاب والعلماء إلا أن هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسباً، ولي علمٌ بالنسب، وقومك أوسط العرب نسباً. قال: قلت: يا عمّ، وما يقول النبي؟ قال: يقول ما قيل له إلا أنه لا ظُلْمَ ولا تظالم. فلما بُعث النبي آمنْتُ وصدقْتُ». وعن عبد الله بن مسعود قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إنه خرج إلى اليمن قبل أن يبعث النبي، فنزلت على شيخ من الأزد عالمٍ قد قرأ الكتب، وعلم من علم الناس كثيراً، فلما رأيته قال: أحسبك حُرْمِيًّا؟ وقال أبو بكر: قلت: نعم، أنا من أهل الحرم. قال: وأحسبك قرشياً؟ قال: قلت: نعم أنا من قريش. قال: وإني متقدم إليك في أمرٍ فاحذره. قال أبو بكر: قلت: وما هو؟ قال: إياك والميل عن الهدى، وتمسك بالطريقة المثلى الوسطى، وخف الله فيما خولك وأعطاك.

قال أبو بكر: ففضيت باليمن أربي ثم أتيت الشيخ لأودّعه، فقال: أحامل عني أبياتاً من الشعر قلتها في ذلك النبي قلت: نعم، فذكر أبياتاً.

قال أبو بكر: «فقدمت مكة، وقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم فجاءني عقبه بن أبي معيط، وشيبة، وربيعة، وأبو جهل، وأبو البخترى، وصناديد قريش، فقلت لهم: هل نابتكم نائبة، أو ظهر فيكم أمرٌ؟ قالوا: يا أبا بكر، أعظم الخطب: يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي، ولولا أنت ما انتظرنا به، فإذا قد جئت فأنت الغاية والكفاية. قال أبو بكر: فصرفتهم على أحسن مس وسألت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل: في منزل خديجة، ففرعْتُ عليه الباب، فخرج إلي، فقلت: يا محمد، فقدت من منازل أهلِكَ، وتركت دين آبائك وأجدادك؟ قال: «يا أبا بكر، إني رسولُ الله إليك وإلى الناس كلهم، فأمنُ

بالله» فقلت: ما دليلك على ذلك؟ قال: «الشيخ الذي لقيت باليمن». قلت: وكم من شيخ لقيت باليمن؟ قال: «الشيخ الذي أفادك الآيات». قلت: ومن خَبَرَكَ بهذا يا حبيبي؟ قال: «الملكُ المعظم الذي يأتي الأنبياء قبلي». قلت: مُدَّ يَدُكَ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. قال أبو بكر: فانصرفت وما بين لَابَتَيْهَا أشدُّ سُروراً من رسول الله ﷺ بإسلامي»^(١).

وعن أبي سَلَامٍ الْحَبَشِيِّ: أنه سمع عمرو بن عَبَسَةَ السُّلَمِيَّ يقول: أَلْقِيَ فِي رَوْعِي أَنْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ بَاطِلٌ، فَسَمِعَنِي رَجُلٌ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو، بِمَكَّةَ رَجُلٌ يَقُولُ كَمَا تَقُولُ. قَالَ: فَأَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ أَسْأَلُ عَنْهُ، فَأُخْبِرْتُ أَنَّهُ مَخْتَفٌ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِاللَّيْلِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَمْتُ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا، فَمَا عَلِمْتُ إِلَّا بِصَوْتِهِ يُهْلِلُ اللَّهَ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «رَسُولُ اللَّهِ»، فَقُلْتُ: وَبِمِ أَرْسَلَكُ؟ قَالَ: «أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ وَتُحَقَّنَ الدِّمَاءُ، وَتُوصَلَ الْأَرْحَامُ». قَالَ قُلْتُ: وَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ». فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ. فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، فَلَقَدْ رَأَيْتَنِي وَإِنِّي رُبِعَ الْإِسْلَامِ»^(٢).

وعن أبي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَلَسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا؟ يَعْنِي الْخِلَافَةَ أَلَسْتُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ؟ أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا؟ أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا؟ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ^(٣).

وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ﷺ وإسلامه كان نفعاً وعوناً وأنساً ونصراً لرسول الله ﷺ إذ كان أبو بكر ﷺ صدرًا معظمًا، ورئيسًا في قريش مكرماً، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام، وكان محبباً متألماً يبذل المال في طاعة الله ورسوله. ثم إن أبا بكر الصديق ﷺ لقي رسول الله ﷺ فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد؟ من تركك آهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: " بلى، إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك

(١) ينظر ابن الأثير: أسد الغابة، ٣/ ٢٠٧.

(٢) مسلم: الصحيح، الأحاد والمثاني، ح (١٣٢٩).

(٣) سنن الترمذي، باب. مناقب أبي بكر ح (٧٦٦٧) صحيح ابن حبان، ك. مناقب الصحابة ح (٦٨٦٣).

إلى الله بالحق، فو الله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره والموالاتة على طاعته "فأسلم"^(١). وسبق قول رسول الله ﷺ: ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت منه كبوة ونظر وتردد فيه إلا أبا بكر. وسأل الشعبي ابن عباس: أي الناس كان أول إسلاماً؟ قال أبو بكر ﷺ: أما سمعت قول حسان بن ثابت.

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاهها وأعدلها بعد النبي وأوفاهها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو بهم إذ صعد الجبلا

فلما سمع النبي ﷺ هذه الأبيات ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: صدقت يا حسان، هو كما قلت^(٢). وعن أبي سعيد الخدري، قال: لما بويع أبو بكر ﷺ قال: يا أيها الناس: أأست أحق الناس بها؟ - يعني الخلافة - أأست أول من أسلم. وفي صحيح مسلم: أن عمرو بن عبسة أتى النبي ﷺ بمكة. فقال: من معك في هذا الأمر؟ قال: حر وعبد " وليس معه إلا أبو بكر وبلال"^(٣).

عن طلحة بن عبيد الله قال: حضرت سوق بصرى فإذا براهب في صومعته يقول: اسألوا أهل الموسم هل فيكم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة ﷺ فقلت: نعم أنا. قال لي: هل ظهر بمكة بعد أحمد؟ قلت: وما أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الأنبياء ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحررة وسباخ. قال طلحة ﷺ: فوقع في قلبي ما قال الراهب فخرجت حتى قدمت مكة فقلت: هل كان من حدث قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين ﷺ تنبأ وتابعه ابن أبي قحافة. فخرجت حتى أتيت أبا بكر ﷺ فأخبرته وقلت له: هل تابعت الرجل؟

(١) ابن كثير: السيرة، ١/٤٣٢.

(٢) مستدرک الحاکم کتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب: أبو بكر الصديق. حديث: ٤٤١٣، ٣/٦٧.

(٣) ابن سيد الناس: عيون الأثر، ١/١٧٨. صحيح مسلم: باب إسلام عمرو بن عبسة ح (١٩٢٧).

قال: نعم فانطلق فبايعه فإنه يدعو إلى الحق فذهب أبو بكر رضي الله عنه معه قال طلحة: فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته خبر الراهب وما قال لي^(١).

وعن أبي أمامة الباهلي عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة وهو حينئذ مستخف فقلت: ما أنت؟ قال: أنا نبي قلت: وما النبي؟ قال: رسول الله قلت: الله أرسلك؟ قال: نعم قلت: فيما أرسلك؟ قال: أن تعبد الله و تكسر الأصنام و أن تصل الأرحام قلت: نعم ما أرسلك به فمن تبعك على هذا؟ قال: عبد وحر، يعني أبا بكر وبلالاً، وكان عمرو يقول: لقد رأيتني وأنا ربيع الإسلام قال: فأسلمت و قلت أتبعك يا رسول الله قال: لا ولكن الحق بقومك فإذا أخبرت أي قد خرجت فاتبعني. أما حديث ضمرة وأبي طلحة^(٢) عن حبيب بن أبي حبيب قال: شهدت رسول الله ﷺ قال لحسان بن ثابت: قلت في أبي بكر شيئاً؟ قال: نعم قال: قل حتى أسمع قال: قلت:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعدا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من الخلائق لم يعدل به بدلا
فتبسم رسول الله ﷺ^(٣).

وعن أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها. قالت: قال أبو بكر رضي الله عنه: كنت أول من آمن^(٤)، وعن وبرة بن عبد الرحمن بن همام قال: سمعت عمراً يقول: (رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامراتان، و أبو بكر)^(٥) وعن أبي سعيد قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ألسنت أحق الناس

(١) ابن سعد: الطبقات، ٣/ ٩٨. المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. حديث: ٤٤١٨ - ٣/ ٦٨.
(٢) الحاكم: المستدرک. كتاب: معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب: أبو بكر الصديق بن أبي قحافة رضي الله عنها حديث: ٤٤١٩ - ٣/ ٦٩. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٣) المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق، ح: ٤٤١٤، ٣/ ٦٧. ابن الجوزي: الصفة ١/ ١٢٤.
(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٦.
(٥) صحيح البخاري: ك: فضائل الصحابة، ح (٣٦٦٠).

بها، أَلست أول من أسلم، أَلست صاحب كذا؟^(١)، وعن زيد بن أرقم قال: أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر الصديق. وأول من أسلم أبو بكر الصديق^(٢) وعن ابن عباس قال: أبو بكر أول من أسلم. وقال مُحَمَّد بن كعب القُرظي: أوَّل من صَلَّى أبو بكر.

وعن فُرات بن السائب، قال: قلت لَمَيْمُون بن مهران: أبو بكر وعمر أفضل أم علي؟ قال: فارتعد حتى سقطت عصاه من يده، ثم قال: ما كنت أرى أن أعيش إلى زمان يُعدَّل بينهما، هما رأس الإسلام، ورأس الجماعة، قال: فقلت له: أبو بكر كان أوَّل إيماناً بالنبي ﷺ أو علي؟ قال: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمان بحيرا الراهب، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك كله قبل أن يولد علي بن أبي طالب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: (ما كلمت في الإسلام أحداً إلا أئبى علي وراجعتني الكلام إلا ابن أبي قحافة فإني لم أكلّمه في شيء إلا قبله واستقام عليه)^(٣) وعن حَبَّة^(٤) العُرني^(٥) عن علي قال: لما أسلم أبو بكر الصديق أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله^(٦) وقال محمد بن الحنفية: (كان أفضلهم إسلاماً حين أسلم، فلم يزل كذلك حتى قبضه الله)^(٧) قال حسان^(٨):

عاش حميداً لأمر الله متبعاً بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا^(٩).

(١) ابن كثير: السيرة، ١ / ٤٣٤. مسلم: صحيح مسلم، ك. صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة ح (١٩٢٧).

(٢) ابن كثير: السيرة، ١ / ٤٣٥.

(٣) تاريخ دمشق، ٣٠ / ٤٤. عمرو بن مرة، عن إبراهيم قال: أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر. الشيخان: ٢٧.

(٤) حبة بفتح أوله ثم موحدة ثقيلة، تقريب التهذيب (١٠٨١).

(٥) انظر ترجمته في تهذيب الكمال ٤ / ١٠٥ والعربي بضم المهملة وفتح الراء بعده نون، تقريب التهذيب.

(٦) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٤٦.

(٧) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٤٦.

(٨) ابن كثير: السيرة، ١ / ٤٣٥.

وعن يوسف بن الماجشون قال: أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر، وربيعة ابن أبي عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وعثمان بن محمد، لا يشكون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(١) وعن إبراهيم قال: أول من صلى أبو بكر الصديق ﷺ وعن أسهاء ذات النطاقين بنت أبي بكر ﷺ قالت: أسلم أبي أول المسلمين ولا والله ما عقلت أبي إلا وهو يدين الدين. أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني معمر ومحمد بن عبد الله عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: ما عقلت أبوي إلا وهما يدينان الدين وما مرّ علينا يوم قط إلا ورسول الله يأتينا فيه بكرة وعشية^(٢) قال ابن كثير: وقول النخعي هو المشهور عند جمهور أهل السنة.

التوفيق بين الروايات في أول من أسلم

قال المحب الطبري تبعاً لأبي عمرو بن الصلاح: الأولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها. فيقال: أول من أسلم مطلقاً: خديجة. وأول صبي أسلم علي بن أبي طالب وهو لم يبلغ، وكان مخفياً إسلامه، وأول رجل عربي أسلم وأظهر إسلامه منذ الساعة التي أسلم فيها أبو بكر بن أبي قحافة، وأول من أسلم من الموالي: زيد ابن حارثة رضي الله عنهم. وقال: هذا متفق عليه لا خلاف فيه، وعليه يحمل قول علي وغيره: أول من أسلم من الرجال أبو بكر. أي من الرجال البالغين. ويؤيده ما رواه خيثمة في فضائل الصحابة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. قال: قال علي ﷺ: إن أبا بكر سبقني إلى أربع لم أعتض بشيء منهن: سبقني إلى إفشاء الإسلام، وقدم الهجرة، ومصاحبته في الغار، وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب أظهر إسلامي وأخفيه.

ولكن كما سبق فإن هذا التوفيق وإن كان لا خلاف حوله، والبعض يقوله بنية البحث وإظهار الرأي والاستنباط وتوليد الأفكار، إلا أن الرافضة وتلامذة الاستشراق وكثيراً من العلمانيين يستغلون مثل هذه المداخلات العلمية المجردة التي تُطرح لإغناء البحوث والدراسات وبيان

(١) ابن كثير: السيرة، ١ / ٤٣٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٣ / ٩٩.

وجهاً النظر الأخرى، يستغلونها للتشويش على فكر أهل السنة وعقيدتهم ورواياتهم ورموزهم وأئمتهم، لإيجاد التناحر الفكري والتناطح القيمي وإحداث الشروخ بين أهل السنة، ولا إسلام بدون السنة النبوية التي سار عليها أبو بكر رضي الله عنه ومن جاء من بعده من الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

لهذا لا بد من الإقلاع عن هذا التردد وطي صفحات هذا النسيج المتلون، وتوحيد الرؤية والاعتقاد على ما سار عليه المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم في منهجهم حينما اختاروا خليفة رسول الله أبا بكر رضي الله عنه (ثاني اثنين) ومن بعده خليفة أبي بكر عمر رضي الله عنه ومن بعده خليفة عمر عثمان رضي الله عنه ومن بعده خليفة عثمان علي رضي الله عنهم وأرضاهم. ولا شك أن كل من يدور حول هذا الحمى الآمن فإننا يبحث عن الثغرات والصدوع وهي معدومة في ذلك الحمى، ومن يتحدث بهذا أو يقبل الحديث به وبأمثاله من مسائل بينة ظاهرة أمامه أحد خيارين إما أن يقلع ويثوب من نوبة التردد إلى الحزم والرشد ويسير في الطريق المسلوكة المعبودة التي سار عليها السلف الصالح؛ وإما أن يعلن عن هويته المزدوجة المتقاطعة الاتجاهات والولاءات، وعلى أبناء أمة السنة والجماعة معرفة هؤلاء والحذر من فكرهم وتقاطعاتهم العقيدية التي لا تورث سوى الحيرة والتردد، والضعف والخور ولعل هذا النوع الذي يزعم أنه من أهل السنة ويصر على إثارة الفتن وتشكيك الأمة بعقيدتها وقيادتها الراشدة واجترار إفك الرفض والردة، فهؤلاء لا يؤتمنون على موروث أمة السنة، لما فيهم من غفلة عقيدية وتحرق في الهوية وأهواء شخصية، أو لوثات جاهلية ونزعات رافضية معادية للصحابة ولأمة الصحابة، أو لما يحملونه من خصال حزبية تشيعية ذات صبغة مجوسية وثنية أو علمانية.

وأن هذا الصنف لا يوقفه قول الله تعالى عن خليفة رسوله: ((ثاني اثنين)) مع يقينهم أن هذا النص لم يستثن أن خليفة رسوله ليس بـ ((ثاني اثنين)) في سبقه إلى الإسلام!! أو في أي موقف من المواقف المباركة الأخرى!! فهل تلعثم خليفة رسول الله أمام أي معضل ولم يثبت أنه ثاني اثنين طوال سيرته العطرة؟! فمن هذا الذي أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تلعثم أو تردد وشهد شهادة

الحق معلناً بها أمام جبروت الطاغوت؟ ومعلناً بصلاته وقرآنه واتباع رسوله ﷺ مجاهداً بين يديه لم يفارقه في سفر ولا حضر؟ فمن كان معه في الغار والهجرة ومن حسم السقيفة وأسس وحدة الأمة بعد وفاة نبيها؟ ومن أنفذ جيش أسامة ليزلزل بإيماحه عروش القياصرة ومطاياهم في بلاد العرب؟ ومن سحق الردة المتمردة على الله ورسوله ﷺ وعلى وحدة الأمة ونور عقيدتها بجاهليتها وحققتها؟ ومن على وجه الأرض بجرأة خليفة رسول الله وحسن تدبيره عندما واجه طغيان فارس والروم في آن واحد؟ ومن وضع الرجال مواضعهم الصحيحة الحقة عندما أرسل خالداً ﷺ يزيل هيبة الفرس المجوس ويمحقها في قلوب حلفائها ممن لا زالت قلوبهم تحن إلى جاهليتها فتبغض سيف الله ﷺ الذي أسهم في إطفاء نارهم التي يعبدونها من دون الله، ثم هتك أستارهم وكشف أسرارهم بنور الإسلام وعدله، وأنهم كانوا يستعبدون العباد ويستبيحون البلاد ببغيهم وطغيانهم؟! ومن فرّ من أمام جنده قيصر الروم لمجرد أن توجهوا إلى الشام؟! لكي يودع بعدها سوريا وداعاً لا رجعة بعده؟! من فعل كل هذا وغيره الكثير الكثير سوى خليفة رسول الله أبي بكر الصديق ﷺ؟! فكم هي بلهاء وحمقاء وظالمة وزائفة الأقدام التي تتعثر وتتلعثم وتقفز عن الحق أمام عقبات وهميات الرافضين لإنجازاته الشامخة ونجاحاته الباهرة؛ التي مهدت كل الطرق أمام مسيرة أمة محمد ﷺ لكي لا تحمد جذوتها ولا تقف انطلاقها طالما هي تحت ظلال رايات خليفة رسول الله التي غرزها في كل الآفاق التي كان يتطلع إليها رسول الله ﷺ وعلى ذات المنهج وبذات الهوية.

وإذا كان عمر ﷺ يعاقب من يقدمه على خليفة رسول الله؛ وإذا كان علي يجلد من يقدمه على خليفة رسول الله تقديم تفضيل فقط لا يشتمل على أي انتقاص من خليفة رسول الله، فكيف يحكمان على من ينتقص من خليفة رسول الله بزعم تقديم أي كان من الصحابة ﷺ بل من البشر- أجمعين بعد الأنبياء على أبي بكر الصديق ﷺ؟! فلا شك أنهما لن يكتفيا بالعقوبة والجلد والتعزير وأن الأمر سيكون على غير ذلك وستكشف عنهم الأقنعة لتظهر الرايات الرافضة لدين محمد ﷺ وكيف أنهم يمسكون بسوارها.

وعلى هدي هذه الحقائق وغيرها فإن صقل ولاء أهل السنة لعقيدتهم يجب أن ينتظم ويبنى على حقائق لا وهم فيها ولا تلبس ولا عبث ولا تردد؛ إذ أن ذلك التلبس والوهم والتردد كلف أهل السنة الثمن الباهظ سابقاً كما هو في هذا العصر، فحتى متى وأهل السنة يدفعون الثمن من كرامتهم ومن دمائهم ومن حريتهم وأمنهم ومن وحدتهم وتلاحم أخوتهم؟! وإلى متى يعبث بهويتهم الرافضون للسنة النبوية وإجماع السلف الصالح والمبغضون لأصحاب النبي ﷺ وورثته وحملة راياته؟! من المسؤول عن تمدد الفكر الرافضي السرطاني الهدام في جسم الأمة بعد أن كان عدماً، أليس من اغتال الفاروق عمر رضي الله عنه في محرابه هو أول من أسس لفكر الرافضة الدموي ضد المسلمين؟ أليس ابن سبأ اليهودي قاتل ذي النورين عثمان زوج ابنتي النبي ﷺ هو أول من أصّل فكر الرافضة ووضع لهم أباطيل الوصية والإمامة والتقية ودانوا بها إلى اليوم؟ أليس برود الكثير من أهل السنة في انتباههم لهويتهم هو المشجع الأكبر لتمدد الرافضة بين ظهري الأمة يعيشون في عقيدتها ووحدها ودمائها؟ ألا تجد أهل السنة يبايعونهم ويزاوجونهم وهم يعلمون أنهم يشكون في قرآنهم وفي نبيهم ويكفّرون أصحابه ويبغضون لغته ويحقدون على كل ما هو عربي؟ ويعملون كل ما في وسعهم لتمزيق الأمة وطمس موروثها ومسح هويتها وإبطال سنة نبيها ﷺ؟ أولئك الذين تجد أحدهم لا ينسب بشيء أمام فعل أو قول أو فتاوى أي زنديق ينفث أحقادهم على سنة النبي ﷺ وأهلها بل إن هؤلاء الرعاع أمام كل ما يأتيهم من سدة آل بيوت المكر والدس والأحقاد والفتن ونشر الكراهية والبغض لأهل السنة؛ إنما هم سمع وطاعة وإيمان ويقين حتى لو كان ما يأتيهم مناف للعقل وللحق، فضلاً عن الدين والأمانة والصدق والموضوعية، كما فعلوا بتدمير حوالي ((مائتي)) مسجد للمسلمين في العراق خلال يومين من شهر صفر ١٤٢٧ هـ بل يتلقون ذلك ببلاهة عميقة وينفذون ذلك بأحقاد دفيئة وتسليم مطلق لا يقبل نقاشاً أو تردداً، بينما يرد أحدهم قول الله وقول رسوله ﷺ وإجماع السلف بصلافة وحماسة تنبئ كل عاقل بأن كل من ينال من أي صحابي ولا سيما ممن فقروا عيون الردة وسمّلوا عيون الفتنة الرافضية السبئية وأجموا دعواتها، بنور الحق وسلطان العدل وقوة السيف: أبو موسى الأشعري والمغيرة ومعاوية وعمرو

والنعمان وإخوانهم ﷺ كل من ينال من أي من هؤلاء إنما هو زنديق يظهر الإسلام ويُبطن السبئية وأخواتها ويرفض القرآن والسنة، وأن كل من لا يحذر منهم ويفصح عن موقفه تجاه مكرهم وكيدهم بأهل السنة؛ إنما هو ثغرة وعورة في حصن الأمة وبلاء وشرّ على أهل السنة، يُلبس عليهم دينهم ويعين عدوهم على هدم عقيدتهم، ولا يعذر أحد بالجهل بهم بعد أن رأى ما يفعلونه وقرأ ما فعلوه بالأمة وتحالفاتهم مع أعدائهم ولا يعذر أحد بالصمت عنهم، وكل من يعرفهم ويسكت عنهم إنما هو شيطان أخرس، فلا عقل ولا دين ولا حكمة إلا في فضحهم والتحذير من مكرهم وكيدهم وحقدهم واستنفار الأمة لمواجهة بغيهم وغدرهم، وكما قال بعض السلف العارفين: ((لا يَحِلُّ وَاللَّهِ أَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِمَنْ تَرَفُّضٌ وَلَا بِمَنْ يُجَالِفُ الشَّرَّعَ فِي حَالٍ))^(١) وعلى هذا فكل من لا يسهم بمجاهدة باطلهم بما يتاح ويستطاع فإنه فاقد للحكمة أو الغيرة والحمية، مفرط بالسنة مهادن للردة، والعاقل من اتعظ بغيره ولم يكن عظة للآخرين.

(١) قاله ابن هبيرة الوزير الحنبلي الحكيم العارف: ينظر ابن مفلح المقدسي الحنبلي: الآداب الشرعية والمنح المرعية، فصل في حسن الظن بأهل الدين، ١/٥٣. دار الوفاء، مصر (ط، ١) ١٩٩٩ م.

المبحث الثالث صفاته الخلقية والخلقية

صفاته البدنية وخضابه

وردت نصوص كثيرة وصحيحة توضح صفات خليفة رسول الله ولون شعره وخضابه وتصور ذلك وكأن القارئ يرى خليفة رسول الله رأي العين، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ثلاثة من قريش أصبح قريش وجوهاً وأحسنها أخلاقاً وأثبتها حياءً إن حدثوك لم يكذبوك وإن حدثتهم لم يكذبوك أبو بكر الصديق وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن عفان رضي الله عنهم^(١) وجاء في وصف خليفة رسول الله أنه كان حسن الجسم معصوب اللحم، مشرباً صفرة كعداً يضرب شعره شحمة أذنيه مسنون الوجه أكحل العينين سابل اللحية واضح الثنايا حمش الساقين هيناً ليناً متواضعاً كريماً تعرف فيه الخير حين تراه. وكان يمرّ في الطريق فيتعلق الصبيان بثوبه يقولون: يا أبانا، يا أبانا^(٢).

وقال علي بن محمد: إنه كان أبيض يخالطه صفرة حسن القامة نحيفاً أجناً رقيقاً عتيقاً أقنى معروق الوجه غائر العينين حمش الساقين محوص الفخذين يخضب بالحناء والكتم وكان والده أبو قحافة حين توفي ﷺ حياً بمكة، فلما نعي إليه قال رزء جليل^(٣). وكان يخضب بالحناء والكتم وكان كريماً عالماً بأنسب العرب. وكان نقش خاتم أبي بكر ﷺ (نِعْمَ الْقَادِرُ اللَّهُ)^(٤) وكانت داره في مكة في بني جمح. ولما أقطع رسول الله ﷺ الدور بالمدينة جعل لأبي بكر موضع داره عند

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ١ / ٥٧.

(٢) البلاذري: الشيخان وولدهما: ٢٧.

(٣) الطبري: تاريخ، ٢ / ٣٥٠ - ٣٥١.

(٤) الشيخان وولدهما: ٨٣. ينظر ابن سعد: الطبقات، ٣ / ٢١١. ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣ / ٤٢١.

المسجد وهي التي صارت لآل معمر. وروى أنه كان بين دار أبي بكر ودار عثمان رضي الله عنهما خمسة أذرع^(١).

خضاب شعر رأسه ولحيته

عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه خضب بالحناء والكتم، وأنه خضب لحيته بالحناء والكتم^(٢). وعن أبي عون عن رجل من بني أسد قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل وكان لحيته لهب العرفج على ناقة له أدماً أبيض خفيفاً. عن قيس قال: قال معاوية رضي الله عنه: دخلت مع أبي علي أبي بكر رضي الله عنه فرأيت أسماء قائمة على رأسه بيضاء ورأيت أبا بكر رضي الله عنه أبيض نحيفاً فحملني وأبي علي فرسين ثم عرضنا عليه وأجازنا^(٣).

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن؛ أن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وكان جليساً لهم كان أبيض الرأس واللحية فغدا عليهم ذات يوم وقد حمرها فقال له القوم: هذا أحسن فقال: إن أمي عائشة أرسلت إلي البارحة جاريتها نخيلة فأقسمت علي لأصبغن وأخبرتني أن أبا بكر كان يصبغ.

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال سمعت الطاهرة عائشة رضي الله عنها وذكرَ عندها رجل يخضب بالحناء فقالت: إن يخضب فقد خضب أبو بكر رضي الله عنه قبله بالحناء. قال القاسم: لو علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب لبدأت برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرته.

وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه: أخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال لم يشنهُ الشيبُ، ولكن خضب أبو بكر رضي الله عنه بالحناء وخضب عمر رضي الله عنه بالحناء. وعنه رضي الله عنه قال: خضب أبو بكر بالحناء والكتم. وعن ابن سيرين قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه: بأي شيء كان يخضب أبو بكر؟ قال: بالحناء والكتم. قال: قلت: فعمر؟ قال: بالحناء، قال: قلت فالنبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: لم يدرك ذلك.

(١) الشيخان: ٣٥. عن عندة الأخبار في مدينة المختار: ١١٩. وينظر ابن سعد: الطبقات، ٣/ ١٧٥.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير ١/ ٥٦. وعن أحكام صبغ شعر اللحية والرأس ينظر: ابن القيم، زاد المعاد، ٣/ ٣٧٣.

(٣) ابن الجوزي: الصفوة: ١/ ١٢٣. ابن سعد: الطبقات، ٣/ ١٩١. المتقي الهندي: كنز العمال، ح (١٧٣٢٨).

وعن أنس أيضاً رضي الله عنه. قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس في أصحابه أشمط أي أشيب غير أبي بكر رضي الله عنه فغلفها بالحناء والكتم. وعن نافع بن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله: **غيروا ولا تشبهوا باليهود**، قال فصبغ أبو بكر رضي الله عنه بالحناء والكتم؛ وصبغ عمر رضي الله عنه فاشتد صبغه وصفر عثمان بن عفان رضي الله عنه - صبغ شعره بما يجعل لونه أصفراً - قال: فقيل لنافع بن جبير: فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: كان يمس الصدر. قال ابن جريج وقال عطاء الخراساني إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **من أجمل ما تجملون به الحناء والكتم**. وسأل ابن سيرين أنس بن مالك: هل كان أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينجس؟ قال أبو بكر رضي الله عنه قال حسبي^(١).

ومن صفاته الخلقية

كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أليفاً ودوداً حسن المعاشرة، مطبوعاً على أفضل الأخلاق التي يتحلى بها أنبل البشر، وأجمل الصفات التي تتألف عليها قلوب الناس فيحبونها ويألفونها، من التواضع ولين الجانب وحب الخير للغير وخدمة المسلمين والحرص على مصالحهم وقضاء حوائجهم، مع طيب النفس والتفائل الدائم والغيرة اللامتناهية على الدين والأمة والعمل المتواصل على نشر العدل والطهر في ربوعها.

فلم يتعال على أحد قط في جاهلية ولا في إسلام، وكان في خلافته أكثر تواضعاً منه قبل ولايته للخلافة. فإذا مدحه مادح قال: اللهم أنت أعلم مني بنفسي، وإذا سقط منه خطام ناقته وهو راكب نزل منها ليأخذه ولم يأمر أحداً بمناولته إياه.

ولم يكن تألفه بين الناس محض مجاملة باللسان مما يستسهله معظم المشهورين بالتودد والمجاملة، ولكنها كانت ألفة النجدة والكرم والسخاء وأصالة المعدن، وكانت تلك الخصال سجية فيه لا يستطيع الانفكاك منها، فكان كما قال عنه ابن الدغنة لقريش حينما ضيق عليه مشركوها ففكر بالهجرة

(١) ابن القيم: زاد المعاد، هديه صلى الله عليه وسلم في الفطرة وتوابعها ٣/ ١٧٤. وفي إسلام أبي قحافة رضي الله عنه.

إلى الحبشة: ((أخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق؟)).

فهو ودود كريم سخي لا يضمن بهاله وجاهه في سبل الخير ونفع الناس. ومع هذه المودة وهذه الألفة كانت فيه حدة يغالبها ولا يستعصي عليه أن يكبح جماحها. ووصف بها نفسه ووصفه بها آخرون. وقال في خطبة من أوائل خطبه بعد مبايعته: ((...اعلموا أن لي شيطاناً يعتريني فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني...)) وسئل عنه ابن عباس فقال: ((كان خيراً كله مع حدة كانت فيه)).

إلا أنها كانت حدة تنم عن صفاء الجبلية ونقاء الفطرة وعلى سرعة التأثر في أي حدث تتأثر به الأمة سلباً أو إيجاباً؛ فإن كان في الحدث خير للأمة كان في مقدمة المسارعين لذلك الحدث والمستثمرين لوجهته لخدمة المسلمين، وإن كان غير ذلك كان أول المتصددين له مهما بلغت شدته وجبروته وفي مقدمة العاملين على افتداء العقيدة بأعز ما يملك؛ وليس هذا بغريب على خليفة رسول الله ﷺ أليس هو القائل: "أينقص الدين وأنا حي" فمن مثله سوى الذي علمه القيادة وفنون الريادة حتى أترع علماً ونوراً وحكمة واستبصاراً وسداداً وصواباً وقدرة على القيادة في كل الظروف والأوقات بسجية وسليقية لا يشوبها غش ولا تردد، فإذا لم تكن تلك الحدة غضباً لله ولرسوله ﷺ فإنه غالبٌ لكل هوى وكابح لكل شهوة أو عصبية أو نصرمة للذات التي ينوء تحت وطأتها الكثير ممن يزعمون أنهم يتصدون للعمل الإسلامي، وهم بين موال للفتنة أو الحزب أو الجمعية أو الأقلية، أو الخليف لمن أي دين كان دينه أو مذهبه أو هواه ومقصده، أو متمحور حول الإقليم أو الجنس أو الفكرة، أو يدور حول الذات ما بين عابدها وبين مدعها العصمة أو الخبرة التي لا تجيز له أن يقبل نصحاً ولا إرشاداً فضلاً عن نقد أو توجيه وتعليم.

فكثير ممن يحسبون على العمل الإسلامي في هذا العصر؛ ممن لم يحققوا ولو مكسباً واحداً لأمتهم أو لجماعاتهم أو لدعوتهم من هذا الصنف، وكثير منهم تجده لا يخلو عمله من عيب ظاهر بين فالسياسي يريد أن يُسخر الدين بنصوصه إلى ما يميل إليه، فيمضي حياته سائراً من فراغ إلى

فراغ ومن فشل إلى فشل، ومع ذلك تجده لاغياً لاهياً وزاعماً أنه يخدم الدين ويعمل على عز الإسلام والمسلمين، يرد كل نصح أو إرشاد بحدة أو اتهام حتى للنيات، فإذا قيل لهم انظروا إلى حصيد اجتهاداتكم وما جلبت على الأمة وأبنائها البررة من الويلات والنكبات التي أنتم منها في عافية، لبسوا الأمر على الناس وأن الإسلام لا بد له من التضحيات، دون أي تبيين للفرق بين التضحيات التي تخدم الدين وبين التضحيات التي ينعم بثمارها المنتفعون ويعشوا على ضوئها ناصبو الشباك والمحتالون، فشتان بين حدة الصديق ﷺ التي كانت نوراً وعزاً للأمة؛ وبين حدة الدفاع عن المكاسب الشخصية أو الحزبية أو الإقليمية التي يتلبس بها كثير من الأذعياء والغنماء الذين جلبوا الشر والبلاء على كثير من أبناء الأمة وأقاليمها.

ولا يقتصر هذا الأمر على الجانب السياسي في العمل الإسلامي بل يشمل أكثر من جانب ويطال أكثر من جناح، ولعل الكثير من القائمين على أوقاف المسلمين أو الزاعمين أنهم على باب تميمير أموالهم لخدمة عقيدتهم ينطبق عليهم هذا، فهم بين عامل على تنفيح الأتباع ومستخدم لأوقاف المسلمين لنصرة الأهواء أو محاكاة مطالب الأوصياء، فضلاً عن العبث بها في الأسفار والنظر في الأمصار، ثم العودة إلى الديار لمحاكاة الرفاه السياحي الذي عاشوه من أوقاف المسلمين، ومباشرة العمل على دوام ذلك من خلال الشروع في صرف أموال الأيتام والأرامل والعجزة والأسرى والمرضى وأبناء الشهداء وأبناء السبيل والضعفة وطلبة العلم والغارمين وحقوق الإصلاح بين الناس، أو بناء المشاريع العلمية أو الصحية أو الاستشارية أو غير ذلك مما كان ينميها العاملون على هذه المؤسسات في عصور المحاسبة على ثوابت الشرع، لتوفير الكرامة والعزة لأبناء الدين وتحقيق توجهات القرآن وتطلعات المؤمنين.

كل ذلك يجري علناً وبمشاركات إعلامية موهمة أو مضللة، تشغل الناس في زخرف من القول وغرور من الآمال، حتى إذا بحث باحث في النتائج لا يجد إلا السراب، والويل لمن يسأل عن النتائج أو يبحث عن الحقائق مما سيعانيه من العنت والثريب والحصار والتأمر والتشويه والتسفيه، من أصحاب الأمزجة الحادة التي لا تقبل إلا رأيها ولا تسمع إلا مشورة أهوائها، ولا

تخضع إلا لذاتها فلا محاسبة ولا متابعة جادة ومن يحاسب من؟ ومن يتابع من؟! وكل مغلق بابه وقد أكثر من حُجابه وخدامه، وكل ذلك لخدمة المحتاجين من المسلمين بزعمهم!! وغالباً ما يكون هذا فيما يختص بجوانب العمل الإسلامي وبالمسلمين.

أما إذا كان الأمر متعلقاً بأصحاب السلاطين وأعوانهم وإخوانهم والعلمانيين أو غيرهم فإن أحوالهم تتغير ومواصفاتهم تتبدل وطباعهم وأمزجتهم تهلّل، فتفتتح أسارير وجوههم وقلوبهم فكلهم بشاشة وهشاشة ورقة ومودة وإصغاء، ولم لا والأخوة الإنسانية وإرضاء الآخر ودفع الشبهات يتطلب كل ذلك، أما أخوة الدين والمقصد والهدف فلا بد من تعويدهم على مواجهة الوجوه المكفهرة لكي لا يعتادوا الليونة والرقّة!! وبهذه الفلسفة يتحول ذلك الكبر والعجز والهزيمة إلى وعظ يجب سماعه وتنفيذه.

فإذا كانت كل هذه الأدغال والأشواك والظلمة موجودة عند كثير ممن يزعم أنه سياسي مسلم، أو قائم على العمل الخيري الإسلامي، أو واقف على ثغرة الإعلام أو التعليم أو الاقتصاد الإسلامي، أو في غير هذه المواقع من النشاطات الإسلامية المعاصرة، وإذا خوطب في أي موقع من تلك المواقع لإصلاح شيء من ذلك قوبل الناصح بالحدة المحيطة بالذات والمحمية بقوانين الزملاء والأتباع، أو الذات التي هي فوق كل ذلك لأن كل ما يحيط بها من طاقات أو مصالح أو أتباع فإنها هي مسخرة لها ولما ترى وتريد.

ولكن على الرغم من كل ذلك فإن على المسلم الحق أن يبقى متعلقاً بالأمل متشبثاً بالعمل صابراً محتسباً، وأن لا يغتر بشيء من المزاعم والمظاهر التي تُسخر الأموال والإعلام والأعمال العامة لخدمة الأغراض الخاصة، وأن يحرص على العمل الذي يخدم الدين والأمة، وأن لا يؤمن ولا يصدق إلا بالتناج وثمار الأعمال. قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: من الآية ١٠٥) إذ أن قطار العمر سريع وهو مسؤول عن ذلك، فلا يصدق إلا ما يرى من جهود ونتائج، فمن زعم أنه يعمل للإسلام يحاسب على نتاجه بعدد السنين التي يزعم أنه عمل فيها، وينظر في ثمار عمله؛ وفي مكاسبه ومشاريعه ومبانيه ومخططاته وغيرها،

ويعرض كل ذلك على عامة المسلمين وخاصتهم كما كان يفعل ذلك الراشدون، ومن تناقل وأشماز من ذلك وواجه مراقبيه بالحدة واتهام النوايا، فهذا الصنف هو بيت الداء وموطن البلاء، وهو محل التهمة والريبة وأهلها؛ الذي لا يرتجى منه إصلاح أو نجاح أو فلاح، ومن لا يؤتمن على الدرهم والدينار لا يؤتمن على الدماء والأعراض، ومن يمتنع عن المحاسبة على الزهيد يكون أشد امتناعاً على الثمين.

فشتان بين حدة خليفة رسول الله التي يتخلق فيها حينما يرى تهاوناً عن الحق أو مهادنة للباطل، أو تقاعساً عن العمل وأداء الحقوق، أو ثقافلاً عن نصره الدين وتفريطاً بالهوية وغفلة عن حال المسلمين، أو هضماً لحقوق الناس واستغلالاً للموقع أو احتكاراً أو انتهاء لغير الإسلام. وفيما سوى ذلك فهو سريع التأثر بالرحمة والرفق والتسامح وكرم النفس وزكاة القلب في جملة أحواله إن لم يعرض للدين عارض، وتلك هي الأخلاق التي تعلمها واكتسبها من رسول الله ﷺ فكان سلباً للحق وأوليائه، وحرماً على الباطل وأشياعه، فأنجز في عامين ما لم تنجزه أمم في قرون من الزمان ومع كل إنجاز ينجزه أو نجاح يحققه يزداد تواضعاً وزهداً وورعاً وإصراراً على التمسك في الحق كل الحق فيخاطب أمته بكل ثقة وصدق بقوله: إن أصبت فأعينوني وإن أخطأت فقوموني ﷺ فإذا كان هذا هو منهج الصديق ﷺ فماذا يقول العجزة والمفرطون وعبيد الأهواء وأولياء الأقاليم والأحزاب على حساب الدين والأمة.

وكان ﷺ يميل إلى الحزن منذ أن فقد وجه رسول الله ﷺ وكأنه يستطيل الحياة شوقاً وحنيناً إلى الذي آمن به وأحبه واختاره على ماسواه، وكان شديد الشوق دائم الحضور متفكراً في أمور الخلق وما يصير إليه ويحاسب عليه، أو كما وصفته أم المؤمنين الطاهرة العالمة الجليلة عائشة رضي الله عنها بقولها: كان ((غزير الدمعة وقيذ الجوانح شجي النسيج)) ولعل هذا هو ظاهر وصفها الذي عرفته عنه في حياة رسول الله ﷺ عندما كان آمناً على الدين والأمة بيدي أمينها وقائدها، عندما اعتذرت عنه لرسول الله ﷺ حينما قدمه للصلاة بالمسلمين فقالت: إنه ((أسيف متى يقوم مقامك لا يسمع الناس)) وذلك لرقه قلبه وكثرة بكائه أثناء التلاوة ولأنه كان أكثر المسلمين فهماً

عن القرآن في أوامره ونواهيه واستغراقاً في التخطيط لتحقيق مراداته ولأنه كان أكثرهم محاسبة لنفسه وتوجيهاً لخواطره الوجهة المرضية. أو كأنه كان يستجمع أفكاره وقواه لحمل أعباء رسول الله ﷺ في القيادة والتربية والمواجهة ونشر العدل والرحمة والمحافظة على روح الجهاد وحب الاستشهاد وكل ما يحبه ويصبر إليه نبيه وإمامه وقائده بعد رحيله ﷺ وكل ذلك كان خلقاً ثابتاً في شخصه وفطرة ربانية استقرت في نفسه فقد كان وقوراً جميلاً السمت نقياً نظيفاً طاهراً يغار على مروءته لا يغشى موقف ريبة. فلم يشرب الخمر قط لأنها مخلة بوقار مثله وذلك قبل الإسلام. ثم جاء الإسلام فزاده مروءة على مروءة وفضلاً على فضل حتى أصبح فضلاً كله.

قيل لأبي بكر الصديق في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ: ((هل شربت الخمر في الجاهلية، فقال: أعود بالله، فقيل: ولم قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيقاً في عرضه ومروءته، قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ. فقال: ((صدق أبو بكر، صدق أبو بكر "مرتين"))^(١) وعن أم المؤمنين الطاهرة قالت: ((والله لقد ترك أبو بكر شرب الخمر في الجاهلية، وما ارتاب أبو بكر في الله منذ أسلم))^(٢) وعنها رضي الله عنها. قالت: ((حرم أبو بكر ﷺ الخمر على نفسه، فلم يشربها في جاهلية ولا إسلام))^(٣)

وعن الطاهرة أم المؤمنين عائشة قالت: والله لقد ترك أبو بكر شرب الخمر في الجاهلية، وما ارتاب أبو بكر في الله منذ أسلم. وقالت: والله ما قال أبو بكر شعراً في جاهلية ولا إسلام، لقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية^(٤) (ومما تفرد به أبو بكر ﷺ من المناقب: أنه أول من جمع

(١) أبو نعيم: معرفة الصحابة: ح (١٠٣).

(٢) أبو نعيم: معرفة الصحابة: ح (١٠٠).

(٣) أبو نعيم: معرفة الصحابة: ح (١٠٢).

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٣٣-٣٣٤.

القرآن وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية قبل الإسلام، وأول من تقياً تنظيفاً وتخرجاً عن
المشبهات)^(١)

فكان من أبرز السمات التي يجدها القارئ في سيرة خليفة رسول الله هو الحرص الكامل على
تمام المروءة والبعد عن الريبة والشبهات، والتعاطي مع جميع الأحداث والوقائع بمنتهى الصراحة
والوضوح ورباطة الجأش والثقة والإقدام، فلا لبس ولا غموض ولا مداراة ولا مداهنة وإنما هو
طريق الحق المتعارف عليه في جميع المسائل ومع جميع الناس.

وفي هذا المعنى روى الزبير بن بكار: ((أن رجلاً دعا أبا بكر رضي الله عنه في الجاهلية إلى حاجة له
فاستصحبه معه، لكنه سلك في طريق غير التي يمر منها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أين تذهب؟ هذه
الطريق! قال: إن فيها أناساً نستحي منهم أن نمر عليهم. فقال أبو بكر رضي الله عنه: تدعوني إلى طريق
تستحي منها؟ ما أنا بالذي أصاحبك))^(٢).

هذه المروءة التي تدل على كرم معدن خليفة رسول الله وعلى صفاء عقله وسلامة فطرته كانت
تقوده دائماً إلى مواطن الشرف ومنابع الخير ومواقف العزة والسؤدد فرفعته إلى أقصى درجات
السداد والنجاح والطهر البشري الذي يصل إليه الصديقون وأصحاب الأنبياء وخلفاؤهم.
وهذا ما يؤكد صفاء طبعه وحدة فؤاده الذي أوصله إلى التوافق مع الشرع وهو في الجاهلية
قبل الإسلام ونزول الوحي، وإذا كان هذا ما أدركه خليفة رسول الله بفطرته قبل الإسلام،
فكيف بأقوام في هذا العصر يستحلون هذه القذارة بعد أن حرمها الوحي وعاقب عليها الشرع
فمن يبيح ما حرم الله سوى سقيمي العقل ناقصي الفهم بهيمي الشهوات.

ومما يؤكد صفاء فطرة خليفة رسول الله ونقاء روحه وطهر أخلاقه رضي الله عنه أنه كان مبغضاً لما ينافي
سلامة الفطرة وصحة الاعتقاد فكان أقرب الناس إلى الإسلام وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وما
بعدها، فضلاً عن أن تحريمه للخمر خلُق وسجية، فقد كرم الله وجهه أن يسجد لصنم وهو

(١) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (٩٧).

(٢) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٦٧.

رجل كبير ليس طفلاً أو صبياً نشأ في الإسلام وفي أحضان المؤمنين بل كان يؤمر بتقديس الأصنام لكن فطرته ورعاية الله له تأبى عليه ذلك، مع أن أهله وعامة أقرانه يفعلون ذلك ويدعون إليه، قال خليفة رسول الله ﷺ في مجمع من أصحاب النبي ﷺ: ما سجدت لصنم قط، وذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام، فقال لي: هذه أهتك الشمّ العوالي، وخَلَّاني وذهب، فدنوتُ من الصنم وقلت: إني جائع فأطعمني فلم يجبني، فقلت: إني عار فاكسني فلم يجبني. فألقيت عليه صخرة فخر لوجهه^(١). لهذا ما إن تشرف رسول الله ﷺ بتلقي الوحي حتى أجاب خليفة رسول الله إلى الإسلام وكأنه شَمَّ عَبَقَ القرآن وطِيبَ ما جاء به فكان أول من لبي وبأحسن تلبية واستجابة لم يتبدل ولم تتغير، وأول من أجاب وأول من أنفق وأول من دفع عنه وأصدق من دخل فيه وعاش من أجله.

ومن خصائصه الأخرى التي عرف بها بل ولعلها أشهرها، مَحْضُهُ النُّصْحَ والصدق في كل ما يأتيه أو ينهى عنه، فقد اشتهر بالصدق في الجاهلية وزاده الإسلام تمسكاً وحرصاً على هذه الفضيلة، حتى كان علي بن أبي طالب ؓ يجلف أن الله ﷻ: (أنزل اسم أبي بكر ؓ من السماء الصديق)^(٢) فكان ضامن قريش المقبول الضمان. لا يَعد أحداً إلا وفي له وصدق الدائن والمدين. ووكلت إليه الديات والمغارم فلم يكن يحمل شيئاً منها إلا اطمأن إليه الناس، فإذا احتملها أعانوه وساندوه ثقة به وحباً له وإذا قام بها غيره خذلوه ولم يصدقوه^(٣).

وصفاته الخلقية كثيرة زاهرة ومباركة ستتضح أكثرها في طيات هذه الدراسة فهو في القمة في كل ما يتخلق به الأخيار الأطهار. وهو سائر على خطى نبيه ﷺ وقائده وهاديه فطريقه هو الطرق والغايات والآمال هي هي والجند هم الجند. فمن أحب رسول الله ﷺ أحب خليفته ؓ ومن أبغض رسول الله ﷺ أبغض خليفته ؓ فهو كاشف الزنادقة والرافضة والمرتدين. وكل من يزعم

(١) الطنطاوي: أبو بكر، ٦٧. عن نجباء الأبناء، لابن ظفر.

(٢) أبو نعيم: معرفة الصحابة: ح (٥٩).

(٣) ينظر العقاد: عبقرية الصديق. ٣٦.

أنه مسلم ولا يستظل تحت رايات خليفة رسول الله فهو على غير طريق النبوة والقرآن، وأي فئة أو جماعة أو طائفة لا تهتف لخليفة رسول الله بالشكر والعرفان والتبجيل والإجلال على ما قام به من خدمة ونصرة لله ﷻ ولرسوله ﷺ في حياته وبعد وفاته، فهي بلا هوية وضالة عن طريق رسول الله ﷺ وإن رفعت الشعارات وسودت الرايات. إن خليفة رسول الله هو مفتاح الوصول إليه ﷺ وهو باب القبول بين يديه، وهذا ما عرف وعلم في حياة رسول الله ﷺ فكيف يزعم حُبَّ الإسلام ورسول الإسلام من يجارب ثاني رجل في أمة الإسلام ويبغض من قاد الأمة على خطأ نبينا ﷺ الذي ارتضاه في حياته إماماً وقائداً وخليفة له عليها، فلا نامت أعين المزيفين والمذبذبين والجنباء.

وويل لمن اعتقد أو يعتقد أن مبغضي- خليفة رسول الله يهمهم شيء من أمر الإسلام أو المسلمين، أو أنهم سيقفون يوماً واحداً عن مواصلة العمل الآثم الذي باشره أبو لؤلؤ المجوسي لهدم الإسلام؛ ذلك اللعين الذي لا زال يمد أعداء الصحابة بكل ألوان البغض والكراهية وأولئك هم يقدسونه ويطوفون حوله يستمدون منه الحقد والغدر ونكران الجميل^(١).

ويا خيبة من لم يسلك مسلك خليفة رسول الله في جرأته ووضوحه وتمسكه بالسنة؛ للسير سالماً آمناً من مكائد ومكر وهتان المرتدين وأعداء الصحابة في هذه الحياة الدنيا، وناجياً فائزاً لاقتدائه بسنة رسول الله ﷺ في الحياة الآخرة، كيف لا وهو بتمسكه بالسنة سيكون على درب خليفة رسول الله وجنده الأكارم الذين كان في مقدمتهم عمر وعثمان وعلي وأبو عبيدة وطلحة والزبير وإخوانهم رضي الله عنهم، بل إن جند أبي بكر ﷺ هم جند رسول الله ﷺ وأعداؤه هم أعداء

(١) أبو لؤلؤة المجوسي الغادر الآثم عابد النار قاتل أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ غدرأ وهو يصلي بالمؤمنين في محراب مسجد رسول الله ﷺ يقدسه أعداء الصحابة ويزورونه ويتبركون بتن غدره وعفن جريمته في معبد بني له في مدينة كاشان، ويقدمون له التبرعات ويؤدون عنده الطقوس التي تغذي أحقادهم وكراهيتهم للصحابة والسنة المطهرة، وزيادة في تقديسه وتثمين غدره جعلوا لمعبده طوابع بريدية يستخدمونها في رسائلهم لتغذية بغضهم لحملة الكتاب والسنة وأهلها. ينظر الموسوي: لله ثم للتاريخ، ٩٤.

رسول الله ﷺ فسحقاً لأعداء الصحابة والتائبين وبائعى الهوية ممن يرضون بالحيف والبهتان الذي ينشره أعداء خليفة رسول الله، فلا ينطقون بما يكشف زيفهم ويزيل تلبيسهم بل يموهون على الأمة ويخدعون أبناءها بكتمة الحق وعدم الغيرة على السنة النبوية وأهلها أو التحذير من شرّ أعدائها وأخبث خصومها على مر التاريخ الذين لم تحمد نيران مكرهم وحسدتهم وتآمرهم على أمة السنة النبوية منذ أن أطفأ حملة السنة وحماها نار المجوس وأزالوا بغيتهم وظلمهم من على وجه الأرض التي أناروها بنور القرآن والسنة.

فهم أجي بكر ﷺ ورسول الله ﷺ

ومما اتسم به خليفة رسول الله من صفات لازمتها طوال حياته وأخذت عنه بعد وفاته الفهم العميق لكل ما يجري حوله، والعلم الشامل بتطلعات أبناء عصره، والفقهاء التام في كل جوانب العقيدة الإسلامية فضلاً عن فقه القيادة والجهاد والسياسة وفقه الاقتصاد والشؤون المالية والإدارية والاجتماعية وفقه وفن إدارة الأزمات الهائلة بأعلى درجات الإدارة ومخاطبة النفوس وهي في أشد درجات التأزم أو التنافس أو الوجل أو التردد أو الخوف أو انعدام التكافؤ أو غير ذلك وتحقيق النجاح في كل ذلك تماماً كاملاً غير منقوص. وكان خليفة رسول الله أنسب قریش وأعلمها بها وبكل أسرارها وأعلم قریش بها وبما كان فيها من خير وشر وذلك منذ قبل الإسلام ولا يخفى أن قریشاً كانت هي قدوة العرب، وجاء الإسلام بقيمته وتقديمه لأهل العلم على من سواهم فكان خليفة رسول الله أول المجيبين لهذا الدين، فزاد علماً على علم وسمواً على سمو حتى بز جميع الصحابة في علوم الإسلام، فأصبح أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى، وأفقههم في أمور الدين ومرجعهم في كل شؤونه بعد رسول الله ﷺ وتؤكد ذلك لجميع الأمة حينما قدمه رسول الله ﷺ إماماً للصلاة، وأوقفه في الموقف الذي كان يقف به هو ﷺ أمام المسلمين وبين يدي الله رب العالمين، وتحقيقاً لقوله ﷺ: ((يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَاهُمْ)) يؤكد ذلك رؤيا رسول الله ﷺ التي تدل على علم خليفته أبي بكر ﷺ فعن عبد الله ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((رَأَيْتُ كَأَنِّي

أُعطيت عساً مملوءاً لبناً، فشربت منه حتى تملأت، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم ففضلت منها فضلة، فأعطيها أبا بكر)) قالوا: يا رسول الله؛ هذا علم أعطاكه الله حتى إذا تملأت منه فضلت فضلة، فأعطيها أبا بكر، فقال ﷺ: (قد أصبتم)^(١)

وكان أبو بكر ﷺ يفهم عن رسول الله ﷺ إشارات وتلميحاته التي لا يقرنها بشرح أو تصريح من بين جميع الصحابة، عن ابن أبي المعلى عن أبيه أن رسول الله ﷺ خطب يوماً فقال: إن رجلاً خيّرته ربه بين أن يعيش في الدنيا ما شاء أن يعيش ويأكل في الدنيا ما شاء أن يأكل وبين لقاء ربه، فاختر لقاء ربه. قال: فبكى أبو بكر ﷺ فقال أصحاب النبي ﷺ: ألا تعجبون من هذا الشيخ يبكي أن ذكر رسول الله ﷺ رجلاً صالحاً خيره ربه بين الدنيا وبين لقاء ربه فاختر لقاء ربه. قال: فكان أبو بكر ﷺ أعلمهم بما قال رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: بل نغديك بأبائنا وأموانا، فقال رسول الله ﷺ: ما من الناس أحد أمن إلينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت ابن أبي قحافة خليلاً، ولكن ودّ وإخاء إيمان، ودّ وإخاء إيمان مرتين أو ثلاثاً، وإن صاحبكم خليل الله^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر قال: ((إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختر ما عنده، فقال أبو بكر: فدينك يا رسول الله بأبائنا وأمهاننا. قال: فعجبنا، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول: فدينك بأبائنا وأمهاننا. قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر ﷺ هو أعلمنا به، فقال النبي ﷺ: إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام، لا تبقيين في المسجد خوذة إلا خوذة أبي بكر)^(٣).

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥ / ٢٦٩).

(٢) سنن الترمذي. كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ حديث: ٣٦٥٩، ٥ / ٥٦٧. وقال: حديث حسن غريب.

(٣) الترمذي: السنن، كتاب المناقب. ح ٣٦٦٠ - ٥ / ٥٦٨ وهذا حديث حسن صحيح.

وخليفة رسول الله كان شمولي الثقافة جامعاً لمعارف عصره ملماً بأطرافها ومقاصدها محسناً لتوظيفها، فمن الأنساب إلى التجارة إلى الديات والمغارم والإصلاح بين القبائل والخبرات الاجتماعية التي يمتلكها من خلال أسفاره ومخالطته لقادة المجتمعات وسادات القبائل إلى غير ذلك، إلى علوم الإسلام وكل ما فيها من آداب وأسرار وقيم، كل ذلك جعله يمتلك فكراً عميقاً وعقلاً ملماً متديراً مستشرفاً لكل ما يجري في الأمة وفي العالم تعافت الأمة على وصفاته وقيادته بعد مصابها الأليم بوفاة رسول الله ﷺ وبعد فتنة الردة الراضية وما رافقها من أحداث مزلزلة؛ فقد الأمة في تلك المراحل الحرجة إلى كل خير وباعدها عن كل شر وزاد عقيدتها رسوخاً وهويتها أصالة، فهذه الثقافة المتكاملة وذلك الأفق الواسع وتلك التجارب العميقة زادت من قدرة خليفة رسول الله ﷺ على تقدير الأحداث وقياس الأمور واستشراف النتائج على الوجه الصحيح، فلم يسجل عليه التاريخ كبوة أو نبوة أو مأخذاً واحداً أو موقفاً لم يكن فيه محقاً مصيباً مسدداً، فقد تأكد سداده وحسن تدبيره وصحة تأتبه للأمور في كل مواقفه في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته.

ولعل من أجلى وأجّل تلك المواقف ما وافق به رسول الله ﷺ يوم الحديبية حيث اتخذ الموقف ذاته ونطق بالألفاظ التي نطق بها رسول الله ﷺ دون أن يعلم بذلك، مما يؤكد القرب الروحي والتآلف النفسي ووحدة الرؤية الحاضرة والمستقبلية مع رسول الله ﷺ يظهر هذا حيناً أو شك أن يتم صلح الحديبية ولم يبق إلا كتابة شروط الصلح وما رأى فيها الصحابة من إجحافٍ مفاوضٍ قريش سهيل ابن عمرو بحق المسلمين وغلظته في الحوار، ولين رسول الله ﷺ معه وعدم إشراك الصحابة في المشاورة لذلك الصلح، لما كان يراه ﷺ من علامات وإشارات لم يتنبه لها كثير من الصحابة، مثل بروك الناقة حتى قال الناس: خلأت القصواء خلأت القصواء!. أي حرنت. فقال ﷺ: ((ما خلأت القصواء، وليس ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل))^(١) وظنهم أن

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٢٨٩.

لين رسول الله ﷺ الزائد في ذلك الموقف فيه مداراة لقريش أكثر مما تستحق، فوثب عمر ﷺ حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: أولست رسول الله؟ قال بلى. قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسو بالمشركين؟ قال: بلى، قال فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال ﷺ: ((أنا عبد الله ورسوله، ولن أخالف أمره، ولن يضيعني)) فأتى أبو بكر ﷺ فقال: يا أبا بكر: أليس برسول الله؟ فقال أبو بكر: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسو بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال: أبو بكر يا عمر الزم عَزَّوَه - أي أمره - فإني أشهد أنه عبد الله ورسوله. قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله ((^١ فأجابه أبو بكر ﷺ بمثل ما قاله رسول الله ﷺ دون أن يكون له أي علم بما قاله رسول الله ﷺ فدل أن خليفة رسول الله، كان أكثر الصحابة قرباً روحياً وتجاوباً قولياً وعملياً مع رسول الله ﷺ وإحساساً بشعوره واتفاقاً مع رأيه وفهمه والتحاماً مع مواقفه واجتهاداته.

وظهر انفراد أبي بكر ﷺ بفقده مراد رسول الله ﷺ مرة أخرى في آخر حياة النبي حينما خطب أصحابه فقال: ((إن عبداً من عباد الله خَيْرٌ بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار العبد ما عند الله)) فبكى أبو بكر ﷺ وقال: ((بل نفديك بأبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا)) فعجب الصحابة لبكائه، ولكنهم فهموا بعد ذلك، أن رسول الله هو المخير وأن أبا بكر كان أعلمهم برسول الله ﷺ.^(٢)

وتتضح قوة علم الصديق وعمق فهمه في الدين من موقفه في حروب الردة، حيث انفرد عن جميع الصحابة بوجوب قتال مانعي الزكاة، وقال: ((والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة))^(٣) فسلم الصحابة لقوة حجته وسعة علمه، ورجعوا عن رأيهم إلى رأيه وكان في ذلك كل الخير للإسلام والمسلمين إلى قيام الساعة، وكذلك موقفه يوم السقيفة وبيانه أن الخلافة في قريش، ومواقف الصديق التي تبين البون الشاسع بينه وبين قادة الصحابة وأئمتهم فضلاً عن عامتهم في

(١) هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ٢٠٠. ابن القيم: زاد المعاد، ٢٩٤.

(٢) البخاري: الصحيح، ٣/ ٣٢٧ (١٤٦٥). مسلم: الصحيح، ٢/ ٧٢٨ (١٢٣) / ١٠٥٢.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الزكاة، ح (١٣٣٥).

تقدير الأحداث وفقه الوقائع، وتؤكد بالوقت ذاته قربه من رسول الله ﷺ وأهليته لسد مسد مراد رسول الله ﷺ الذي أشرف على تثقيف وتوجيه خليفته من أيام الصبا، قبل الوحي وقبل الهجرة ثم استمر ذلك التوجيه والإعداد دون أن يعتريه أي انقطاع، ولعل من أهم تجليات تلك التربية النبوية وذلك الإعداد للخلافة ما اتضح لجيل القدوة في إنابته في الحج بالأمّة والصلاة بأصحابه في حياته وبإشرافه ﷺ واستمر ذلك حتى ودع المسلمون حبيبهم الأعظم يوم وفاته، وحينها تبينت آثار ذلك الإعداد وآتت التربية النبوية ثمارها اليانعة المرجوة بما قام به خليفة رسول الله من مواقف جَلّت عن أصحاب النبي ﷺ الكروب وثبتت الإيمان ودفعت عنهم الشرور وثبتت التوحيد وأنجزت الوحدة والقوة والأمن والسلام.

عن الطاهرة أم المؤمنين عائشة قالت: لما توفي النبي ﷺ اشرب النفاق، وارتدّت العرب، وانحازت الأنصار، فلو نزل بالجلال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها فما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بعنانها وفضلها. فقالوا: أين يدفن رسول الله ﷺ فما وجدنا عند أحد من ذلك علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما من نبيّ يُقبض إلا دُفِن تحت مضجعه الذي مات فيه ". وكان المسلمون اختلفوا في دفنه فقائل يقول: ندفنه في مسجده، وقائل يقول: ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض " فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه، فحفر أبو طلحة الأنصاري ^(١) تحته ثم دفن ﷺ ليلة الأربعاء حين زاغت الشمس ^(٢).

(١) أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود بن حرام النجاري الخزرجي رضي الله عنه زوج أم سليم أم أنس بن مالك رضي الله عنه وكان أبو طلحة من رماة المسلمين المعدودين. قال رضي الله عنه: ((لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة)) ابن حنبل: المسند، ٣ / ١١٢ وهو حديث مرسل. وهو القائل لرسول الله ﷺ يوم أحد بعد أن وضع صدره أمام سهام المشركين وقال: هكذا لا يصيبك بعض سهامهم؛ نحري دون نحرك. وهو صحيح الإسناد. وكان يرجز فيقول: أنا أبو طلحة واسمي زيد وكل يوم في سلاحي صيد. ابن حجر: الإصابة، ٢ / ٥٠٢. ابن خياط: الطبقات، ٨٨.

(٢) ابن حبان: السيرة / ١ / ٤٢٠.

قالت الطاهرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: واختلفوا في ميراثه، فما وجدوا عند أحد من ذلك علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إننا معشر الأنبياء لأنورث، ما تركناه صدقة"^(١) وهذا ما أخذ به الخلفاء الراشدون من بعده بمن فيهم علي بن أبي طالب ؓ وقد انقادت الأمة لخليفة رسول الله فسار خلفه أظهر جيل عرفته البشرية وأكثرها علماً وحرصاً على سلامة الدين ووحدة المسلمين، ومن ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه قرأ في الفجر بسورة البقرة حتى سلم منها قريباً من طلوع الشمس فقالوا يا خليفة رسول الله: كادت الشمس تطلع. فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين^(٢).

ولعل هذا الموقف من أظهر الأمور التي تدل على انقياد أئمة الصحابة لعلمه وفقهه فها هم ينقادون في هذه الصلاة دون أي اعتراض على طولها، أو على ما رد به خليفة رسول الله على من أخبره بأن الشمس أوشكت أن تشرق قبل فراغه من الصلاة، وبالتأكيد لو كان الإمام غير خليفة رسول الله لو جد الكثير من المعارضين تحت غطاء الكثير من الحجج، إلا أن مقام الصديق العلمي في حياة رسول الله ﷺ كان معلوماً، وكذلك ثقة الصحابة بعلمه وحفظه لكتاب الله تعالى كان يحول بينهم وبين التدخل في أي شأن يقرره ويرضاه. فقد روي عن علي بن أبي طالب ؓ أنه قال: "رحم الله أبا بكر فهو أول من جمع ما بين اللوحين"^(٣) وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "قسم أبي الفيء عام أول: فأعطى الحر عشرة والمملوك عشرة والمرأة عشرة وأمتها عشرة ثم قسم العام الثاني فأعطاهم عشرين عشرين"^(٤) فلم يسمع أحد من الناس بمعارضٍ أو عائبٍ لمواقف الصديق ؓ واجتهاداته وما ذلك إلا لأنه كان يستقي من منهاج النبوة الذي تشربه في دمه ولحمه. فأصبح بذلك يفهم مرادات رسول الله ﷺ وإشاراته من بين جميع الصحابة ؓ

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠ / ٣١١ .

(٢) ابن القيم: زاد المعاد ج: ١ / ٢١٢ .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: (٣٦٩٠٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣ / ٩٧٣ .

(٤) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ح (٦١٧٠).

والأمثلة على ذلك كثيرة وواضحة وبيّنة لا تحتاج إلى مزيد من الإطناب والتفصيل لا ينكرها إلا من طمس على قلبه الحقد والجهل وموت الضمير. ومما يشهد لخليفة رسول الله بالتفوق العلمي والسمو الفكري والنباهة الفقهية والثقافة القرآنية النبوية أنه:

- أول من استشهد بالقرآن في دفاعه عن رسول الله ﷺ من المسلمين. ومما يشير إلى ذكاء الصديق الفطري وعميق فقهه أنه كان يستشهد بآيات القرآن ويحتج بها حتى على المشركين الذين لا يؤمنون بها وما ذلك إلا لأنها أقوى في الدلالة وأبلغ في الحجة كما أنها تطبق عملياً للقرآن وتفعيل لمفاهيمه وذلك من أيام الإسلام الأولى في مكة، فعن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر ﷺ حتى دفعه عنه فقال: ((أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم))^(١) وفي هذا الحديث من الفوائد: بيان شجاعة الصديق ﷺ وأنه كان يتصدى لمجرمي قريش وعتاتها ممن يؤذون رسول الله ﷺ وهذا أحدهم عقبة بن أبي معيط الذي خنق رسول الله ﷺ بردائه، فما رده عنه إلا خليفته الصديق ﷺ. وعميق إيمانه بحجج القرآن الكريم التي كان يحتج بها في دفاعه عن رسول الله ﷺ: ((أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله)) والمعنى: يا أيها المشركون هل تقتلون رسول الله ﷺ الذي ليس له ذنب معكم إلا أن يعلن أن الله ربه سبحانه وتعالى، وقد جاءكم بالبيان على ذلك من خالقكم. ونظراً لما يتمتع به خليفة رسول الله من مزايا فقد خصه ﷺ في كثير من الأمور. منها:

- اختياره ﷺ لخليفته وحده دون سائر الصحابة ليصحبه في رحلة الهجرة وهي أخطر رحلة وأعظم محنة يتعرض لها رسول الله ﷺ فقد عزمت قريش على قتله، بعد مشاورات وتأمير طويل وشرعت فعلاً في التنفيذ فكانت الهجرة ليلة التنفيذ لمؤامرتها المجرمة واختيار رسول الله ﷺ لخليفته في هذا الموقف واعتماده بعد الله تعالى عليه؛ فيه دلالة عظيمة على أنه كان أعظم الصحابة

(١) صحيح البخاري، ك. فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً (٣٤٧٥).

إيماناً ونباهة وأكثرهم جرأة ورجولة وتحملاً للمصاعب ووقوفاً في وجه الشدائد، وكتماً للسر-
وحباً وفداء له ومحافظة عليه ﷺ.

- وفيه ظهر إشفاق أبي بكر الصديق ﷺ على رسول الله ﷺ وحببه عليه، وحرصه الهائل من أجل
الحفاظ على سلامته بكل سبيل، وسعيه المتواصل لتحقيق آماله، وتنفيذ مطالبه وإشاراته ﷺ.
ومن خلال هذا التلاحم بين رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق ﷺ تستقي الأمة منهج نصرته
الإسلام والعمل على إقامة دولته الموعودة، وعلى آثاره تشق الأمة طريقها المعبد لتحقيق الأمن
والسلامة ولتحتاط من كل من يخالف ذلك الطريق على أمنها وسلامتها إذ المخالفون إنما هم
امتداد للمتآمرين على حياة رسول الله ﷺ يوم الهجرة، ولهذا هلك من هلك من الرافضة وورثة
الأحقاد المجوسية حينما أعلنوا بالعداوة لخليفة رسول الله الذي استنفد كل طاقاته في سبيل نجاح
هجرة رسول الله ﷺ ووصوله إلى المدينة سالماً. مما أغضب هؤلاء الحاقدين الذين ساءتهم سلامة
النبي ﷺ فبلغ بهم الحقد حداً جعلهم ينتقصون رسول الله ﷺ ويتهمونه بما لا يمكن النطق به من
بهتان وإفك أقله ما يصمون به من الغفلة وقلة الدراية حاشاه ﷺ وصناعة الافتراءات على
خليفته واتهامه بالتآمر على حبيبه ﷺ الذي هو أعز عليه من نفسه ومن الناس أجمعين مما يعلمه
عنه جميع المسلمين وتصدقّه جميع أفعاله التي مارسها في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته ولعل هذه
الباطيل التي ينسجها أعداء الصحابة تمثل الدليل الأوضح على بعدهم عن محمد ﷺ وعمّا جاء به
من دين؛ ولكنها في الوقت ذاته كشفت عن حقيقة أحقادهم التي أصبح يحذرهما كل عاقل
حصيف من أمة محمد ﷺ مما نزع الثقة بانتمائهم إلى هذه الأمة التي طالما تحالفوا مع أعدائها على
تشويه تاريخها وتدمير حضارتها واغتيال أخيارها كما هو حاصل الآن في العراق.

منهجه في التثبت. الأخبلم

لم يكن خليفة رسول الله ﷺ يكتفي بالسؤال المجرد عن بعض المسائل النادرة التي لا يحفظ فيها نصاً
بل كان يتبين من المسؤول عن الزمان والمكان الذي حدّث فيه رسول الله ﷺ ذلك الحديث وعن

الحضور من أصحابه في ذلك المكان والزمان وكأن لسان حاله يقول كيف فاتني ذلك الخبر وأنا لم أغب عن رسول الله ﷺ. حتى إذا اطمأن إلى قول راوي الخبر أو علم أنه لم يكن شاهداً في ذلك المجلس طلب من الراوي من يؤكد روايته من أصحاب رسول الله ﷺ كل ذلك زيادة في التوثيق لأحاديث رسول الله ﷺ فكان أول من احتاط في قبول الأخبار هو ﷺ روى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال: ما أجدر لك في كتاب الله شيئاً وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً. ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: حضرت رسول الله ﷺ يعطيها السدس. فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر ﷺ.

ومن مراسيل ابن أبي مليكة، أن الصديق ﷺ جمع الناس بعد وفاة نبيهم ﷺ فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه. فهذا المرسل يدلّك أن مراد الصديق الثبوت في الأخبار والتحري لا سدّ باب الرواية. ألا تراه لما نزل به أمر الجدة، ولم يجده في الكتاب، كيف سأل عنه في السنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل: حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج؟ وحدث يونس عن الزهري: أن أبا بكر ﷺ حدث رجلاً حديثاً فاستفهمه الرجل إياه فقال أبو بكر: هو كما حدثك، أي أرض تقلني إذا أنا قلت ما لم أعلم؟ وصح أن الصديق خطبهم فقال: إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وعن قيس ابن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر الصديق ﷺ يقول: إياكم والكذب فإن الكذب مجانب الإيمان. قال الذهبي قلت: صدق الصديق ﷺ فإن الكذب رأس النفاق، وآية المنافق. والمؤمن قد يطبع على المعاصي والذنوب الشهوانية لا على الخيانة والكذب كما هو خلق أعداء الصحابة. فما الظن بالكذب على الصادق الأمين ﷺ وهو القائل: إن كذباً عليّ ليس ككذبٍ على غيري، من يكذب عليّ بني له بيت في النار. وقال: من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار؟ فهذا وعيد لمن نقل عن نبيه ما لم يقله مع غلبة الظن أنه ما قاله، فكيف حال من تهجم على رسول الله ﷺ

وتعمد عليه الكذب وقوله ما لم يقل؟ وقد قال ﷺ: من روى عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين.

قال الذهبي: فإننا لله وإنا إليه راجعون، ما ذي إلا بلية عظيمة وخطر شديد ممن يروي الأباطيل والأحاديث الساقطة المتهم نقلتها بالكذب. فحق على المحدث أن يتورع في ما يؤديه، وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذاً إلا بإدمان الطلب، والفحص عن هذا الشأن، وكثرة المذاكرة والسهر والתיقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى مجالس العلماء والتحري والإتقان. وإلا تفعل:

فَدَعُ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ سَوَّدَتْ وَجْهَكَ بِالْمَدَادِ

قال الله ﷻ: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: من الآية ٤٣) فإن آنتست يا هذا من نفسك فهماً وصدقاً وديناً وورعاً وإلا فلا تتعنَّ، وإن غلب عليك الهوى والعصية لرأي ولذهب فبالله لا تتعب، وإن عرفت أنك مخلط مخبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك، فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، فقد نصحتك، فعلم الحديث صعب فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت أن لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب.

نعم فرأس الصادقين في الأمة الصديق ﷺ وإليه المنتهى في التحري في القول وفي القبول وفي العلم والفهم يتحري كل هذا التحري فأين أهل هذا العصر ممن يحدث بما شاء ويتكلم بما أراد دون أن يسند شيئاً من ذلك إلى آية أو حديث^(١).

بل يتكلم الساعات ويؤلف المؤلفات ويقلب الأقوال تحت ما يسمى بالمسألة الفكرية وقضايا الفكر وإصلاح العقل وما إلى ذلك من حجج وأعدار، بل إن الكثير ممن يزعم أنه من أهل

(١) طاهر الجزائري: توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، حلب، ١٤١٦هـ-١٩٩٥، ١/٦١.

الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١/٥.

الإسلام وأنه غيور على موروث الفكر الإسلامي تجده يتمضمض بصديد أباطيل أعداء الصحابة الذي صنعه أعلامهم الفاجرة وأدمغتهم الحاقدة، يطعن بهذا الصحابي القائد وبذلك الرباني المجاهد بنفسه وماله، فبأي ذوق يجتر هذه الشتائم والطعون، من يزعم أنه مسلم؟ وتحت أي مظلة يحتمي من فحيح الرفض والردة؛ من يقبل بمجرد النظر فيمن يشك بإخلاص الصحابة؟ وإذا فقد الإخلاص عندهم فعند من يكون؟ وإذا كان من يلوك بهتان الرفض يعتقد أنه إنما هو في إطار البحث والنقد العلمي البحث، فإننا هذا يعلن عن غياب مركب؛ إذ كيف ينتقد من يمدحه الله تعالى، ويمجده رسوله ﷺ؟ ألا يعلم هذا المغفل أنه عندما يحمل أسفار الإفك الراضية لعدالة الصحابة؛ إنما يصدق أكذب الخلق ألا وهم أعداء الصحابة؛ ويكذب أصدق النصوص ألا وهي نصوص الكتاب والسنة، فهل بعد هذا الغباء وهذه الغفلة غباء وغفلة؟ سوى السباحة في أحوال أعداء الكتاب والسنة وخلافة النبوة!!

ومن هنا تتكون قاعدة نقاء الفكر الإسلامي وإصلاحه المبني على ذات الأساس الذي أثمر الحضارة التي قادها الصديق والفاروق ومن جاء بعدهم من السلف الصالح ﷺ وكل كتاب أو مقال أو خطاب أو صحيفة أو مجلة أو مسلسل أو فضائية أو طائفة أو جماعة أو حزب أو غير ذلك؛ ينال من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ويطعن فيهم تحت أي مسمى كان؛ إنما هو معول هدم ودمار في حصن الأمة، وكل من يقبل النظر في ما ينفثه هؤلاء من السحر والوهم إنما هو معاون لذلك المخرب ومشارك له في غش الأمة وخداعها وتمزيق هويتها، وكل من يسكت عنه إنما هو أحرص عن الحق ومضيق للأمانة وخائن للثغرة التي هو عليها، وبئس لدينه مُسَوِّقٌ لأحقاد أعداء الصحابة الراضين للكتاب والسنة وخلافة النبوة، وعلى هدي هذه القاعدة يمكن كل مسلم أن يعرف الحق من الباطل والعسل من البصل والعلم من الجهل؛ بالنظر إلى الصحابة وموقعهم من فكر الكاتب واعتقاده، فإن هو أنصف وقال بالحق فيها وأنعم، وقد نوافقه فيما سوى ذلك أو نخالفه ولكن لا يخرج ذلك عن الرأي والرأي الآخر المعبر المقدر، أما أن يطعن

بعقلاء البشر وحكماء الناس وإخوان الأنبياء؛ ونعتقد فيه الموضوعية أو الأمانة أو العلمية فهذا ما لا يوافق العقل ولا الدين.

وبظلال هذه القاعدة العلمية تنتفي الحاجة إلى تجريد الأقلام والألسن وشغل المؤمنين وتضييع أوقاتهم بالرد على شبّهات الرافضة وبغيهم، إذ أن العلامة واضحة في كشف زيفهم فكل من في قلبه غلٌّ على أحد من الصحابة وأمّهات المؤمنين أو الصحيحين أو على أحد من الفاتحين أو المحدثين إنما هو امتداد للمرتدين والزنادقة والمنافقين الذين حاربوا رسول الله ﷺ يعملون على نسف الحقيقة بالباطل والبهتان والتهمة والشبّهات، فالرد العلمي على هذه الحالة يتمثل في إلغاء هذا الصنف من دائرة الاهتمام بإصلاحه لفساد نيّاته المبنية على تكذيب الكتاب والسنة ورفضها عمداً مع سبق الإصرار، وتكذيب واقع الصحابة الحضاري الفريد الذي سطره شامخاً في كل مفاصل الحياة.

فإذا فعلنا هذا نكون عملنا بوصايا السلف الصالح القائلة: أميتوا الباطل بعدم ذكره، وحفظنا أوقاتنا وسخرناها فيما ينفع في جوانب الحياة الأخرى، واحترسنا من مكر الرافضة القائم على قاعدة الكذب حتى يصدقك الناس، ولم نجعل من كتبنا وأقلامنا وندواتنا وخطبنا ومجالسنا مطايا لنشر أباطيلهم باسم الرد عليها ومعالجتها؛ والله المستعان وهو الهادي إلى سواء السبيل. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ (الإسراء: ١٩).

الفصل الثاني

بعض بهتان أعداء الصحابة على

خليفة رسول الله ﷺ

وأنكارهم لخصائصه

المبحث الأول

بعض بهتان أعداء الصحابة على خليفة رسول الله ﷺ

أبي بكر الصديق ﷺ في الغار

تمهيد

من فضل الله تعالى على الأمة المسلمة، أنها كانت ولا زالت تبعا للخلافة الراشدة في كل ما قامت به من إثبات الإمامة لأهلها وبحسب ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار ﷺ وعلى الترتيب الذي كان واقعاً في حياتهم، المتمثل في تقديم أبي بكر الصديق ﷺ على من سواه من الصحابة ﷺ ثم تقديم عمر الفاروق ﷺ ثم تقديم عثمان ذي النورين ﷺ، ثم تقديم أبي الحسن علي ﷺ، وكل ذلك كان على هدي ما لديهم من علم، ومن إشارات جاءت تلميحاً وتصريحاً، وكما تجلت في كتاب الموقف من خصائص وخلافة أبي بكر الصديق ﷺ التي تؤكد فيها أن كل من يريد العبث بإجماع المهاجرين والأنصار إنما هو امتداد لرسالة مسيلمة الكذاب وجنده المرتدين والمشركين.

والأصل عند أمة الكتاب والسنة؛ أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم بعد التهم التي عدلهم الله تعالى بها ورسوله ﷺ فوق الشبهات وفوق البهتان والأباطيل، التي يريد من يرددها أن يصدق المسلمون أكذب الناس وأخبثهم، وهم أعداء أصحاب محمد ﷺ الذين يطعنون بإسلام الصحابة وبكتابتهم وسنة نبيهم ﷺ وأن يكذبوا أصحاب الناس عند الله وعند رسوله ﷺ، لهذا فالأصل عند أمة الكتاب والسنة أن يكفيهم للحكم على الطاعن بأي صحابي أن يكون ذلك علامة من علامات النفاق أو الردة، إذ أن هذه الصفة الذميمة تغني عن البحث والتساؤل، فمن يردد الشبهات على الصحابة، فإنما يحكم على نفسه بتكذيب الصادق وتصديق الكاذب، وفي ذلك البراءة للصحابي ﷺ والفضيحة لمن يخاصمه من أعدائهم، الذين يعملون في كل فتنة يتاح لهم النفع فيها على خلط الأوراق، وتزييف الوقائع، وضياع الحقيقة، كما فعلوا في اغتيال أمير المؤمنين

الشهيد المظلوم عثمان ؓ حين: (كثر الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة الشهيد عثمان ؓ وإن واحداً في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف!)^(١) وهذا ما يعمل به أعداء الصحابة في هذا العصر- حيث يمتطون الغوغاء ويشيرون بالبوغاء، ليموهوا على الناس دينهم، وينفذوا مشاريعهم القائمة على صناعة الأزمات، وإنتاج الفتن، وزعزعة الأمن، ونزع القيم، وتغيير الثوابت، ومواجهة التوحيد، وزراعة الشك والوهم والخرافة.

فأبو بكر الصديق ؓ والصحابة وتابعوهم الذين قاتلوا المرتدين وأعوانهم، هم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: من الآية ٥٤) فأعوانه وأولياؤه خير الأئمة وأفضلها، وهذا أمر معلوم في السلف والخلف، فخير المهاجرين والأنصار الذين كانوا يقدمونه في المحبة على غيره، ويرعون حقه، ويدفعون عنه من يؤذيه ومثل ذلك أمراء الأنصار، سعد بن معاذ، وسعد بن عباد ؓ، قالت الطاهرة عائشة: قال رسول الله ﷺ: (لا ينبغي لأمتي أن يؤتمهم إمامٌ وفيهم أبو بكر)^(٢).

وقال أمير المؤمنين علي ؓ: (لقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس، وإني لشاهد ما أنا بغائب، ولا في مرض، فرضينا لدنيا ما رضي به النبي ﷺ لديننا^(٣) فيتأكد في هذا تقديم أبي بكر الصديق ؓ

(١) القاضي أبو بكر بن العربي: العواصم من القواصم، النص الكامل للكتاب، ٣٠٤. والغوغاء: تطلق على الحمقى من الناس الذين تستخفهم الأحداث. والبوغاء: هي التراب الناعم. ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٦٠.

(٣) تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٦١. مسند أبي يعلى: ح (٤٧٩٨). قال حسين سليم أسد ضعيف. فإن كان هذا الحديث ضعيفاً فإن الأحاديث الصحيحة الثابتة بينت وأكدت أن النبي ﷺ يمنع ويغضب ويأبى أن يؤم الأمة غير أبي بكر ؓ.

(٤) المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ح (٥٣٦٧٠) ابن عساکر تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٦٥.

وترجيحه على جميع الصحابة وفضيلة عمر رضي الله عنه (١) وقال رضي الله عنه: إن نبيكم صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة لم يُقتل قتلاً ولم يمت فجأة، مرض ليالي وأياماً يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة، وهو يرى مكاني فيقول: ائت أبا بكر فليصل بالناس، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرت في أمري فإذا الصلاة عظم الإسلام وقوام الدين، فرضينا لدينانا من رضىه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديتنا، بايعنا أبا بكر (٢).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم) (٣) وقال رضي الله عنه: (كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي: أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ويسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره. ما نعلم عثمان جاء بشيء من الكبائر، ولا قتل نفساً بغير حِلِّها، ولكنّه هذا المال، إن أعطاكموه رضيتم، وإن أعطى قريشاً سخطتم، إنهم يريدون أن تكونوا كفارس أو الروم، لا يتركون لهم أميراً إلا قتلوه) (٤).

وكل هذا واضح في العقيدة وفي نصوص الحديث وكتب السير وعمل الصحابة رضي الله عنهم وفي الفقه السياسي الإسلامي، لكن الغريب أن أقواماً من أبناء جلدتنا، طمست الغفلة على قلوبهم، يرددون أباطيل أعداء الصحابة تحت ستار محبة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكيف يجب علينا من يبغض الصديق رضي الله عنه ومتى كان هذا؟! وموقف علي رضي الله عنه ممن يقدمه على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديق رضي الله عنه هو التعزير والطرْد والتحقير؟!.

أو يطعنون بالصديق رضي الله عنه تحت ذريعة أخرى فاسدة تتمثل بأن ذلك لون من ألوان البحث، وعلى الآخرين أن يأخذوا ما يجتروونه من الباطل بعين الاعتبار، متناسين أنهم بذلك يريدون من

(١) المقدسي: تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق، ٣٨.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٢/٣. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٤٢/٤٤٠. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ١٥٧.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة. باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (سدوا الأبواب، إلا باب أبي بكر). ح ٣٦٥٥.

(٤) الطبراني: مسند الشاميين، ح (١٧٦٤) قال المحقق حمدي السلفي: ورواه في المعجم الكبير والأوسط (ص ٣٣٤ مجمع البحرين) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٥٨) بعد أن عزاه لأبي يعلى أيضاً ورجاله وثقوا وفيهم خلاف. سبل الهدى والرشاد، ٣١٦/١٢.

القارئ الحصيف أن يُصدّق أكذب الناس، ومن هو في أحسن أحواله شاك بالكتاب والسنة، ومُتَّهَمٌ لمن جاهد لنصرتها؛ فشتان بين خير الناس وبين شرّ الناس، ولتنبيه أبناء أمة الكتاب والسنة النجباء، ممن لا تجربة لهم مع أعداء الصحابة، نسوق نماذج من أباطيلهم التي يدينون بها، ويمكرون ويشاغبون من أجلها، ليعلم المسلمون أن أعداء الصحابة هم شرّ الناس على الأُمَّة وعلى مرّ التاريخ، وهم الحلفاء الطبيعيون للغزاة، والعيون الكاشفة للعورات، وأنّ أيّ شك في شرّهم وأذاهم للأمة؛ إنما هو رد للحقائق، وتكذيب للواقع، وإسهام في فتح أبواب الفتنة، ونفخة من نفحات بهتانهم، نكتت نكتة سوداء في قلب المصاب بها، يجب المسارعة إلى التطهر منها والتبرؤ من آثارها، هذا إذا كان الأمر في حق صحابي من عامة الصحابة ﷺ فكيف إذا كان البهتان والأذى ينال أقربهم إلى النبي ﷺ وأشدّهم حباً له؟ قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٧٢).

وَشَهَرْتَ أَعْدَاءَ الصَّحَابَةِ عَلَى أَهْلِ بَكْرِ ﷺ يَوْمَ الْغَمَلِ

لما كان معتقد أعداء الصحابة قائم على هدم ما بناه الصحابة ﷺ وما جاء به النبي ﷺ تحت أوهام ومسميات يُبدِّعون بها السنة ويوثقون بها البدعة، كما هو ثابت في معتقدتهم بأصحاب رسول الله ﷺ وفي خطبهم وتوجيهاتهم وكتاباتهم، ولا سيما عن القادة الفاتحين والرواة المحدثين والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين؟ وبما لا يمكن علاجه أو تجنبه أو تجاهله لما يحمل من روح الحقد والكراهية والإفك ومشجعات الغدر وحب الاستباحة وافتعال الأحداث التي تغذي ذلك، وفي كل الأمصار والأعصار، يؤكد ذلك ما يروّجون له من بهتان عن صحبة الصديق ﷺ لرسول الله ﷺ في رحلة الهجرة المباركة^(١) وما قام به من رعاية ونصرة ومؤانسة ومؤازرة، واستعمال خبراته الواسعة في معرفة أنساب الناس ومقاماتهم في قبائلهم، وتوظيف كل ذلك لإنجاح الهجرة على أتم وجه وأكملها، حتى نال بذلك ثناء الله تبارك وتعالى فاستحق موقفه ذلك

(١) ينظر المفيد: الاختصاص، قصة الغار وأبو بكر ﷺ مع النبي ﷺ، ١٩. وينظر مرآة العقول، ٤٨٨/٢٦.

أن ينوه القرآن الكريم به فيشير إلى فضيلة أبي بكر رضي الله عنه في الغار وبنصره لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) أي أخرجه في هذه القلة من العدد، لم يصحبه إلا الواحد، فإنَّ الواحد أقل ما يوجد. فإذا لم يصحبه إلا واحدٌ دلَّ على أنه في غاية القلَّة. ثم قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) وهذا إخبار الله تعالى على أن صاحبه كان مشفقاً عليه محباً له ناصرأ له حيث حزن، وإنما يحزن الإنسان حال الخوف على من يحبه، وأما عدوه فلا يحزن إذا انعقد سبب هلاكه، ولكن المفترون يكذبون قول الله تعالى ويتصورون ما في أنفسهم من بغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اجتنبى أبا بكر رضي الله عنه فيحدثون به، ويقولون إن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن حزيناً، تكديباً لقوله تعالى: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) وإمعاناً في البهتان يقولون إنه كان يضمم الفرح والسرور، وهذا ما يعكس ما في نفوسهم الحاقدة، كما هو حالهم من السرور عندما يصاب المسلمون بمصيبة أو يسقط بلد من بلادهم بأيدي أعدائهم.

فيتبين أن الرافضة حين يفترون على أبي بكر رضي الله عنه إنما هم يفترون على الله ويكذبون قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فالرافضون لهذه الخصيصة من أعداء الصحابة إنما هم مكذبون للقرآن لا يوثق بقولهم ولا يُركن إلى زعمهم الإيثار وكيف يكون مؤمناً من يكذب القرآن؟ وهذا ما لم يقل به لا اليهود ولا المشركون. ولكن قاله أعداء الصحابة، حقداً على الإسلام ومكرراً بأهله وبغضاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق رضي الله عنه وبما لا يدع مجالاً للشك بأن كل من ينال من أبي بكر رضي الله عنه إنما هو مكذب للقرآن وبغض للنبي صلى الله عليه وسلم الذي اصطفاه من بين الناس لصحبته الفريدة تلك، مما يكشف لكل عاقل أنَّ عداة الصحابة عقيدة هدامة، يعمل في الترويج لها خصوم الإسلام، وبكثير من الوسائل المموجة والقدرة، بما في ذلك الغدر والبهتان، ولعل نظرة يسيرة في النماذج التي يفترونها على أبي بكر إمام الأمة وقائدها بعد نبيها صلى الله عليه وسلم توضح كل ما سبق ولعل في بعض ما أورده أبو العباس ابن تيمية يؤكد ما سبق.

- قال الرافضي ابن المطهر الحلي بمكره وتلبيسه: يجوز أن يستصحب رسول الله ﷺ صاحبه ﷺ معه لثلاثا يظهر أمره حذراً منه!! مع علمهم بأن هذا باطل من وجوه كثيرة لا يمكن استقصاؤها: أهمها أنه تكذيب لما هو معلوم في كتاب الله تعالى ورد فُج لنصوصه، بل هذا يؤكد أن المشركين أكثر معرفة بحال الصديق ﷺ وشدة محاماته عن النبي ﷺ فهم لا يذكرون النبي ﷺ إلا ويذكرون صاحبه معه، ولكن جحود أعداء الصحابة وبغضهم جعلهم ينكرون الشمس برابعة النهار، وقد علم بدلالة القرآن والمواقف المعلنة المعلومة للجميع موالاته الصديق للنبي ﷺ ومحبتته التي لم يتوصل أحد إلى درجتها، ومن شدة تعلقه ﷺ بالنبي ﷺ ذكرت بعض الروايات أن من أسباب وفاة خليفة رسول الله ﷺ هو كمدّه وشدة ألمه على فراق رسول الله ﷺ وعظيم شوقه إليه ﷺ.

وروي أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى إلى زوجة أبي بكر ﷺ بعد موته، فسألها عن أعمال أبي بكر في بيته ما كانت؟ فأخبرته بقيامه في الليل وأعماله كان يعملها، ثم قالت: إلا أنه كان في كل ليلة جمعة يتوضأ ويصلي العشاء ثم يجلس مستقبل القبلة رأسه على ركبتيه، فإذا كان وقت السحر رفع رأسه وتنفس الصعداء فكاننا يُشم في البيت رائحة كبد مشوي! فبكى عمر ﷺ وقال أنى لابن الخطاب بكبد مشوي؟! . خرج الملاء في سيرته^(١).

الثاني: أنه قد علم بالتواتر المعنوي أن أبا بكر كان محباً للنبي ﷺ مؤمناً به ومن أعظم الخلق اختصاصاً به، تواتر ذلك تواتراً ظاهراً أعظم مما تواتر موالاته علي ﷺ ومحبتته للنبي ﷺ، والشك في محبة أبي بكر ﷺ هو شك في محبة رسول الله ﷺ ولكن مع كل هذا فإن من أعداء الصحابة من ينكر ببلادة وخبث شديد، كَوْن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مدفونين في الحجرة النبوية، وهم يعلمون أن كل من يقرأ هذا لهم سيلعنهم ويحتقرهم لتعمدّهم الكذب الصريح، ولكنهم يفعلون هذا من أجل التشويه والتشكيك ومن باب لعل وعسى بعض المغفلين والغوغاء يقع في عقله أو ذهنه شيء من هذا البهتان.

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة: ٩١ / ١.

ومثل ذلك مخالفتهم للقرآن بترويج إفكهم بأن أبا بكر رضي الله عنه ليس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان معه في الغار، وليس هذا من بهتانهم ببعيد؛ فإن القوم قوم بهت، يجحدون المعلوم بثوته بالاضطرار ويدعون ثبوت ما يُعلم انتفاؤه بالاضطرار في العقليات والنقليات، ومع كل هذا البهتان الفج الذي يروجون له، فإن كثيراً من علماء السنّة وكثيراً مما يُسمّى بالحركات الإسلامية، يمسكون عن التحذير منهم، أو الإسهام في كشف وسائل تزييفهم للكتاب والسنّة، بحجج من الورع الفاسد والدين البارد، فهم يصمتون وربما يقبلون أن يُكذّب أعداء الصحابة القرآن والسنّة، ويتعبدون بشتم أمة الصحابة، وقتل علمائها وعامتهم متى ما تمكنوا منهم، وتقديم كل الإغراءات لصيد المغفلين وحرفهم عن حب الصحابة، وتشكيكهم بإنجازاتهم التي أعزّت الإسلام والمسلمين، ويُفتون بأن هؤلاء الذين يردون صريح القرآن لهم حرمة أهل القبلة في الوقت الذي يستيحيون فيه كل حرمة لأهل القبلة، وكأن سنّة النبي صلى الله عليه وسلم ليس لها حرمة، وأهل بيته من أزواجه الطاهرات ليس لهنّ حرمة، وأعراض أصحابه ليس لها حرمة، حين يجعل أولئك المخالفون ثقافتهم بما فيها أورادهم قائمة على الطعن بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيم من استباح دماء الخلفاء الراشدين التي سفكت ظلماً، ودماء الكثير من علماء وحفاظ وقراء أمة الكتاب والسنّة في هذا العصر ليس لها حرمة، فأى خداع وتليبس وغش هذا الذي يقوم به هذا الصنف التائه المفتون، وأي بلاء جلبه هؤلاء المفلسون على عقيدة أمة الكتاب والسنّة وأمنها ووحدتها صفها؟!!

قال شيخ الإسلام: ولهذا قال من قال: لو قيل: من أجهل الناس؟ ل قيل: الرافضة، حتى فرضها بعض الفقهاء مسألة فقهية: فيما إذا أوصى لأجهل الناس قال: هم الرافضة، لكن هذه الوصية باطلة، فإن الوصية والوقف لا يكونان معصية بل على جهة لا تكون مذمومة في الشرع، والوقف والوصية للأجهل يجعل الأجهلية والبدعية موجبة للاستحقاق، فهو كما لو أوصى لأكفر الناس، أو للكفار دون المسلمين، بحيث يجعل الكفر شرطاً في الاستحقاق، فإن هذا لا يصح.

ولكن في هذا العصر فإنّ من لا يُحذّر من خطورة أعداء الصحابة، فهو لا يقل جهلاً من هؤلاء الذين يعملون لعقائدهم الفاسدة بجلد وصراحة وقوة، فمن يصمت عن مكائدهم وأخطارهم وأطماعهم، فهو متهم في فهمه أو أمانته وولائه للسنة النبوية المطهرة، ومن هؤلاء من لا زال يُفتي بعدم جواز البحث فيما يُعين أبناء أمة الكتاب والسنة على معرفة حقيقة من استهدف الراشدين ﷺ واستعمل في ذلك الباطنية والمكر والغدر، لتمزيق الوحدة وتشويه السنة، وتزيين الفتنة وتجميل رعاتها ودعاتها وأدواتها، فكانت نتيجة هذه الفتاوى تضليل الكثير من أبناء الأمة وتجهيلهم في هذه المسائل، والإسهام في إقرار ثقافة أعداء الصحابة، والمعاونة على نشرها بين عامة الأمة دون عوائق، مادامت فتاوى من يزعم حماية السنة لا تقدم الصحيح لما حصل، ولا تعالج تلك المرحلة بما يفيد الأمة فيما جرى في عصر الصحابة، ولا تجيز معرفة البحث عن الحقيقة لأن هناك من قال في مرحلة من المراحل التي لم يكن فيها لأعداء الصحابة صولة عسكرية ولا سياسية ولا ثقافية أو إعلامية، قال: بالإمساك عما شجر بين الصحابة لمصلحة كانت واضحة في زمانها، فأصبحت هذه الفتاوى اليوم وبمساندة الفهم السقيم لبعض المنتسبين إلى السنة، عوناً لتمدد عقيدة أعداء الصحابة، إلى الحد الذي مكنهم من امتطاء حركات إسلامية، ربما قامت في الأصل بقصد إحياء السنة ونصرة أهلها وحماية عقيدتها، لكن تلك الجماعات لم تُثقف أبناءها على فهم العقيدة وحماية أمن الأمة الفكري والثقافي، فسخرها أعداء الصحابة لخدمة أهدافهم وسياساتهم الرامية إلى محاصرة أمة الكتاب والسنة، من خلال الإمساك بقرون بعض قيادات تلك الحركات، لزلزلة عقيدتها وتمزيق وحدتها، ولعل الواقع يصدق هذا وغيره لكل ذي بصيرة ينظر إلى الأحداث بموضوعية ونباهة وإنصاف، والعجيب أن الكثير من قادة تلك الحركات وأصحاب تلك الفتاوى لا جهد لهم ولا ثقافة في هذا الميدان إلا من رحم الله منهم في بعض الجهود الفردية، ومع ذلك فهم يُفتون فيها ويدعون الناس إلى طاعتهم، حتى لو سُوّهت عقيدتهم وقُتل أبناءهم، وانتهكت أملاكهم وضاعت بلادهم، وعلا عليهم أعداؤهم، وهذا هو العجب الذي لا يقرّه العقل السليم ولا الدين الصحيح.

فالحق في هذا الميدان يدعو إلى أن يتعاون الجميع على إيجاد ثقافة موحدة، توضح خطورة ما حصل للصحابة، ومعرفة من قتلهم؟ ولماذا قتلوا؟ ومن ورث آثام وأفكار أولئك القتلة وثقافتهم؟ وماذا يفعلون في هذا العصر؟ وأين ينتشرون؟ ومن يتعاون معهم ويسمع لهم بين أبناء أمة الكتاب والسنة؟ وذلك لردم الهوة، وترميم الحصون، وسد الذرائع الفاسدة، ولا شك أن كل من يتخلف عن هذا الجهاد وهو قادر على الخوض فيه، فهو من القاعدين الآثمين المشاركين في التمكين للباطل وأهله في بلاد المسلمين.

قال شيخ الإسلام: وكون أبي بكر رضي الله عنه كان موالياً للنبي صلى الله عليه وآله أعظم من غيره، أمر علمه المسلمون والكفار والأبرار والفجار، حتى أني أعرف طائفة من الزنادقة كانوا يقولون: إن دين الإسلام اتفق عليه في الباطن النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر وثالثهما عمر، لكن لم يكن عمر مطلعاً على سرهما كله، كما وقعت دعوة الإسماعيلية الباطنية والقرامطة، فكان كل من كان أقرب إلى إمامهم كان أعلم بباطن الدعوة، وأكثر لباطنها من غيره. ولهذا جعلوهم مراتب: فالزنادقة المنافقون لعلمهم أن أبا بكر رضي الله عنه أعظم موالاة واختصاصاً بالنبي صلى الله عليه وآله من غيره، جعلوه ممن يطلع على باطن أمره ويكتمه عن غيره، ويعاونه على مقصوده، بخلاف غيره.

فمن قال: إنه كان في الباطن عدوه كان من أعظم أهل الأرض فريةً وكذباً - كما يقول ذلك أعداء الصحابة متسترين في ذلك بالانتصار لعلي رضي الله عنه - قال أبو العباس: ثم إن قائل هذا - الذي يزعم حب علي رضي الله عنه - إذا قيل له مثل هذا في علي رضي الله عنه وقيل له: إنه كان في الباطن معادياً للنبي صلى الله عليه وآله وإنه كان عاجزاً في ولاية الخلفاء الثلاثة عن إفساد ملته، فلما ذهب أكابر الصحابة رضي الله عنهم وبقي هو طلب حينئذ إفساد ملته وإهلاك أمته، ولهذا قتل من المسلمين خلقاً كثيراً، وكان مراده إهلاك الباقيين لكن عجز، وإنه بسبب ذلك انتسب إليه الزنادقة المنافقون المبغضون للرسول صلى الله عليه وآله كالقرامطة والإسماعيلية والاثني عشرية وأمثالهم فلا تجد عدواً للإسلام إلا وهو يستعين على ذلك بإظهار موالاة علي رضي الله عنه استعانة لا تمكنه بإظهار موالاة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أجمعين.

فأعداء الصحابة يطعنون بأبي بكر رضي الله عنه بالانتقاص والشتيم، ويطعنون بعلي رضي الله عنه بالتفخيم والتعظيم ووصفه بصفات الألوهية، وهذا أشد من الطعن بالشتيم والانتقاص، وهم في كل ذلك يهدفون إلى جرّ الأمة نحو مواطن الخلاف والفتنة، واستثارة من يبحث عن تهم يلصقها بعلي رضي الله عنه لتسكير الفتن في أمة الكتاب والسنة، وليأخذوا مواضعهم الهدامة تحت مظلة الدفاع عن علي رضي الله عنه وهم يهاجمون أمته وعقيدته وإخوته أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أنهم في الطعن في خلافة أبي بكر يريدون استفزاز البعض للطعن بخلافة أخيه علي رضي الله عنه وذلك أن الشبهة في دعوى موالاته علي رضي الله عنه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أعظم من الشبهة في دعوى معاداة أبي بكر رضي الله عنه وكلاهما باطل معلوم الفساد بالاضطرار، لكن الحجج الدالة على بطلان هذه الدعوى في أبي بكر رضي الله عنه أعظم من الحجج الدالة على بطلانها في حق علي رضي الله عنه فإذا كانت الحجة على موالاته علي رضي الله عنه صحيحة والحجة على معاداته باطلة، فالحجة على موالاته أبي بكر رضي الله عنه أولى بالصحة والحجة على معاداته أولى بالبطلان، ومع هذا طعنوا في ولاء الصديق تزييفاً وتمويهاً! فاستعملوا شبهات التعظيم مع علي رضي الله عنه لجعله فوق البشر - مُشَرَّعاً من دون الله، وهذا وجه آخر من وجوه التلبيس الذي يموهون به على الصحابة رضي الله عنهم فهم يضعون لكل صحابي ما يتناسب مع موقعه من الشبهات المكذبة للكتاب والسنة، فالذكي يتهمونه بالتحايل والكذب، والحليم بالبلادة وقلة الفهم، والشجاع بالجبروت والظلم، والعالم بالتحريف والتزييف، وقرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتقديس أو التأليه ورفعهم فوق مستويات البشر، وهكذا يصنعون لكل فرية ما يناسبها في تشويه سيرة الصحابي وتنفير الناس منه ودعوتهم إلى التدين ببعضه والعمل الدائم على طمس ما جاء به الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكتاب والسنة، فلم يعد أمام عقلاء أمة الكتاب والسنة إلا كشف أي مصدر علمي أو تحالف سياسي أو اقتصادي أو إعلامي أو غير ذلك لهم فيه يد أو قول، وفضحه وتحذير أمتهم منه ومن يتعامل معه.

الثالث: أن قول الرافضي: (استصحبته حذراً من أن يظهر أمره) كلام من هو من أجهل الناس بما وقع، هذا إن كان جاهلاً، وإن كان مفترياً فكذبه مفضوح؛ فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خروجه من مكة كان ظاهراً عرفه أهل مكة، وأرسلوا الطلب، فإنه في الليلة التي خرج فيها عرفوا في

صبيحتها أنه خرج، وانتشر ذلك، وأرسلوا إلى أهل الطرق يبذلون الدية فيه ﷺ وفي أبي بكر ﷺ بذلوا الدية لمن يأتي بأبي بكر، فأى شيء كان يخاف ﷺ؟ وكون المشركين بذلوا الدية لمن يأتي بأبي بكر، دليل على أنهم كانوا يعلمون موالاته لرسول الله ﷺ وأنه كان عدوهم في الباطن، ولو كان معهم في الباطن لم يفعلوا ذلك، وأعداء الصحابة يعلمون ذلك جيداً لكنه بغضهم لهذا الدين وللعاملين له.

الرابع: أنه إذا خرج ليلاً، كان وقت الخروج لم يعلم به أحد، فما يصنع بأبي بكر واستصحابه معه؟ فإن قيل: فلعله علم خروجه دون غيره كما يفترى أعداء الصحابة؟

قيل: أولاً: قد كان يمكنه أن يخرج في وقت لا يشعر به، كما خرج في وقت لم يشعر به المشركون، وكان يمكنه أن لا يعينه، فكيف أن أبا بكر استأذنه في الهجرة، فلم يأذن له حتى هاجر معه، والنبى ﷺ أعلمه بالهجرة في خلوة.

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: قال أبي: يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما ليلة سريت مع النبي ﷺ؟ قال: نعم سرينا ليلتنا كلها، ومن الغد، حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق، فلا يمر بنا فيه أحد... الحديث. وأتبعنا سراقه بن مالك. قال: ونحن في جلد من الأرض. فقلت يا رسول الله: أتينا. فقال: لا تحزن إن الله معنا... قال: فقدمنا المدينة، فتنازعوا أيهم ينزل عليه. فقال رسول الله ﷺ: " أنزل على بني النجار أخوال عبد المطلب، أكرمهم بذلك " فصعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم في الطرق، ينادون: يا محمد يا رسول الله، يا محمد يا رسول الله ﷺ^(١).

- وشبهة الرافضي في قوله: وإن كان حزن أبا بكر ﷺ طاعة استحالة نهي النبي ﷺ عنه، وإن كان معصية كان ما ادّعوه فضيلة رذيلة.

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب في حديث الهجرة، ح (٥٣٢٩).

- الجواب: أن الفضيلة ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية ٤٠)
 فالفضيلة كونه هو الذي خرج مع النبي ﷺ في هذه الحال، واختصّ بصحبته، وكان له كمال الصحبة مطلقاً وقول النبي ﷺ له: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وما يتضمنه ذلك من كمال موافقته للنبي ﷺ ومحبته وطمأنينته، وكمال معونته للنبي ﷺ وموالاته، ففي هذه الحال من كمال إيمانه وتقواه هو الفضيلة وكمال محبته ونصره للنبي ﷺ هو الموجب لحزنه خوفاً على سلامة رسول الله ﷺ إن كان حَزَنَ مع أن القرآن لم يدل على أنه حَزَنَ كما تقدم، وكل هذا يُظهرُ الحقدَ الكامن في أعماق أعداء الصحابة على أبي بكر الصديق ﷺ.

قال أبو محمد بن حزم: وأما حزن أبي بكر ﷺ فإنه قبل أن ينهاه رسول الله ﷺ عنه كان غاية الرضا لله فإنه كان إشفاقاً على رسول الله ﷺ ولذلك كان الله معه، وما حَزَنَ أبو بكر قط بعد أن نهاه رسول الله ﷺ عن الحزن^(١) لأنه اطمأن على سلامة نبيه ﷺ ولو كان لأعداء الصحابة حياء أو علم لم يأتوا بمثل هذا الترهات ويُدرِّسونها لأتباعهم، إذ لو كان حزن أبي بكر ﷺ عيباً عليه، لكان ذلك على محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام عيباً، لأن الله تعالى قال لموسى عن حاله مع السحرة: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (طه: ٦٧) ﴿قُلْنَا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه: ٦٨)

فهذا موسى رسول الله وكليمه عليه السلام كان قد أخبره الله عز وجل بأن فرعون وملاه لا يصلون إليها، وأنه هو الغالب، ثم أوجس في نفسه خيفة بعد ذلك... فإيجاس موسى لم يكن إلا لنسيانه الوعد المتقدم وحزن أبي بكر ﷺ كان قبل أن يُنهي عنه.

وأما محمد ﷺ فإن الله قال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ (لقمان: من الآية ٢٣) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل: من الآية ١٢٧) وقال تعالى: ﴿فَلَا

(١) ابن حزم، الفصل، ٤ / ٢٢١. ينظر: منهاج السنة، ٨ / ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨.

يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ ﴿يَس: من الآية ٧٦﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ (فاطر: من الآية ٨) وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ (الأنعام: من الآية ٣٣) فقد أخبرنا أنه يعلم أن رسوله يُحزنه الذي يقولون ونهاه عن ذلك، فيلزمهم في حزن رسول الله ﷺ كالذي أوردوا في حزن أبي بكر سواء، ونعلم أن حزن رسول الله ﷺ بما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله قبل أن ينهاه الله كما كان حزن أبي بكر طاعة لله قبل أن ينهاه عنه وما حزن الصديق ﷺ بعد ما نهاه النبي ﷺ عن الحزن، فكيف وقد يمكن أن أبا بكر ما حزن يوماً؟ لكن نهاه ﷺ عن أن يكون منه حزن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ (الإنسان: من الآية ٢٤).

- ويقال: عامة عقلاء بني آدم إذا عاشر أحدهم الآخر مدة يتبين له صداقته من عداوته، فالرسول ﷺ يصحب أبا بكر ﷺ بمكة بعد البعثة بضع عشرة سنة، ولا يتبين له هل هو صديقه أو عدوه، وهو يجتمع معه في دار الخوف؟! وهل هذا إلا قَدْحٌ في الرسول ﷺ؟ ثم يقال: جميع الناس كانوا يعرفون أنه أعظم أوليائه من حين المبعث إلى الموت فإنه أول من آمن به من الرجال الأحرار، ودعا غيره إلى الإيمان به حتى آمنوا، وبذل أمواله في تخليص من كان آمن به من المستضعفين، وكان يخرج معه ﷺ إلى الموسم فيدعو القبائل إلى الإيمان به ويأتي النبي ﷺ كل يوم إلى بيته ﷺ: إما غدوة وإما عشية، وقد آذاه الكفار على إيمانه، حتى خرج من مكة فلقبه ابن الدغنة أمير من أمراء العرب سيد قبيلة القارة وقال: إلى أين؟ وقد تقدّم حديثه. فهل يشك من له أدنى مسكة من عقل أن مثل هذا لا يفعله إلا من هو في غاية الموالية والمحبة للرسول ﷺ ولما جاء به؟ وإن موالاته ومحبته بلغت به إلى أن يعادي قومه، ويصبر على أذاهم، وينفق أمواله على من يحتاج إليه من إخوانه المؤمنين؟ وقد صبر ﷺ على أذى المعادين، وبذل الأموال في موافقته، من غير أن يكون هناك داع يدعو إلى ذلك من الدنيا، لأنه لم يحصل له بموافقته في مكة شيء من الدنيا: لا مال ولا رياسته، ولا غير ذلك، بل لم يحصل له من الدنيا إلا ما هو أذى ومحنة وبلاء، حتى قال ﷺ: (ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه، ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله به يوم القيامة، و (لا) نفعني مال

أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تأخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله^(١).

فمن يتهم إخلاص الصديق ﷺ إنما هو من أعظم الناس تنقصاً لرسول الله ﷺ وطعناً فيه، وقدحاً في معرفته؟! ومن تتبع هذه الشبهات التي يدين بها الرافضة تبين أن أصل الرفض إنما أحدثه زنديق يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر غرضه إبطال دين الإسلام، والقدح في رسول الله ﷺ كما قد ذكر ذلك العلماء، فكان اليهودي عبد الله بن سبأ مؤسس عقيدة عداوة الصحابة؛ لما تظاهر بالإسلام، مبتغياً إفساده بمكره وخبثه، كما فعل بولص بدين النصراري^(٢)، فأظهر النُسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة مقتل عثمان ﷺ ودبر قتله غيلة في بيته وبين أوراق مصحفه، ثم لما قدم الكوفة أظهر الغلو في علي ﷺ والنص عليه، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك علياً ﷺ فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسياء^(٣) وخبره معروف، وقد ذكره غير واحد من العلماء، وإلا فمن له أدنى خبرة بدين الإسلام، يعلم أن مذهب عداوة الصحابة مناقض للإسلام، ولهذا كانت الزنادقة الذين قصدهم إفساد الإسلام يأمرون بإظهار حب آل البيت والدخول إلى مقاصدهم في إفساد الإسلام.

قال القاضي أبو بكر بن الطيب: وقد اتفق جميع أعداء الصحابة وكل مصنف لكتاب ورسالة منهم، في ترتيب الدعوة المصلحة، على أن من سبيل الداعي إلى دينهم ورجسهم، المجانب لجميع أديان الرسل والشرائع أن يجيب الداعي إليه الناس بما يبين وما يظهر له من أحوالهم ومذاهبهم، وقالوا لكل داع لهم إلى ضلالتهم أن يحدث كل من يجده من الناس بما يوافق فهمه واعتقاده فعليه

(١) سنن الترمذي: ح (٣٦٦١) قال الألباني: صحيح. الموطأ رواية محمد بن الحسن: (٩٤٤).

(٢) ينظر ابن القيم: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، فصل: بولس أول من ابتدع اللاهوت والناسوت في شأن المسيح ﷺ.

(٣) بلدة على شاطئ الفرات عند ملتقى مصب نهر الخابور على نهر الفرات، مقابل منطقة الميادين من ديار الزور في العربية السورية. والمشهور أنه هرب منه إلى المدائن وهي جنوب بغداد بحوالي ثلاثين كم.

أن يوافق المسلم واليهودي والنصراني والوثني والثنوي، ولهذا ابتكروا وسائل لدعاتهم تتوافق مع فهم واعتقاد أبناء كل هذه الملل^(١) ولكنها وللأسف لا تعمل إلا عند عوام أهل السنة لإهمال علمائهم وغفلة أمنائهم.

ولما كان الصديق ﷺ هو إمام الأمة وقائدها في قتال المرتدين، أصبح هو ومن ورائه أمة الكتاب والسنة أعداءهم المشهورين، واستجابة لروح العداوة هذه وثقافة الحقد التي يدينون بها افتروا مثل هذه الأباطيل على أعظم مؤمن سار على وجه الأرض بعد الأنبياء، بل لو انفرد الرجل في بعض الأمصار والأعصار بحق جاء به الرسول ﷺ ولم تنصره الناس عليه فيان الله معه، وله نصيب من قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ فإن نصر الرسول ﷺ هو نصر- دينه الذي جاء به حيث كان، ومتى كان، ومن وافقه فهو صاحبه عليه في المعنى فإذا قام به ذلك صاحب كما أمر الله، فإن الله مع ما جاء به الرسول ﷺ ومع ذلك القائم به، وهذا المتبع له حسب الله، وهو حسب الرسول ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٢) وعلى هذا يكون الصديق ﷺ هو إمام الأمة في نصرته رسول الله ﷺ وصحبه ودعوته وهو المؤمن على الأمة من بعده وكل من عمل على نصرته الإسلام إنما لأبي بكر ﷺ سهم من الأجر في تلك النصره، لأنه لم يدع باباً ينصر الدين إلا وجاهه ﷺ دون أي مبالاة بالمخاطر التي تواجهه، حتى تعلم المؤمنون من سيرته كيف تكون نصرته الأنبياء ودين الأنبياء، وكيف يكون تحمل الأمانة بأمانة تامة، والانطلاق بها إلى مواضعها الحققة كما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ.

ولعله من المفيد أن يضاف إلى ما سبق، أن غضب أعداء الصحابة من حزن أبي بكر وإشفاقه على رسول الله ﷺ عندما حاصرهما المشركون في الغار، أن ذلك يناقض أمانيتهم التي ودوا فيها لو

(١) ينظر: منهج السنة، ٨ / ٤٨٠ - ٤٨٥، وقال: إن الملاحدة من الباطنية إنما يظهرون التشيع، وهم في الباطن أكفر من اليهود والنصارى، فدل ذلك على أن هذا الفكر والمعتقد هو دهليز الكفر والنفاق. وينظر: الغزالي، فضائح الباطنية، ٤٣ فما بعدها.

أنّ قریشاً نجحت في القبض عليهما وأفشلت هجرتهما، لهدم الأساس الذي ستبنى عليه دولة الإسلام، ولتمكنهم من وأد دعوة الإسلام والقضاء على رسول الله ﷺ وصاحبه قبل نجاحهما في إيجاد أرض تحكم بشرع الله تعالى، إذا أن ذلك هو الخطر الأكبر على أصحاب الأهواء والمشرعين الشرائع من عند أنفسهم، كما هو حال أعداء الصحابة وتعلقهم باليهود والصليبيين وغيرهم، في العمل على مواجهة أي نشاط إسلامي صحيح، يعمل على إيجاد أرض يحكم بها المسلمون أنفسهم بشرع الله تعالى، ولما لم يحصل هذا ونجح رسول الله ﷺ وصاحبه من الإفلات من شرك المشركين، باشر أعداء الصحابة في إيجاد منهجية جديدة لمحاربة الإسلام من الداخل، وإنشاء الأفكار والحركات الهدامة التي تعمل على تشويه العقيدة وتجنيد الجهلة والغوغاء والحاقدين على حرب الإسلام وأهله، وبكل الصور والأشكال المتاحة، وهذا ما تدفع أمة الكتاب والسنة ثمنه في هذا العصر الذي استشرى فيه التحالف بين أعداء الصحابة وعامة أعداء الأمة الآخرين، وعملهم الدؤوب للحيلولة دون نجاح فكر الهجرة مرة أخرى في التأسيس لدولة الإسلام التي تنشر التوحيد والعدل والرحمة في العالمين.

وأعداء الصحابة يعلمون كل مقامات الصديق ﷺ التي أقرها له النبي ﷺ وأشار إليها لتفقهها أمته، فهاهم الروافض يجتمعون عند قبر النبي ﷺ فيعلنون ما في صدورهم حين أمنوا الرقيب، فقالوا ما يوضح معتقدتهم الفاسد على وجهه من غير تدليس وباطنية! كما جاء وصف ذلك في نونية ابن القيم رحمه الله حين قال واصفاً حوارهم:

يا قوم والله العظيم أساتم	بأئمة الإسلام ظن الشان
ما ذنبهم ونبهم قد قال ما	قالوا كذلك منزل الفرقان
ما الذنب إلا للنصوص لديكم	إذ جسمت بل شبهت صنغان
ما ذنب من قد قال ما نطقت به	من غير تحريف ولا عدوان
هذا كما قال الخبيث لصحبه	كلب الروافض أخبث الحيوان
لما أفاضوا في حديث الرفض	عند القبر لا تخشون من إنسان

يا قوم أصل بلائكم ومصابكم
 كم قدم ابن أبي قحافة بل غدا
 ويقول في مرض الوفاة يَوْمُكُمْ
 ويظل يمنع من إمامة غيره
 ويقول لو كنت الخليل لواحد
 لكنه الأخ والرفيق وصاحبي
 ويقول للصدّيق يوم الغار لا
 الله ثالثنا وتلك فضيلة
 يا قوم ما ذنب النواصب بعد ذا
 فتفرقت تلك الروافض كلهم
 وكذلك الجهمي ذاك رضيهم
 ثوبان قد نسجا على المنوال يا
 والله شر منهنما فهما على
 من صاحب القبر الذي قال هذا القول، والمعنى أنّ هذا
 الرافضي قال لأصحابه لما أفاضوا في حديثهم عند القبر المكرم ﷺ: يا قوم أصل بلائكم ومصابكم
 من صاحب هذا القبر ﷺ لأنّه كم قدّم ابن أبي قحافة يعني أبا بكر الصديق ﷺ ويثني عليه ويقول

(١) خرج عبد الله بن زمعة من حجرة النبي ﷺ في بداية مرضه ﷺ فلم ير الصديق ﷺ فقال لعمر ﷺ صلّ بالناس، فظن
 عمر أن ذلك بأمر النبي ﷺ فكبر فلما سمع النبي ﷺ صوت عمر ﷺ يصلي بالمسلمين، قال ابن زمعة: (فخرج النبي ﷺ
 حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال " لا لا لا ليصل للناس ابن أبي قحافة " يقول ذلك مغضباً) سنن أبي داود: ح
 (٤٦٦١) قال الألباني: صحيح.

في مرض موته: يؤمكم أبو بكر، ويمنع من إمامة عمر رضي الله عنه ويقول: لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ويقول للصدّيق رضي الله عنه يوم الغار: لا تحزن إن الله معنا وتلك فضيلة ما حازها إلا فتى عثمان يعني أبا بكر رضي الله عنه فإنه عبد الله بن عثمان وعثمان هو أبو قحافة، فيقول ذلك الرافضي لأصحابه: ما ذنب النواصب بعد هذا، أي فإن الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي قدّم أبا بكر رضي الله عنه فلا لوم على النواصب^(١) ويقصد بالنواصب أمة الكتاب والسنة، ذلك أنهم لم يبايعوا علياً رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله فهم ناصبوه العداً بزعمهم وكما هو ظاهر في أورادهم وصلواتهم وسائر عباداتهم، معارضين بيعة علي رضي الله عنه لخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه متكتمين عليها منكرين لها، ولنصرة علي رضي الله عنه لخليفته الذي واجه الردة بعزم لا يلين، نال إعجاب وتقدير وثناء الصحابة أجمعين رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، وصالحى هذه الأمة إلى يوم الدين، منكرين لقوله تعالى في وصف حال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمة المؤمنين في الدنيا وفي جنات النعيم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧) ومتغافلين عن قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (هود: ٥).

(١) أحمد بن إبراهيم بن عيسى: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ هـ، ٤٨٢/١.

المبحث الثاني

ومن شبهات أعداء الصحابة إنكارهم لخصائص أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الكتاب والسنة

معية الله للنبي صلى الله عليه وسلم ولصاحبه أبي بكر رضي الله عنه

- قال شيخ الإسلام في معرض رده على مستشار هولاءكو زعيم الشر- الوثني في تدمير بغداد عاصمة الخلافة عام ٦٥٦ هـ، ذلك المستشار الرافضي الذي عمل كل ما في وسعه هو وأتباعه على تشويه فضائل أبي بكر رضي الله عنه التي وردت في القرآن والسنة، وسيرته العطرة التي جاءت في الصحاح والسنن والتاريخ^(١).

- وجاء في كلام هذا المفتري من الأكاذيب والبُهت ما لا يُعرف مثله لطائفة من طوائف المسلمين، ولا ريب أن الرافضة فيهم شبه قوي من اليهود، فإنهم قوم بهت، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢) وظهر فضائل شيخي الإسلام ووزير محمد صلى الله عليه وسلم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أظهر بكثير عند كل عاقل من المؤمنين من فضل غيرهما، ف يريد أعداء الصحابة قلب الحقائق، ليتأكد نصيبهم من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصُّدُقِ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (الزمر: ٣٢) وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ﴾ (يونس: ١٧) ونحو هذه الآيات، فإن القوم من أعظم الفرق تكذيباً بالحق، وتصديقاً بالكذب، وليس في الأمة من يماثلهم في ذلك، وقد بلغ من جحود هذا المفتري أن يكذب القرآن صراحة ويزعم كاذباً بأنه:

- لا فضيلة لخليفة رسول الله في الغار. وبما أن أعداء الصحابة حُرِّموا فضيلة الحياء منذ أن جاهروا ببغضهم لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأصبحوا يكذبون القرآن ويردون السنة ولا يباليون بشيء

(١) ينظر: منهاج السنة، ٨ / ٣٦٤ - ٣٧١.

من العلم، حسداً وكراهية أن يعرف الناس الآيات التي تثني على الصحابة وتقول لهم أنه لا إسلام إلا عن طريقهم لأنهم هم الصلة الوحيدة بين الناس وبين رسول الله محمد ﷺ وأن أبا بكر ﷺ هو إمام الصحابة في كل ذلك، وأن فضيلته في الغار ظاهرة بنص القرآن. لقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) فأخبر الرسول ﷺ أن الله معه ومع صاحبه، كما قال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: من الآية ٤٦) وعن أنس بن مالك ﷺ عن أبي بكر الصديق ﷺ قال وهما في الغار: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا. فقال النبي ﷺ: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)^(١) وهذا الحديث مع كونه مما اتفق أهل العلم بالحديث على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق، ولم يختلف في ذلك اثنان منهم، فهو مما دل القرآن على معناه، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ والمعية في كتاب الله على وجهين: معية عامة، ومعية خاصة.

فالعامة كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: من الآية ٤). وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة: من الآية ٧) فالله تعالى عالم بهم لا يخفى عليه منهم خافية. وكذلك قوله لموسى وهارون ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: ٤٦) فإنه معهما بالنصر والتأييد والإعانة على فرعون وقومه، وكذلك قول النبي ﷺ لصديقه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يدل على أنه موافق لهما بالمحبة والرضا فيما فعلاه، وهو مؤيد لهما ومعين وناصر، وهذا صريح في مشاركة الصديق للنبي ﷺ في هذه المعية التي اختص بها الصديق ولم يشركه فيها أحد وهذه معية الاختصاص ومعلوم أن نصر-

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر، ح (٣٣٧٩). صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، ح (٤٣٨٩).

الله نصر إكرام ومحبة، وهذا غاية المدح لأبي بكر المقتضي نصر الله له مع رسوله ﷺ في مثل هذه الحال التي يبين الله تعالى فيها غناه عن الخلق. فقال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا ثَيْنِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) فهذه المعية لم تثبت لغير أبي بكر ﷺ وهذه الفضيلة التي خلدت لأبي بكر صحبته لرسول الله ﷺ ورعاية الله لهما في تلك الرحلة منتهى الفضل ومنتهى الخصوصية التي تلجم الراضية وتظهر حربهم على الله تعالى ورسوله ﷺ وخليفته أبي بكر ﷺ.

وكذلك قوله ﷺ: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما) فلما تولى أبو بكر الخلافة صاروا يقولون: خليفة رسول الله؛ فيضيفون الخليفة إلى رسول الله ﷺ المضاف إلى الله تعالى، تحقيقاً لقوله: إن الله معنا، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، ثم لما تولى عمر الخلافة صاروا يقولون: أمير المؤمنين، فانقطع الاختصاص الذي امتاز به أبو بكر ﷺ ولما أخبر سبحانه وتعالى في المعية أنه رابع الثلاثة، وسادس الخمسة، قال النبي ﷺ: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما) فإنه لما كان معها كان ثالثهما، كما دل القرآن على معنى الحديث الصحيح، وإن كانت هذه معية خاصة، وتلك عامة.

وأما المعية الخاصة: كقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: من الآية ٤٦) فهذا تخصيص لهما دون فرعون وقومه، فهو مع موسى وهارون دون فرعون. وكذلك لما قال النبي ﷺ لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ كان معناه: إن الله معنا دون المشركين الذين يعادونها ويطلبونها كالذين كانوا فوق الغار، ولو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصر ما تحت قدميه وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨) فهذا تخصيص لهم دون الفجار والظالمين، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية ١٥٣) تخصيص لهم دون الجازعين. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ (المائدة: من الآية ١٢) وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الأنفال: من الآية ١٢).

ولفظ (مع) في لغة العرب إنما يدل على المصاحبة والموافقة والاقتران، كقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: من الآية ٢٩) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩) وقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (الأعراف: من الآية ٦٤) وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الحشر: ١١) وقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَائِرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التوبة: ٨٨).

ومثل هذا كثير في كلام الله تعالى، وسائر الكلام العربي. ولفظ المعية يكون كما يليق بجلال الله سبحانه. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) وسياق الكلام أوله وآخره يدل على معنى المعية، فقول النبي صلى الله عليه وسلم لصديقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يدل على أنه موافق لهما بالمحبة والرضا فيها فعلا، وهو مؤيد لهما ومعين وناصر. وهذا صريح في مشاركة الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه المعية التي اختص بها الصديق، لم يشاركه فيها أحد من الخلق. والمقصود هنا أن قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ هي معية الاختصاص، التي تدل على أنه معها بالنصر- والإعانة على عدوهم فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن الله ينصركم وينصركم يا أبا بكر على عدونا ويعيننا عليهم، ومعلوم أن نصر الله نصر إكرام ومحبة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ- رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١) وهذا غاية المدح لأبي بكر رضي الله عنه ومنتهى الإرغام لأعدائه الرافضين لخلافته، ودل ذلك على أنه ممن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالإيمان، المقتضي- نصر الله له مع رسوله صلى الله عليه وسلم وكان متضمناً شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم له بكمال الإيمان المقتضي نصر- الله له مع رسوله في مثل هذه الحال التي بين الله فيها غناه عن الخلق، فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) ولهذا قال سفيان بن عيينة وغيره: إن الله عاتب الخلق جميعهم في نبيه إلا أبا

بكر ﷺ وقال: من أنكر صحبة أبي بكر فهو كافر، لأنه كذب القرآن. وقال طائفة من أهل العلم: هذه المعية الخاصة لم تثبت لغير أبي بكر ﷺ وكذلك قوله: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما) بل ظهر اختصاصهما في اللفظ كما ظهر في المعنى. فكان يقال للنبي ﷺ: محمد رسول الله ﷺ فلما تولى أبو بكر ﷺ بعده صاروا يقولون: (خليفة رسول الله) فيضيفون الخليفة إلى رسول الله ﷺ المضاف إلى الله تعالى، والمضاف إلى المضاف مضافاً تحقيقاً لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ و﴿ما ظنك باثنين الله ثالثهما﴾ ثم لما تولى عمر ﷺ الخلافة صاروا يقولون: (أمير المؤمنين) فانقطع الاختصاص الذي امتاز به أبو بكر ﷺ عن سائر الصحابة ﷺ.

وكل ذلك يُثبت كذب أعداء خليفة رسول الله، وبعدهم عن العلم والموضوعية والإنصاف، حينما ينكرون فضائل الصديق ﷺ ويحذونها، ذلك الجحود الذي يقود أصحابه إلى جحود القرآن الكريم، وإنكار الواقع المعلوم الذي كانت عليه الأمة، وبعد كل هذه الأدلة على معية الله تعالى لرسوله ﷺ وخليفة رسوله لم يبق أمام الرافضين لخلافة رسول الله ﷺ والغوغاء التي تجترُّ بهتانهم سوى الإقلاع عن إفكهم والعودة إلى الحق وأهله أو الاستمرار في مناطحة حقائق القرآن والواقع الذي عاشته الأمة وما يقود ذلك أصحابه إلى الهلاك والخروج عن الثوابت، وما هو معلوم من الدين ومعلوم في الدنيا؛ إلى التيه والزندقة والردة التي كان يقودها مسيلمة الكذاب وجنده الأشرار.

- وحول موقف أعداء الصحابة من قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنَ﴾: فإنهم لا يريدون أن يسمع الناس بتنويهات القرآن الكريم عن عظمة دور خليفة رسول الله، لأن ذلك يُبطل سحرهم ويسقط مكرهم؛ فيشوشون على فضائله ﷺ للتلبيس على المذبذبين ومن يسمع لهم، فعلى الرغم من أن الموقف موقف خوف وليس بموقف حزن لم يرد في الآية الكريمة أن أبا بكر ﷺ كان خائفاً وإنما ورد فيها ذكر الحزن، والحزن غير الخوف. الحزن على أمر واقع، والخوف من أمر متوقع. فما يروجونه في ثقافتهم بأن الصديق ﷺ كان خائفاً هذا من تخيلاتهم وإفكهم المكذب لصريح القرآن القائل: ﴿لَا تَحْزَنَ﴾ ومعلوم لدى العقلاء الفرق بين الحزن والخوف، ولكن أبى الله تعالى إلا أن

يبين أن أعداء أبي بكر رضي الله عنه يعاندون القرآن ويرفضون ما فيه من عدالة الصحابة وفضلهم، وحتى لو جاء اللفظ (لا تخف) بدل لا تحزن؛ فليس في ذلك انتقاص لموقف أبي بكر رضي الله عنه لأسباب منها:
 - إن قول النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا يطمس قول المعاندين، لأن معية الله تزيل الخوف والحزن وتورث الأمن واليقين، يظهر ذلك في قوله تعالى لموسى وهارون عليها السلام: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ (طه: من الآية ٤٦) فالله تعالى خاطب موسى عليه السلام وهو من أولي العزم ومعه قومه. بقوله تعالى: ﴿لَا تَخَافَا﴾ فهل كان ذلك عيباً في موسى عليه السلام أم أنه وصف لحالة عارضة تحدث عنها القرآن الكريم.

- فالخوف انفعال نفسي طبيعي لا عيب فيه لذاته، وإنما يذم إذا اقترن به ما يشين مثل الخوف الداعي إلى الفرار من الزحف وما شابه، وكل إنسان يخاف حتى الأنبياء عليهم السلام كما أخبر الله تعالى عن موسى عليه السلام بقوله: ﴿فَقَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾ (الشعراء: من الآية ٢١) ﴿الشعراء، ٢١﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (الشعراء: ١٤) وقوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: من الآية ١٠) وغيرها من الآيات. وكما خاطبت الملائكة لوطاً عليه السلام: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْتِ مِنْ الْغَابِرِينَ﴾ (العنكبوت: من الآية ٣٣)

ومع كل هذه الآيات الصريحة في خطاها يأبى أعداء الصحابة الراضين لخلافة أبي بكر رضي الله عنه إلا أن يكذبوا القرآن ويفسروه كما تشتهيهم أنفسهم وتمليه أحقادهم وبما يخالف مراد القرآن وفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- إن صيغة النهي لا تستلزم وقوع المنهي عنه إلا بدليل منفصل، وذلك كقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ (الكهف: من الآية ٢٨) فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيع من أغفل الله قلبه من المنافقين الراضين لنبوته صلى الله عليه وسلم إن هذا مجرد تحذير لا يستلزم وقوع المنهي عنه! إنما هو الحزن على ما يخشاه صلى الله عليه وسلم أن يقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: من الآية ٨٨) فهل هذا الحزن يعيب

رسول الله ﷺ فكيف يفترى أعداء الصحابة على الله ورسوله ﷺ ويفسرون القرآن على غير حقيقته؛ فيخادعون العامة من قومهم الذين أشبعوهم بالأحقاد على الصحابة وعلى السنة النبوية؛ حتى لم يعد في قواميسهم سوى عداوة أمة السنة وأهلها والعمل الدائم وبكل الوسائل للنيل منهم وسحقهم؛ حتى أغلقوا كل منافذ الحوار لإرشادهم والنصح أو محاولة تبصيرهم بالإسلام، وعلى هذه المفاهيم الباطلة التي يُظهر المخالفون فيها جلد الفجار؛ لإثباتها في عقول أتباعهم الذين لا يملكون حرية التفكير لا في أمور دينهم ولا دنياهم، كما هو ثابت في ثقافتهم ونشاطاتهم العلمية والسياسية وغيرها.

وعلى هذه المناهج الباطلة يسرون ويخططون ويوالون ويعادون، وأمة الكتاب والسنة الذين وهبهم الله تعالى سبل المعرفة الناصعة، لا تجد بينهم تنسيقاً ولا تعاوناً ولا فهماً مشتركاً لأي مسألة في هذا العصر، بل إنهم أسهموا من حيث يعلمون أو لا يعلمون بتقوية شوكة أعداء الصحابة في أكثر من جانب ولا سيما الجانب الاقتصادي؛ فكم ممن يزعم الغيرة على عقيدة الكتاب والسنة، يذهب بأمواله وتجارته وبيعه وشرائه إلى مؤسسة حاقد مشيع بروح الكراهية لأهل الكتاب والسنة فيشتري منه بأريحية لا يتعامل بها مع أبناء ملته، فأى انتساب للسنة النبوية هذا؟! إن لم يكن أكبر من الدرهم والدينار ومن المركب والمطعم، وإن لم يُواجه أعداء الصحابة ببراءة تامة إزاء مواقفهم المعادية للأمة، ويأحياء العمل بعقيدة الولاء والبراء من كل من له موقف مشين من الكتاب والسنة أو من الصحابة ﷺ أو من تابعيهم بإحسان، فإن ثقافة الردّة سيتوسع باطلها على حساب الدين والهوية والمصلحة، وأن كل متهاون أو مُثَبِّطٍ عن مواجهتها سيكون أثماً مُفْرطاً بالعقيدة وبأمن الأمة ووحدة هويتها، فهل الراضون لسنة النبي ﷺ المبغضون لأصحابه ﷺ القاذفون لأهل بيته الأطهار، أهل لما ينالهم من المودة والمساندة الاقتصادية وغيرها، حتى أصبحت آرايتهم هي المهيمنة على مقدرات كثير من البلدان التي يزعم أهلها أنهم من أبناء السنة النبوية!

- ومن خصائصه كمال صحبته لرسول الله ﷺ، فلا نزاع بين أهل العلم بحال النبي ﷺ وأصحابه أن مصاحبة أبي بكر ﷺ له ﷺ كانت أكمل من مصاحبة سائر الصحابة من وجوه كثيرة:

- أحدها: أنه كان أقدم صحبة، فهو صاحبه منذ ما قبل البعثة، وأدوم اجتماعاً به ليلاً ونهاراً وسفراً وحضراً قالت أم المؤمنين: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمض علينا يوم إلا ورسول الله ﷺ يأتينا فيه طرفي النهار. فكان النبي ﷺ في أول الأمر يذهب إلى أبي بكر ﷺ طرفي النهار، والإسلام إذ ذاك ضعيف والأعداء كثير. وهذا غاية الاختصاص في الصحبة التي تستند إلى روح التعاون المطلق والمشاركة في تحمل الأعباء والمسؤوليات.

وأيضاً كان أبو بكر ﷺ يسمر عند النبي ﷺ بعد العشاء يتحدث معه في أمور المسلمين، دون غيره من الصحابة، وأيضاً كان النبي ﷺ إذا استشار أصحابه أول من يتكلم أبو بكر ﷺ في الشورى، وربما تكلم غيره وربما لم يتكلم غيره، فيعمل برأيه وحده، فإذا خالفه غيره اتبع رأيه دون رأي من يخالفه^(١) كما في أسرى بدر، وكما في يوم الحديبية وغير ذلك .

ومن خصائصه اللطيفة موافقة رسول الله ﷺ له في مشاوراته وفي معالجته للأحداث، فبلغ من ذلك أن قال النبي ﷺ: لأبي بكر وعمر: (لو اجتمعتم في مشورة ما خالفتم)^(٢) فلما صالح النبي ﷺ قريشاً يوم الحديبية، كان ظاهر الصلح فيه غضاظة وضيم على المسلمين، وفعله النبي ﷺ طاعة لله وثقة بوعده له، وأن الله سينصره عليهم، واغتاز من ذلك جمهور الناس وعز عليهم، حتى على مثل عمر وعلي ﷺ وغيرهم، فعلي أمره النبي ﷺ أن يمحو اسمه ﷺ من الكتاب فلم يفعل ﷺ حتى أخذ النبي ﷺ الكتاب ومحاه بيده، وروي عنه ﷺ أنه قال لعلي: (امح رسول الله) قال: لا والله لا أمحوك أبداً. فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب، وليس يُحسن يكتب، فكتب: (هذا ما

(١) ينظر: منهاج السنة، ٨ / ٣٩٠ .

(٢) امسند أحمد: حديث عبد الرحمن الأشعري، (١٧٥٣٣) المعجم الأوسط، باب من اسمه محمد، (٧٢٩٩).

قاضى عليه محمد بن عبد الله^(١) وأبو بكر^{رضي} كان موافقاً للنبي^{صلى} في كل ما قام به، فلم يصدر عنه مخالفة في شيء قط بل لما ناظره عمر^{رضي} يوم الحديبية، بعد مناظرته للنبي^{صلى} أجابه أبو بكر^{رضي} بمثل ما أجابه النبي^{صلى} من غير أن يسمع جواب رسول الله^{صلى} وهذا من أبين الأمور دلالة على موافقته للنبي^{صلى} واختصاصه به قولاً وعملاً، وفي المواطن التي ظهر فيها تقدمه على غيره في ذلك، فأين مقامه من مقام غيره؟! وذلك لشدة ما كان فيهم من الغيظ على المشركين الذين منعوهم من زيارة البيت الحرام، فلا ريب أن الذي حملهم على ذلك هو حب الله ورسوله^{صلى} وبغض الكفار الرافضين للكتاب والسنة، لكن النبي^{صلى} تمسك بما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين، فقال^{صلى} لمن لمن تناقل آنذاك: (إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري)^(٢).

فبين أنه رسول الله^{صلى} يفعل ما أمره به مرسله^{صلى} لا يفعل من تلقاء نفسه وأخبر أنه لا يعصيه، ولهذا تاب الذين عارضوا ذلك اعتماداً على اجتهادهم، كما فعل عمر^{رضي} وعلي^{رضي} الذي لم يفعل ما أمره به النبي^{صلى} حين قال له^{صلى}: (امح رسول الله) وكذلك تاب الذين لم يفعلوا ما أمروا به من الحلق والنحر، حتى فعل النبي^{صلى} ذلك قد تابوا من ذلك والله يحب التوابين ويعفو عن عباده

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، ح (٢٥٢٩). كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح عليه فلان، ح (٢٥٠٠) كتاب الجزية باب المصالحة على ثلاثة أيام... ح (٢٩٤٧). ونصه: عن البراء^{رضي} أن النبي^{صلى} لما أراد أن يعتمر أرسل إلى أهل مكة يستأذونهم ليدخل مكة فاشترطوا عليه أن لا يقيم بها إلا ثلاث ليالٍ ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح ولا يدعو منهم أحداً قال: فأخذ يكتب بينهم علي^{رضي} بن أبي طالب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله لم نمنعك ولبياعنا ولكن اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال أنا والله محمد بن عبد الله وأنا والله رسول الله، قال: وكان لا يكتب، قال: فقال لعلي^{رضي} امح رسول الله، فقال علي^{رضي}: والله لا أحماه أبداً، قال^{صلى} فأرنيه قال: فأراه إياه فمحاها النبي^{صلى} بيده فلما دخل ومضت الأيام أتوا علينا فقالوا: مر صاحبك فليزحل فذكر ذلك علي^{رضي} رضي الله عنه لرسول الله^{صلى} فقال: نعم ثم ازحل.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الريب، ح (٢٥٢٩) سنن أبي داود كتاب الجهاد، باب في صلح العدو، ح (٢٣٨٤) منهاج السنة ٨/٣٩٣.

الصالحين، والقصة كانت عظيمة، بلغت منهم مبلغاً عظيماً لا تحمله عامة النفوس، وإلا فهم خير الخلق، وأفضل الناس، وأعظمهم علماً وإيماناً، وهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت أو النصر عندما أشيع أن قريشاً قتلت سفير رسول الله ﷺ إليهم عثمان رضي الله عنه. قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨).

ولما أكد القرآن الكريم أن الله تعالى بشر الصحابة بأنه راض عنهم في يوم الحديبية مع تشاقلهم في بداية الأمر عن قبول الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش لظنهم أنه مجحف بحق المسلمين، فمن باب أولى أن يتأكد للعالم والجاهل أن خليفة رسول الله كان هو الأول في نيل ذلك الرضا والتحلي بذلك الوسام الرباني لما أبداه من موافقة إيمانية فطرية تامة ثابتة لرسول الله ﷺ دون أي تردد أو تأفف، مما يعلن لكل عاقل أن الصديق ﷺ أكمل القوم وأفضلهم وأسبقتهم إلى الخيرات، وأنه لم يكن فيهم مثله في علمه وصبره وتحليله للعواقب وسياسته للأمور، يؤكد ذلك قول خليفة رسول الله ﷺ بعد ذلك: ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية، وكان الناس قصر رأيهم عما كان بين رسول الله ﷺ وبين ربه، والعباد يعجلون، والله تعالى لا يعجل لمعجزة العبد حتى يبلغ الأمور ما أراد، لقد رأيت سهيل بن عمرو - سفير قريش المفاوض عنها بغلظة وصلافة يوم الحديبية - في حجة الوداع قائماً عند المنحر يُقربُ لرسول الله ﷺ بدنة ورسول الله ﷺ ينحرها بيده، ودعا الحلاق يخلق رأسه، فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره ﷺ وأراه يضعه على عينيه، وأذكر امتناعه أن يُقرب يوم الحديبية بأن يكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم" فحمدتُ الله تعالى الذي هداه للإسلام^(١) فامتياز أبي بكر ﷺ بالموافقة التامة لرسول الله ﷺ في المواقف والأحداث كافة، أمر بين لا يشك فيه إلا من كان جاهلاً بحال الصحابة ﷺ مع رسول الله ﷺ أو كان صاحب هوى صده اتباع هواه عن معرفة الحق والهدى.

(١) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٦٤.

فمناقب أبي بكر ﷺ وخصائصه ومزياه محل إجماع لدى جميع علماء الأمة المؤتمنين، وإن كان هناك من يردد أن علياً ﷺ له من المناقب والفضائل ما لأبي بكر ﷺ فهو لاء ما بين جاهل في فقه سير الصحابة ﷺ وما بين مصاب بعلة الرفض أو داء الشعبوية، أو بأهواء المستشرقين عيون الغزاة وأدلاء المحتلين، فما جاء في كتاب الله من خصائص لأبي بكر ﷺ كاف لإزالة أي شك عند العقلاء والمنصفين، وإذا أضفنا إلى ذلك قول أمير المؤمنين علي ﷺ: (من فضلني على أبي بكر وعمر جلده حَدَّ المفتري)^(١) وقوله: ((خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر)^(٢)) وأمثال هذه الأقوال المفصلة في كتاب إمام الأمة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق ﷺ.

ثم نقف وقفة أخرى؛ نشير فيها إلى أهم وأشهر مناقب أمير المؤمنين علي ﷺ التي من أصحابها قول النبي ﷺ يوم خيبر: (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله)^(٣) وقوله في غزوة تبوك: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)^(٤) ومنها دخوله ﷺ في المباهلة وفي الكساء ومنها قوله: (أنت مني وأنا منك)^(٥) وليس في ذلك خصائص وإنما هذا مناقب لعلي ﷺ كما لغيره من الصحابة مناقب كل منهم بحسب سابقته وطبقته. وحديث علي ﷺ (لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق)^(٦) كقوله ﷺ في الأنصار (علامة

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ح (٤٩)..

(٢) البحر الزخار: مسند البزار، (٤٥٨) المعجم الأوسط: ح (٢٧٢٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي ﷺ ح (٣٤٢٥) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ﷺ ح (٤٤٢٢).

(٤) ينظر ابن تيمية: منهاج السنة، ٨ / ٤٢٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان، ح (٢٥٠). سنن الترمذي، كتاب المناقب، ح (٣٦٤٩) ابن ماجه، فضل علي، ح (١١٦) المحب الطبري، الرياض النضرة، ٢ / ٢٢٥-٢٢٦.

(٦) صحيح مسلم، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان، ح (١١٣) سنن الترمذي، كتاب المناقب، مناقب علي، ح (٣٦٦٩). سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فضل علي بن أبي طالب، ح (١١١).

الإيمان حب الأنصار وعلامة النفاق بغض الأنصار^(١) ومنها حديث الشورى، وإخبار عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو راضٍ عن عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن^(٢) فمجموع ما في الصحيح لعلي نحو عشرة أحاديث، ليس فيها ما يختص. ولأبي بكر في الصحيح نحو عشرين حديثاً أكثرها خصائص.

وقول من قال: صحَّ لعلي من الفضائل ما لم يصح لغيره، كذبٌ لا يقوله أحد من أئمة الحديث، لكن قد يقال: رُوي له ما لم يرو لغيره على أن من يقول ذلك هو من علم كذبه وزيفه وخطؤه. ودليلٌ واحد صحيح المقدمات سليم عن المعارضة، خير من مئات الأدلة بمقدمات ضعيفة، بل باطلة وهي مُعارضة بأصحَّ منها وما يدل على نقيضها، وكثير منها من صنع أعداء الصحابة وبهتانهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، وكل هذا الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم بنسبة الأحاديث إليه أو هذا الغلو في علي رضي الله عنه لا يرجع ضُرُّه إلا على من افتراه، ولا يضر إلا من يعمل على إيجاد دين بديل لدين محمد صلى الله عليه وسلم بغضاً بالصحابة ورفضاً لقرآنهم وكرهية لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وكأنهم بحملهم لهذا الدين وجهادهم في سبيل حمايته أصبح ديناً لهم وليس ديناً ربانياً تكفل الله تعالى بحفظه وتبليغه للعالم كافة!.

فهذه الأمور التي استحق بها الصحابة رضي الله عنهم أن يُفضَّلوا على غيرهم، لأبي بكر رضي الله عنه فيها من الاختصاص ما لا يشركه فيه أحد، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدقت. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركولي صاحبي) مرتين. فما أُوذِيَ بعدها^(٣).

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. الإيمان، باب مناقب الأنصار، ح (١٧).

(٢) ينظر ابن تيمية: منهاج السنة، ٨ / ٤٢٠ - ٥ / ٥٩ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذاً خليلاً، ح (٣٨٨٨) منهاج السنة، ٨ / ٤٢٢ .

فهذا الحديث الصحيح فيه تخصيصه بالصحة في قوله ﷺ: (هل أنتم تاركو لي صاحبي؟) وفيه يتبين أنه لم يكذبه قط، وأنه صدّقه حين كذبه الناس طُراً. بل ظاهر في أنه صدّقه قبل أن يصدّقه أحد من الناس الذين بلّغهم الرسالة، وهذا حق؛ فإنه أول ما بلّغ الرسالة آمن. وفيه أن من يتعرض لأبي بكر إنما يتعرض لرسول الله ﷺ صاحبه المدافع عنه في حضوره وغيابه فلا يعادي أبا بكر ﷺ إلا من يعادي رسول الله ﷺ فمن أراد أن يعرف المرتدين فليمتحنهم على حب خليفة رسول الله أو أي من الصحابة فهناك سيظهر الحق من الباطل، وأن من يعادي الصحابة عامّة أو أفراداً فإنما هو عدو لنبيهم ومربيهم ﷺ. قال عمرو بن عبسة: قلت: يا رسول الله مَنْ معك على هذا الأمر؟ قال: (حرٌّ وعبد) ومعه يومئذ أبو بكر وبلال^(١).

فقوله ﷺ: (يا أيها الناس إني أتيت إليكم فقلت: إني رسول الله إليكم، فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدقت)^(٢) يدل على أن كل من بلّغه ﷺ الرسالة كذبه أولاً إلا أبا بكر ﷺ وكذلك قول النبي ﷺ: (وواساني بنفسه وماله)^(٣) إنما هي خصائص لم يشركه فيها أحد بهذا الأداء التام بالنفس وما تملك وما يتبعها من الأهل والولد والمال، وما يتبعه من الأملاك والأرباح والوقت والجهد، فلهذا ولغيره قال ﷺ: (ألا إني أبرأ إلى كل خُلٍّ من خله، ولو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً، إن صاحبكم خليل الله)^(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة، ح (١٣٧٤). سنن النسائي، كتاب مواقيت الصلاة، باب إباحة الصلاة إلى أن يصلي الصبح، ح (٥٨٠). سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل، ح (١٣٥٤).

(٢) البخاري: ك. التفسير، باب يقل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً، ح (٤٣٦٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب لو كنت متخذاً خليلاً، ح (٣٣٨٨). وقد سبق تخرجه.

(٤) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. التاريخ، باب من صفته وأخباره ﷺ ح (٦٤٢٦).

- ومنها تفرده ﷺ بالمعية فمن أجل خصائص أبي بكر ﷺ اختصاصه بمعية الله له مع رسول الله ﷺ في الغار في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة: من الآية ٤٠).

فهذه الخاصية لها حالة مماثلة في بعض جوانبها حين تعرض نبي الله موسى وقومه إلى موقف مشابه لموقف النبي ﷺ وصاحبه ﷺ في الغار حين طاردهم فرعون وجنوده وحصرهم أمام البحر وألجؤهم إليه، فلم يكن لهم من منفذ إلا اقتحام البحر! قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (الشعراء: ٦١) ومحمد ﷺ وصاحبه ﷺ محصوران في الغار وفرعون هذه الأمة أبو جهل وجنوده محيطون بهما. إلا أن القرآن الكريم بين أن موسى ﷺ كان معه أصحاب كثيرون وليس صاحباً واحداً. قال تعالى: ﴿ أَصْحَابُ مُوسَى ﴾ ولم يكن مع النبي محمد ﷺ إلا ﴿صاحبه﴾ أبو بكر ﷺ وصاحب محمد ﷺ هادئ مطمئن سوى أنه حزين على سلامة نبيه ﷺ ومستقبل دعوته، لا يشغله سوى ذلك في تلك الساعات الرهيبة فيواسيه صاحبه رسول الله ﷺ ويخفف من حزنه قائلاً: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) فلم يصبه حزن على أمر منذ تلك الساعة سوى حزنه على فراق صاحبه ﷺ بعد وفاته، أما أصحاب موسى ﷺ فكانوا خائفين هلعين لا أمل عندهم في النجاة يقولون: ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ فيجيبهم صاحبهم نبي الله موسى ﷺ: ﴿ كلا إن معي ربي سيهدين ﴾.

- والفرق الآخر ما بين الصحبتين قوله تعالى عن موسى ﷺ: ﴿ معي ﴾ ولم يقل ﴿ معنا ﴾ كما قال النبي محمد ﷺ لصاحبه أبي بكر ﷺ: ﴿ إن الله معنا ﴾ فنجاة أصحاب موسى ﷺ لم تكن لمعية الله تعالى وإنما إكراماً لموسى ﷺ وتبعاً له، بينما كانت نجاة الصديق ﷺ صاحب النبي محمد ﷺ بالمعية الإلهية لا بالتبعية النبوية فقط، فالله تعالى مع النبي محمد ﷺ ومع صاحبه أبي بكر ﷺ بينما هو مع موسى ﷺ دون أصحابه وهذا فرق شاسع؛ يوضح المكانة العلية لصاحب رسول الله وخليفته أبي بكر ﷺ وهناك ما يؤكد ذلك ويجلي تلك المكانة أكثر فأكثر. قال تعالى عن موسى ﷺ: ﴿ إن معي ربي ﴾ بينما قال النبي محمد ﷺ: ﴿ إن الله معنا ﴾ فمعية موسى ﷺ معية ربانية، ومعية محمد ﷺ وصاحبه معية إلهية، ومعية الربوبية فيها تعلق والتجاء وطلب مع خوف وقلق؛

ومعية الألوهية أكمل وما تعلق بها كذلك أكمل وأشمل وفيها تفويض الأمور إلى الله تعالى مع الطمأنينة والثقة واليقين به سبحانه وتعالى.

ومعية موسى عليه السلام تقدم فيها ذكر ما للنفس على ذكر الرب ﷻ ((معى ربي)) ومعية محمد ﷺ وصاحبه تقدم فيها ذكر الله تعالى على ما للنفس ((الله معنا)). وهذا أقرب للطمأنينة والثقة واليقين والتعلق الخالص بالله تعالى من كل حظ للنفس وإن كان مشروعاً. والأداء أبلغ وأدل على الفضل، والنبي ﷺ وصاحبه يشتركان فيه!.

وأعداء الصحابة لا يريدون أن يعرف المسلمون تنبيهات القرآن الكريم عن عظمة خليفة رسول الله ودوره الرائد في قيادة الأمة على مسار نبينا ومنهجه الذي خطط له وأسس لبنائه في حياته ﷺ لأن ذلك يبطل سحرهم ويسقط مكرهم ويحذر من نياتهم المتربصة بالسنة وأهلها، فيشوشون على فضائله ﷺ ويفترون عليه للتلبيس على عامة الناس والغوغاء ممن يسمع لهم ويصدق هذيانهم^(١).

- ومنها نزول السكينة والتأييد عليه حين أخبر النبي ﷺ صاحبه بأن الله معها جميعاً. والمعية هنا معية الحفظ والسكينة والتأييد، وعلى هذا فلا يعقل أن يكون ما بعدها نافياً لما قبلها وإلا حصل التناقض وهذا ما يريده الرافضة في سبيل الوصول إلى ما ينتقص الصديق ﷺ حتى لو كان ذلك بتكذيبهم للقرآن الكريم وهذا مستحيل في كلام الله سبحانه وتعالى، وكذلك يكون النبي ﷺ - وحاشاه - كاذباً في الأخبار وهو ممتنع أيضاً! فلم يبق إلا تصديق النبي ﷺ في إخباره أن الله تعالى مع أبي بكر رضي الله عنه كما هو مع نبيه ﷺ، فالسكينة والتأييد لكليهما معاً وشمول الصاحب بما يكرم الله به صاحبه محسوم بقوله تعالى: ﴿إن الله معنا﴾ فهو معه في كل شيء، وكما أنه شاركه في المخاطر والغرم فهو شريكه في المكارم والغنم. وهذه المعية أبدية دائمة سرمدية لن تنقطع أو تتوقف في مرحلة من مراحل هذا

(١) ينظر إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله: ٣٠٦ / ١.

الوجود، فهذا نحن لا نذكر الصديق ﷺ حتى يذكر معه الله تعالى ورسوله ﷺ في قولنا: خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ.

وخصاً من أصحاب الصديق ﷺ أنه ثانی اثین.

اختص الصديق ﷺ بخصائص كثيرة وانفرد بفضائل عديدة لم تكن إلا له رضي الله عنه ولم يشاركه فيها أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ومن تلك الخصائص التي خلدها كتاب الله تعالى لتبقى شاهداً على تقدم أبي بكر وقربه من النبي ﷺ، ولتتهاوى عند عتباتها الراسخة افتراءات المغرضين، وتتساقط أقنعة الأكاذيب والمنتفعين، الذين يريدون النيل من مكانة أبي بكر والتشويش على مقامه الأول في الأمة، الذي أقامه فيه النبي ﷺ قبل وفاته، وأجمع عليه المهاجرون والأنصار يوم السقيفة بعد وفاته ﷺ، ومن تلك الخصائص التي تغيظ الرافضة الماكرين، فضيلته التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) وفي سياق الآية المقصود هنا هو النبي ﷺ ولكن مقتضى اللغة يجعله منطبقاً على أبي بكر أيضاً لأن العرب إذا قالوا: ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة أو سابع سبعة، لا يقصدون واحداً بعينه وإنما القصد واحد من اثنين وواحد من ثلاثة، أي أن كل واحد منهم ثاني اثنين وثالث ثلاثة، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة: ٧) فالنبي ﷺ في الغار، كان ثاني اثنين، وأبو بكر الصديق ثاني اثنين، ومن المعلوم أن ترتيب النبي من حيث المنزلة يأتي أولاً؛ وأبو بكر ثاني اثنين لفظاً ومعنى، وقد تجلّى كون خليفة رسول الله ثاني اثنين بعد صاحبه ﷺ في مواطن كثيرة، جعلت الصحابة يتنافسون في مبايعته يوم السقيفة لنيل شرف السبق في تلك البيعة التي أشار إليها النبي ﷺ، ومن تلك المواطن:

أن الصديق ثاني اثنين في الدعوة إلى الله، فهو أول مسلم دعا الناس إلى الإسلام، وأتى بشباب قريش ووجوهها لينطقوا بالشهادة مؤمنين بين يدي رسول الله ﷺ، فاهتدى بدعوته خيرة رجالات الإسلام وأعمدته التي قام عليها، من أشهرهم:

عثمان بن عفان ذي النورين، وعبد الرحمن بن عوف أمير رجال الشورى، وسعد بن أبي وقاص الذي كان يلقب بالأسد عادياً، أول من رمى بسهم وأول من أراق دمًا من مشرك في سبيل الله، بطل القادسية وفتح العراق، وطلحة بن عبيد الله التيمي القرشي بطل يوم أحد الذي كان يلقب بطلحة الخير وطلحة الجود وطلحة الفياض لكرمه ومكارمه، والزبير بن العوام حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته، كان يعد بألف فارس لشجاعته وبلائه في الحروب، وطلحة والزبير هما أقران علي الذين كانوا من جماعة الشورى المرشحين للخلافة بعد الشهيد المظلوم عثمان ﷺ وطلحة والزبير رضي الله عنهما وإخوانهما قادوا الأمة لملاحقة المجرمين الذين اغتالوا الشهيد عثمان فتمكن طلحة والزبير من إنجاز عامة تلك المهمة، واستمرا في الجهاد حتى طالتهم أيادي أحقاد الرافضة السبئية في العراق غدراً كما اغتالوا عثمان ومن بعده علياً غدراً! ليقى الرافضة والغين بدماء أظهر البشر وأعزهم وأشدهم نصراً للإسلام وقرباً من رسول الله ﷺ ومحبة له، فقد اغتالت الرافضة السبئية وامتداداتها العدوانية خمسة من المبشرين بالجنة وهم سادة الإسلام وأحرار البشرية (عمر الفاروق وعثمان ذي النورين، وأبو الحسن علي، وطلحة بن عبيد الله التيمي، والزبير بن العوام بن صافية عمّة رسول الله ﷺ) فإذا علم المسلم هذا فإنه سيعلم جذور موقف أعداء الصحابة الغارق بالغدر والكراهية لكل من أسهم في وحدة الأمة ونجاح مسيرتها، وحينها لن يستغرب من إعلانهم الحرب السوداء على يوم السقيفة الأغر، وليعلم ورثة الصحابة في هذا العصر؛ أنه لا يوجد على وجه الأرض أمة أغدر وأظلم وأخطر على الإسلام والمسلمين من أمة اغتالت هؤلاء الأطهار الأخيار ولا زالت تشتمهم وتفترى عليهم، وتعلن حرب البهتان والتشويه على خير أيامهم يوم السقيفة الذي خرجوا منه يداً واحدة على المنافقين والمرتدين، ومن بعدهم المجوس واليهود والصليبيين!.

وبناء على هذه الحقائق أصبح الطعن في بيعة السقيفة طعناً برسول الله ﷺ، وطعناً بإجماع المهاجرين والأنصار، وحرماً على بيعة السقيفة رمز وحدة المسلمين، ووقوفاً مع المجوس والصابئين، الذين حاربوا جيوش الصديق في أكثر من جبهة ثم ولّوا مُدبرين أخلاقياً وعسكرياً، وربما أصبح من الواجب على المسلمين إذا نالتهم أعاصير الفتن والفرقة، أو مستهم أيادي الغدر في أوطانهم، أن ينظروا فيمن يحرث في تلك الأعاصير؛ وويدققوا فيمن يحرث تلك الأيدي! فإن صحَّ التشخيص فإنهم سيجدون وراء كل مصاب ألم بهم رافضياً أو يهودياً يزين قتلهم واستباحة أمتهم! ولن تشفى جراحهم وآلامهم إلا إذا أغلقوا جميع الأبواب التي يفتحها عليهم هذا الحلف الخبيث، وأدواته التي ستعمل دائماً على الحيلولة بين الأمة وبين العمل بأخلاق أبطال يوم السقيفة الذين بنوا انطلاقتهم على هدي الكتاب والسنة وثقافة الحوار والشورى.

وثاني اثنين في الصدق والتصديق وهذه صفة اشترك فيها مع النبي ﷺ، حيث كان المشركون في الجاهلية يسمون رسول الله الصادق الأمين، وفي الإسلام سمي أبو بكر بالصدق؛ وهذا كان معروفاً عن أبي بكر عند العرب حتى في الجاهلية فقد وصفه ابن الدغنة^(١) وهو أحد شيوخ قبائل العرب لما رآه عازماً على الهجرة من مكة إلى الحبشة بما كان يوصف به رسول الله ﷺ. فقال: (ما مثلك يا أبا بكر يخرج، إنك لتصدق الحديث، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر) فوصفه بالصفات التي وصفت بها خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ، أول عهده بالوحي، وأولها الصدق: "إنك لتصدق الحديث...". ثم نزل الوحي ليصدق ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٣٣) ولما كان أبو بكر أعظم من صدق بالصدق سمي الصديق رضي الله عنه.

وثاني اثنين في الغار في أخرج موقف يواجهه رسول الله ﷺ وأخطر أيام يمر بها لم يكن له فيها نصير ولا أنيس إلا صاحبه بعد الله، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ

(١) تاريخ الخلفاء، ١/ ٣١.

كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴿التوبة: من الآية ٤٠﴾ قال حسان بن ثابت الأنصاري واصفاً ذلك الحدث:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا
وروي أن النبي ﷺ ضحك سروراً عندما سمع ذلك من حسان حتى بدت نواجذه ثم
قال: صدقت يا حسان هو كما قلت^(١) وأبو بكر ثاني اثنين في صحبة النبي يوم الهجرة، وقيامه على
نصرته وخدمته وصبره على أهوال تلك الأيام وأخطارها، فلم يضعف ولم يتردد رضي الله عنه،
وكان ثاني اثنين في عريش بدر مستشاراً ومحامياً ومؤانساً ومشاركاً في إدارة أول معركة حاسمة
ضد المشركين.

وثاني اثنين في الحج الذي كان فيه أميراً ونائباً عن رسول الله ﷺ في السنة التاسعة وهي الحجة الأولى
في الإسلام، وثاني اثنين في الصلاة فكان هو المقدم إذا غاب رسول الله ﷺ، ولما مرض ﷺ قدم صاحبه
ولم يأذن لغيره أن يصلي بالمسلمين، ولما رأى النبي انقياد أمته في الصلاة وراء صاحبه الصديق سره
ذلك حتى تبسم ابتسامه كادت أن تفتن المسلمين عن صلاتهم من شدة فرحهم بها، ظناً منهم أن
النبي ﷺ قد تماثل للشفاء! فإمامة الصديق وبيعته يوم السقيفة كلها تسر النبي ﷺ، وتسوء أعداءه
الذين كانوا يتمنون لو أن دعوته انتهت بوفاته! فلما رأوا نجاحها وانتصاراتها بقيادة صاحبه وخليفته
الصديق ساءهم ذلك فولغوا بالباطنية ودانوا بالتقيّة وسقطوا في هاوية التآمر على الإسلام والمسلمين
ومحاربة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين.

وأبو بكر ثاني اثنين في الزكاة التي أقامها النبي ﷺ، ولما رفضها أعداء الصحابة بعد وفاة النبي
قال أبو بكر: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة) فقاتل المرتدين حتى أدوا الزكاة كما

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ١٧٤. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣/ ٩٠.

كانت في حياة النبي ﷺ ، فكان أحق الناس بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج: ٤١).

وثاني اثنين في جمع القرآن وهذه من أعظم خصائص الصديق ومناقبه التي تفرد بها مع من فاز بشرف قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (القيامة: ١٧) فالذي قرأ القرآن وبلغه وكتبه رسول الله ﷺ ، والذي جمعه في مصحف واحد مرتباً بين دفتين أبو بكر الصديق، ولما كان الجمع متعزراً في عهد النبي ﷺ لتواصل القرآن بالنزول مفزقاً، قام خليفته الصديق بذلك من بعده، فهو أول من جمع ما بين اللوحين كما قال علي رضي الله عنه، وهذا توفيق عظيم وفق له الصديق. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (فاطر: من الآية ٣٢).

وثاني اثنين في خلافة النبي بقيادة الأمة فكان متفرداً بلقب خليفة رسول الله ولم يُسمَّ المسلمون أحداً من الخلفاء به، وهو من الموافقات التي تؤكد المكانة المعلومة عند المسلمين لأبي بكر وأنه هو المقدم يوم السقيفة دون منازع، وكان أحقهم بذلك لكمال متابعتة للنبي ﷺ ، وسيره الكامل على منهجه في شؤون الدين والدنيا، ثم سُمي من جاء بعده بأمر المؤمنين وهو لقب مشترك لمن خلف الصديق في قيادة الأمة.

وثاني اثنين في تبليغ الإسلام للعالمين فأول من خرجت جيوشه إلى مؤتة وتبوك هو رسول الله لفتح الأبواب أمام تبليغ الدين وتأدية الرسالة إلى الناس أجمعين، ثم عقد ﷺ الراية في آخر أيامه لأسامة بن زيد ولكن الأجل عاجله ﷺ قبل مسير جيش أسامة، فلما بويع الصديق يوم السقيفة كان أهم ما يشغله هو تنفيذ أمر رسول الله في إنفاذ جيش أسامة، على الرغم من كل الظروف العصبية المحيطة بالمسلمين آنذاك؛ وعلى الرغم من كثرة المطالبين باستبدال أسامة بقائد أكبر منه وأكثر تجربة، لكن الخليفة الصديق تمسك بمن أمره النبي ﷺ دون أي تأخير أو توان، ولم يلتفت إلى قول القائلين بتبديله رضي الله عنه، ثم توالى بعد ذلك جيوش الصديق تجوب الآفاق تنشر الإسلام بقيمه وساحته.

وثاني اثنين في منزلته في الأمة، فهو الصديق هكذا مطلقاً دون أي قيد، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩). فلما كان رسول الله ومعه أبو بكر وعمر وعثمان على جبل أحد ورجف بهم الجبل. قال ﷺ: (اثبت أحد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان) (١) فالصديق خيرة البشر بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن أولى منه بإمامة الأمة وقيادتها؟! ومن أولى منه بالبيعة يوم السقيفة؟! وهل يجادل في إمامته وقيادته وخلافته إلا ثماراً مُتَمَادٍ في العناد والنفاق وحب الفتنة؟! أليس هو صاحب الأيدي البيضاء على الأمة حين وُحِدَ صَفِّهَا يوم السقيفة؟ وكبت عدوها حين سحق الردة، وأقام عزّها حين أطلق كلتا يديه في سبيل الله ورفع راياتها في العراق تطهرها من رجس المجوس، وفي الشام تطهرها من طاغوت الصليبيين؟ فمن هذا الذي ينازع أمة محمد ﷺ في إمامها وقائدها بعد نبينا ﷺ؟ سوى منزع الدين والهوية؟! ومن هذا الذي يشككنا في إمامنا وخليفة نبينا ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه؟ سوى مطموس البصيرة، فاقد الإنصاف، منكوس الإيوان، محارب للقرآن الكريم والسنة النبوية؟!.

أليس الصديق ثاني اثنين في التنويه بالذكر والفضل تشخيصاً في القرآن الكريم؟ وأن كل ما ورد في القرآن من فضائل في شأن الصحابة رضي الله عنهم جاءت في صيغة العموم؛ وليس في صيغة التخصيص التي يفهم منها تشخيص المراد بالذكر منهم دون الرجوع إلى علم معرفة أسباب النزول؛ بعد رسول الله ﷺ الذي هو الأصل في كل فضيلة جاء القرآن بذكرها، وصاحبه الصديق الذي من فضائله الآية التي فيها ذكر الغار، التي توأطأت الروايات والقلوب والعقول على أنها فيه وحده، من غير حاجة للرجوع إلى أسباب النزول، لأن الأمة مجمعة على أنه إذا ذكر لفظ صاحبه أو صاحب رسول الله هكذا دون قيود؛ فمن المعلوم لدى كل مسلم أنه لا يخطر في

(١) البخاري: صحيح البخاري، فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، ح (٣٦٧٥).

البال ولا يرد على الذهن سوى خليفته الصديق رضي الله عنه، أما بهتان الرافضة الذي يدينون به ويروجونه بين الجهلة وفاقدي الولاء ومطموسي الضمائر والعقول؛ فلا يلتفت إليه عاقل، ولا يسمعه مؤمن، ولا يقبله إلا حاقد محارب لله ولرسوله ﷺ، أما من يكتبه ويدونه كما هو حاصل في كتب كثير من غوغاء هذا العصر، من الذين يرددون بهتان أعداء الصحابة ومبغضي السنّة، في التشكيك بنوايا المهاجرين والأنصار يوم بيعة السقيفة، ممن يزعم أنّه كاتب أو ناقد فهو لاء جمعوا الجهل وعداء الصحابة ورفض القرآن والسنّة، وحسبهم ذلك شاهداً على ضياعهم وتيهيمهم، أو على رفضهم وردتهم، فالذي لا يميز بين بهتان الرافضة وافترائهم على الصحابة، وبين آيات القرآن الكريم التي تُبجلهم وتثني عليهم، فإنّ ذلك كافٍ لبيان جهله وإثمه وضلاله، حين يجعل من نفسه الظالمه ناقداً لأصحاب محمد ﷺ، فيناطح إنجازاتهم للدين وللأمة، وللتاريخ وللإنسانية، بأوهامه وأهوائه! أو بضياعه وتبعيته لأعداء الأمة! وهل ينكر جهاد الصحابة مع رسول الله ﷺ عاقل منصف؟ وهل ينكر فتوحهم وعدلهم ونبيلهم ونظامهم وفقههم الذي نشره في العالمين منذ اليوم الذي بايعوا فيه إمامهم أبا بكر الصديق رضي الله عنه في السقيفة، إلا حاقد جاحد ينكر نور الشمس في رابعة النهار؟!

أليس الصديق هو المعني في قوله تعالى: ﴿وسيجنبها الأتقى؟﴾ (الليل ١٧) وفي قوله: (الذي يؤتي ماله يتزكى؟) (الليل ١٨) ثم أليس الأتقى هو الأكرم كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: من الآية ١٣) (الحجرات، من الآية ١٣) أليس هو المعني في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى؟﴾ (الليل: ٢١) ليكون ثاني اثنين في الجزاء والرضا.

فمن له مثل هذه المكارم بين جميع أبناء الأمة المسلمة؟ فكيف لا يبايعه الصحابة في السقيفة وفي المسجد وهم يعلمون كل هذا عنه في حياة النبي ﷺ؟ وكيف يتأخر بعضهم عن بيعته كما يفترى ذلك أعداء الصحابة؟ وهذه النصوص وأمثالها الكثير هي التي تُكوّن لديهم شخصية الصديق رضي الله عنه؟ وتمثّل شهادة سامية المقام في وجدان كل صحابي، تُلجم بأنوار سبقتها وحقيقتها كل من ينفخ في أنفه الشيطان ليسوق مفتريات المرتدين وغيرهم من أعداء الصحابة؛

القائلة بأن هناك إماماً أو قائداً للأمة بعد رسول الله ﷺ غير خليفته أبي بكر الصديق، فمن هذا الذي أولى من الأتقى والأكرم في خلافة رسول الله ﷺ؟ سوى خليفته الصديق الذي يُجلُّه الصحابةُ ويعلمون فقهه وجهاده وشجاعته، التي جعلتهم يضعون أيديهم في يديه مبايعين على المضي على سنّة رسول الله ﷺ، الذي كان أعلمهم بها وأحرصهم على العمل بتوجيهاتها الرامية إلى إزالة كل العقبات ودحض جميع الشبهات التي تخالف ما اتفق عليه المهاجرون والأنصار يوم السقيفة، ومما زاد الصحابة حرصاً على بيعة الصديق يوم السقيفة سوى ما سبق ذكره، علمهم بأنّ طاعة الصديق رضي الله عنه تسر النبي ﷺ، الذي كان في حياته يأبى أن يتقدم أحد على صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

المبحث الثالث

شبهات أعداء الصحابة حول علم خليفة رسول الله أبي بكر الصديق وعلم أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام

ولما كان خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه من العلم في الموقع الأول الذي لا يراجع فيه، لوضوحه ويُسرّه ودقته وقوة حجته، واقتباسه من رسول الله ﷺ اغتاط من ذلك أعداء الصحابة، فأخذوا يفترون الأباطيل والأكاذيب وينسبون ذلك إلى خليفة رسول الله حسداً وبغياً، وكرامية لاستقامة الأمة ووحدتها على منهج نبيها ﷺ.

وعلى الرغم من أن مجرد البحث عمّا يراد منه البحث عن أي خبر أو رواية تنتقص من أي من أصحاب رسول الله ﷺ إنما هو عبث وعلامة على انتشار ثقافة المتنبيين، التي تبثها النشاطات السببية في نفوس الرافضين لما جاء به النبي ﷺ عن ربه؛ الساعين ببهتانهم إلى تشويه سير أصحابه ﷺ ذلك أن من لم يرض بعلم أصحاب رسول الله ﷺ فهو يتهم النبي ﷺ بأنه لم ينجح بتعليمهم حتى جاء أعداء الصحابة بجهلهم وحقدهم وأهوائهم؛ لكي يُقوّموا منهج أصحاب رسول الله ﷺ وإن كان في الحقيقة أن عامة ما يهذون به ما هو إلا لون من ألوان الغزو الذي يستهدف السنة النبوية وعلوم الشريعة المحمدية، وإن كان عامته هراء واقتراء لا قيمة له، إلا أن هناك ما يثبونه زوراً عن بعض المسائل الفقهية وقد رد على عامته شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية، ومن ذلك ما يفتريه الرافضون لسنة محمد ﷺ بقولهم:

" وخَفِيَ عليه أكثر أحكام الشريعة، فلم يعرف حكم الكلاله^(١) وقال: أقول فيها برأيي، فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأً فمني ومن الشيطان وقضى في الجدل بسبعين قضية، مما يدل على قصوره في العلم"^(٢).

(١) الكلاله: هو من لا والد له حي ولا ولد.

وهذا من أعظم البهتان الذي يفتره أعداء الصحابة على خليفة رسول الله، فكيف يخفى عليه أكثر أحكام الشريعة، ولم يكن بحضرة النبي ﷺ من يقضي ويُفتي إلا هو ﷺ؟! ولم يكن النبي ﷺ أكثر مشاورة لأحد من أصحابه منه ﷺ، ولم يكن أحد أعظم اختصاصاً بالنبي ﷺ منه ﷺ، قال أبو سعيد الخدري ﷺ: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: (إن الله عز وجل خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختر ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبو بكر ﷺ فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيّر فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيَّر وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: إن أمنَّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد بابٌ إلا سُدَّ؛ إلا باب أبي بكر) (١).

قال شيخ الإسلام: وقد ذكر غير واحد، مثل منصور بن عبد الجبار السمعاني وغيره إجماع أهل العلم على أن الصديق أعلم الأمة، وهذا بين، فإن الأمة لم تختلف في ولايته في مسألة إلا فصلها هو بعلم بينه لهم، وحجة يذكرها لهم من الكتاب والسنة، كما بين لهم موت النبي ﷺ وقراءته عليهم قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران الآية، ١٤٤).

ثم بين لهم ﷺ موضع دفنه ﷺ، وبين لهم قتال ما نعي الزكاة، لما استراب فيه عمر ﷺ وبين لهم أن الخلافة في قريش؛ في سقيفة بني ساعدة؛ لما ظن من ظن أنها تكون في غير قريش، وقد استعمله النبي ﷺ على أول حجة يحجها المسلمون من مدينة النبي ﷺ وعلم الناسك أدق ما في العبادات، ولولا سعة علمه بها لم يستعمله ﷺ وكذلك الصلاة استخلفه فيها، ولولا علمه بها لم يستخلفه، ولم يستخلف غيره لا في حج ولا في صلاة كما استخلف أبا بكر بقوة ووضوح وحسم لا يقبل تأويلاً ولا تلبساً ولا تشويشاً، وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ أخذه أنس بن مالك

(١) ينظر منهاج السنة، ٨ / ٣٢٠ .

(٢) الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، (١٧٦١) ٢ / ٣٣٣. صحيح البخاري: باب الخوخة والممر في المسجد (٤٤٦).

ﷺ من أبي بكر ﷺ وهو أصح ما رُوي فيها، وعليه اعتمد الفقهاء، وفي الجملة لا يُعرف لأبي بكر ﷺ مسألة من الشريعة غلط فيها، وقد عُرف لغيره مسائل كثيرة، وقد تنازع الصحابة ﷺ بعده في مسائل: مثل الجد والإخوة، ومثل العَوْل^(١) وغير ذلك من مسائل الفرائض، وتنازَعوا في مسألة الحرام، والطلاق الثلاث بكلمة، والخلية، والبرية، والبتة، وغير ذلك من مسائل الطلاق^(٢) وكذلك تنازعوا في مسائل صارت مسائل نزاع فقهي بين الأمة إلى اليوم، وكان تنازعهم في أيام خلافة أمير المؤمنين عمر ﷺ نزاع اجتهاد محض: كل منهم يقرُّ صاحبه على اجتهاده، وكان تنازعهم في بعض الأمور، ولكن لم يقاتل بعضهم بعضاً باليد ولا بالسيف ولا غيره. وأما في خلافة أخيه علي ﷺ فتغلظ النزاع، حتى تقاتل بعضهم أحياناً بالسيوف.

وأما في خلافة خليفة رسول الله ﷺ الصديق ﷺ فلم يُعلم أنه استقر بينهم نزاع في مسألة واحدة من مسائل الدين، وذلك لكمال علم الصديق ﷺ وعدله ومعرفته بالأدلة التي تزيل النزاع فلم يكن يقع بينهم نزاع إلا أظهر خليفة رسول الله من الحجة التي يأتي بها ابتداءً، وقليل من ذلك يقوله عمر ﷺ أو غيره، فيقرّه أبو بكر ﷺ وهذا مما يدل على أن خليفة رسول الله ورعيته أفضل من عمر ﷺ ورعيته وعثمان ﷺ ورعيته، وعلي ﷺ ورعيته؛ فإن أبا بكر ورعيته أفضل الأئمة والأمة بعد النبي ﷺ.

ثم الأقوال التي خولف فيها الصديق ﷺ بعد موته، قوله فيها كان أرجح من قول من خالفه بعد موته، وطرد ذلك الجد والإخوة؛ فإن قول الصديق وجمهور الصحابة وأكابرهم أنه يُسقط الإخوة، وهو قول طوائف من العلماء، وهو مذهب أبي حنيفة، وطائفة من أصحاب الشافعي

(١) (من عال) قال رسول الله ﷺ: (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وصمَّ أصابعه) معناه جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين، ينظر صحيح مسلم: ح (٢٦٣١) ومعنى عالهما قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما مأخوذ من العول وهو القرب ومنه قوله ﷺ ابدأ بمن تعول.

(٢) ينظر صحيح البخاري: (٥/٢٠١٥) باب (إذا قال فارقتك أو سرحتك أو الخلية أو البرية أو ما عني به الطلاق فهو على نيته).

وأحمد، كأبي العباس بن سُرَيْج من الشافعية، وأبي حفص البرمكي من الحنابلة، ويُذكر ذلك رواية عن أحمد، والذين قالوا بتوريث الإخوة مع الجد، كعلي وزيد وابن مسعود رضي الله عنهم اختلفوا اختلافاً معروفاً، وكل منهم قال قولاً خالفه فيه الآخر، وانفرد بقوله: عن سائر الصحابة - قال شيخ الإسلام: وقد بسطنا الكلام على ذلك في مصنف مفرد وبيّنا أن قول الصديق رضي الله عنه وجهور الصحابة هو الصواب، وهو القول الراجح الذي تدل عليه الأدلة الشرعية من وجوه كثيرة، ليس هذا موضع بسطها.

وكذلك ما كان عليه الأمر في زمن صدّيق الأمة رضي الله عنه من جواز فسح الحج إلى العمرة بالتمتع، وأن من طلق ثلاثاً بكلمة واحدة لا يلزمه إلا طلقة واحدة هو الراجح، دون من يحرم الفسخ ويلزم بالثلاث؛ فإن الكتاب والسنة إنما يدل على ما كان عليه الأمر في عهد النبي صلى الله عليه وآله وخلافة أبي بكر رضي الله عنه دون القول المخالف لذلك.

ومما يدل على كمال حال الصديق رضي الله عنه وأنه أفضل من كل من ولى الأمة، بل ومن ولى غيرها من الأمم بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أنه من المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الأولين والآخرين، وأفضل من سائر الخلق من جميع العالمين، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء ويكثر) قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال صلى الله عليه وآله: (فأوبىعة الأول فالأول) ^(١).

ومن المعلوم أنه من تولى بعد الفاضل الكامل؛ إذا كان فيه نقص كثير عن سياسة الأول، ظهر ذلك النقص ظهوراً بيّناً، وهذا معلوم من حال الولاية، إذا تولى ملك بعد ملك، أو قاض بعد قاض، أو شيخ بعد شيخ، أو غير ذلك؛ فإن الثاني إذا كان ناقص الولاية نقصاً بيّناً ظهر ذلك فيه، وتغيرت الأمور التي كان الأول قد نظمها وألفها، ثم الصديق رضي الله عنه تولى بعد أكمل الخلق سياسة وعلماً صلى الله عليه وآله فلم يظهر في الإسلام نقص بوجه من الوجوه في أيام خلافته رضي الله عنه بل قاتل المرتدين حتى

(١) البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح (٣١٩٦) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، ح (٣٤٢٩) سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب الوفاء بالبيعة، ح (٢٨٦٢).

عاد الأمر إلى ما كان عليه زمن رسول الله ﷺ وأدخل الناس في الباب الذي خرجوا منه، ثم شرع في قتال الكفار من أهل الكتاب، وعلم الأمة ما خفي عليهم، وقواهم لما ضعفوا وشجعهم لما ترددوا، وسار فيهم سيرة توجب صلاح دينهم ودنياهم، فأصلح الله بسببه الأمة في علمهم وقدرتهم ودينهم، وكان ذلك مما حفظ الله به على الأمة دينها، وهذا مما يحقق أنه أحق الناس بخلافة رسول الله ﷺ لا يشذ عن هذا إلا أنصار الردة وأدواتها.

- وأما قول الرافضي ابن المطهر الحلي: إن خليفة رسول الله أبو بكر الصديق ﷺ لم يعرف حكم الكلاله حتى قال فيها برأيه. فالجواب: أن هذا من أعظم علمه، فإن هذا الرأي الذي رآه في الكلاله قد اتفق عليه جماهير العلماء بعده؛ فإنهم أخذوا في الكلاله بقول أبي بكر، وهو من لا ولد له ولا والد، والقول بالرأي هو معروف عن سائر الصحابة، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل ﷺ لكن الرأي الموافق للحق هو الذي يكون لصاحبه أجران، كرأي خليفة رسول الله، فإن هذا خير من الرأي الذي غاية صاحبه أن يكون له أجر واحد.

وفي الرأي قال قيس بن سعد بن عبادة، لعلي ﷺ: رأيت مسيرك هذا - أي مسيره إلى البصرة - ألعهد عهدك إليك رسول الله ﷺ أم رأي رأيتك؟ فقال علي: بل رأي رأيتك^(١) فإذا كان مثل هذا الرأي حصل به من سفك الدماء ما حصل، لا يمنع صاحبه أن يكون إماماً، فكيف بذلك الرأي الذي اتفق جماهير العلماء على حسنه؟! وأما ما افتراه عدو الصحابة ابن المطهر مستشار هولاء، من قضائه في الجدل بسبعين قضية، فهذا كذب، وليس هو قول أبي بكر ﷺ ولا نقل هذا عن أبي بكر ﷺ فعلم أن هذا كذب وبهتان يفتريه من خلقهم صناعة الأباطيل وترويجها عداوة لأصحاب محمد ﷺ.

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، ح (٤٠٤٦). ينظر: منهاج السنة، ٥ / ٥٠٢.

قال شيخ الإسلام: وأما مذهب أبي بكر رضي الله عنه في الجدة؛ فإنه جعله أباً، وهذا قول بضعة عشر من الصحابة، وهو مذهب كثير من الفقهاء كأبي حنيفة وطائفة من أصحاب الشافعي وأحمد، كأبي حفص البرمكي ويذكر رواية عن أحمد كما تقدم وهو أظهر القولين في الدليل.

ولهذا يُقال: لا يُعرف لأبي بكر رضي الله عنه خطأ في الفتيا، بخلاف غيره من الصحابة رضي الله عنهم فإن قوله في الجدة أظهر القولين، والذين ورثوا الإخوة مع الجدة، وهم علي وزيد وابن مسعود وعمر رضي الله عنهم في إحدى الروايتين عنه، تفرّقوا في ذلك، وجمهور الفقهاء على قول زيد، وهو قول مالك والشافعي وأحمد، فالفقهاء في الجدة: إما على قول أبي بكر، وإما على قول زيد رضي الله عنه الذي أمضاه عمر رضي الله عنه ولم يذهب أحد من أئمة الفتيا إلى قول علي رضي الله عنه مع أنّ قول الصديق رضي الله عنه أرجح من قول زيد رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه كان متوافقاً في ميراث الجدة. وقال: (ثلاثٌ وددتُ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بيّنهنّ لنا، الجدة والكلالة، وأبواب الربا) ^(١) وذلك لأن الله تعالى سمّى الجد أباً في غير موضع من كتابه فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف: من الآية ٢٧) وقوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الحج: من الآية ٧٨) وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (البقرة: من الآية ٤٠) ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ (الأعراف: من الآية ٢٦) وإذا كان ابن الابن ابناً، كان أبو الأب أباً، ولأن الجدة يقوم مقام الأب في غير مورد النزاع، فإنه يسقط ولد الأم كالأب، ويقدم على جميع العصبات سوى البنين كالأب، ويأخذ مع الولد السدس كالأب، ويُجمع له بين الفرض والتعصيب مع البنات كالأب.

وأما في مسألة العُمريتين وهي: زوج وأبوين، وزوجة وأبوين؛ فإن الأم تأخذ ثلث الباقي، والباقي للأب، ولو كان معها جد أخذت الثلث كله عند جمهور الصحابة والعلماء، إلا ابن مسعود، لأن الأم أقرب من الجدة، وإنما نظير الجدة، والأم تأخذ مع الأب الثلث، والجدة لا تأخذ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب، ح (٥١٦٠). صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب في نزول تحريم الخمر، ح (٥٣٦٠). سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر، ح (٣١٨٤).

مع الجد إلا السدس، وهذا مما يقوى به الجد، ولأن الإخوة مع الجد الأدنى، كالأعمام مع الجد الأعلى.

وقد اتفق المسلمون على أن الجد الأعلى يقدم على الأعمام، فكذلك الجد الأدنى يقدم على الإخوة، لأن نسبة الإخوة إلى الجد الأدنى، كنسبة الأعمام إلى الجد الأعلى، ولأن الإخوة لو كانوا لكونهم بني الأب يشاركون الجد، كان يقوم بني البنين مقام آبائهم، ولما كان بنو الإخوة لا يشاركون الجد، كان آباؤهم الإخوة كذلك، وعكسه البنون: لما كان الجد يفرض له مع البنين فرض له مع بني البنين.

وأما الحججة التي تروى عن علي وزيد في أن الإخوة يشاركون الجد حيث شبهوا ذلك بأصل شجرة خرج منها فرع، خرج منه غصنان، فأحد الغصنين أقرب إلى الآخر منه إلى الأصل، وبنهرٍ خرج منه نهر آخر، ومنه جدولان، فأحدهما إلى الآخر أقرب من الجدول إلى النهر الأول، فمضمون هذه الحججة أن الإخوة أقرب إلى الميت من الجد.

ومن تدبر أصول الشريعة علم أن حجة أبي بكر رضي الله عنه وجمهور الصحابة لا تعارضها هذه الحججة، فإن هذه لو كانت صحيحة لكان بنو الأخ أولى من الجد، وكان العم أولى من جد الأب، فإن نسبة الإخوة من الأب إلى الجد أبي الأب كنسبة الأعمام بني الجد إلى الجد الأعلى جد الأب، فلما أجمع المسلمون على أن الجد الأعلى أولى من الأعمام، كان الجد الأدنى أولى من الإخوة، وهذه حجة مستقلة تقتضي ترجيح الجد على الإخوة، وأيضاً فالفائلون بمشاركة الإخوة للجد لهم أقوال متعارضة متناقضة، لا دليل على شيء منها، كما يعرف ذلك من يعرف الفرائض.

فعلم أن قول خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه في الجد أصح الأقوال وأدقها، وأنه أعلم الأمة بدينها بعد نبيها صلى الله عليه وآله وأن كل ما يردده أعداء الصحابة في مجالسهم وخطبهم وإعلامهم، إنما هو زيف مبني على وهم، المقصد منه تسعير الحرب المستمرة على السنة المطهرة وعلى حملتها أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ومن تبعهم بإحسان.

فالبهتان شرّ حتى لو كان على شرار الناس! فكيف بمن يبحث عن خيار الخلق ممن لا مطعن عليهم ولا مأخذ؟ فيفتري عليهم من الباطل ما لا يليق؛ لتشويه سيرهم وتقبيح محاسنهم، وكيف إذا كان ذلك بحق أصحاب النبي ﷺ وأهل سنته؟ فلا شك أنه سيكون أعظم ذنباً وأثقل وزراً، وما أوضح وأدق وصف شيخ الإسلام لمن هذه حالهم من الجرأة على أعراض الناس، واللامبالاة فيما يناهم مقابل ذلك من الصغار والازدراء، وذلك حين قال: ((وهم الغاية في الجهل وقلة العقل، يبعضون من الأمور ما لا فائدة لهم في بغضه، ويفعلون من الأمور ما لا منفعة لهم فيه، إذا قدر أنهم على حق ... وقد اتفق عقلاء المسلمين على أنه ليس في طائفة من طوائف أهل القبلة أكثر جهلاً وضلالاً وكذباً وبدعاً، وأقرب إلى كل شر، وأبعد عن كل خير من طائفة الرافضة))^(١) ذلك أن كل مفتر هو في ذاته ومحيطه وثقافته أقل من كل ما يوصف به؛ ولكن الذي يجعله يصر على تحمل تبعات ذلك؛ علمه بأن أباطيله التي صنعها ستجد بعض التائبين ممن لهم أعين لا يبصرون بها، وقلوب لا يفقهون بها، فيرددونها وينشرونها، متناسين وصايا عقلاء الأمة وقولهم في آدابهم: أميتوا الباطل بعدم ذكره، تلك القاعدة الصحيحة التي يجب أن تكون هي المنهج المعتمد في البحث والخطابة وغير ذلك؛ ولكن ما الحيلة في هذا العصر وقد أصبح زيف أعداء الصحابة يزحف أمام هذا الفراغ الهائل عند الكثير من أمة الكتاب والسنة، حيث أن العلمانية مهدت كل الطرق ليصل الرافضون لسنة رسول الله ﷺ إلى كثير مما يخططون له من أحقادهم السوداء وأراجيفهم الجوفاء، ولا سيما أن كثيراً منهم أصبحوا يعملون لباطلهم بجلد ومكر وتواصل وتحالفات مع الصليبيين والمنتفعين من كل الملل! وقد فعلوا الأفاعيل بأبناء أمة الكتاب والسنة التي لم يصل أجدادهم إلى مثلها إلا أيام الغادر ابن العلقمي حليف هولاء، مع أنهم كما قال شيخ الإسلام: (إن الرافضة ليس لهم عقل صريح ولا نقل صحيح، ولا يقيمون حقاً، ولا يهدمون باطلاً، لا بحجة وبيان، ولا بيد وسنان ... ولفرط جهلهم وهواهم يقبلون

(١) منهاج السنة النبوية: ٢/ ٣٦٥. العاصمي الحنلي: آل رسول الله وأولياءه، ١/ ١٣٨.

الحقائق في المنقول والمعقول فيأتون إلى الأمور التي وقعت وعُلمَ أنها وقعت، فيقولون: ما وقعت! وإلى أمور ما كانت ويعلمون أنها ما كانت فيقولون: كانت! ويأتون إلى الأمور التي هي خير وصلاح، فيقولون: هي فساد! وإلى الأمور التي هي فساد، فيقولون: هي خير وصلاح!! فليس لهم عقل ولا نقل، بل لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ، فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك ١١، ١٠)^(١).

والمؤسف حقاً أنّ عامة علماء أهل السنة إلا من رحم الله تعالى في هذا العصر- قد ضمروا قلوبهم الولاء للسنة! وذبلت الغيرة عليها، فلم يعودوا يسدون ثغرة أو يبطلون فرية، بل أصبح كثير منهم يُكبّس على أهل السنة بهمهات وتمتات أسهمت في طمس هويتهم وتصديق وحدتهم وطلسمه خطابهم، فضلاً عن أن يرفعوا الرايات المنصورة التي ورثوها عن الصحابة رضي الله عنهم ليتقدموا بها أخيار الأمة فيواجهوا أباطيل رافضي القرآن والسنة؛ إلا من رحم الله تعالى وقليل ما هم.

ولما كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله عنه قد حاز شرف السبق في كل فضيلة ولا سيّما في مواجهة أهل الردة والفتن التي أثارها المنافقون والمشرّكون، وقاد الرايات التي أذلت كبر المجوس وأطفأت نارهم حتى لبسوا من بعد انطفائها السواد فأصبح باطنهم وظاهرهم مظلماً لكي يكون ذلك عنواناً لما يريدون ويدبرون، فيقرأ العقلاء ما يسعون إلى نشره من ظلمة الجاهلية التي يحملون، وعملهم المتواصل لتلفيق دين آخر ومرجعيات أخرى يواجهون بها مرجعية القرآن والسنة! ولكن أتى لهم ذلك ورايات خليفة رسول الله التي دحرت الردة لا زالت مرفوعة، تكشف بأنوارها ظلمة غدرهم وبغيهم، ورفضهم الاحتكام إلى هدي الكتاب والسنة.

- وقال ابن المطهر الحلي المفترى على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أخيه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: فأبي نسبة له بمن قال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماء فإني أعرف بها من طرق الأرض - أي علي رضي الله عنه - قال أبو البخري الرافضي: رأيت علياً رضي الله عنه صعد المنبر بالكوفة وعليه

(١) منهاج السنة النبوية: ٣٢ / ٤.

مدرعة كانت لرسول الله ﷺ متقلداً بسيف رسول الله ﷺ متعمماً بعمامة رسول الله ﷺ وفي إصبعه خاتم^(١) رسول الله ﷺ فقعد على المنبر، وكشف عن بطنه، فقال: سلوني من قبل أن تفقدوني، فإنها بين الجوانح مني علمٌ جم، هذا سفظ العلم، هذا لعاب رسول الله ﷺ هذا ما زقني رسول الله ﷺ زقاً من غير وحي إليّ، فوالله لو تُنيت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتى يُنطق الله التوراة والإنجيل فتقول: صدق علي، قد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون.

- والجواب: أما قول علي ﷺ: سلوني إن صحَّ فرضاً؛ وهو غير صحيح فيما أنه كان يخاطب بهذا أهل الكوفة ليعلمهم العلم والدين؛ فإن غالبهم كانوا جهالاً لم يدركوا النبي ﷺ ولم يتأدبوا بأداب السنة، وأما أبو بكر ﷺ فكان الذين حول منبره هم أكابر علماء أصحاب النبي ﷺ الذين تعلموا منه ﷺ العلم والدين والسياسة والأخلاق وكل مسائل الحياة بالتلقي والمعينة، فكانت رعية أبي بكر ﷺ أعلم الأمة وأدينها وأحسنها أخلاقاً.

وأما الذين كان علي ﷺ يخاطبهم فهم جملة عوام الناس، وكان كثير منهم من شرار التابعين فيهم أهل الغدر ومُسعر وفتن والمجلبون على أمير المؤمنين عثمان الشهيد ﷺ ولهذا كان علي ﷺ يذمهم ويدعو عليهم، وكان التابعون بمكة والمدينة والشام والبصرة خيراً منهم وأفقه وأورع وأحبّ إلى علي ﷺ وجميع الصحابة ولآل البيت منهم، بل إن أمير المؤمنين علي ﷺ كان يفضل أهل الشام على أهل الكوفة ويمدح أهل الشام، ويذم أهل الكوفة وكل ذلك من مصادرهم وفي عهد معاوية ﷺ قال أمير المؤمنين علي ﷺ مخاطباً أهل الكوفة: (وددت والله أن أبيع منكم برجل من أهل الشام بصرف الدراهم عشرة دينار)^(٢) وقوله ﷺ: (والله لو دددت أن لي بكل ثمانية منكم

(١) معلوم كذب هذه الرواية من الإشارة إلى خاتم النبي ﷺ الذي وقع من يد عثمان ﷺ في بئر أريس في المدينة، ولم يعثر عليه أحد على الرغم من كثرة البحث عنه.

(٢) ابن حجر الهيتمي: مجمع الزوائد، ١١ / ٣٥٦، ح (٣١٧٢٧) الخليفة: الإنصاف، ٥١٥.

– من أهل الكوفة – رجلاً منهم – من أهل الشام^(١) ولا شك أن أهل الشام الذين عناهم أمير المؤمنين ﷺ آنذاك هم الذين يحمون أعراض الصحابة ﷺ ويجرسون السنة المطهرة، ويفتدون العقيدة المباركة. وقوله ﷺ: (ما عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ وَلَا اسْتَرَحَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاكُمْ ... المِغْرُورِ وَاللَّهِ مِنْ غَرِيْتَمُوهُ وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخِيْبِ ... أَصْبَحَتْ وَاللَّهِ لَا أَصْدَقَ قَوْلِكُمْ وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ وَلَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ)^(٢).

وقد جمع الناس الأفضية والفتاوى المنقولة عن خليفة رسول الله أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ فوجدوا أضحوبها وأدللها على علم صاحبها أمور أبي بكر ﷺ ثم عمر ﷺ ولهذا كان ما يوجد من الأمور التي وجد نص يخالفها عن عمر ﷺ أقل مما وجد عن علي ﷺ وأما خليفة رسول الله أبو بكر ﷺ فلا يكاد يوجد نص يخالفه، وكان هو الذي يفصل الأمور المشتبهة عليهم ولم يكن يُعرف منهم اختلاف على عهده. وعامة ما تنازعوا فيه من الأحكام والاجتهادات كان بعد أبي بكر ﷺ. - والحديث السابق عن علي ﷺ كذب ظاهر لا تجوز نسبة مثله إلى علي ﷺ فإن علياً أعلم بالله وبدين الله من أن يحكم بالتوراة والإنجيل، إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لمسلم أن يحكم بين أحد إلا بما أنزل الله في القرآن، وإذا تحاكم اليهود والنصارى إلى المسلمين لم يجز لهم أن يحكموا بينهم إلا بما أنزل الله في القرآن، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (المائدة: ٤١) إلى قوله تعالى: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٢/ ٨٩. ١/ ٣٢٣. الخليفة: الإنصاف، ٥١٤.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٩/ ٢٢١. الخليفة: الإنصاف، ٥١٧.

فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (المائدة: ٤٢) إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة: من الآية ٤٨) إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٩)

وإذا كان من المعلوم بالكتاب والسنة والإجماع، أن الحاكم بين اليهود والنصارى لا يجوز أن يحكم بينهم إلا بما أنزل الله على محمد ﷺ سواء وافق ما بأيديهم من التوراة والإنجيل أو لم يوافق، كان من نسب علياً ﷺ إلى أنه يحكم بالتوراة والإنجيل بين اليهود والنصارى، أو يفتيهم بذلك، ويمدحه بذلك: إما أن يكون من أجهل الناس بالدين، وبما يمدح به صاحبه، وإما أن يكون عدواً حاقداً على الصحابة فأراد القدح في علي ﷺ من باب الذم بمعرض المدح بمثل هذا الكلام الذي يستحق صاحبه الذم والعقاب والتعزير والتسفيه، وإن دل قول الرافضة هذا على شيء فإنما يدل على جذور عقائدهم التي استقوها من التوراة والإنجيل على يد ابن سبأ وتلامذته وأنهم لا صلة لهم بكتاب الله تعالى ولا رابطة لهم بعلي ﷺ ولا آل بيت النبي محمد ﷺ.

- وأما أبو بكر ﷺ فلم يسأل علياً ﷺ قط عن شيء من مسائل العلم، وأما عمر ﷺ فكان يشاور الصحابة: عثمان وعلي من أهل الشورى، وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم، ولم يكن أبو بكر ﷺ ولا عمر ﷺ ولا غيرهما من أكابر الصحابة يخصان علياً بسؤال، والمعروف أن علياً ﷺ أخذ العلم عن أبي بكر ﷺ كما في السنن عن علي ﷺ قال: كنت إذا سمعت من النبي ﷺ حديثاً نفعني الله به ما شاء أن ينفعني، فإذا حدثني أحد حديثاً استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي، ثم

يستغفر الله إلا غفر الله له^(١) ومعلوم أن أمير المؤمنين علي عليه السلام كان يجلد من يفضله على أبي بكر الصديق عليه السلام حد المفتري كما جاء في الرواية الصحيحة.

- وقال الرافضي مفترياً على خليفة رسول الله: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: جهزوا جيش أسامة وكرر الأمر بتنفيذه، وكان فيهم أبو بكر وعمر وعثمان عليه السلام ولم ينفذ أمير المؤمنين علي لأنه أراد منعهم من التوثب على الخلافة بعده فلم يقبلوا منه.

- والجواب من وجوه: أن هذا البهتان الذي افتراه عدو الصحابة لا يروى بإسناد معروف، ولما لم يأت هذا المفتري بسند يثبت ما جاء به اتضح إفكُه وبان زيْفُه وأنه كذاب يهذي على الصحابة بإيحاء من أحقاده عليهم وكرهيته لهم.

والثاني: أن هذا كذب ياجماع علماء النقل، فلم يكن في جيش أسامة: لا أبو بكر عليه السلام ولا عثمان عليه السلام وإنما قيل: إنه كان فيه عمر عليه السلام وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه استخلف أبا بكر عليه السلام على الصلاة حتى مات، وصلى أبو بكر عليه السلام الصبح يوم موته صلى الله عليه وآله وقد كشف سجف الحجر، فرأهم صفوفاً خلف خليفته أبي بكر عليه السلام فسّر بذلك، فكيف يكون مع هذا قد أمره أن يخرج في جيش أسامة؟! ولكن شدة حقدهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحابته عليه السلام يُنسيهم ما يقولون فينكشف بهتانهم وباطلهم، وواضح أنهم في هذه الفرية يتهمون رسول الله صلى الله عليه وآله بعدم التبليغ حاشاه صلى الله عليه وآله كما يتهمون الصحابة بالتمرد على أمره صلى الله عليه وآله.

الثالث: أن النبي صلى الله عليه وآله لو أراد تولية علي عليه السلام لكان الناس أعجز جميعاً من أن يدفعوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ولكان الصحابة أطوع لله ولرسوله صلى الله عليه وآله من أن يدعوا أحداً يخالف أمره صلى الله عليه وآله.

الرابع: أنه أمر أبا بكر عليه السلام يصلي بالناس ولم يأمر علياً عليه السلام فلو كان علي هو الخليفة لكان يأمره بالصلاة بالمسلمين، فكيف ولم يؤمر علياً عليه السلام على أبي بكر عليه السلام في يوم قط؟! بل في الصحيحين أنه

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، (١٣٠٠) سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، ح (٣٧١) وقال الترمذي: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه... سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في أن الصلاة كفارة، ح (١٣٨٥) ينظر: منهاج السنة، ٥/١٤٠.

لما ذهب يصلح بين الأنصار من بني عمرو بن عوف، قال لبلال: (إذا حضرت الصلاة فمُرْ أبا بكر أن يصلي بالناس)^(١) وكذلك في مرضه، ولما أراد إقامة الحج أمر خليفته أبا بكر أن يحج، وأردفه بعلي تابِعاً له وأبو بكر ﷺ هو الإمام الذي يصلي بالناس: بعلي ﷺ وغيره، ويأمر علياً وغيره فيطيعونه، وقد أمر أبو بكر ﷺ على علي ﷺ في حجه سنة تسع، وكان أبو بكر ﷺ مؤمراً عليهم وإماماً لهم.

- قول الرافضي: أنه ﷺ لم يولّ أبا بكر ﷺ شيئاً من الأعمال، وولّى عليه.

والجواب من وجوه: أحدها: أنّ هذا كذب، وأنّ الولاية التي ولاها ﷺ لأبي بكر لم يشر-كه فيها أحد، وهي ولاية الحج. وقد ولى من هو دون أبي بكر ﷺ بإجماع أهل السنة وإقرار الرافضة، مثل عمرو بن العاص ﷺ والوليد بن عقبة، وخالد بن الوليد وغيرهم ﷺ فعلم أن النبي ﷺ لم يترك ولايته إلا حباً له، ورغبة بدوام قربه منه ﷺ ولأنه يُعده لأكبر من كل هذه المهام؛ يُعده لخلافته على كل من أمره ﷺ ومن لم يؤمره من أصحابه رضي الله عنهم، فعدم ولايته دلّ على تمسك رسول الله ﷺ بصاحبه أبي بكر ﷺ وأنه كان يترك ولايته لأنه عنده أنفع له منه في تلك الولاية التي يغني فيها الكثير من أصحابه الذين لا يمكن أن يسدّ أحد منهم مسدّ صاحبه الذي اتضح أنّ حاجته إليه في المقام عنده وغناه عن المسلمين أعظم من حاجته إليه في تلك الولاية، فإنه هو وعمر كانا وزيرين له وكان ﷺ كثيراً ما يقول: (ذهبْتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر)^(٢) وكان أبو بكر ﷺ يسمر عنده ﷺ عامة ليله^(٣).

وعمر ﷺ لم يكن يولي أهل الشورى كعثمان وطلحة والزبير وغيرهم ﷺ وهم عنده أفضل ممّن ولاهم، مثل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأبي موسى الأشعري ومعاوية وغيرهم ﷺ لأنّ انتفاعه بهؤلاء في حضورهم عنده أكمل من انتفاعه بواحد منهم في ولاية يكفي فيها من هو

(١) صحيح ابن خزيمة: ح (١٥١٧) ينظر: منهاج السنة، ٨/ ٢٩٣.

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٤٨٢) صحيح مسلم: ح (٢٣٨٩).

(٣) ينظر: منهاج السنة النبوية، ٨/ ٢٩٣.

دونهم. وأبو بكر رضي الله عنه كان يدخل مع النبي صلى الله عليه وسلم ويليه عمر وقال لهما: (إذا انفقتما على شيء لم أخالفكما)^(١) وإذا قدم عليه الوفد شاورهما، فقد يشير هذا بشيء ويشير هذا بشيء، ولذلك شاورهما في أسرى بدر، وكانت مشاورته لأبي بكر أغلب، واجتماعه به أكثر هذا يعلمه مَنْ تدبر الأحاديث الصحيحة التي يطول ذكرها.

وافترأ أعداء الصحابة: أنه صلى الله عليه وسلم أنفذه رضي الله عنه لأداء سورة براءة وأمر علياً رضي الله عنه برده، وأن يتولى هو ذلك.

والجواب من وجوه: أحدهما: أن هذا كذب باتفاق أهل العلم وبالتواتر؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر رضي الله عنه على الحج سنة تسع، ولم يرده ولا رجع بل هو الذي أقام للناس الحج ذلك العام، وعلي رضي الله عنه من جملة رعيته: يصلي خلفه ويدفع بدفعه في الحج، ويأمر بأمره كسائر من معه، وهذا من العلم بالتواتر عند أهل العلم، لم يختلف اثنان في أن خليفة رسول الله أبا بكر رضي الله عنه هو الذي أقام الحج ذلك العام بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وأن علياً رضي الله عنه كان أحد أتباعه في تلك الحجة، فكيف يفترى أعداء الصحابة: أنه أمره برده؟! ولكن أردفه بعلي لينبذ إلى المشركين عهدهم، إما لأنه لم يؤكد عليه ذلك أو زيادة في التأكيد، وإما لأن عادة أهل الجاهلية كانت جارية أن لا يعقد العقود ولا يجلها إلا المطاع أو رجل من أهل بيته. وكل هذا البهتان يؤكد على حقيقة واحدة هي أن من يصدق أعداء الصحابة فهو أحمق لأنهم من شدة حقدهم على الصحابة يكذبون حتى القرآن الكريم، ويؤكد ما ذهبنا إليه في هذا البحث أن الأصل إماتة باطلهم وبهتانهم بعدم ذكره وأنه يكفي على كذبهم أنهم يتهمون الصحابة وهم من هم في الباطنية والكذب وعداوة السنة وأهلها وحرّاسها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع، في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: (أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف

(١) ينظر: منهاج السنة، ٦/١٢٩، ٨/٢٩٥. مجموع الفتاوى: ٤/٣٩٩.

بالبیت عریان^(١) وفي رواية: ثم أردف النبي ﷺ بعلي، وأمره أن يؤذن بسورة براءة، فأذن علي ﷺ معنا في أهل منى يوم النحر ببراءة، وبأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. قال: فنذ أبو بكر ﷺ إلى الناس في ذلك العام عهدهم، ولم يحج عام حجة الوداع التي حجَّ فيها النبي ﷺ أحد من المشركين.

- قال أبو محمد بن حزم: (وما حصل في حجة الصديق ﷺ كان من أعظم فضائله؛ لأنه هو الذي خطب بالناس في ذلك الموسم والجمع العظيم والناس منصتون لخطبته يصلون خلفه، وعلي ﷺ من جملتهم يصلي خلفه. وفي السورة - براءة - فضل أبي بكر ﷺ وذكر الغار، فقرأها عليّ على الناس، فهذا مبالغة في فضل أبي بكر وحجة قاطعة)^(٢) على أعداء الصحابة أجمعين وأنّ علياً ﷺ بريء منهم ومن زيفهم وأنّ إمامه الأول بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق ﷺ. وها هو ينشر فضائله على الملأ من الناس المؤمنين والمشركين على حد وفي حياتهما وفي حياة رسول الله .

ولكي لا يزاود المفترون ببعض الشبهات على مَنْ لا علم له، فإنّ تأمير النبي ﷺ هذا لأبي بكر ﷺ على علي ﷺ كان بعد قوله ﷺ لعلي: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟)^(٣) ولا ريب أن هذا المفترى ونحوه من شيوخ أعداء الصحابة من أجهل الناس بأحوال رسول الله ﷺ وسيرته وأموره ووقائعه، يجهلون من ذلك ما هو متواتر معلوم لمن له أدنى معرفة بالسيرة، ومن مكرهم أنهم يجيئون إلى ما وقع من أحداث السيرة فيقلّبونه ويزيدون فيه أو ينقصونه سعياً وراء تشكيك الناس بالإسلام وبنبيه ﷺ وخلفائه الراشدين ﷺ فأعداء الصحابة لا يبحثون عن الحقيقة عندما تتعلق المسألة بأصحاب رسول الله ﷺ أو أحد من أمة الكتاب والسنة، وإنها يبحثون عن قلب الحقائق وإلصاق التهم بالمؤمنين، خدمة لعقيدتهم القائمة على هدم السنة

(١) ينظر: منهاج السنة، ٨ / ٢٩٦.

(٢) ابن حزم، الفصل، ٤ / ٢٢٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب علي س، (٣٤٣٠) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي س، ح (٤٤١٩)، (٤٤٢٠). سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي، ح (٣٦٥٨).

النبوية المطهرة، وامتثالاً لتعاليم مراجعهم التي يعملون لها من دون آيات الله تعالى، وهم لا يحققون ما قالوه ولا يباليون بمخالفته لنصوص القرآن والسنة، أو لما هو معلوم من الدين عند أهل العلم المتواتر حتى لو كان ذلك معلوماً لعامتهم وخاصتهم؛ لأنه ليس لهم سوى هدف واحد في كل ما يقولونه ويفعلونه هو تبغيض الناس بالإسلام وبالصحابة الذين حملوه وصناعة ثقافة غارقة بالكراهية للسنة وأهلها.

الثاني: قول عدو الصحابة: الإمامة العامة متضمنة لأداء جميع الأحكام إلى الأمة.

قول باطل؛ فالأحكام كلها قد تلقتها الأمة عن نبيها ﷺ لا تحتاج فيها إلى الإمام إلا كما تحتاج إلى نظائره من العلماء، وكانت عامة الشريعة التي يحتاج الناس إليها عند الصحابة معلومة، ولم يتنازعوها زمن خليفة رسول الله الصديق ﷺ في شيء منها، إلا واتفقوا بعد النزاع بالعلم الذي كان يظهره بعضهم لبعض وكان الصديق ﷺ يعلم عامة الشريعة، وهذا ما يعلمه عنه جميع الصحابة، فإذا خفي عنه الشيء اليسير سأل عنه ممن كان عنده علم ذلك من الصحابة، كما سألهم عن ميراث الجدّة، فأخبره من أخبره منهم أن النبي ﷺ أعطاهما السدس^(١) فأبو بكر ﷺ هو الخليفة وهو الإمام بعد رسول الله ﷺ ومن شذ عن ذلك شذ عن الإسلام وعن إجماع المهاجرين والأنصار.

- ومما انفرد به خليفة رسول الله أنه لم يعرف له فتياً ولا حكم خالف نصاً، وقد عرف لعمر وعثمان وعلي ﷺ من ذلك أشياء، والذي عرف لعلي ﷺ أكثر مما عرف لهما ﷺ مثل قوله في الحامل المتوفى عنها زوجها: إنها تعتد أبعد الأجلين. وعن النبي ﷺ أنه قال: لسبيعة الأسلمية لما وضعت

(١) ابن قدامة، المغني، ٦ / ٢٦١ .

بعد وفاة زوجها بثلاث ليال: (حللت فانكحي من شئت) ولما قالت له: إن أبا السنابل قال: ما أنت بناكحة حتى يمضي عليك آخر الأجلين. قال: (كذب أبو السنابل)^(١).

وقد جعل الشافعي في كتاب (خلاف علي وعبد الله بن مسعود) من أقوال علي التي تركها الناس لمخالفتها النص المروي أكثر من ذلك؛ فإنه كان إذا ناظره الكوفيون يحتج بالنصوص، فيقولون: نحن أخذنا بقول علي وابن مسعود فجمع لهم أشياء كثيرة من قول علي وابن مسعود رضي الله عنهما، تركوه أو تركه الناس، يقول: إذا جاز لكم خلافهما في تلك المسائل لقيام الحجة على خلافهما فكذلك في سائر المسائل، ولم يُعرف لأبي بكر ﷺ مثل هذا لأنه أعلم الأمة وأحزمها، مما يبين أن أعداءه هم أجهل الأمة وأكذبا وأن من لم يعرف عنهم هذا ويحذره فإنه مُضَيِّعٌ لدين الإسلام وللجنة المشرفة ومضيع للهوية وللأمانة.

الثالث: إن القرآن بَلَّغَهُ عن النبي ﷺ كل أحد من المسلمين، فيمتنع أن يقال: إن أبا بكر ﷺ لم يكن يصلح لتبليغه لأنه أعلم الصحابة بالقرآن وبالسنة. لكن الكراهية أعمت أعداء الصحابة عن الحق والعمل به حتى أودت بهم إلى صناعة دين يضاؤون به الإسلام قائم على مخالفة عامة ما صح عن الصحابة ﷺ.

الرابع: أنه لا يجوز أن يظن أن تبليغ القرآن يختص بعلي ﷺ فإن القرآن لا يثبت بخبر الأحاد، بل لا بد أن يكون منقولاً بالتواتر. ثم إن علياً ﷺ لم يقل شيئاً بهذا المعنى حتى يبنى عليه أعداء الصحابة كذبهم وما ينفس عن أحقادهم.

الخامس: أن الموسم ذلك العام كان يحج فيه المسلمون والمشركون، وكان النبي ﷺ أمر أبا بكر ﷺ أن ينادي في الموسم: (أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان)^(٢) فأبي حاجة كانت

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وأولات الأحمال أن يضعن حملهن، ح (٣٦٥) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها بوضع الحامل، ح (٢٧٢) سنن الترمذي، كتاب الطلاق، باب ما جاء في الحامل المتوفى عنها زوجها تضع، ح (١١١٤) ينظر: منهاج السنة، ٤/٢٤٣-٨/٢٩٩.

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٦٢).

بالمشركين إلى أن يُبلغوا القرآن وهم لم يؤمنوا به بعد. وبالجملة فإن الصحابة كباراً وصغاراً لم يكن أحد منهم يخالف خليفة رسول الله في أمر يقضي به كل ذلك اقتداءً واتباعاً وثقة بعلمه وفقهه؛ لا في أمر عام كما في المسائل السالفة، ولا في أمر خاص كما حصل عندما تنازع عمر وزوجته بعد أن طلقها على حضانة ابنه، بل إن عمر ﷺ لم يراجع خليفة رسول الله الصديق في قضائه وحكمه الذي أصدره حتى ولو بكلمة واحدة.

روى مالك في (الموطأ) أنه كانت عند عمر ﷺ امرأة من الأنصار فولدت له عاصم بن عمر ثم إن عمر فارقها فجاء بعد ذلك قُبَاء فوجد ابنه عاصماً يلعب بفناء المسجد فأخذ بعضده فوضعه بين يديه على الدابة فأدرسته جدته فنازعته إياه حتى أتيا أبا بكر الصديق ﷺ فقال عمر: ابني. وقالت: ابني فقال أبو بكر ﷺ: خَلَّ بينها وبينه فما راجعه عمر الكلام، قال ابن عبد البر: هذا خبر مشهور من وجوه منقطعة ومتصلة تلقاه أهل العلم بالقبول وزوجة عمر ﷺ أم ابنه عاصم هي: جميلة ابنة عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ﷺ، قال: وفيه دليل على أن عمر ﷺ كان مذهبه في ذلك خلاف أبي بكر ﷺ ولكنه سلم للقضاء ممن له الأمر والإمضاء، ثم كان بعد في خلافته يقضي به ويفتي، ولم يخالف أبا بكر ﷺ في شيء منه ما دام الصبي صغيراً لا يميز، ولا يخالف لهما من الصحابة، وعن ابن عباس قال: طلق عمر ﷺ امرأته الأنصارية أم ابنه عاصم فلقبها تحمله بمحسر. وقد فطم ومشى، فأخذه لينتزعه منها، ونازعها إياه؛ حتى أوجع الغلام وبكى، وقال ﷺ: أنا أحق بابني منك! فأتيا إلى أبي بكر ﷺ فقضى لها به. وقال أبو بكر ﷺ: ريحها وراشها وحجرها خير له منك حتى يشب لنفسه - ومحسر - سوق بين قباء والمدينة^(١).

وذكر عن الثوري عن عاصم عن عكرمة قال: خاصمت امرأة عمر إلى أبي بكر رضي الله عنهما وكان طلقها فقال خليفة رسول الله أبو بكر ﷺ: الأم أعطف وألطف وأرحم وأحنى وأرأف هي بولدها ما لم تتزوج، وذكر عن معمر قال: سمعت الزهري يقول إن أبا بكر ﷺ قضى على عمر ﷺ

(١) ابن القيم: زاد المعاد: ٥ / ٤٣٧.

في ابنه مع أمه، وقال: هي أحق به ما لم تتزوج، فإن قيل: فقد اختلفت الرواية هل كانت المنازعة وقعت بينه وبين الأم أولاً ثم بينه وبين الجدة أو وقعت مرة واحدة بينه وبين إحداهما؟ قيل: الأمر في ذلك قريب لأنها إن كانت من الأم فواضح، وإن كانت من الجدة فقضاؤه ﷺ لها يدل على أن الأم أولى^(١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: طلق عمر ﷺ امرأته فذكر الأثر المتقدم وقال فيه خليفة رسول الله: ريجها وفراشها خير له منك حتى يشب ويختار لنفسه فحكم به لأمه حين لم يكن له تمييز إلى أن يشب ويميز حيثئذ^(٢).

وفي كل ما سبق تتجلى مكانة خليفة رسول الله العلمية والفقهية وتسليم الصحابة له في كل ذلك وفي مقدمتهم أمير المؤمنين علي ﷺ وبالتالي بيان بهتان وكذب أعداء الصحابة على خليفة رسول الله وظهور مخالفتهم للقرآن وسعيهم الحثيث على تكوين دين يخالف دين الصحابة عليّ وغيره في كل شيء، فهم يفترون على علي ﷺ ويزعمون اتباعه مكرراً وتليباً! ويفترون على الصحابة ويزعمون أن ذلك ورثه عن آل البيت وهنا على العاقل أن يعرف أي بيت يريدون!! وكل من لم يعرف ذلك البيت المخالف لسنة رسول الله ﷺ فهو جاهل أو مفتون أو مخلط بين الحق والباطل.

لحوب إبنه فأجج بكر وعلی رضی الله عنهما أملك

ومن الشبهات التي يعمل أعداء الصحابة على نشرها أو التشويش عليها مسألة جهاد الصديق ﷺ بالمال التي لم يسبقه أحد من الناس فيها حيث أنفق جميع ماله في هذا الميدان، وزيادة في التليب والتشكيك فإنهم يعملون على نسبة كثير من المواقف أو الآيات والأحاديث التي تشني على الصديق ﷺ إلى أخيه علي ﷺ مناطحين في ذلك النصوص الصحيحة والحقائق الفاقعة، وعلى الرغم من ذلك فإنهم غير مباليين فيما يفعلون أو يقولون حتى لو جلب ذلك عليهم اللعنة

(١) ابن القيم: زاد المعاد: ٥ / ٤٦٥.

(٢) زاد المعاد: ٥ / ٥١٨.

وانعدام الثقة، وذلك أن همهم إشغال المسلمين بأنفسهم وصددهم عن مقاصدهم الكبرى في تبليغ الرسالة ونشر الدين ونصرة الأمة، ولكن على الرغم من مكرهم وتليبسهم فهذه أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة في حق خليفته أبي بكر ﷺ تأتي على باطلهم فتزهقه وعلى بنيانهم فتتسفه، لا ينكرها إلا من خرج عن دائرة الإسلام، ولا يشك فيها إلا من غرق في الأوحال والظلام.

قال ابن عباس: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقه على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إنه ليس من الناس أحد آمن عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدّوا عني كل خوخة في هذا المسجد إلا خوخة أبي بكر)^(١).

وقال: (إن آمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر)^(٢) وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟) مرتين فما أؤذي بعدها^(٣) وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر) فبكى أبو بكر وقال: هل أنا وما لي إلا لك يا رسول الله؟^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، ح ٤٤٧٠. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، ح (٤٣٩١). (٤٣٩٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق، (٣٥٨٨) سبق تخريجه ينظر: منهاج السنة ٨ / ٤٩٨. الخوخة: واحدة الخوخ والخوخة كوة في البيت تؤدي إليه الضوء، والخوخة محترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب.

(٢) صحيح البخاري: ح (٤٥٤).

(٣) صحيح البخاري: ح (٣٤٦١).

(٤) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فضل أبي بكر الصديق ﷺ، (٩١) الألباني، صحيح الجامع الصغير، ٥ / ١٩٠. وينظر: منهاج السنة، ٥ / ٢١.

وعن عمر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوماً. فجئت بنصف مالي فقال النبي: (ما أبقيت لأهلك؟) قلت: مثله. وجاء أبو بكر بهاله كله. فقال له النبي: (ما أبقيت لأهلك؟) قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً^(١) فهذه النصوص الصحيحة المتواترة الصريحة وغيرها الكثير، تدل على أنه كان من أعظم الناس إنفاقاً لماله فيما يرضي الله ورسوله ﷺ وأما علي رضي الله عنه فلم يكن يملك ما ينفقه على نفسه فضلاً عن أن يتصدق به، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لما تزوج علي فاطمة قال له رسول الله ﷺ: " أعطها شيئاً " قال: ما عندي شيء! قال " أين درعك الحطمية؟ ")^(٢).

فكان النبي ﷺ يعُوله حين أخذه من أبي طالب يخفف عنه أعباء تكاليف ومتطلبات الأسرة في حالة عسر كان يمر بها أبو طالب، وما زال علي رضي الله عنه فقيراً حتى تزوج بفاطمة رضي الله عنها وهو لا يملك شيئاً، وهذا مشهور معروف عند أهل السنة وعند أعداء السنة، وكان علي رضي الله عنه طيلة تلك الفترة في عيال النبي ﷺ ينفق عليه ويرعى شؤونه، والأحاديث التي تتناول هذا الجانب في حياة الصديق وعلي رضي الله عنهما والشواهد عليها أشهر من يسأل عنها باحث أو طالب علم حيث لا يكاد يخلو منها بحث ولا كتاب، وكتب التفسير توضح ذلك وتشير إلى ما جاء في بعض الآيات من تنويه بإنفاق أبي بكر رضي الله عنه وكرمه الذي كان خالصاً لوجه الله تعالى ولم يكن مقروناً بمصلحة.

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ (الليل: ١٩) هذه الآية التي نزلت في أبي بكر رضي الله عنه دون علي رضي الله عنه وبقية الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن لأحد من نعمته عند أبي بكر رضي الله عنه إلا نعمة الإيمان التي كان سببها النبي ﷺ هداه الله به، وتلك النعمة لا يجزي بها الخلق، بل أجر الرسول

(١) الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما، ح (٣٦٠٨) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في الرخصة

في ذلك، ح (١٤٢٩) منهاج السنة ٢/٥٢، ٨/٤٩. أبو نعيم: حلية الأولياء، ١/٣١.

(٢) سنن أبي داود: ح (٢١٢٥). قال الألباني: صحيح.

ﷺ فيها على الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص: ٨٦) وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سبأ: ٤٧) وأما النعمة التي يجزى بها الخلق فهي نعمة الدنيا، وأبو بكر ﷺ لم تكن للنبي ﷺ عنده نعمة الدنيا، بل نعمة الدين، بخلاف علي ﷺ الذي كان للنبي ﷺ عنده نعمة دنيا يمكن أن تجزى.

وأن أبا بكر الصديق ﷺ لم يكن بينه وبين النبي ﷺ سبب يواليه لأجله فيخرجه من ماله ومكانته؛ إلا الإيثار، ولم ينصره كما نصره أبو طالب لأجل القرابة، وكان عمله كاملاً في إخلاصه لله تعالى كما قال عز وجل: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى، وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (الليل: ٢٠، ٢١) وكذلك أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها كانت زوجته، والزوجة قد تنفق مالها على زوجها وإن كان دون النبي ﷺ وعلي ﷺ لو قدر أنه أنفق من ماله، لكان قد أنفق على قريبه وابن عمه النبي ﷺ، وهذه أسباب قد يضاف الفعل إليها، بخلاف إنفاق أبي بكر ﷺ فإنه لم يكن له سبب إلا الإيثار بالله وحده، فكان من أحق المتقين لتحقيق قوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (الليل: ٢٠) استثناء منقطع والمعنى: لا يقتصر في العطاء على من له عنده نعمة يكافئه عليها بذلك، فإن هذا من باب العدل الواجب للناس بعضهم على بعض، بمنزلة المعاوضة في المباينة والمؤاجرة، وهو واجب لكل أحد على أحد، فإن لم يكن لأحد عنده نعمة تجزى لم يحتج إلى هذه المعاوضة، فيكون عطاؤه خالصاً لوجه ربه الأعلى، بخلاف من كان عنده لغيره نعمة يحتاج أن يجزيه بها، فإنه يحتاج أن يعطيه مجازاة على ذلك.

وأن هذه الآية إذا قدر أنه دخل فيها من دخل من الصحابة، فأبو بكر ﷺ أحق الأمة بالدخول فيها، فيكون هو الأتقى من هذه الأمة، فيكون أفضلهم. وذلك لأن الله تعالى وصف الأتقى بصفات أبو بكر ﷺ أكمل فيها من جميع الأمة وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (الشمس: ١٨) أما إيتاء المال فقد ثبت عن النبي ﷺ أن إنفاق أبي بكر أفضل من إنفاق غيره، وأن معاونته له بنفسه وماله أكمل من معاونته غيره، كما أشارت النصوص السابقة إلى ذلك.

أولاهم بالدخول فيها، وأكمل من دخل فيها، فعلم أنه أفضل الأمة على الإطلاق في كل خير
ﷺ^(١).

- وأما ابن المطهر الحلي في أباطيله المتواصلة لتزييف تاريخ الصحابة ﷺ في مثل بهتانه حول نفقة
أبي بكر ﷺ على النبي ﷺ ومحاولته جعل ذلك لعلي ﷺ لخلط الأوراق، وأنه لم يكن لأبي بكر ﷺ
مال! فإن أباه كان فقيراً وكل ذلك ثابت في أصول ثقافتهم المبنية على الجحود ونشر- البغض
والكراهية والحقد على أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم بإحسان؛ وقلب الحقائق التي عاشوها
ﷺ فضلاً عن ثقافة القذف والبهتان التي يستهدفون بها رموز الأمة ووجهاء الأبرار، ولا سيما
الفاحين والمحدثين، ومن أباطيلهم التي يدينون بها؛ أن أبا بكر ﷺ كان معلماً للصبيان في الجاهلية،
وفي الإسلام كان خياطاً، ولما ولي أمر المسلمين منعه الناس عن الخياطة، فقال: إني محتاج إلى القوت
فجعلوا له كل يوم ثلاثة دراهم من بيت المال، وغير ذلك من الهذيان المفصوح الذي لا يقول به إلا
من أسقط الحياء والأمانة.

- قال أبو العباس ابن تيمية: إن من أعظم الظلم والبهتان أن ينكر الرجل ما تواتر به النقل، وشاع
بين الخاص والعام وامتألت به كتب الحديث الصحاح والمساند والتفسير والفقه والكتب
المصنفة في أخبار القوم وفضائلهم ثم يدعي شيئاً من المنقولات التي لا تعلم بمجرد قوله، ولا
ينقله بإسناد معروف! ولا إلى كتاب يعرفه يوثق به، ولا يذكر ما قاله. فلو قدرنا أنه ناظر أجهل
الخلق في ذلك لأمكنه أن يقول له: بل الذي ذكرت هو الكذب، والذي قاله منازعوك هو
الصدق، فكيف تخبر عن أمر كان بلا حجة أصلاً ولا نقل يعرف به ذلك؟ ومن الذي نقل من
الثقات ما ذكره عن أبي بكر؟ ثم يقال: أما إنفاق أبو بكر ماله فمتواتر منقول في الحديث الصحيح

(١) ينظر: منهاج السنة، ٨ / ٥٠٤ .

من وجوه كثيرة، حتى قال ﷺ: (ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر)^(١) وقال ﷺ: (إن أمنّ الناس علي في صحبته وذات يده أبو بكر) كما سبق ذكر ذلك، وكما اتضح عنه أنه اشترى المعذنين من ماله: بلالاً وعامر بن فهيرة وغيرهم من المستضعفين في مكة ﷺ.

وقد أسلم أبو بكر ﷺ وله أربعون ألف درهم^(٢) قال عروة: وأخبرتني الطاهرة عائشة رضي الله عنها أنه مات وما ترك ديناراً ولا درهماً! أنفق كل ماله في سبيل الله، وقال يعقوب بن سفيان في تاريخه: أسلم أبو بكر ﷺ وله أربعون ألفاً فأنفقها في سبيل الله، وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله، لهذا كان أهلاً لقول رسول الله ﷺ: (إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر: ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر ﷺ)^(٣) وقوله ﷺ: (إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركولي صاحبي) مرتين، فما أؤذي بعدها^(٤) فمن يؤذي خليفة رسول الله يعرض نفسه لغضب رسول الله وسخطه وبراءته منه لأنه لن يجتمع عند رسول الله ﷺ صاحبه وظهيره ونصيره الأول في الأمة؛ مع من يبغضه ويفتري عليه ويرفض خلافته التي ارتضاها رسول الله ﷺ لأتمه من بعده^(٥).

ومن الدلالات الأخرى على بهتان أعداء الصحابة، استخفافهم بعقول أمة الكتاب والسنة، فهم يشتمون خيارهم في كتبهم، ويردون صريح قرآنهم وصحيح سنة نبيهم ﷺ، ولا يجدون من

(١) سنن ابن ماجه: باب فضل الصديق ﷺ ح (٩١) الألباني: صحيح الجامع الصغير، ١٩٠ / ٥. وينظر: منهاج السنة، ٢١ / ٥.

(٢) البسوي: المعرفة والتاريخ، ٢٨٣ / ٣. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٦٣ / ٣٠.

(٣) البخاري: كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ (سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر) ح (٣٦٥٤).

(٤) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً) ح (٣٦٦١).

(٥) ينظر إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبو بكر الصديق ﷺ: ٣٠٤ / ١.

يلومهم على حجم ما تقترف أيديهم وألسنتهم إلا من رحم الله وقليل ما هم، بل إن عامة أهل السنة يتعاملون مع أعداء الصحابة، ببرود وترهُلٍ وتيه وجهل وضعف شديد في الولاء للصحابة، وكأن معتقد أولئك في الصحابة ومن تبعهم ليس معتقد التكفير والاستباحة!! وكأن تاريخهم ليس ملطخاً بدماء الفاروق وذي النورين؛ وكأنهم لم يخذلوا علياً ولم يغدروا بالحسين ﷺ. وكأن حاضرهم ليس قائم على حرب رايات الكتاب والسنة ومن يستظل بظلالها! فأى أمة هذه التي لا تميز بين من يجارها ومن يسالمها، ولا تحذر من يمكر بها ويتحالف مع أعدائها، ويستهيئ بدينها ومعتقداتها وبأئمتها، ويجاهر بذلك عند كل ملمة ومحنة تمر بها الأمة، بل إن الأمر من ذلك تلك الدعوات التي ينادي بها بعض من يزعم أنه من علماء أهل السنة للتعاون والتقارب مع قتلة الراشدين ومبغضي الصحابة، على حساب الدين والحق والمصلحة، متجاهلاً حقائق عقيدتهم القائمة، على هدم دين أمة الكتاب والسنة، وسفك دماء أهلها واستباحتهم، فهل ينطق بمثل هذا عاقل لبيب يقدر الأمور بمقاديرها؟! وهل هناك أشدّ خطراً على الأمة ممن يعطيه الناس قيادهم ليقوم بنصحهم، والذب عنهم، والمحاماة عن ثوابتهم وصحيح معتقدتهم، ثم يخذعهم ويغري بهم أعداءهم إما بجعله أو جبنه أو غير ذلك، فيسهل في التمكين لأعداء الكتاب والسنة؟! وتمدد باطلهم في أرض المسلمين. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: ١٥).

الفصل الثالث

من شبهاتهم على إمامة أبي بكر
الصدّيق رضي عنه للمهاجرين والأنصار

المبحث الأول

إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه للمهاجرين والأنصار في الصلاة

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بني عمرو بن عوف الأنصار ليصلح بينهم فحانت الصلاة، فصلى بهم أبو بكر رضي الله عنه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم والناس في الصلاة، فتخلص حتى وقف في الصف فصفق الناس، وكان أبو بكر رضي الله عنه لا يلتفت في الصلاة، فلما أكثر الناس من التصفيق التفت فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امكث مكانك، فرجع أبو بكر يديه، فحمد الله على ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف، وتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بهم، ثم انصرف. فقال صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك ؟)) فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية: إن تلك الصلاة كانت صلاة العصر. فهذا الحديث من أصح حديث على وجه الأرض، وهو مما اتفق أهل العلم بالحديث على صحته وتلقيه بالقبول^(١) وفيه: أن أبا بكر رضي الله عنه أمهم في مغيب النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرت صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى التي أمروا بالمحافظة عليها، وفيه جمهور الصحابة رضي الله عنهم بما فيهم علي والعباس وسعد بن عباد والحباب بن المنذر وغيرهم رضي الله عنهم.

وعنه أيضاً. قال: كان قتال بين بني عمرو بن عوف، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم ليصلح بينهم بعد الظهر، فقال لبلال: ((إن حضرت الصلاة ولم آتكم، فمر أبا بكر فليصل بالناس)) وذكر الحديث. ثم لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يتم بهم الصلاة، فسلط أبو بكر مسلط الأدب معه صلى الله عليه وسلم وعلم أنه أمر إكرام لا أمر إلزام، فتأخر تأدباً معه، لا معصية لأمره، فإذا

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول، ح (٦٨٤) صحيح مسلم، باب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم، ح (٦٣٩). سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب التصفيق في الصلاة، ح (٩٣٩). سنن النسائي، كتاب الإمامة، باب إذا تقدم الرجل من الرعية (٧٧٦).

كان النبي ﷺ يقرّه في حال صحته وحضوره على إتمام الصلاة بالمسلمين التي شرع فيها، ويصلي خلفه ﷺ فكيف يظن به أنه في مرضه ﷺ وإذنه له في الصلاة بالناس يخرج ليمنعه من إمامته بالناس كما تزعم ذلك الرافضة؟! فهذا ونحوه ما يبيّن أن حال الصديق ﷺ عند رسول الله ﷺ وعند المؤمنين في غاية المخالفة لما هي عند أعداء الصحابة، ورثة ثقافة المنافقين والمرتدّين والمشركين، الذين يوالون أعداء الله، ويعادون أولياءه.

وفي رواية: "أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه، فكان يصلي بهم، قال عروة: فوجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج، فإذا أبو بكر يؤم الناس، فلما رآه أبو بكر استأخر، فأشار إليه رسول الله ﷺ أن كما أنت، فجلس رسول الله ﷺ حذاء أبي بكر إلى جنبه، فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر" (١).

وقال الأسود بن يزيد: كنا عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فذكرنا المواظبة على الصلاة والتعظيم لها، فقالت: لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، فحضرت الصلاة فأذن. فقال ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» فخرج أبو بكر يصلي، فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة فخرج يهادى بين رجلين، كأني أنظر رجليه تُحطّان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر، فأوماً إليه النبي ﷺ: أن مكانك، ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه، فقبل للأعمش: فكان النبي ﷺ يصلي، وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس يصلون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم، قال البخاري: وزاد معاوية: جلس عن يسار أبي بكر، وكان أبو بكر قائماً" (٢).

فعلى الرغم من وضوح الأدلة القطعية الثبوت في تقديم رسول الله ﷺ لخليفته أبي بكر الصديق ﷺ في الصلاة في أيام مرضه ﷺ ونهيه ومنعه لأي من الصحابة ﷺ أن يؤم المسلمين إلا الصديق ﷺ قال عبد الله بن زمعة ﷺ: "لما استعزّ بالنبي ﷺ - أي غلبه مرضه - وأنا عنده في نفر من الناس دعاه بلال إلى الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: "مروا أبا بكر يصلي بالناس" قال: فخرجنا،

(١) البخاري: صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب: الأذان، باب: من قام إلى جنب الإمام لعلّه، ح (٦٨٣)

(٢) البخاري: صحيح البخاري: ك. الجماعة والإمامة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ح (٦٣٣).

فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائباً، فقلت: يا عمر، قم فصل للناس، فتقدم فكبر، فلما سمع النبي ﷺ صوته - وكان عمر رجلاً مجهراً - قال: " فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون " فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس ". زاد في رواية قال: " لما أن سمع النبي ﷺ صوت عمر. قال ابن زمعة: خرج النبي ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرته، ثم قال: لا، لا، لا، ليصل بالناس ابن أبي قحافة " يقول ذلك مغضباً ﷺ " (١).

ومن هذه النصوص يتضح موقف النبي ﷺ وكيف لم يقبل ﷺ أن يتقدم أحد على الصديق ﷺ وعدم قبوله ﷺ أي اقتراح أو دعوى لتقديم غيره ﷺ وعلى هذا فإن: اختيار رسول الله ﷺ لصاحبه الصديق ليصلي بالناس وبهذا الحزم، ما هو إلا بيان لخلافته وإمامته على الملأ في حياته ﷺ لأن الصلاة أشرف أعمال المسلمين، ومن أقامها أقام الدين، وإمامتها مهمة الإمام القائد الأمر الناهي، فهذا التقديم هو اختيار رسول الله ﷺ لإمام الأمة وقائدها من بعده ﷺ الصديق ﷺ لأن الصلاة هي عماد الدين وأعظم شؤون المسلمين، وأن أي نوع من أنواع التشكيك بهذا الاختيار، إنها هو ردُّ لأمر رسول الله ﷺ ورد لإجماع المهاجرين والأنصار ﷺ سواء كان ذلك تحت شعار البحث العلمي أو تحت شعار الولاء لآل البيت أو غير ذلك، فلم يبق إلا اتباع النبي ﷺ وإجماع المهاجرين والأنصار، أو السقوط في هاوية مسيلمة الكذاب والمرتدين، الذين حاربوا الصديق ﷺ لرد أمة محمد ﷺ إلى الجاهلية.

ومع كل هذا الوضوح يأبى أعداء الصحابة إلا السقوط في الهاوية، واختيار طريق التشويش على هذه المسألة المسلم بها، لكي يشغلوا المسلمين في الرد على باطلهم، فجاء في بهتانهم أن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت تود أن يأمر رسول الله ﷺ غير أبي بكر ﷺ أن يصلي بالمسلمين؛ وحاولت بما تستطيع أن تصرف ذلك عن أبيها ﷺ حتى لامها رسول الله ﷺ

(١) سنن أبي داود: باب استخلاف أبي بكر، (٤٦٦٠) حديث حسن. وحديث (٤٦٦١) قال الألباني: صحيح.

على ذلك؛ يفترون عليها كما هو في عقيدتهم بأنها هي التي أمرت أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس وليس رسول الله ﷺ ليؤكدوا لكل من لديه مسحة من علم أنهم أمّة الإفك والبهتان الذين أشهر كذبهم كتاب الله تعالى، في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (النور: من الآية ١١) وليتأكد أن هؤلاء الذين يفترون على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بخلاف ما كانت ترغب من صرف الإمامة عن أبيها الصديق رضي الله عنه هم بقايا أمّة النفاق التي لا تبالي بما تقول أو تفعل.

- قال أبو العباس: إنّ هذا من الكذب المعلوم عند جميع أهل العلم بالحديث، فمن ذكر ما نقلته غير الذين هم من أكذب الناس وأجهلهم بأحوال رسول الله ﷺ؟ مثل المفيد بن النعمان والكراجكي وأمثالهما من مبغضي الصحابة الذين هم من أبعد الناس عن معرفة حال الرسول ﷺ وأقواله وأعماله.

وثانياً: هذا كلام جاهل يظن أن أبا بكر رضي الله عنه لم يصل بهم إلا صلاة واحدة، وأهل العلم يعلمون أنه لم يزل يصلي بهم حتى مات رسول الله ﷺ بأمره لأبي بكر واستخلافه له في الصلاة، بعد أن راجعته أمّهات المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما في ذلك، لما ذهب إلى بني عمرو بن عوف الأنصار ليصلح بينهم، ولم ينقل أن النبي ﷺ استخلف في غيبته على الصلاة، في غير سفر، في حال غيبته، وفي مرضه إلا أبا بكر رضي الله عنه، ولكن عبد الرحمن بن عوف صلّى بالمسلمين مرة واحدة صلاة الفجر في السفر عام تبوك^(١) لأن النبي ﷺ كان قد ذهب ليقضي حاجته، فتأخر وقدّم المسلمون عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فلما جاء النبي ﷺ ومعه المغيرة بن شعبه رضي الله عنه وكان النبي ﷺ قد توضأ ومسح على خفيه فأدرك معه ركعة وقضى ركعة، وأعجبه ما فعلوه من صلاتهم لما

(١) ينظر التفاصيل في: إمام الأمة وقائدها بعد النبي ﷺ خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ١ / ٥٧٥ فما بعدها.

(٢) منهاج السنة، ٨ / ٥٥٧.

تأخر^(١) فهذا إقرارٌ منه على تقديم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وفيه ردّ على كذب الرافضة على الصحابة وهاهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أئمة وقادة ومفتون بشرعه وبين يديه صلى الله عليه وآله بينما كان أعداء الصحابة وأئمتهم يعبدون النار ويسجدون للأكاسرة من دون الله!.

سبب محاولة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها **صرف الإمامة عن أبيها صلى الله عليه وآله** وعن سبب محاولة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها **صرف الإمامة عن أبيها صلى الله عليه وآله** قالت: لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، وإلا أي كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله عن أبي بكر رضي الله عنه^(٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال صلى الله عليه وآله: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر. فقال صلى الله عليه وآله: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر، فقالت له: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فأمر أبا بكر أن يصلي بالناس^(٣).

ففي هذا أنها راجعته وأمرت حفصة بمراجعته، وأن النبي صلى الله عليه وآله لامهن على هذه المرادة في **صرف الإمامة عن أبي بكر رضي الله عنه** وجعلها من الباطل. فدل هذا على أن تقديم غير أبي بكر رضي الله عنه في **الصلاة من الباطل الذي يذم من يراود عليه**، كما ذم النسوة على مرادة يوسف عليه السلام، هذا

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام، (٦٣٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من قام إلى جنب الإمام لعله، ح (٦٨٣). صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (٦٣٢-٦٣٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ح (٦٦٤) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض عذر (٦٣٣) (٦٣٤) سنن النسائي: باب الإتيان بالإمام يصلي قاعداً (٨٢٤).

مع أن أبا بكر رضي الله عنه قد قال لعمر أن يصلي فلم يتقدم عمر رضي الله عنه وقال: أنت أحق بذلك، فكان في هذا اعتراف عمر له أنه أحق بالصلاة منه، كما اعترف له أنه أحق بالخلافة منه ومن سائر الصحابة وأنه أفضلهم رضي الله عنهم كما تجل ذلك في قول عمر لأبي بكر رضي الله عنهما في سقيفة بني ساعدة عندما قال أبو بكر للأَنْصار رضي الله عنهم: ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعرقهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس^(١) ففي هذا الخبر إخبار عمر بين المهاجرين والأنصار أن أبا بكر سيد المسلمين وخيرهم وأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سبب مبايعته. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لبيان بذلك أن المأمور به تولية الأفضل، وأنت أفضلنا فنبايعك، وهذا ما يؤكد حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل من أحب الرجال إليك؟ قال: أبو بكر^(٢).

ولما قال صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً)^(٣) وهذا مما يقطع أهل العلم بالحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله، وإن كان من ليس له مثل علمهم لم يسمعه، أو سمعه ولا يعرف أصدق هو أم كذب؟ فلكل علم رجال يقومون به، وللحروب رجال يعرفون بها، وللدواوين حساب وكتاب، وسئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفاً لو

(١) البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً، ح (٣٦٧٠) ابن حنبل، المسند، ح (١٨) ط. د. المعارف، ١٩٤٩م ١٩٨٠م. الطبري، تاريخ، ٣/ ٢٠٣، وكيع، أخبار القضاة، ٢٣. الخليفة، الإنصاف، ١١٣. منهاج السنة، ١/ ٥١٨ - ٨/ ٥٦٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب لو كنت متخذاً خليلاً، ح (٣٦٦٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، ح (٤٣٩٦) الترمذي، السنن، ك. المناقب، باب من فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ح (٣٨٢٠) (٣٨٢٥).

(٣) صحيح مسلم: ح (٢٣٨٢).

استخلف؟ قالت: أبو بكر. فقبل لها: من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. قيل لها من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا^(١).

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ولا كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل رسول الله ﷺ عن أبي بكر"^(٢). وفي أخرى لها قالت: لما دخل رسول الله ﷺ بيتي، قال "مروا أبا بكر فليصل بالناس" قالت: فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمه، فلو أمرت غير أبي بكر؟ قالت: والله ما بي إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم في مقام رسول الله ﷺ قالت: فراجعته مرتين أو ثلاثاً، فقال: (ليصل بالناس أبو بكر)^(٣).

- فخوف السيدة عائشة رضي الله عنها أن يتشاءم الناس ممن يقوم مقام رسول الله ﷺ للفرق الشاسع بين من يسدده الوحي وبين من يسدده اجتهاده، دفعها لأن تعمل على صرف الإمامة عن الصديق رضي الله عنه مما يدل على نزاهتها وبرائها رضي الله عنها وأنها لم تكن لا هي ولا أبوها طامعين في إمارة أو خلافة، وأن كل ما يثار من باطل تلوكه ألسنة الغوغاء والمغفلين، إنما هو من إفك الرافضة وزيفهم الذي يدينون به ويعتقدونه في أصحاب رسول الله ﷺ.

- وأن كل حديث يدور حول مسألة الخلافة لغير أبي بكر رضي الله عنه فإنما هو امتداد لأراجيف المنافقين التي لا زال يؤمن بها كل من رفض خلافة النبوة التي قام بها أبو بكر رضي الله عنه خير قيام وأكملها، وأن

(١) ينظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، ح (٤٣٩٧) ابن حنبل، المسند، ٦ / ٦٣ منهاج السنة، ١ / ٤٩٧ - ٨ / ٥٦٦ .

(٢) البخاري بشرح فتح الباري: ك: المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، (٤٤٤٥). ابن كثير: البداية والنهاية، ٥ / ٢٢٠، ٢٢٥ .

(٣) البخار: صحيح البخاري: ك: الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح (٦٤٦) مسلم: ك: الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ح (٤١٨).

كل من يسبح في هذا العفن معتقداً فيه بعض الصحة فإنما هو جاهل مغفل أو زائف يصطاد في الماء العكر، وكل من يشكك في هذا فهو يريد أن يسوي بين الفاروق عمر رضي الله عنه وقاتليه ولا يستويان أبداً كما لا تستوي الظلمات والنور، وبالتالي فإن نسبة هذا الصنف إلى السنة زائف وكيف ينتسب إلى السنة من لا يفرق بين السنة ورجالها وبين الردة وعتاتها.

- وإصرار رسول الله صلى الله عليه وسلم على تولية أبي بكر رضي الله عنه يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ليدع أهم الأمور وهي إمامة المسلمين دون أن يرشد إليها ويبينها ويضعها في مواضعها. وفي توليته الإمامة للصديق رضي الله عنه بحضور جميع الصحابة والقراة أتم البيان لمن ألقى السمع وهو بصير، كما فيه البيان الشافي لمعرفة كل مُدلسٍ على المؤمنين، والبيان في ذلك الموقف من إمامة الصديق رضي الله عنه التي أصبحت محط امتحان يظهر تحت إشعاع أنوارها النافذة الساطعة كل زيف، فكم ظهر في هذه المحطة من الأديعاء وكم سقط من الدهماء ممن يزعمون الصحوّة الإسلامية وهم يرفضون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصفقون طرباً لمن يكفر بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدين برفض من أقامه وأشار إليه لخلافته وإمامة أمته صلى الله عليه وسلم، وكم ممن يزعم القومية وهو يصفق للشعوبية بكل أحقادها وفجورها وجحودها، حتى ثبت لكل عاقل أن من لا عقيدة له لا مسار له وأن مصاب الأمة في هذا العصر يكمن في هذه العقائد المستوردة أو المصنوعة محلياً وإن كان أخطرها على الإطلاق هو خليط عقيدة الرفض المكونة من أهواء المجوسية واليهودية والوثنية وغير ذلك الكثير من الأهواء والتقية والبداء.

- وفي اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه وتقديمه وتزكيته لتولي أمور المسلمين والقيام بالأمر من بعده. كما استدل بذلك الصحابة وقالوا: "رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا، أفلا نرضاه لدينانا" ^(١) وفي ذلك إجماعٌ لكل أفاكٍ يريد أن يسوق لبضاعة الردة والرفض بين المسلمين تحت حجج واهية توضع في غير مواضعها لخداع العامة من الناس وفتح الثغرات في جدار السنة الحصين لتعيث في

(١) الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ١٢٧.

داخله جردان السلولية و تعالب السبئية فساداً للنفوس وتصديعاً لوحدة الصفوف فكم هم حمقى وبلهاء من يعتقدون خيراً في نفوس أعداء الصحابة ومبغضي السنة، وكم هم خطرون إن قرن ذلك بعلاقات مودة بين من يزعم أنه من أهل السنة وبين أعداء السنة. وبهذا يتقرر أن كل من لا يعتقد خلافة أبي بكر رضي الله عنه فهو لا يعتقد بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن تظاهر بذلك، لأن من يرفض إماماً أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقره الوحي واقتدى به المهاجرون والأنصار، فإنه لن يؤمن إلا بهواه وجاهليته، ولا ينكر ذلك إلا جحوداً هالك.

- واتضح أيضاً أن الصلاة هي أعظم أعمال الإسلام بعد الشهادتين والإيمان، وهي أعظم أعمال الخلفاء والولاة كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج: ٤١) فبدأ بالصلاة أولاً حتى يشعرنا أنها أعظم أعمال الدين وأعظم أفعال ولاة الأمور، واختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه ليؤم الناس في مرض موته أصرح الدلالات على أنه صلى الله عليه وسلم اختار الصديق رضي الله عنه لإمامة المسلمين وخلافة النبوة. فأخزى الله الزنادقة الرافضين لخيار رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نص على خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكيف ينص على ذلك ويولي الصديق إمامة الناس ويقول: ((ياأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر)) ويصلي علي رضي الله عنه خلف أبي بكر رضي الله عنه فترة مرض النبي صلى الله عليه وسلم وزمن خلافته ويعلم علي رضي الله عنه على الملأ ومن على منبر الكوفة أن خير هذه الأمة بعد نبيها هو أبو بكر رضي الله عنه وأن من فضل علياً على أبي بكر فهو مُفْتَرٍ كذاب عليه من العقوبة والجلد ما على المفتري الكذاب^(١).

- وتبين أن أبا بكر رضي الله عنه صلى بالصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم وخروج النبي صلى الله عليه وسلم في حالة مرضه عندما وجد خفة من نفسه وصلاته إلى جنبه يؤم الناس، وأبو بكر يسمع الناس وراءه التكبير، وخروجه صلى الله عليه وسلم مرة أخرى وصلاته صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر رضي الله عنه مقتدياً به فهل بقي بعد هذا اجتهاد لمن يقبل من يقول إن أبا بكر ليس بخليفة للمسلمين في دائرة الأمة، وإذا كان الأمر

(١) عبد الله بن أحمد: السنة، ١٣٦٤.

كذلك فأين موقع من يكفر أبا بكر ﷺ وأصحاب رسول الله ﷺ وبأي لسان يتكلم من يزعم أنه من أهل السنة عندما يؤاخي أعداء الصحابة ويغرر المسلمين بمكرهم وكيدهم.

- أن رسول الله ﷺ أكد بكل قوة على إمامة أبي بكر ﷺ مع مراجعة أمهات المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما له لإعفاء أبي بكر ﷺ من ذلك شفقة عليه. وقد ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن سبب مراجعتها خشيتها أن يكره المسلمون من يقوم مقام رسول الله ﷺ الذي أحبوه أكثر من آبائهم وأمهاتهم وأنفسهم ولكن الله سبحانه وتعالى جعل قيام الصديق ﷺ مقام رسول الله ﷺ من أعظم البركات والخيرات على الأمة الإسلامية، ومن أكبر النكبات على الرافضة المرتدين جُنْدِ مسيلمة وأعوانهم، إذ قام بخلافة رسول الله ﷺ وقيادة الأمة إلى الرشد والسداد، وإبقاء سنة رسول الله ﷺ حية قائمة بعد أن جاهد أعداءها في الله حق الجهاد، فتبين بذلك الفرق بين خيار النبوة المؤيد بالوحي وبين أباطيل الرافضين لذلك الخيار ممن يدينون بعداء خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ.

- وأن أبا بكر صلى بالناس ورسول الله ﷺ في الصف^(١) وروى البيهقي: أن رسول الله ﷺ صلى خلف أبي بكر ﷺ^(٢) وذلك حين خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر ﷺ يصلي بالناس، فجلس إلى جنبه، وهو في بردة قد خالف بين طرفيها، فصلى ﷺ بصلاته ﷺ وقال أنس ﷺ: آخر صلاة صلّاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوب واحد، ملتخفاً به خلف أبي بكر. قال ابن كثير: وهذا التقييد جيّد بأنها آخر صلاة صلّاها مع الناس صلوات الله وسلامه عليه^(٣).

(١) ابن حنبل: المسند، ح (٢٥٢٩٥) سنن النسائي الكبرى، ك. صلاة الإمام خلف رجل من رعيته، ح (٨٦١)

(٢) البيهقي: باب ما روي في صلاة المأموم قائماً وإن صلى الإمام قاعداً، (٤٨٦٦) إسناده جيد، ولم يخرجوه.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٢٠ - ٢٢٥. وقال: هذا إسناد جيد على شرط الصحيح، ولم يخرجوه.

وقال أنس: فلما أراد النبي ﷺ أن يقوم قال: «أدع لي أسامة بن زيد» فجاء ﷺ فأسند ظهره إلى نحره فكانت آخر صلاة صلاتها ﷺ^(١) والنبي ﷺ انقطع عنهم يوم الجمعة، والسبت، والأحد، ثلاثة أيام كوامل. فصلى أبو بكر ﷺ بهم سبع عشرة صلاة. وقال غيره: عشرين صلاة. فالله أعلم. ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة يوم الاثنين، فودّعهم بنظرة كادوا يفتنون بها. ثم كان ذلك آخر عهد جمهورهم به، ولسان حالهم يقول كما قال بعضهم:

وكنْتُ أرى كالمَوْتِ مِنْ بَيْنِ سَاعَةٍ فَكَيْفَ بَيْنِ كَانِ مَوْعِدُهُ الْحَشْرُ
فكان ذلك آخر العهد به ﷺ.

فاستخلاف أبي بكر الصديق ﷺ في الصلاة كان أياماً متعددة كما رواه أهل الصحيح من حديث أبي موسى وابن عباس وعائشة وابن عمر وأنس ﷺ ولم يزل يصلي بهم باتفاق الناس حتى مات رسول الله ﷺ وقد رآهم النبي ﷺ يصلون خلفه آخر صلاة في حياته وهي صلاة الفجر يوم الاثنين فسرّ بذلك وأعجبه^(٢) وقال أنس ﷺ: لم يخرج إلينا رسول الله ﷺ في مرضه ثلاثاً، فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه، فلما وضع لنا وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظرًا قط أعجب لنا من وجهه حين وضع لنا، قال: فأوماً نبي الله ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم، وأرخى نبي الله ﷺ الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات ﷺ^(٣) فقد أخبر أنس ﷺ أن هذه الخرجة الثانية إلى باب الحجر كانت بعد احتباسه ﷺ ثلاثاً، وفي تلك الثلاث كان يصلي بهم أبو

(١) البيهقي: دلائل النبوة، جامع أبواب مرض رسول الله ﷺ ٧/ ١٩٢. ابن حنبل: المسند، ح (١٣٥٨٢).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح (٦٨٠) صحيح مسلم كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ح (٦٣٦) منهاج السنة، ١/ ٥١٢، ٨/ ٥٦٦. وكتاب الأذان، باب هل يلتفت لأمر ينزل به، ح (٧٥٤) وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ح (٦٣٦).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح (٦٨٠) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام، ح (٦٣٧).

بكر ﷺ كما كان يصلي بهم قبل خروجه الأولى التي خرج فيها بين علي والعباس رضي الله عنهما، وتلك كان يصلي قبلها أياماً. فكل هذا ثابت في الصحيح كما تم تفصيله في موضعه.

وفي حديث أنس أن النبي ﷺ أوماً إلى أبي بكر ﷺ أن يتقدم فيصلي بهم هذه الصلاة الآخرة التي هي آخر صلاة صلاها المسلمون في حياة النبي ﷺ وهنا باشره بالإشارة إليه: إما في الصلاة، وإما قبلها. وفي أول الأمر أرسل إليه رسلاً فأمره بذلك، ولم تكن الطاهرة عائشة رضي الله عنها هي المبلغة لأمره، ولا قالت لأبيها: إنه أمره كما زعم هؤلاء المفترون ومن يردد أباطيلهم من الغوغاء.

فزعم أعداء الصحابة أن بلالاً لما أذن أمرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يقدم أبا بكر كذب واضح: لم تأمره عائشة أن يقدم أبا بكر، ولا أمرته بشيء ولا أخذ بلال ذلك عنها، بل هو الذي أذنه بالصلاة. وقال النبي ﷺ لكل من حضره: لبلال وغيره: (مروا أبا بكر فليصل بالناس)^(١) فلم يخص أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالخطاب ولا سمع ذلك بلال ﷺ منها شيئاً في هذا، ولكن هذا هو دين أعداء الصحابة بهتان وكذب، ولا شأن للمسلم في دينهم ولكن الشأن مع الغوغاء الذين يصدقون كل أفاك يفترى على الصحابة فيجتزئون باطله تارة بحجة الرد عليه وتارة استجابة للشك الذي في النفوس المريضة وللجهل المطبق بتاريخ الصحابة، والجرأة على الخوض في أعراضهم دون مراعاة لحرمة سابقتهم وجهادهم ونجاحهم ورضا الله تعالى عنهم.

- وقوله: فلما أفاق ﷺ سمع التكبير فقال ﷺ: مَنْ يُصَلِّي بالناس؟ فقالوا: أبو بكر. فقال ﷺ: أخرجوني. فهو كذب ظاهر، بل هو من أمانيتهم التي يتمنونها؛ فإنه قد ثبت بالنصوص المستفيضة التي اتفق أهل العلم بالحديث على صحتها أن أبا بكر ﷺ صلى بهم أياماً قبل خروجه ﷺ كما صلى بهم أياماً بعد خروجه ﷺ وأنه لم يصل بهم في مرضه ﷺ غير أبي بكر الصديق ﷺ، وهذا فيه إرغام لكل من يبغض الصديق ﷺ أو يوالي من يبغضه.

(١) صحيح البخاري، ح (٦٣٣) صحيح مسلم: ح (٤١٨).

ثم يقال لأعداء الصحابة وإن كانت ثقافتهم مبنية على البهتان ومخالفة الكتاب والسنة! ولمن يسمع لهم من المترددين والشاكّين والمخدوعين، من المعلوم المتواتر أن النبي ﷺ مرض أياماً متعددة، عجز فيها ﷺ عن الصلاة بالناس أياماً، فمن الذي كان يصلي بهم تلك الأيام غير أبي بكر؟ ولم ينقل أحد قط لا صادق ولا كاذب: أنه صلى بهم غير أبي بكر لا عمر ولا علي ولا غيرهما وقد صلوا جماعة فعلم أن المصلي بهم كان أبو بكر ﷺ ومن الممتنع أن يكون الرسول ﷺ لم يعلم ذلك، ولم يستأذنه المسلمون فيه فإن مثل هذا ممتنع عادة وشرعاً، فعلم أن ذلك كان بإذنه وأمره ﷺ وعلم أن أعداء الصحابة سيقون يجترون الباطل ويروون الشبهات إذ أن ذلك أصبح خيارهم بعد رفض خلافة أبي بكر الصديق ﷺ.

وثبت أن النبي ﷺ رُوجع في ذلك وقيل له ﷺ: لو أمرت غير أبي بكر فلام من راجعه، وجعل ذلك من المنكر الذي أنكره ﷺ، لعلمه أن المستحق لذلك هو أبو بكر لا غيره، كما ورد في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً لأبي بكر، فإني أخاف أن يتمنى متمن، أو يقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر)^(١) وفي البخاري أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: وارأساه. فقال النبي ﷺ: (ذاك لو كان وأنا حي، فأستغفر لك وأدعو لك) فقالت عائشة رضي الله عنها: واثكلاه، والله إني لأظنك تحب موتي، فلو كان ذلك لظلمت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك. فقال ﷺ: (وارأساه لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ويدفع الله ويأبى المؤمنون)^(٢) وهذا الحديث الصحيح فيه رغبته ﷺ بأن يكتب لأبي بكر كتاباً بالخلافة، لكي لا يقول قائل: أنا أولى، ثم قال ﷺ: (يأبى الله ذلك والمؤمنون) فلما علم الرسول ﷺ أن الله تعالى لا يختار إلا أبا بكر، والمؤمنون لا يختارون إلا إياه اكتفى بذلك عن

(١) البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٣١) (٤٤٣٢) منهاج السنة ١ / ٤٩٢ - ٨ / ٥٧٠.

(٢) صحيح مسلم: ح (٢٣٨٧) ينظر: منهاج السنة، ١ / ٤٩٦ - ٨ / ٥٧١.

الكتاب، فأبعد الله من لا يختار من اختاره الله ورسوله ﷺ والمؤمنون، ومن يعتقد بصحة ما يليه أعداء الصحابة من شبهات وأباطيل، ليفتنوا بها التائهيين وأهل الأهواء ممن يحسبون أنفسهم على أمة الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكدبين﴾ (النحل: ٣٦).

فأعداء الصحابة مُصْرُونَ على الكذب وتزييف المواقف في فريتهم الصارخة، التي لا زالوا يعلمونها لأتباعهم، إن بلالاً لما أذن أمرته أم المؤمنين عائشة ؓ أن يقدم أبا بكر ﷺ في كذب صريح، فأبو بكر ﷺ لم يكن موجوداً في أول صلاة أمره النبي أن يصلبها في بداية مرضه ﷺ! ثم صلى في المسلمين صلوات كثيرة وأذن بلال مرات كثيرة في مرض النبي ﷺ لكن كذب الرافضة دائماً مفضوح مقبوح، فأم المؤمنين تعمل على صرف الخلافه عن أبيها ﷺ والنبي ﷺ يقول: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) وأعداء الصحابة منغمسون بالبهتان والتدليس بلا حياء ولا وجل، استجابة لأحقادهم الدفينة، ولريبتهم بما جاء به رسول الله ﷺ من الهدى والنور.

والمقصود مما سبق أن رسول الله ﷺ قدم أبا بكر الصديق إماماً للصحابة كلهم في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام العملية. وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام، وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء أن رسول الله ﷺ قال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأكبرهم سنًا، فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم إسلاماً» وقد اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق ﷺ وأرضاه، وصلاة الرسول ﷺ خلفه في بعض الصلوات كما قدمنا بذلك الروايات الصحيحة لا ينافي ما روي في

الصحيح، أن أبا بكر رضي الله عنه ائتم به صلى الله عليه وسلم لأن ذلك في صلاة أخرى كما نصّر على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة، رحمهم الله عز وجل^(١).

وقال أنس رضي الله عنه: آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، كشف الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فلما رآه الناس تخشعوا فأوماً إليهم أن امكثوا مكانكم فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف ثم ألقى السجف وتوفي من آخر ذلك اليوم^(٢) عن عائشة رضي الله عنها (أن أبا بكر رضي الله عنه صلى بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف خلفه)^(٣).

تنبيه: استشكلت هذه الأحاديث بما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها. قالت: لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فخرج أبو بكر رضي الله عنه يصلي فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة، فخرج يهادى بين رجلين، كأني أنظر إلى رجله تخبطان الأرض من الوجد، فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يتأخر فأوماً إليه أن مكانك، ثم أتى إلى أن جلس إلى جنبه، فقيل للأعمش، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس بصلاة أبي بكر فقال: نعم. وعلم عن جابر نحوه، وفيه: أن أبا بكر كان مأموماً والنبي صلى الله عليه وسلم هو الإمام، وفيه: وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره.

والجواب أن هذه الأحاديث المختلفة، قد جمع بينها ابن حبان، والبيهقي، وابن حزم، فقال ابن حبان: نحن نقول بمشيئة الله وتوفيقه، إن هذه الأخبار كلها صحاح، وليس شيء منها معارض الآخر، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في صلاته صلاتين في المسجد جماعة لا صلاة واحدة، وإحداها كان مأموماً، وفي الأخرى كان إماماً. قال: والدليل على أنها كانت صلاتين لا صلاة واحدة، أن في

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٢٤.

(٢) الصالحى: سبل الهدى، ١٢ / ٢٤٦.

(٣) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ٣ / ٢٨ (٢١١٩).

خبر عبيد الله بن عبد الله عن عائشة: أن النبي ﷺ خرج بين رجلين، يريد بأحدهما العباس، والآخر علياً رضي الله عنهما^(١).

وفي خبر مسروق عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ خرج بين رجلين قال: فهذا يدل على أنها كانت صلاتين، لا صلاة واحدة. وقال البيهقي: في المعرفة: والذي نعرفه بالاستدلال بسائر الأخبار أن الصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ خلف أبي بكر هي صلاة الصبح يوم الاثنين، وهي آخر صلاة صلاها حتى مضى لسبيله، وهي غير الصلاة التي صلاها أبو بكر ﷺ خلفه ﷺ قال: ولا يخالف هذا ما ثبت عن أنس في صلاتهم يوم الاثنين وكشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة ونظره إليهم وهم صفوف في الصلاة، وأمره إياهم بإتمامها وإرخائه الستر، فإن ذلك إنما كان في الركعة الأولى، ثم إنه وجد في نفسه خفة فخرج فأدرك معه الركعة الثانية، وقال: والذي يدل على ذلك ما ذكره موسى بن عقبة في المغازي وذكره أبو الأسود عن عروة: أن النبي ﷺ ألقع عنه الوعك ليلة الاثنين، فغدا إلى صلاة الصبح يتوكأ على الفضل بن عباس و غلام له وقد سجد الناس مع أبي بكر في صلاة الصبح وهو قائم في الأخرى، فتخلص رسول الله ﷺ حتى قام إلى جنب أبي بكر فاستأخر أبو بكر فأخذ رسول الله ﷺ بثوبه فقدمه في مصلاه، فصفا جميعاً، ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر قائم يقرأ القرآن فلما قضى أبو بكر قراءته قام رسول الله ﷺ فرقع معه الركعة الأخيرة، ثم جلس أبو بكر ﷺ حين قضى سجوده يتشهد، والناس جلوس، فلما سلم أتم رسول الله ﷺ الركعة الأخيرة، ثم انصرف إلى جذع من جذوع المسجد، فذكر قصة دعائه أسامة بن زيد، وعهده إليه فيما بعثه فيه، ثم في وفاة رسول الله ﷺ^(٢) قال البيهقي: فالصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ وهو مأموم صلاة الظهر وهي التي خرج فيها رسول الله ﷺ بين الفضل بن عباس، و غلام له. قال: وفي ذلك جمع بين الأخبار التي وردت في هذا الباب. والله أعلم.

(١) الصالحى: سبل الهدى، ٨/ ١٩٥.

(٢) ينظر الصالحى: سبل الهدى، ٨/ ١٩٥.

وقال ابن حزم: إنهما صلاتان متغايرتان بلا شك، إحداهما: صفتها أنه ﷺ أمّ الناس والناس خلفه، وأبو بكر ﷺ عن يمينه في موقف المأموم، يسمع الناس تكبيره. والصلاة الثانية صفتها: أنه ﷺ كان خلف أبي بكر في الصف مع الناس، فارتفع الإشكال جملة. قال: وليست صلاة واحدة في الدهر فيحمل ذلك على التعارض، بل في كل يوم خمس صلوات، ومرضه ﷺ كان مدة اثني عشر يوماً، فيه ستون صلاة أو نحو ذلك. والله تعالى أعلم^(١) وعن محمد بن قيس قال: اشتكى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر يوماً، فكان إذا وجد خفةً صلى، وإذا ثقل صلى أبو بكر ﷺ^(٢). واختلف في مدة مرضه ﷺ، فالأكثر على أنه ثلاثة عشر يوماً. وقيل: بزيادة يوم وقيل: بنقصه. وقيل: تسعة أيام رواه البلاذري عن علي ﷺ وقيل: عشرة، وفيه جزم سليمان التيمي، وكان يخرج إلى الصلاة إلا أنه انقطع ثلاثة أيام. وأمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس فصلّى بهم سبع عشرة صلاة^(٣).

وقال أنس ﷺ: "لم يخرج النبي ﷺ ثلاثاً، فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه، فلما وضع وجهه النبي ﷺ ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضع لنا، فأوماً النبي ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم، وأرخى النبي ﷺ الحجاب، فلم يقدر عليه حتى مات"^(٤) وكان ذلك اليوم لاثنتي عشرة خلون من شهر ربيع الأول^(٥). والمتفق عليه أن المرض غلب رسول الله ﷺ حتى انقطع عن الناس مدة ثلاثة أيام وقيل: سبع عشرة صلاة، وأنه لما أذن بالصلاة في أول ما قطعه المرض. قال: "مروا أبا بكر أن يصلي بالناس" وهذا هو المقصود من كل ما سبق وهو أن رسول الله ﷺ هو الذي أقام خليفته إماماً وقائداً للأمة

(١) ينظر الصالحى: سبل الهدى، ٨ / ١٩٥. ابن حبان: السيرة، ١ / ٣٩٧.

(٢) ينظر: البيهقي: السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي، باب ما جاء في تنبيه الإمام على من يراه أهلاً للخلافة بعده. ح: (١٧٠٥٢). ابن سعد: الطبقات الكبرى، ح (٣ / ١٨٠).

(٣) ابن الأثير: الكامل، ١ / ٢٢٠. الصالحى: سبل الهدى، ١٢ / ٢٤٤.

(٤) البخاري: كتاب، الجماعة والإمامة، باب، أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح، ٦٤٩.

(٥) ابن حبان: السيرة، ١ / ٣٩٧.

ولم يأذن لغيره أن يشاركه في تلك المهمة أو ينوب عنه فيها وهذا ما فهمه المهاجرون والأنصار وعملوا به وتوارثته الأمة منذ ذلك اليوم وهو كذلك إلى قيام الساعة لم يشذ عن هذا المنهج إلا المرتدون وورثتهم الذين يرفضون خلافة النبوة ويردون أمر رسول الله ﷺ ويعملون على هدم ثوابت السنة من داخل البيت الإسلامي وسحق أهلها بأسلحة الفتنة والشك وبث الباطل ونشر البهتان وتهيبج الغوغاء واستحمار علماء الدرهم والهوى والجهل الذين يساؤون بين أبي بكر الصديق ﷺ ومسيلمة الكذاب، وبين عمر الفاروق ﷺ وأبي لؤلؤة المجوسي، وبين عثمان ذي النورين ﷺ وابن سبأ اليهودي، ويقدمون أخوة الأرض التي حددها سايكس وبيكو الصليبيان على أخوة العقيدة التي صاغها الله تعالى وعمل بها رسوله ﷺ، ويقدمون أقوالهم على قول الله ﷻ، ومواقفهم على مواقف السلف الناصح الصالح المجرب، ويدينون بما يعيش في أدمغتهم من الأوهام والتخيلات، على ما يراه عقلاء الأمة وما عاشه أهل السنة وعانوه من الغدر والظلم على أيديهم على مر التاريخ.

واستدل مالك والشافعي وجماعة من العلماء ومنهم البخاري بصلاته ﷺ قاعداً، وأبو بكر مقتدياً به قائماً، والناس بأبي بكر ﷺ على نسخ قول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه، حين صلى ببعض أصحابه قاعداً^(١).

وروي فلما نظر ﷺ إلى الناس يصلون خلف أبي بكر ﷺ سر رسول الله ﷺ بذلك. وقال أنس ﷺ: تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً، فبهشنا ونحن في الصلاة من الفرح بخروج رسول الله ﷺ... فأشار إليهم رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم ثم دخل رسول الله ﷺ وأرخى الستر. قال: فتوفي ﷺ (من يومه) وروي أيضاً عنه قال: آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين... وتوفي من آخر ذلك اليوم ﷺ^(٢).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٢٠ - ٢٢٥.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٢٤٦.

فتبين أنّ اختيار رسول الله ﷺ أبا بكر ليصلي بالنّاس هو تأكيد لخلافته وإمامته على الملأ في حياته ﷺ لأنّ الصلاة أشرف أعمال المسلمين، ومن أقامها أقام الدين، وإقامتها من مهام الإمام القائد، فلا يؤم الجيش إلا القائد، فهذا التقديم هو اختيار رسول الله ﷺ لإمام الأمة وقائدها من بعده، لأنّ الصلاة هي العنوان وهي عماد الدين وأعظم شؤون المسلمين، وأن أي تشكيك بهذا الاختيار سواء كان تحت شعار البحث العلمي أو حرية الرأي أو غير ذلك؛ فإن كل ذلك رفضٌ لخلافة النبوة ورد لخيار رسول الله ﷺ وما شعار البحث وحرية الرأي إلا كلمة حق يراد بها الدس والتدليس والبهتان على أئمة خير القرون ومن هنا توجّب على صاحب الإيمان أن يحدد موقفه وخياره، فإما أن يشرع لنفسه ولطائفته ما يضاهاه به تشريع الكتاب والسنة، وإما أن يتمسك بهما ويهتدي بهدي رسول الله ﷺ وإمامة وولاية وخلافة أبي بكر الصديق ﷺ فإذا تمسك بالهدي النبوي عندها سيردد مع القائل:

أيا ربّي لك المنّة على الإسلام والسنة
هما والله برهانان أنا ندخل الجنة^(١)

وقد نصر خليفة رسول الله السنة وأعزّ أهلها، ورفع من شأنها فوق كل شأن حتى ساد بها الأرض وأذل بها الجبابرة وسحق بها الردة، فلا زال أعداء الصديق من حثالات تلك الفرق الضالة والتجمعات الحاقدة التي تبغي الفتك بالمؤمنين واختراق أمنهم وبيع بلادهم والتعاون مع أعدائهم لا زالوا يمكرون ويخططون لمحو السنة النبوية وإسقاط الثقة في رواتها، وعلى هذا فأبو بكر ﷺ هو الميزان الذي يظهر على كفتيه أهل السنة وأهل الردة، فمن والى خليفة رسول الله فهو على منهاج النبوة ومن خالفه فهو على جروف الردة وهاوية الرفض والظلمة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (النحل: ٣٦)^(٢)

(١) المقدسي: تحفة الصديق، ١٣٠ .

(٢) ينظر إمام الأمة خليفة رسول الله: ٣٤٨/١.

مرد أمر المؤمنين عاً يشترضى الله عنهما على . طعن في أبي بكر الصديق ؓ

موقف أبي بكر الصديق ؓ الحاسم من حركة الردّة والمرتدين وإنجاز النصر - الساحق عليهم عسكرياً وأخلاقياً وفكرياً، جعله هدفاً لبقايا تلك الجموع التائهة، فاستعملوا كل وسائل التشوية وإثارة الشبهات لتقبيح محاسن إنجازاته، التي خدمت الدين والأمة، لكنهم فشلوا في ذلك وهُزموا إعلامياً واجتماعياً، مما حولهم إلى حركات سرّية تآمرية ذات أهداف عدوانية تعمل بكل طاقاتها على تشويه صورة الص حابة المشرقة في ضمائر المسلمين، ومن ثم جمع أنصار جدد لتلك الحركات الباطنية، من المحسوبين على الأمة، من الغافلين والجهلة وأصحابه الأهواء والأغراض الخاصة، وقد نجح هؤلاء في كثير من الجوانب حتى أصبحت لهم جماعات ودول وتغلبوا على بعض الأقاليم الإسلامية فحولوا عقائد أبنائها من عقيدة الكتاب والسنة إلى العقائد التي صاغوها لحرب عقيدة الصحابة ومن تبعهم بإحسان!!

ولعل أهم أسباب نجاحاتهم الفكرية والجغرافية فضلاً عن العسكرية والسياسية جاءت بسبب هذه الغفلة العميقة التي يغرق في ظلامها الكثير من قادة أمة الكتاب والسنة، فضلاً عن جماهيرهم! مما جعل أفكار ومخططات الحركات الهدامة تنمو وتتكاثر وتأتي بالنتائج المدمرة، التي تجرعت الأمة مرارها في كثير من المواقف الحرجة، التي تكاتف فيها أبناء تلك الحركات المعادية للصحابة مع الغزاة والمحتلين! دون أن يكون ذلك سبباً كافياً لتحريك مشاعر الشك والحذر من كيد أولئك الماكرين، فضلاً عن تحريك عوامل الإعداد لإبطال مخططاتهم وتحالفاتهم الرامية إلى تدمير أمة الكتاب والسنة، وتحريف عقيدتها، وتشويه سير أئمتها وقادتها.

إن الكافرين والمنافقين لا زالوا يكيّدون لهذه الأمة، ليرفضوا ما جاء به نبيها ﷺ من الهدى والنور، ولكن الله تعالى تكفل بنصرة الدين وحماية السنة، على الرغم من مكر أعداء الصحابة المخالفين لدين رسوله ﷺ المشبعين بالحق على أنصاره، فلم يكن العدوان على حرمة العقيدة وحماتها وأمنها جديداً على الأمة، ولكن الجديد مسألة بعض ما يسمى بالرموز الإسلامية لقادة هذا العدوان، وعملهم معهم على تضليل جماهير الأمة بقصد أو جهل، ومن هنا كان المصاب كبيراً والجرح عميقاً، أما

في عصر الصديق ﷺ فقد كان لنبأهته ومعرفته بوسائل المرتدين الأثر الفاعل في تمكنه من هزيمتهم، ولما قاد بعض زعانفهم حملات التشويه ضد خليفة رسول الله الصديق بعد وفاته ﷺ في مثل ما قيل لأُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحبَّ الله أن لا يقطع عنهم الأجر)^(١) وأن لا يرفع عن أعدائهم مقتله لهم، بطردهم عن منهج الكتاب والسنة، وحرمانهم من حب الصحابة المكرمين، لجرأتهم على أعراض المؤمنين وتدينهم بالغيبة والكذب على أبناء أمة الكتاب والسنة الصالحين، وهم يفعلون ذلك عمداً على الرغم من علمهم بخطورة ذلك، وأن عداوة الصحابة ﷺ تمثل إعلان الحرب على الله ورسوله ﷺ وعلى الكتاب والسنة.

قال رسول الله ﷺ: (إن الله قال: مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)^(٢) وقال ﷺ: (الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي- أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه)^(٣) وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة مع رسول الله ﷺ خير من عمل أحدكم أربعين سنة، وفي رواية: خير من عبادة أحدكم عمره)^(٤) ولكن العارف بأعداء الصحابة يجد أن محور معتقدتهم وعماده قائم على سب الصحابة وعيب السنة، إلى حد بلغ به هذا المعتقد الفاسد في دينهم؛ أنهم لو تابوا من إثمهم وأقلعوا عن صناعته؛ هُدمَ دينهم

(١) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، (٢٤٧٢) ضعيف. تاريخ بغداد: ١٤٧/٥، تاريخ دمشق: ٣٠/٣٩٠. وسواء كان هذا النص ضعيفاً أو غير ذلك فإنه يعبر عن حقيقة الواقع ويمثل رداً صحيحاً على أعداء الصحابة وأعدائهم المفسلين.

(٢) صحيح البخاري: ح (٦١٣٧).

(٣) سنن الترمذي: كتاب المناقب باب: فيمن سب أصحاب النبي ﷺ ح (٣٨٦٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. ولا شك أن من يبغض الصحابة سيغض نبينهم ﷺ ولا يحبه ﷺ إلا من يحبهم ﷺ.

(٤) سنن ابن ماجه: ح (١٦٢) قال الألباني: حديث حسن. منهاج السنة، ٢٣/٢.

وتصدّع معتقدتهم وتبخرت ثقافتهم، إذ أنّ عامّة ما فيها قائم على العيب والظعن بالسنة النبوية، والتخطيط لإقصائها وأهلها من الحياة السياسية والاقتصادية والدينية، وبكل وسيلة من الاغتيال إلى التحالف مع الكفار والملحدين، واليهود والصليبيين، وهذا ما يعيشه الناس في هذا العصر- ويرون بأعينهم نتائج المدمرة من خطف الثروات وتدمير الأوطان وبيع القيم وزلزلة الثوابت.

قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما قالت لي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (يا ابن أخي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب محمد ﷺ فسبّوهم) (١) والله تعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر الآية، ١٠).

وَقَالَ الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ: أَدْرَكَتْ صَدْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَقُولُونَ: (اذْكُرُوا مَحَاسِنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَأْلَفَ عَلَيْهِمُ الْقُلُوبَ وَلَا تَذْكُرُوا مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَتَجَسَّرُوا النَّاسَ عَلَيْهِمْ) (٢) وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: تَفَاضَلَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى عَلَى الرَّافِضَةِ بِخُصْلَةٍ سُئِلَتِ الْيَهُودُ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ فَقَالُوا: أَصْحَابُ مُوسَى، وَسُئِلَتِ النَّصَارَى: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ فَقَالُوا: أَصْحَابُ عِيسَى، وَسُئِلَتِ الرَّافِضَةُ مَنْ شَرُّ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ فَقَالُوا: أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ أَمْرًا بِالْإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ فَسَبُّهُمْ فَالَسَّيْفُ عَلَيْهِمْ مَسْلُوكٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا تَقُومُ لَهُمْ رَايَةٌ وَلَا تَثْبُتُ لَهُمْ قَدَمٌ وَلَا تَجْتَمِعُ لَهُمْ كَلِمَةٌ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ بِسَفْكِ دِمَائِهِمْ وَإِدْحَاضِ حُجَّتِهِمْ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ (٣).

وبعد هذا فهل من يطعن في أصحاب محمد ﷺ ويرفض السنة النبوية يبقى له حظ في الإسلام؟ أو يعنيه أمر الإسلام؟ ورسول الله ﷺ يقول: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق

(١) صحيح مسلم: ح (٣٠٢٢).

(٢) الخلال: السنة، ح (٨٢٨) (٨٢٩) وفي إسناده ضعف.

(٣) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير الآية (١٠) من سورة الحشر.

مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه^(١) فالرافضون لحيار رسول الله ﷺ في من يخلفه في الأمة، الشاتمون لأصحاب رسول الله ﷺ هؤلاء أمة أخرى، يتلبسون ببعض الشعائر الإسلامية لإيهام المسلمين والتلبيس عليهم إلى أن يجدوا منهم غفلة فينقضوا عليهم كما هو حاصل من أعداء الصحابة في هذه السنين التي أعلنوا فيها حربهم على القرآن والسنة دون أي تردد أو حياء، بعد أن أوثقوا عرى تحالفهم مع الصليبيين المعتدين على بلاد المسلمين، وكل هذا الذي يقومون به من الغدر والخيانة لعقيدة الأمة ولموروثها وأرضها ليس غريباً لأن هذا من أهداف عقيدتهم ونتاج تَقِيَّتِهِمْ؛ ولكن الغرابة ممن يزعم أنه من أهل الإسلام ولا زال يعتقد أنه من الممكن احتواء غدرهم ومعالجة بغضهم، وكأن ذلك جاء عن سوء فهم أو عن قلة علم منهم، وليس عن مكر ومخادعة وحرب صامتة ومعلنة يتقد أوارها في قلوبهم؛ على حملة الكتابة والسنة ونتائجهم العلمي والحضاري الرائد.

فلما سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بذلك الطعن، لم تمهل تلك الدعاوى لتمر دون كشف عوارها وإظهار سوءاتها لجمهير الأمة، ولا سيما حين بلغها أن قوماً تكلموا في أبيها الصديق ﷺ فجمعت الناس و(قالت: أبي وما أبيه، أي والله لا تَعْطُوهُ الأيدي، ذاك طودٌ منيف وظل مديد، هيهات كذبت الظنون، أنجح والله إذا أكديتم، وسبق إذا ونيتم، سبق الجواد إذا استولى على الأمد، فتى قريش ناشئاً، وكهفها كهلاً، يريش مملقها، ويرأب شعبها، ويلم شعثها حتى حليته قلوبها، ثم استشرى في دينه فما برحت شكيمته في ذات الله، حتى اتخذ بفنائها مسجداً يجيي فيه ما أمارت المبطلون، وكان رضي الله عنه غزير الدمعة، وقيد الجوانح، شجي النسيج،

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، ح (٣٦٧٣). صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، ح (٤٦١٠) (٤٦١١). سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ ح (٤٠٣٩) والمُد: نوع من المكابيل وهو ربع صاع؛ وهو قدر مد النبي ﷺ والصاع خمسة أرتال، والنصيف النصف، ومعناه: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد الصحابة مُد ولا نصف مد.

فانتصبت عليه نسوان أهل مكة وولدائها يسخرون منه، ويستهزئون به ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: ١٥) وأكبرت ذلك رجالات قريش، فحنت قسيها وفوقت سهامها وامتثلوه غرضاً فما فلوا له صفاة، ولا قصموا له قناة، ومضى على سيسائه حتى ضرب الدّين بجرانه، ورست أوتاده ودخل الناس فيه أفواجاً، ومن كل فرقة أرسالاً وأشتاتاً، اختار الله لنبيه ما عنده، فلما قبض الله نبيه ﷺ اضطرب حبل الدين، ومرج أهله، وبغى الغوائل، وظنت رجال أن قد أكثبت مُهزها، ولات حين يظنون، وأتى الصديق بين أظهرهم؟ فقام حاسراً مشمراً، فرفع حاشيته بطبه، وأقام أوده بثقافه حتى امذقر النفاق - تلاشى - فلما انتاش الدين بنعشه وأراح الحق على أهله، وقرت الرؤوس في كواهلها، وحقن الدماء في أمهبا، حضرت منيته فسد ثلمته بنظيره في السيرة والمرحمة: ذاك ابن الخطاب، لله دُرٌّ أمّ حملت به ودرت عليه، لقد أوجدت به فذبح الكفرة وفتحها وشرذ الشرك شذر مذر، وبعج الأرض فنجعها، حتى فانت أكلها ترأمه، ويصد عنها، وتصدى له فيأبأها، وتريده ويصد عنها، ثم فرغ فيها فيئها، ثم تركها كما صحبها، فأروني ماذا ترتأون، وأي يومي أبي تنقمون؟ يوم إقامته إذ عدل أم يوم طعنه إذ نظر لكم؟ أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم. ثم التفتت على الناس، فقالت: سألتكم بالله هل أنكرتم مما قلت شيئاً؟ قالوا: اللهم لا^(١)

فلا شك أنّ خير من يصف الصديق ﷺ ويبين للأمة مكارمه ومنازله وفعاله، هي أم المؤمنين وعدوة المنافقين والمرتدين؛ العاملة الخطيبة الفصيحة المجاهدة الصديقة حبيبة رسول الله ﷺ وهي خير من يفند شبهاة الرافضة واليهود والمتواطئين معهم من المنافقين والمتنفعين، فهي التي عاشت في بيئة الجهاد والعلم والأدب والتربية والزهد والكرم، فمن مثل أم المؤمنين يحذر الأمة من الطاعنين في أصحاب رسول الله ﷺ؟.

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٣٨٧-٣٨٩-٣٩٧.

أما أعداء الصحابة فلم يسلم من مكرهم وتلبسهم أحد؛ لا من الصحابة ولا من غيرهم! وبلغ من كيدهم أنهم كلما أوقعوا بآل البيت ﷺ وقعة زادوا من ادعاء محبتهم والتباكي عليهم زوراً وبهتاناً، حتى صار كثير ممن يزعم أنه من أهل السنّة النبوية يصدق تهويشاتهم هذه، دون أن ينظر في الأحداث وما يحصل على الأرض من خذلانهم وغدرهم المتكرر بالأمّة، وتعاونهم مع الغزاة وتفانيهم في خدمة المعتدين، خدمة أفرزت السمّ والعلقم في وحدة الأمّة وقواعد أخوتها، ومع كل ذلك فإن البعض لا زال يصدّق بهتانهم وخداعهم ويكذب ما ترى عيناه وتسمع أذناه من مآسي ومصائب يكيدون بها الدين والوحدة.

قال شيخ الإسلام: (ومن العجب من هؤلاء الرافضة أنهم يدعون تعظيم آل محمد ﷺ وهم الذين سعوا في مجيء التتار الكفار إلى بغداد دار الخلافة، حتى قتل الكفار من المسلمين ما لا يحصيه إلا الله تعالى من بني هاشم وغيرهم وسبوا النساء الهاشميات وصبيان الهاشميين، فهذا هو البغض لآل محمد ﷺ بلا ريب، وكان ذلك من فعل الكفار بمعاونة الرافضة قاتلهم الله وانتصف لأهل البيت منهم، فإنهم ألصقوا بهم من العيوب والشين ما لا يخفى على ذي عين... وقد قلنا غير مرة: إن هؤلاء الجهال يكذبون ما يظنونهم مدحاً ويمدحون به فيجمعون بين الكذب وبين المدح، فلا صدق ولا علم ولا عدل... فتبين أنهم من أعظم الناس قدحاً وطعناً في أهل البيت، وأنهم الذين عادوا أهل البيت ونسبواهم إلى أعظم المنكرات، التي من فعّلها كان من الكفار، وليس هذا ببدع من جهلهم وحمقاتهم... فإن منتهى أمرهم تكفير علي ﷺ وأهل بيته، بعد أن كفّروا الصحابة ﷺ والجمهور)^(١).

بل إنهم طلبوا من علي ﷺ أن يشهد على نفسه بالكفر!! فقال لهم: (أصابكم حاصب ولا بقي منكم أبر- يؤبر النخل يصلحه - أبعَد إِيَّانِي بِاللَّهِ، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي-

(١) منهاج السنة، ٤/ ٢٤٦-٥٩٢، ٧/ ١٨١-٤٠٨، ٨/ ٧٤. الشمسسان: موقف ابن تيمية من الرافضة، ٦٤-٦٥.

بالكفر؟! لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين، فأوبوا شر مآب وارجعوا على أثر الأعقاب) (١)
 فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام يدعو عليهم أن لا يبقى الله منهم مخبراً وأنهم ارتدوا على الأعقاب
 عندما تخلقوا بأخلاق المرتدين وأخذوا يكفرون المؤمنين، فماذا يرتجى من أعداء الصحابة وقد
 أُشربوا كراهية الكتاب والسنة فلم يعد يهمهم أمر سوى محاربة المؤمنين والعمل على تكفير
 الصالحين وقتل واغتتيال الأختيار الطاهرين وبوسائل توهم أنهم من المتأولين!! وهذا ما أوهموا
 به الكثير ممن لازال يدور في متاهات الرافضة المظلمة ممن يزعم أنه من أهل السنة، ولا أعلم أن
 هناك من هو أجهل وأخطر على أمة السنة وأهلها ممن يتحدث بلسانهم، وهو يعتقد إيمان من
 يجاهر ويفاجر بقتل عمر الفاروق وعثمان ذي النورين رضي الله عنهما، ويحكم بكفر الصحابة عليه السلام
 ويغلو في علي عليه السلام ولا أعتقد أن هناك من هو أخطر على ثقافة الأمة وفكرها وعقيدها؛ من هذا
 الصنف الذي يجتر الوهم ويلوك الإفك ويدخر الإثم، ويسبغ على ذلك مسحة وفرية حرية
 البحث والنقد، فيساوي بين من يزيه الله تعالى ويمدحه القرآن والسنة؛ وبين من يذمه الله تعالى
 ويكفر بالقرآن والسنة!.

وفي قوله عليه السلام: " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " (٢) قال أبو نعيم
 الأصبهاني: لم تنكر فرقة من هذه الفرق المدائح التي مدح الله بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على
 لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأن الصحابة هم خير الأمم، فيقال للطاعنين على المهاجرين والأنصار إجماعهم
 على تقديم الصديق عليه السلام: أكان اجتماعهم عليه على إكراه منه لهم بالسيف أو تأليف منه لهم بهال، أو
 غلبة بعشيرة؟! فإن الاجتماع لا يخلو من هذه الوجوه، وكل ذلك مستحيل منهم لأنهم المديحة
 والمروءة والدين والنصيحة، ولو كان شيء من هذه الوجوه أو أريد واحد منهم على المبايعه كارهاً
 لكان ذلك منقولاً عنهم ومنتشراً، فأما إذا أجمعت الأمة على أن لا إكراه، والغلبة والتأليف غير
 ممكن منهم وعليهم فقد ثبت أن اجتماعهم لما علموا منه من الاستحقاق والتفضيل والسابقة

(١) نهج البلاغة المقترى أكثره على أمير المؤمنين علي عليه السلام خطبة (٥٨) ص ٨٧.

(٢) صحيح البخاري: ح (٢٥٠٩) الحميدي: الجمع بين الصحيحين، ح (٢٦١).

وقدموه وبايعوه ﷺ لما خصه الله تعالى به من المناقب والفضائل^(١).

فاذكر أيها الطاعن على إمامة الصديق ﷺ ما تحتج به، فستعارض بنقضه، فإنك إن احتججت بالأخبار لزمك القبول لها من مخالفك وإلا تكون أخبارك لا لك ولا على غيرك، فلو قبلت الأخبار، قبلت منك، فكانت لك وعليك، فإذا احتج بالأخبار قال: قال رسول الله ﷺ: (من كنت مولاه فعلي مولاه) قيل له: مقبول منك، ونحن نقول: وهذه فضيلة بينة لعلي بن أبي طالب ﷺ ومعناه من كان النبي ﷺ مولاه فعلي والمؤمنون مواليه، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: من الآية ٧١) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (أنفال: ٧٣).

والوالي والمولى في كلام العرب واحد، والدليل عليه قوله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: ١١) أي لا ولي لهم وهم عبيده وهو مولاهم، وإنما أراد لا ولي لهم. وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحریم: من الآية ٤) وقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٧) وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٦)^(٢) وإنما هذه منقبة من النبي ﷺ لعلي ﷺ وحث على محبته وترغيب في

(١) أبو نعيم الأصبهاني (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ) الإمامة والرد على الزنادقة، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. مكتبة

العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. ص ٢١٦.

(٢) ينظر منهاج السنة النبوية: ٤/ ٣٣٠. وفيه أن معنى قول رسول الله ﷺ: (من كنت مولاه فعلي مولاه) أن من كان النبي ﷺ مولاه فعلي والمؤمنون مواليه) وأورد الأدلة على ذلك من كتاب الله تعالى والأثر الدالة على ذلك. وفي اللغة (المولى) اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو الرب، والمالك، والسيد، والمنعم، والمعتمق، والناصر والمحب، والمعتمق، والمنعم عليه، وأكثرها قد جاءت في الحديث فيضاف كل واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه. وكل من ولي أمراً أو قام به فهو مولاه ووليه، وقد تختلف مصادر هذه الأسماء. ومنه الحديث: (من كنت مولاه فعلي مولاه) يحمل على أكثر الأسماء

المذكورة. قال الشافعي: يعني بذلك ولاء الإسلام، كقوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ ولا حجة فيه كل ذلك لمن استدل به على خلافة علي عليه السلام وقد أضاف بعض اعداء الصحابة على هذا النص كلمات أنكرها أهل الحديث وقالوا عنها هي زيادة غير معروفة.

وقد ولت الأمة الصديق عليه السلام طوعاً منها بغير التزام، وكان هو الذي يرضاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم يقل قط أحد أي أحق بهذا الأمر من الصديق عليه السلام لا قرشي ولا أنصاري، ومن تكلم أولاً من الأنصار عليه السلام لم يكن كلامه للصديق عليه السلام بل طلبوا أن يكون منهم أمير ومن قرشي أمير، وهذه كلام عام لقريش، فلما تبين لهم أن هذا الأمر في قریش أقرؤا به عليه السلام وقال عمر عليه السلام: فكنت والله أن أقدم فتضرب عنقي لا = يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، وقال للصديق بمحضر الصحابة: (أنت خيرنا وأفضلنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) وكل ذلك ثابت في الأحاديث الصحيحة، فبايعوا أبا بكر من غير طلب منه ولا رغبة ولا رهبة بذلها لهم، وبايعه الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، والذين بايعوه ليلة العقبة والذين بايعوه لما كانوا يهاجرون إليه، والذين بايعوه لما كانوا يسلمون من غير هجرة كالطلاق وغيرهم، ولم يقل أحد قط أي أحق بهذا الأمر من أبي بكر، وإنما قال ذلك من فيه أثر جاهلية فالفرس كانوا يقدمون أهل بيت الملك، فنقل عمن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا، وصاحب هذا الرأي لم يكن له غرض في علي عليه السلام بل كان العباس عليه السلام عنده بحكم رأيه أولى من علي عليه السلام.

فأما الذين كانوا لا يحكمون إلا بحكم الإسلام المحض وهو التقديم بالإيمان والتقوى فلم يختلف منهم أثنان في أي بكر ولا خالف أحد من هؤلاء ولا هؤلاء في أنه ليس في القوم أعظم إيماناً وتقوى من أبي بكر عليه السلام فقد موه مختارين له مطيعين، فدل على كمال إيمانهم وتقواهم واتباعهم لما بعث الله به نبيهم من تقديم الأتقى فالأتقى وكان ما اختاره الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولهم أفضل لهم والحمد لله على أنه هدى هذه الأمة وعلى أن جعلنا من أتباعهم.

وقد نقل ابن كثير في البداية والنهاية ٢٥٠ / ٥ إجماع الصحابة على بيعة أبي بكر فقال: ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبي بكر، وظهر برهان قوله عليه السلام ((يا أباي الله والمؤمنون ألا أبا بكر، وظهر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينص على الخلافة عيناً لأحد من الناس لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفة من أهل السنة، ولا لعلي عليه السلام كما يقوله طائفة من الرافضة، ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كل ذي لب وعقل إلى الصديق كما هو في الصحيحين عن ابن عمر: إن عمر عليه السلام لما طعن، قيل له: ألا تستخلف يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر عليه السلام، وإن أترك فقد ترك خير مني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عمر: فعرفت حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير مستخلف، ثم ذكر ما أخرجه البيهقي عن وائل قال: قيل لعلي بن أبي طالب، ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم على خيرهم، قال: إسناد جيد ولم يخرج.

ولايته لما ظهر من بغض المنافقين له، وكذلك قال ﷺ: لا يجُبُّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق^(١) وحكي عن ابن عيينة: أن علياً ﷺ وأسامة ﷺ تخاصما، فقال علي لأسامة بن زيد ﷺ: أنت مولاي، فقال: لست لك مولى إنما مولاي رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: (من كنت مولاه فعليّ مولاه) وهذا كما يقول الناس: فلان مولى بني هاشم، أو مولى بني أمية، وإنما الحقيقة أنه مولى واحد من بني هاشم أو بني أمية^(٢) وقد فصلت هذه المسألة في الموقف من الشبهات على أمير المؤمنين علي ﷺ فلا حاجة إلى تكرار القول فيها مرة أخرى.

لَمُتَخَلَفَ فِيهِ ﷺ بَعْضُ أَصْحَابِهِ

وكان النبي ﷺ إذا سافر عن المدينة استخلف من يستخلفه يصلي بالمسلمين، كما استخلف النبي ﷺ عاصم بن عدي بن العجلان على قباء وأهل العالية يوم بدر وعده ﷺ كمن شهد بدر^(٣) وكما

ثم أورد حديث ابن عباس الذي أخرجه البخاري وفيه أن عباساً قال لعلي في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ: إذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا عرفناه وإن كان في غيرنا أمرناه فوصاه بنا. فقال علي: إنى لا أسأله ذلك، والله إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبداً. =

= فهذا نص صريح من علي ﷺ أنه لا نَصَّ عليه من رسول الله ﷺ بالخلافة، إذ لو كان هناك نص كما تدعي الروافض لقال للعباس لماذا نذهب إليه نسأله وقد نص عليّ وأوصى لي بالخلافة. ثم هو عندما اعتدى عليه الخبيث الخارجي ابن ملجم وقتله: قيل له: ألا تستخلف فنص علي أن الرسول ﷺ لم يستخلف أحداً عند وفاته حتى يقتدي به في ذلك، بل قال: إن الله جمع الناس على خيرهم بعد النبي ﷺ ويعني به أبا بكر فدل ذلك على أن النص المدعي من الروافض -إنما هو مختلق من اليهودي الماكر (عبد الله بن سبأ) كما ثبت ذلك من كتب الروافض أنفسهم كما هو في (رجال الكشي-الرافضي- ص ٧١، وعن التوبختي في فرق الشيعة ص ٢٢-٢٣. وينظر مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها: ١٨٧ - ٣٣١.

(٢) الإمامة والرد على الزنادقة، ص ٢٢.

(١) صحيح مسلم: ح (٧٨).

(٢) الإمامة والرد على الزنادقة، ص ٢٢. وينظر الموقف من الشبهات على أمير المؤمنين علي ﷺ ص ٣٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ١٢/٢، الواقدي: المغازي، ١/١٠١، الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٢٧.

استخلف سباع بن عرفطة الغفاري على المدينة في غزوة دومة الجندل^(١) ومحمد بن مسلمة الأنصاري^(٢) في غزوة تبوك^(٣) واستخلف علياً^(٤) مرة واحدة على أهله في غزوة تبوك^(٥) ولم يثبت أنه^(٦) استخلف علياً^(٧) على المدينة ولو لمرة واحدة، واستخلف^(٨) في حال غيابه عن المدينة الكثير من أصحابه^(٩) أما في حال حضوره ومرضه فلم يستخلف إلا أبا بكر^(١٠) لا علياً^(١١) ولا غيره، واستخلفه للصديق^(١٢) في الصلاة متواتر ثابت، فصلّى بهم أبو بكر^(١٣) في حياة رسول الله^(١٤) بعد مراجعة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها له^(١٥) ثلاث مرات^(١٦) وهذا الذي فيه أن أبا بكر صلّى بهم في حياة النبي^(١٧) في مرضه إلى أن مات^(١٨) مما اتفق عليه العلماء بالنقل، فإن النبي^(١٩) مرض أياماً متعددة، حتى قبضه الله إليه.

وفي تلك الأيام لم يكن يصليّ بهم إلا أبو بكر^(٢٠) وحجرة النبي^(٢١) إلى جانب المسجد، وكان يصلي خلفه المهاجرون والأنصار وآل البيت^(٢٢) ومنهم: العباس وأولاده وعلي^(٢٣) وغيرهم كثير، وكان العباس وعلي رضي الله عنهما يدخلون عليه بيته^(٢٤) وقد خرج بينهما في بعض تلك الأيام إلى المسجد فصلى إلى جنب الصديق^(٢٥).

وقد روي أن ابتداء مرضه كان يوم الخميس، وتوفي^(٢٦) بلا خلاف يوم الاثنين من الأسبوع الثاني فكانت مجموع مدة مرضه فيما قيل اثنا عشر يوماً، وعن عبيد الله بن عبد الله قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها: ألا تحديثني عن مرض رسول الله^(٢٧)؟ قالت: بلى، ثقل

(١) ابن سعد: الطبقات، ٦٢/٢. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢١٣/٢. الواقدي: المغازي، ٤٠٤/١. الخليفة: مهاجرة الحجاز: ٢٢٧.

(٢) ينظر ابن سعد: الطبقات، ١٦١/٢. ابن هشام: السيرة النبوية، ٥١٩/٢. مهاجرة الحجاز: ٢٣٠. وروي أنه^(٣) استخلف سباع بن عرفطة الغفاري على المدينة في غزوة تبوك، ابن خياط: تاريخ، ٧٢/١، الطبري: تاريخ، ١٠٣/٣. مهاجرة الحجاز، ٢٣٠.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٥١٩/٢، ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ٥٢٩/٣. مهاجرة الحجاز: ٢٣٢.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب أهل العلم أحق بالإمامة، ح (٦٧٨) و(٦٨٢) الترمذي، كتاب المناقب، في مناقب أبي بكر وعمر كليهما، ح (٣٦٠٥) منهاج السنة، ١/٥١٢، ٨/٥٥٨.

رسول الله ﷺ ، قال: (أصلى الناس ؟) قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله. قال: (ضعوا لي ماء في المخضب) ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ﷺ ثم أفاق ﷺ فقال: (أصلى الناس ؟) قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله. قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة. قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فأتاه الرسول، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس. فقال أبو بكر وكان رجلاً رقيقاً: يا عمر صلّ بالناس. فقال عمر: أنت أحق بذلك. قالت: فصلّى بهم أبو بكر حياة رسول الله ﷺ (١).

ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفة ، فخرج بين رجلين أحدهما العباس، لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأوماً إليه النبي ﷺ ألا يتأخر، وقال لهما: (أجلساني إلى جنبه) فأجلساه إلى جنب أبي بكر ﷺ فكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد (٢) فهذا الحديث الذي اتفقت به الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما، كلاهما يخبران بمرض النبي ﷺ واستخلاف أبي بكر في الصلاة وأنه صلّى بالناس قبل خروج النبي ﷺ أياماً، وأنه لما خرج لصلاة الظهر أمره ألا يتأخر بل يقيم مكانه، وجلس النبي ﷺ إلى جنبه، والناس يصلون بصلاة أبي بكر، وأبو بكر يصلي بصلاة النبي ﷺ والعلماء كلهم متفقون على تصديق هذا الحديث وتلقيه بالقبول، والتفقه في مسائل عديدة فيه (٣).

(١) صحيح مسلم: ح (٤٢٠) و(٤١٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من قام إلى جنب الإمام لعله، ح(٦٨٣). صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، (٦٣٢) (٦٣٣) (٦٣٤) (٦٣٥) (٦٣٨).

(٣) ينظر منهاج السنة النبوية، ٨ / ٥٦١.

المبحث الثاني

شبهة يوم الرزية ودفاع أعداء الصحابة عن مسليمة الكذاب والمرتين وشبهة مقتل

مالك بن نويرة

أولاً شبهة يوم الرزية

جاء في الصحيح أن النبي ﷺ عزم أن يكتب كتاباً لأبي بكر ﷺ لكي لا ينازعه منازع ولا يشغب عليه أحد بعد وفاته ﷺ، ثم رأى ﷺ أن الصحابة جميعاً يعلمون منزلة أبي بكر ﷺ عند رسول الله ﷺ وأنه لن يخالفه أحد يُعْتَدُّ به فترك الكتابة، فقام أعداء الصحابة وكما هو في ثقافة الشبهات التي يروجون لها بقلب الحقيقة ونشر هذه الرواية بما يطعن في أمانة الصحابة وحرصهم على تنفيذ كل ما يشير إليه رسول الله ﷺ وبما يثير الشك والريبة بين الناس، ويغذي مواطن الفتن التي ترعاها ثقافتهم، اهتبلوا بعض التفسيرات والآراء التي جاءت حول هذا النص، لتوجيهه في خدمة أهدافهم الرامية إلى التشكيك بأمر المؤمنين عمر الفاروق ﷺ وتحريفهم لمقاصد قول النبي ﷺ في مرضه الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما. في قوله: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ الوجع، فقال ﷺ: (اتنوني أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً) فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازعٌ، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه، فذهبوا يردّون عليه ﷺ فقال: (دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه) وأوصاهم بثلاث: قال: (أخرجوا اليهود من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم) وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتها^(١).

وفي رواية أخرى قال ابن عباس: (وفي البيت رجال، فقال النبي ﷺ: (هلمّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده) فقال بعضهم إنّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلّوا

(١) البخاري: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب المغازي، باب، مرض النبي ووفاته، ح (٤٤٣١).

بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال النبي ﷺ: (قوموا) فكان ابن عباس ؓ يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، لاختلافهم ولغظهم^(١) والرزية هي المصيبة.

فحصل لهم شك: هل قوله ﷺ: (أكتب لكم كتاباً، لن تضلوا بعده) هو مما أوجبه المرض أو هو الحق الذي يجب اتباعه؟ وإذا حصل الشك لهم لم يحصل به المقصود، فأمسك عنه ﷺ وكان لرأفته بالأمة يجب أن يرفع الخلاف بينها، ويدعو الله بذلك، ولكن قدر الله قد مضى بأنه لا بد من الخلاف كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته أن لا يسلط على أمتي عدواً من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم شديد فمنعنيها)^(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الرزية كل الرزية ما حال بين النبي ﷺ وبين الكتاب.

ولكن الناظر في انقياد الأمة لخليفة رسول الله أبي بكر ؓ يجد أن ذلك رزية في حق من شك في خلافة الصديق وقدم فيها، إذ لو كان الكتاب الذي هم به النبي ﷺ أمضاه لكانت شبهة هذا المرتاب تزول بذلك، ويقول خلافة أبي بكر ؓ ثبت بالنص الصريح الجلي، لأن النبي ﷺ كان يريد أن يكتب لأبي بكر ؓ كتاباً كما اتضح ذلك في الأحاديث الصحيحة، فلما لم يوجد هذا كان رزية في حقه، من غير تفريط من الله ورسوله ﷺ بل قد بلغ رسول الله ﷺ البلاغ المبين، ويبن الأدلة الكثيرة الدالة على أن الصديق ﷺ هو الأحق بالخلافة والأولى بالإمامة وأنه هو المقدم في الأمة بعد نبيها ﷺ لا ينازعه إلا ظالم باغ محارب لله ولرسوله ﷺ لهذا لم ينازعه أحد من الصحابة ﷺ مطلقاً وكل ما قيل أو أشيع عن خلاف بعض الصحابة

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٣٢) منهاج السنة، ٨ / ٥٧٢. محمد، انتصار الحق، ٣٢٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ح (٥١٤٥) النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب إحياء الليل، ح (١٦٢٠) منهاج السنة، ٨ / ٥٧٣.

لخليفة رسول الله إنها هو محض كذب وافتراء صنعه أعداء الصحابة على مر العصور، ورددته الغوغاء التي تسمع كل ما يقال وتقول كل ما تسمع مما ينفثه الرافضة من بهتان.

وإن كان عدم كتابة النبي ﷺ رزية فهي ليست في حق أهل التقوى والسنة الذين يهتدون بالقرآن، وإنما هي رزية وخزي في حق من في قلبه مرض، كما كان في قلوب المنافقين حين نسخ الله تعالى ما نسخه من القرآن، وكما في محنة المسلمين يوم أحد ويوم حنين وغير ذلك من مصائب الدنيا.

ورزية في حق الرافضة المبغضين لسنة النبي ﷺ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: من الآية ٧) وإن كانت هذه الأمور في حق من هداه الله إلى السنة فهي مما يزيدهم الله به علماً وإيماناً وكرامة في الدنيا والآخرة.

ولعل هذا الأمر فتنة كوجود الشياطين من الجن والإنس، يرفع الله به درجات أهل الإيمان بمخالفتهم ومجاهدتهم لها، مع ما في وجودهم من الفتنة لمن أضلوه وأغوه. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ (المدثر: من الآية ٣١) وقوله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ (البقرة: من الآية ١٤٣) وقول موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ (الأعراف: من الآية ١٥٥) وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ﴾ (القمر: من الآية ٢٧).

ولما ثقل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ؓ: (اتني بكتف أو لوح أكتب لأبي بكر كتاباً لا يُختلف عليه) فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال: (يا أباي الله والمؤمنون أن يُختلف عليك يا أبا بكر)^(١) وقوله ﷺ (لقد هممتُ أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول قائلون، أو

(١) نظر ابن تيمية: منهاج السنة، ٢٣/٦، ٤٥٣، ٥٧٥/٨، مسند أحمد: ح (٢٣٠٦٨) و (٢٤٢٤٥).

يتمنى المتمنون ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون^(١) بلفظ آخر عن أم المؤمنين. قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: (ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فيني أخاف أن يتمنى متمن أو يقول قائل: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)^(٢).

وروي عن علي عليه السلام قال أمرني رسول الله ﷺ (أن آتبه بطبق أكتب فيه ما لا تضل أمتي من بعدي قال: فخشيت أن تسبقني نفسه ﷺ. قال: قلت: إني أحفظ وأوعى. قال: فأوصى ﷺ بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم)^(٣) فيتضح في هذا أن النبي ﷺ أراد أن يكتب لأبي بكر كتاباً يؤكد فيه خلافته من بعده ولكنه ﷺ امتنع عن ذلك لأمرين: الأول منهما: أنه ﷺ رأى مكانة صاحبه في قلوب المؤمنين وتقديمهم له وإجلالهم لمقامه بينهم فعلم أنهم لن يقدموا غيره ﷺ فكتفى ﷺ بما أمرهم به في هذا الباب وبما أشار لهم به على مكان أبي بكر ﷺ في مثل قوله للمرأة التي سألته ﷺ إن جاءت ولم تجده ﷺ فإلى من تذهب؟ فقال لها ﷺ: (فإن لم تجدني فأني أبا بكر)^(٤) ومثل تقديمه عليهم بالصلاة وصلاته ﷺ خلفه مع الصحابة ﷺ، ومثل تقديمه عليهم في الحج وتأميره على الناس في أداء أول فريضة لحج بيت الله تعالى، ومثل أمره ﷺ بسد جميع الأبواب المؤدية من البيوت إلى المسجد مباشرة إلا باب بيت الصديق ﷺ فإنه أمر بإبقائه مشرعاً إلى مسجد رسول الله ﷺ لأن أبا بكر ﷺ هو خليفة رسول الله ﷺ وإمام الأمة وقائدها من بعده ﷺ فلا ينبغي

(١) عبد الرحمن بن محمد: الأربعين في أمهات المؤمنين، ١/ ٧٩. وقد سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم: ح (١٨٥٧). وقد سبق تخريجه في أكثر من موضع.

(٣) أحمد: المسند، ك. وباب مسند علي بن أبي طالب، ح (٦٩٥).

(٤) صحيح البخاري، فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً ح (٣٦٥٩) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاحكام التي تعرف بالدلائل، ح (٧٣٦١) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر (٤٣٩٨) ابن حنبل: المسند، كتاب أول مسند المدنيين، باب حديث جبير بن مطعم، ح (١٦١٥٤) ٤

أن يكون هناك أي عائق يعوق وصوله إلى موقع ومكان الإمامة والقيادة والخلافة. قال ﷺ: (لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر)^(١).

والنصوص الصحيحة في هذه المسألة كثيرة وبينه لا تحتاج إلى مزيد من شرح وتوضيح وإن تعددت حولها الآراء وكثرت الأقوال فهذا لا يغير من الحقيقة ولا من رغبة رسول الله ﷺ وإرادته في أن يكتب كتاباً عند وفاته يؤكد فيه خلافة صاحبه الصديق ﷺ وإذا لم تتم عملية الكتابة فإنها ذلك إقرار لما رآه بعض الصحابة وتكلم به بين يدي رسول الله ﷺ في ساعة مرضه؛ من أن أبا بكر ﷺ لا تختلف الأمة على إمامته وإن انتهز بعض المبغضين قول ابن عباس ﷺ عن عدم الكتابة بأن ذلك رزية لينسجوا عليها البهتان ويروجوا الرفض وبغض الصحابة فإن ذلك لا يغير من عزم النبي ﷺ على الكتابة لصاحبه وأحب الناس إليه؛ كتاباً لا يخالفه أحد بعده ﷺ من أبناء الأمة لولا علمه بتحقيق هذه الرغبة دون الحاجة إلى الكتابة، فترك ذلك لمحبي الصحابة ﴿ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (الفتح: من الآية ٤) وليتحقق في أعداء السنة المطهرة ورافضي خلافة النبوة قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ (النساء: من الآية ١٥٧)

ولذلك جزم ﷺ بقوله: (يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) فكان مما دلهم به من الدلائل الشرعية وما علم بأن الله سيقدره من الخير الموافق لأمره ورضاه، ما يحصل به تمام الحكمة في خلقه وأمره قدرأ وشرعاً. فتبين أن ما اختاره الله تعالى - أي بعدم الكتابة المباشرة - كان أفضل في حق الأمة من وجوه، وأنهم إذا وُلوا بعلمهم واختيارهم من هو الأحق بالولاية عند الله ورسوله ﷺ كان في ذلك من المصالح الشرعية ما لا يحصل بدون ذلك. وبيان الأحكام يحصل تارة بالنص الجلي المؤكد، وتارة بالنص الجلي المجرد، وتارة بالنص الذي قد يعرض لبعض الناس فيه شبهة بحسب مشيئة الله وحكمته.

(١) صحيح البخاري: ح (٤٥٤).

فاتضح لكل ذي عيان أن النبي ﷺ أرشد الأمة إلى خلافة الصديق ﷺ ودلهم عليها وبين لهم أنه أحق بها من غيره. وذلك كله داخل في البلاغ المبين؛ فإنه ليس من شرط البلاغ المبين أن لا يُشكل على أحد، فإن هذا لا ينضب، وأذهان الناس وأهواؤهم متفاوتة متفاوتاً عظيماً، وفيهم من يبلغ العلم وفيهم من لا يبلغه: إما لتفريطه وإما لعجزه. وإنما على الرسول البلاغ المبين والبيان الممكن وهذا والله الحمد قد حصل منه ﷺ فإنه بلغ البلاغ المبين، وترك الأمة على البيضاء؛ ليلها كنهها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وما ترك من شيء يقرب إلى الجنة إلا أمر الخلق به، ولا من شيء يقربهم من النار إلا نهاهم عنه، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبياً عن أمته.

و. مسوغت عسكة أبة النبي ﷺ التي لم تكن أبة

معلوم أن الصحابة ﷺ كانوا يبذلون مَهَجَهُمْ في سبيل تحقيق ما يأمر به رسول الله ﷺ أو منع ما ينهى عنه ﷺ ومعلوم أيضاً أن أشدهم حرصاً على ذلك بعد الصديق ﷺ هو عمر الفاروق ﷺ وقد أثبت ذلك في جميع مفردات سيرته في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته. قال البيهقي والذهبي: وإنما أراد عمر ﷺ التخفيف عن رسول الله ﷺ حين رآه شديد الوجد لعلمه أن الله تبارك وتعالى قد أكمل ديننا.

ولو كان ذلك الكتاب وحياً لكتبه النبي ﷺ ولما تركه لاختلاف أولعظ، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧) فالنبي ﷺ إذا تعلق الأمر بوجوب تبليغ ما أمر به من ربه يبلغه ﷺ ولا يبالي بمن وافق أو عارض من البشر؛ وقد سبق أنه بيّن في ذلك البيان المبين، وإذا كان غير ذلك اجتهد ﷺ إلى ما فيه مصلحة المؤمنين.

كما لم يترك تبليغ غير هذا الكتاب لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه ﷺ وإنما أراد ما حكى أهل العلم، أن يكتب استخلاف أبي بكر ﷺ ثم ترك كتابته اعتماداً على ما علم من تقدير الله تعالى ذلك، كما هم به في ابتداء مرضه ﷺ حين قال: وأرأساه ثم بدا له أن لا يكتب ثم قال: يا أباي الله والمؤمنون إلا أبا

بكر، ثم نبه أمته على خلافته باستخلافه إياه في الصلاة حين عجز عن حضورها^(١) قال البيهقي: وإن كان المراد به رفع الخلاف في الدين، فإن عمر رضي الله عنه علم أن الله تعالى قد أكمل دينه بقوله ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: من الآية ٣) وعلم أنه لا تحدث واقعة إلى يوم القيامة، إلا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بيانها نصاً أو دلالة^(٢).

وفي نص رسول الله ﷺ على جميع ذلك في مرض موته، مع شدة وعكسه، مما يشق عليه، فرأى عمر رضي الله عنه الاقتصار على ما سبق بيانه نصاً، أو دلالة، تخفيفاً على رسول الله ﷺ ولكي لا تنزل فضيلة أهل العلم بالاجتهاد في الاستنباط، وإلحاق الفروع بالأصول، بما دل الكتاب والسنة عليه. فأما مسائل الأصول، فقد ورد بيانها جلياً، فلا عذر لمن خالف بيانه لما فيه من فضيلة العلماء بالاجتهاد، وإلحاق الفروع بالأصول بالدلالة، مع طلب التخفيف على صاحب الشريعة، وفي ترك رسول الله ﷺ الإنكار عليه فيما قال واضح على استصوابه رأيه ﷺ^(٣).

ولكن لما كان بغض أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه قد بلغ عند الرافضة مبلغاً أخذ عليهم كل مأخذ لم يبالوا بما يقولون مادام ما يقولونه يصب في هاوية الطعن بالفاروق رضي الله عنه لهذا فهم عندما يتهمونه بتعطيل الكتاب إنما يتهمون رسول الله ﷺ بأنه لم يكتب الكتاب وبالتالي فهو لم يبلغ الرسالة حاشاه ﷺ ولم يكمل الدين، وهم بذلك يردون قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ويرفضونه لأنهم يأخذون من الدين ما شاءوا ويدعون ما شاءوا، وهذا هو الفرق بين أهل السنة الذين يدينون بأن دين الإسلام كامل وأن رسول الله ﷺ بلغ رسالة ربه، وجاهد في الله تعالى حق جهاده، وأن الصحابة رضي الله عنهم هم أنصاره على إتمام تبليغ الدين وكل من يطعن فيهم إنما يطعن في رسول الله ﷺ وبرسالته وسنته، وبالتالي يطعن في دين الإسلام ولا يؤمن به، وإن فعل ذلك

(١) ينظر الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١٢ / ٢٤٨. البيهقي: دلائل النبوة، (٣١٠٩)

(٢) البيهقي: دلائل النبوة، (٣١٠٩) التعليق على الحديث وشرحه.

(٣) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١٢ / ٢٤٩. البيهقي: دلائل النبوة، (٣١٠٩) وينظر فتح الباري: ك، المغازي.

باب. مرض النبي ووفاته، شرح الحديث، (٤٤٣١).

ظاهراً فإنها هي التقية والرفض .

وقال المازري: إنها جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره بذلك، لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب، فكأنه ظهرت منه قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتم بل على الاختيار، فاختلف اجتهادهم وصمم عمر رضي الله عنه على الامتناع لما قام عنده من القرائن بأنه رضي الله عنه قال ذلك عن غير قصد جازم وعزمه رضي الله عنه كان إما بالوحي وإما بالاجتهاد، وكذلك تركه إن كان بالوحي فبالوحي وإلا فبالاجتهاد أيضاً.

وقال النووي: اتفق العلماء على أن قول عمر رضي الله عنه: حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، مِنْ قُوَّةِ فَهْمِهِ وَدَقِيقِ نَظَرِهِ، لِأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكْتُبَ أُمُورًا رَبِّهَا عَجَزُوا عَنْهَا فَيَسْتَحِقُّوا الْعُقُوبَةَ لِكُونِهَا مَنْصُوصَةً وَأَرَادَ أَنْ لَا يَسُدَّ بَابَ الْجَهْدِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَفِي تَرْكِ النَّبِيِّ ﷺ الْإِنْكَارَ عَلَى عَمْرِ رضي الله عنه الْإِشَارَةَ إِلَى تَصَوُّبِهِ. وَأَشَارَ رضي الله عنه بِقَوْلِهِ: حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: من الآية ٣٨) وَلَا يَعَارِضُ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ الرِّزِيَةَ... الخ. لِأَنَّ عَمْرًا كَانَ أَفْقَهُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَطْعًا؛ بَلْ أَفْقَهُ الْأُمَّةَ بَعْدَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وَهُوَ أَدْرَى بِمَا يَصْلِحُ لِلْأُمَّةِ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا سَبِيحًا فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الَّذِي كَانَ يَعْانِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ، وَهُوَ أَكْثَرُ فَهْمًا مِنْ غَيْرِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِكثْرَةِ مَخَالَطَتِهِ وَمَحَاوَرَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِمَشَاوَرَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ وَلِمَكَانَتِهِ عِنْدَهُ ﷺ، وَلَا يُقَالُ أَيْضًا: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَمْ يَكْتَفِ بِالْقُرْآنِ مَعَ أَنَّهُ حَبْرُ الْقُرْآنِ وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِتَفْسِيرِهِ، وَلَكِنَّهُ رضي الله عنه أَسْفَى عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الْبَيَانِ وَبِالتَّنْصِيصِ عَلَيْهِ لِكُونِهِ أَوْلَى مِنَ الْاسْتِنْبَاطِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ^(١).

وبناءً على ما سبق يتبين لكل ذي لب وعقل ونظر أن رسول الله ﷺ لم يكن يقدم على خليفته الصديق أحداً من أصحابه في كل شؤون الأمة منذ بعث ﷺ إلى يوم وفاته ﷺ وهذه حقيقة ظاهرة

(١) وذكر الصالح في سبل الهدى: في بيان غريب ما سبق: قولهم: أهجر؟ أي أقال هجراً وهو الذي يقع من كلام المريض، الذي لا ينتظم ووقوع ذلك من النبي ﷺ في حقه مستحيل. وإنما هذا على طريق الاستفهام الذي معناه الإنكار والإبطال أي أنه ﷺ لا يهجر أي: لم يختلفوا في الأخذ عنه ولم ينكروا عليه الكتاب، وهو لا يهجر أصلاً. والرزية: المصيبة.

لا تحتاج إلى إيضاح يعلمها ويؤمن بها كل من آمن بالله ورسوله ﷺ يوضح ذلك ويؤكد الكتاب والسنة؛ ولكن مع كل هذه البيّنات فإن بعض الغوغاء والمغفلين ممن يحسبون على السنة والجماعة لازالوا يعانون من الشك والهزيمة في معتقدتهم، فأينما تحدث أفاك أو باغ أو مبغض لأصحاب رسول الله ﷺ فإنه يزرع في قلوبهم من الشك والريبة ما يجعلهم في حيرة فلا يهتدون سبيلاً، فيرددون الإفك والباطل؛ تارة باسم النقد والبحث العملي، وتارة باسم الرد على الآخرين، ولكنهم في كل ذلك لا يسلمون من إصابات وأعطاب تمس هويتهم، وبدلاً من أن يكون أي طعن أو تشكيك في إخلاص الصحابة وصدقهم علامة على دمع مثيريها ومعرفة هويتهم المعادية، واتهامهم على الإسلام والأمة، فإن البعض يترنح تحت وطأة هذه الشبهات والأباطيل.

ومن ذلك شبهة يوم الرزية، ذلك اليوم الذي استغلته الرافضة وأذناها إلى أقصى ما تستغل به الشبهات في مراحل حربها على السنة النبوية والطعن على رسول الله ﷺ بأنه لم يبلغ ما أرسل به حاشاه ﷺ والطعن بأصحابه ﷺ أنهم لم يمثلوا أمره ﷺ في حملات متواصلة من التزييف والتزوير على رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمين، وعامة أهل السنة في غفلة ولا مبالاة بواجب المناقشة عن عقيدتهم، مما أسهم إسهاماً مباشراً في امتداد باطل أعداء الصحابة في كثير من زوايا الأمة، مدفوعاً ببعض المكاسب والمغريات المادية القريبة المنال التي أصبح بعض ممن يُحسبُ على أهل السنة يسيل لعابه عليها ليصدق عليه القول النبي ﷺ ((يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل))^(١) إلى حدٍّ أوجب على كل محب لرسول الله ﷺ وأصحابه أن يشمر عن ساعد الجدل لفضح هذا الباطل وكشف مروجيه وتحذير الأمة من مكرهم بالنبوة والسنة وأهلها، والعمل المتكامل والمتواصل لإيقاف هذا الزحف الأسود، الذي ينشر عقيدة الرفض والردة في فراغات الأمة التي صنعتها العلمانية والجاهلية، والأهواء والمصالح الزائلة والصراعات الباردة، فانتهزها أعداء الصحابة في تحالفاتهم الآثمة مع الغزاة والمعتدين على بلاد المسلمين؛ لنشر ثقافة عداة الصحابة ورفض خلافة

(١) ابن حنبل: المسند، ح (٨٠١٧). الفريابي: صفة المنافق، ١/٧٦. الدقاق: مجلس إملاء في رؤية الله، ١/١١٥.

النبوة بكل الوسائل، وعلى أقصى نطاق، يساعدهم على ذلك الجهل المتفشي بين عامة أهل السنة في معرفة حقيقة تاريخ الرافضة السياسي، ومعرفة حقيقة سير عامة أعلامهم وأئمتهم وقادتهم، ولا سيما في عصر شوكتهم، والأدهى من ذلك غياب الدولة التي ترعى السنّة النبوية قولاً وفعلاً وتبني ثقافتها وتحتوي الأزمات التي تحاك لها فتفككها وتصعد الهجمات والغارات التي تشن عليها في كل الأوقات والاتجاهات، وتُولي أبناء السنّة الرعايَة والحماية التامة، والتوجيه والإرشاد الصحيح، وتهيئ لهم من وسائل الإعلام ما يمكنهم من نشر ثقافة الكتاب والسنة بتجرد عن الأهواء والمصالح، وبما يُشعرهم بالحماية والأمن وحرية القول والفعل المقيّد بضوابط الشرع، وكما هو حاصل لغيرهم من أبناء الملل الأخرى، فما بال أهل السنة لا يعلنون بهويتهم فيوالون من والها ويبرؤون ممن ناصبها من الرافضة وغيرهم؟!!

ولما كان كل هذا غائباً من على وجه الأرض في هذا العصر، فلا بد أن تشهد الأمة الكثير من الاجتهادات الصحيحة أو المشوبة، بل وكثيراً من الأزمات والأعباء، حتى يتحقق كل هذا الذي يفتقده أبناء السنة النبوية، ويشعرون أن أعداءهم وبكل أصنافهم يعملون على حرمانهم منه وبكل الوسائل، فما دام هذا البهتان والعدوان قائماً على السنة فلا بد أن يكون الدفاع عنها قائماً أيضاً، وفقاً لسنن التدافع وتماشياً مع تجارب الأمة، ولا يستطيع أحد أن يحول بين محبي السنة المطهرة وبين العمل لها، والتضحية من أجلها، فالسلام على وجه الأرض الإسلامية وغيرها لن يسود أبداً بإقصاء السنة وقهر أهلها، وتبني أعدائها وإمدادهم ونصرتهم مهما بلغ ذلك، لأن السنة النبوية لا تُقهر لما تحمله في داخلها من عوامل الثبات والحصانة والقوة، وكل هذا تؤكدته التجارب التاريخية وتوضحه الإشارات والبشارات النبوية، التي تمد أبناء السنة العاملين بكل وسائل الثبات والمطاولة، حتى تنتهي غربتهم وتقوم دولتهم كما كانت من قبل بإذن الله تعالى.

وبعد هذا الذي دَوَّنَهُ بقي أمام المتشكك أن يعلم يقيناً أن أعداء الصحابة لو أنزل الوحي على كل منهم دون واسطة - حاشا للوحي - لكذبوه، وقالوا بغير مقصده، فأولئك أمة أخرى لها منهجها القائم على هدم السنة؛ ولا يعينهم مسألة ثبات الأحداث والوقائع والنصوص من

عَدَمها، وإنما يعينهم أمر واحد هو التشكيك والتكذيب ونقض السنة بأي وسيلة أو منهج كان، فأصبح المسلم أمام خيارين لا ثالث لهما. الأول منهما: الاعتقاد اليقيني الجازم بفقهِ الصحابة وعلمهم وصدقهم وأمانتهم جميعاً؛ واتهام أعدائهم وتكذيبهم ورد باطلهم. والثاني: الاعتقاد اليقيني الجازم بأن رسول الله ﷺ بلِّغ الدين كاملاً غير منقوص؛ وأنه لا يستطيع أحد من البشر أن يحول بينه وبين تبليغ ما أُرسِلَ به، وأن كل ما يردده الرافضة في هذا الباب وغيره إنما هو لون من ألوان الطعن بالنبوة قبل الطعن بالصحابة، وكل من يتشرب بعض باطلهم إنما يتشرب الشك بالنبوة بقدر ذلك، ومثلما أن رسول الله ﷺ قادر على تبليغ كل ما كُفِّفَ به، كذلك كان بإمكانه ﷺ أن يفرض كتابة الكتاب على الرغم من كل شيء، وهو المؤيد بالوحي، المعصوم من الناس، المكلف بالتبليغ ﷺ، ولكن ألم يكن من خلق النبي ﷺ أنه يشاور أصحابه في المواقف الحاسمة، وكم من مرة كان ﷺ يأخذ بما يقرّه أصحابه ﷺ وهل هناك أحد أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ؟! قال أبو هريرة ﷺ: (ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ)^(١).

وما هذا الذي حصل حول كتابة الكتاب إلا من هذا الباب فالنبي ﷺ أراد أن يكتب، فلما سمع بعض الآراء الأخرى ترك الكتابة ﷺ لكي يتعلم الناس منه ﷺ أن الشورى الحقة مصدرها هذا الدين، وأن الإسلام من أوسع العقائد القائمة على وجه الأرض آفاقاً وقبولاً للرأي المشروع المعتبر، فلما كثر اللغط والاستفسار طلب النبي ﷺ من الحاضرين الخروج تعليماً لهم على عدم التردد، وعلى وجوب الأخذ بالعزيمة على الرشد، أي ما دام النبي ﷺ أقرّ القول بعدم الكتابة؛ فلماذا التساؤل والتردد، وهم يعلمون أنّ النبي ﷺ إذا عزم على أمر لا يستطيع أحد أن يردّه عنه، إن لم يكن يرى ذلك هو ﷺ.

ولعل في عدم رده ﷺ على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين أرادت أن يصرف رسول الله ﷺ أمر الصلاة عن أبي بكر ﷺ إلى غيره، فلم تستطع مع سمو مكانتها عنده ﷺ ومع استعانتها

(١) صحيح ابن حبان: ح (٤٨٧٢)

بحفصة رضي الله عنها، حتى تعرضت رضي الله عنها للوم عليه، وما ذلك إلا لأن النبي ﷺ كان عازماً على أن يكون خليفته والإمام من بعده هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكل هذا يثبت أن النبي ﷺ كان قد أقرّ عدم الكتابة، وأنه ﷺ كان قادراً في مرضه كما في صحته ﷺ على فعل ما يراه صحيحاً، وعلى ترك كل ما لا يرى تبيغه وكل ذلك برعاية الوحي والاجتهاد النبوي الصائب.

وعلى هذا فإن ما اجتهد به الصحابة رضي الله عنهم حول رغبة رسول الله ﷺ في كتابة الكتاب ورأي عمر رضي الله عنه في ذلك وترك رسول الله ﷺ الكتابة إنما هو في النهاية إقرار من رسول الله ﷺ بعدم الكتابة والكتفاء بما أصدره من إشارات وتوجيهات وإيحاءات وتكاليف لخليفته الصديق رضي الله عنه وبتكليفه بمهام لم يقم بها غيره، إنما كل ذلك يؤكد أنه لا يوجد لبس في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند الصحابة أو من جاء بعدهم من المسلمين.

والنتيجة التي يجب أن يعتقدها كل مسلم بأن أي تشكيك أو طعن في هذه المسألة إنما هو من مكر أعداء الصحابة الذين لن تثنيهم حقيقة عن ترك منهجهم القائم على هدم السنة ومحاربة أهلها؛ والعمل الدائم بكل الوسائل للحيلولة بين الأمة وبين التواصل مع الصحابة، بالقذف والبهتان والتشويه وغير ذلك، والعمل المستمر على محاربة الصحابة بنشر الشائعات وكتابة الأكاذيب وجحود نتاجهم الحضاري والفكري والفقهية والجهادية، والتدين بتكذيبهم ورفض قرآنهم وسنة نبيهم ﷺ والولاء لكل راية ترفع لمحاربة الصحابة وأمتهم، والتحالف مع كل وثني أو كتابي أو إلحادي يناصبهم العدا.

وقد صدق كل هذه الحقائق تعاونهم مع أعداء أمة الكتاب والسنة، كما تؤكد أن من ضرورات تدينهم هو مخالفة الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة ورفض التسمي بأسمائهم أو الأخذ بعلمهم أو إقرار جهادهم الذي أعزّ الله تعالى به رسوله ﷺ ودينه، والإفتاء بشتهم ولعنهم وتكذيبهم واتهامهم بأنهم بدّلوا وغيروا - حاشاهم رضي الله عنهم - وما سوى ذلك من إفك وافتراء جعلوا منه عقيدة يعتقدونها ولا ينفكون عنها، وإن كانوا في عصر - ضعفهم يبطنون ذلك، وفي عصر - قوتهم أو تحالفهم مع الكفار يعلنونه، ويجاهرون به ويفاخرون بتنفيذه على رؤوس الأشهاد، على

الرغم من أن ذلك يكشف باطنيتهم ويهتك أستارهم، فإن ذلك لا يغير من الخطر المحقق الذي يمثلونه على عقيدة الأمة وهويتها ووحدتها وحضارتها من داخلها؛ وبهذا تكون قد ظهرت الحقيقة لكل عاقل ولم يعد هناك مجال لوجود ثقافة مترددة متشككة أو مكذبة؛ بل هي عقيدة واحدة وثقافة وفكر واحد منبثق من تلك العقيدة التي تتغذى من معين علوم الصحابة النابعة من الكتاب والسنة، الذي لازال المؤمنون يقطفون ثماره يقيناً واتباعاً واعتقاداً، وأن هذه العقيدة وبقافتها البناء لا يمكن أن تلتقي مع ثقافة التخريب الراضية للكتاب والسنة، وفقه السلف الصالح، مما أوجد لكل مسلم إشارات وأضواء كاشفة يهتدي بها في معرفة أبناء عقيدته؛ وفي معرفة أعداء تلك العقيدة، فالصحابه رضي الله عنهم ورثة عقيدة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الأضواء الكاشفة والشموس الساطعة، فكل من ينال من أي منهم إنما هو وريث للباطل الذي أزهقوه؛ فهو يدعو لباطله الفاسد بألوان وأشكال ووسائل متعددة، من أشهرها التستر بحب آل البيت ولكن قطعاً ليس بيت النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي نصره الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

لهذا لا تروج بضاعة عداة الصحابة والطعن بهم والتعالي على أمتهم؛ إلا في أسواق الحاقدين على السنة وأهلها، وعند فاقدى الولاء والهوية، والذين في قلوبهم مرض وشك بالقرآن ولغته العربية؛ والمرجفين الذين يعتقدون أن أعداء الصحابة الذين يرفضون خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الممكن أن يقبلوا بدين الصحابة وقرآنهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم أو يعملوا مع أمة القرآن والسنة بأمانة ونزاهة وصدق؛ من غير تقية وباطنية وتآمر! وهذا مما لا وجود له في ثقافتهم! ولو عملوا بذلك لأعلنوا موقفهم المؤمن بخلافة النبوة، والتائب عن كل ما يردده المرتدون من التشكيك في الكتاب والسنة، وشم الصحابة رضي الله عنهم، ولأخذوا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والنصوص الصحيحة، التي تبين أن طريق الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بدأ مسيره ببيعة أبي بكر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن ذلك سوى المرتدون والمشركون والمنافقون. قال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٠).

ثانياً دافع أعداء الصحابة عن ميلهم للكذب والمرتدين وطعنهم بأبي بكر الصديق رضي الله عنه بهتان أعداء الصحابة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه متباين الألوان متعدد الأهداف، ولكنهم كاذبون فيما يقولون، زائفون فيما ما يحتجون به، وفي مقدمة ذلك أباطيلهم على إمامته للأمة وخلافته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتجوا بوجوه:

الأول: الإجماع. والواجب منع الإجماع؛ فبزعهم هناك جماعة من بني هاشم لم يوافقوا على ذلك، وجماعة من أكابر الصحابة، كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وحذيفة وسعد بن عباد وزيد بن أرقم وأسامة بن زيد وخالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه حتى أن أباه أنكر ذلك!! وقال: من استخلف على الناس؟ فقالوا: ابنك. فقال: وما فعل المستضعفان؟ إشارة إلى علي والعباس. قالوا: اشتغلوا بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا أن ابنك أكبر الصحابة سناً. فقال: أنا أكبر منه! المرتدون بنو حنيفة كافة لم يحملوا الزكاة إليه، حتى سمّاهم أهل الردة وقتلهم وسباهم! وبزعهم أن عمر رضي الله عنه أنكر عليه، وردّ السبايا أيام خلافته.

- والجواب: بعد أن يقال: الحمد لله الذي أظهر من أمر أعداء الصحابة ورثة المرتدين والوثنيين ما تحقق به عند الخاص والعام أنهم إخوان المرتدين حقاً، وكشف أسرارهم وهتك أستارهم بألسنتهم وأفلامهم؛ فإن الله لا يزال يطلع على خائنة منهم، تبين عداوتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولخيار عباد الله وأوليائه المتقين، ومن يُرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً.

قال شيخ الإسلام: من كان له أدنى علم بالسيرة، وسمع مثل هذا الكلام، جزم بأحد أمرين: إما أن قائله من أجهل الناس بأخبار الصحابة، وإما أنه من أجرأ الناس على الكذب، فظني أن هذا المصنف - ابن المطهر الحلي - وأمثاله من شيوخهم ومراجعهم ينقلون ما في كتب سلفهم، من غير اعتبار منهم لذلك، ولا نظر في أخبار الإسلام، وفي الكتب المصنفة في ذلك، حتى يعرف أحوال الإسلام، فيبقى هذا وأمثاله في ظلمة الجهل بالمنقول والمعقول.

ولا ريب أن المفترين من شيوخهم كثيرون جداً، وغالب القوم ذوو هوى أو جهل، فمن حدّثهم بما يوافق هواهم صدقوه، ولم يبحثوا عن صدقه وكذبه، ومن حدّثهم بما يخالف أهواءهم

كذبوه، ولم يبحثوا عن صدقه وكذبه، ولهم نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصُّدُقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (الزمر: ٣٢) كما أنّ أهل العلم والدين والسنة لهم نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٣٣) ومن أعظم ما في كلام هذا الرافضي من الجهل والضلالة جعله بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب من أهل الإجماع؛ فإنهم لما امتنعوا عن بيعته ولم يحملوا إليه الزكاة سبّاهم أهل الردة، وقتلهم وسبّاهم.

وبنو حنيفة قد علّم الخاص والعام أنهم آمنوا بمسيلمة الكذاب الذي ادّعى النبوة باليامة، وادّعى أنه شريك النبي ﷺ في الرسالة، وادّعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ فقتل الأسود العنسي- بصنعاء، وكان اسمه عبهلة، واتبع الأسود أيضاً خلق كثير، ثم قتله الله بيد فيروز الديلمي ومن أعانه على ذلك من المؤمنين، وكان قتله في حياة النبي ﷺ وأخبر النبي ﷺ بقتله ليلة قتل، وقال: (قتله رجلٌ صالح من أهل بيت صالحين)^(١).

والأسود ادّعى الاستقلال بالنبوة، ولم يقتصر على المشاركة، وغلب على اليمن، وأخرج منها عمّال النبي ﷺ حتى قتله الله، ونصر عليه المسلمون بعد أن جرت أمور، وقد نقل في ذلك ما هو معروف عن أئمة العلم.

وأما مسيلمة فإنه ادّعى المشاركة في النبوة، وعاش إلى خلافة أبي بكر الصديق ﷺ وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: (رأيت في منامي كأن بيدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فقتل لي: انفخهما، فنفختهما، فطارا فأولتتها الكذابين: صاحب صنعاء، وصاحب اليامة)^(٢).

(١) قال ابن عبد البر، في الاستيعاب، ٣/ ١٢٦٤: ولا خلاف أن فيروز الديلمي من قتل الأسود عبهلة بن كعب العنسي المتنبىء ذو الخمار الكذاب.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب إذا طار الشيء في المنام، (٦٥١٣). كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة ح (٤٠٢٦) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ (٤٢١٨). ينظر: منهاج السنة، ٣٢١-٣٢٧.

وأمر مسيلمة وادّعاؤه النبوة واتباع بني حنيفة له أشهر وأظهر من أن يخفى، إلا على من هو من أبعد الناس عن المعرفة والعلم والعقل والإنصاف، ولعل دفاع الرافضة عنه يؤكد وجهاً من وجوه إيمانهم بنبوته، بل إنهم ربما فاقوا المتنبئين الكذابين لأن المتنبئين والمرتدين إنما كان أقصى ما وصلوا إليه من الكذب أن صدقوا من افتري على الله وزعم أنه نبي كما حصل مع الأسود العنسي، أما مسيلمة فكان أقصى ما توصل إليه إفكه أنه شريك في النبوة وامتداد لها، أما أعداء الصحابة فإنهم زعموا أن معصوميهم المزعومين فوق الأنبياء والمرسلين ومنازلهم لا يبلغها نبيٌّ مُرسل ولا مَلَكٌ مقرب^(١) وهذا منتهى ما وصل إليه المفترون على الله ورسوله ممن رفض الكتاب والسنة؛ بل إنهم زادوا على المرتدين حيث لم يزعم هؤلاء في أنبيائهم بأنهم فوق الملائكة والأنبياء والمرسلين، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل ويؤكد على أن مصادر رفض الإسلام وهدم السنة تستقي من حمئة واحدة، وهي تشترك في وسائلها وأهدافها وإعلانها الحرب على السنة النبوية وأهلها شأؤوا أم أبوا، وحاربوا أم سالموا.

وادعاء مسيلمة المشاركة في النبوة وأنه رسول مع رسول الله ﷺ أمرٌ علمه حتى اليهود والنصارى، فضلاً عن المسلمين، وقُرّأه المزعوم الذي قرأه قد حفظ الناس منه سوراً إلى اليوم، مثل قوله: يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي كم تنقين، لا الماء تُكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء وذبك في الطين. وقوله: الفيل، وما أدراك ما الفيل، له زلوم طويل، إن ذلك من خلق ربنا لقليل. ومثل قوله: إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وهاجر، ولا تطع كل سار وكافر. وقوله: والطاحنات طحننا، والعاجنات عجننا، والخابزات خبزاً إهالةً وسمناً، إن الأرض بيننا وبين قريش نصفين، ولكن قريشاً قوم لا يعدلون؛ وأمثال هذا الهذيان كثير، ولهذا لما قدم وفد بني حنيفة على أبي بكر ﷺ بعد قتل مسيلمة الكذاب، طلب منهم أبو بكر ﷺ أن يُسمعوه شيئاً من

(١) ينظر المجلسي: بحار الأنوار، كتاب الإمامة، باب الأئمة أعلم من الأنبياء، ٢/١٩٣.

قرآن مسيلمه، فلما أسمعوه قال: (ويحكم أين يذهب بعقولكم؟ إن هذا كلام لم يخرج من إله) أي من رب^(١).

وكان مسيلمه قد كتب إلى النبي ﷺ في حياته: (من مسيلمه رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك) فكتب إليه النبي ﷺ: (من محمد رسول الله إلى مسيلمه الكذاب...) ولما جاء رسوله إلى النبي ﷺ قال له: أتشهد أن مسيلمه رسول الله؟ قال: نعم. قال: لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقك، ثم بعد هذا أظهر أحد الرسولين الردة بالكوفة فقتله عبد الله بن مسعود، وذكره بقول النبي ﷺ هذا^(٢).

وكان قدم في وفد بني حنيفة إلى النبي ﷺ وأظهر الإسلام، ثم لما رجع إلى بلده قال لقومه: (إن محمداً قد أشركني في الأمر معه) واستشهد برجلين: أحدهما الرجلان بن عنقوة، فشهد له بذلك. ويروى عن النبي ﷺ أنه قال لثلاثة أحدهم أبو هريرة، والثاني: فرات بن حيان العجلي والثالث: الرجلان بن عنقوة (إن أحدكم ضرسه في النار أعظم من كذا وكذا) فاستشهد فرات بن حيان في سبيل الله، وبقي أبو هريرة رضي الله عنه خائفاً مما قاله النبي ﷺ حتى شهد الرجلان لمسلمة الكذاب بالنبوة واتبعه، فعلم أنه هو كان المراد بخبر النبي ﷺ^(٣) وكان مؤذن مسيلمه يقول: أشهد أن محمداً ومسلمة رسولا الله، ومن أعظم فضائل أبي بكر رضي الله عنه عند الأمة أولهم وآخرهم أنه قاتل المرتدين،

(١) منهاج السنة، ٨ / ٣٢٢.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ٤ / ٩٧ - ٩٩. المقرئ، إمتاع الأسماع، ٥٠٨ - ٥٠٩. ابن القيم، زاد المعاد، ٣ / ٦١٠ - ٦١٣. ابن هشام، السيرة النبوية، ٤ / ٢٤٧، السيرة النبوية، ٤ / ٩٧ - ٩٩.

(٣) ذكر السهيلي وغيره أن الرجلان بن عنقوة اسمه نهار بن عنقوة، وكان قد أسلم وتعلم شيئاً من القرآن وصحب رسول الله ﷺ مدة، وقد مر عليه رسول الله ﷺ وهو جالس مع أبي هريرة وفرات بن حيان فقال لهم: (أحدكم ضرسه في النار مثل أحد) فلم يزا إلا خائفين حتى ارتد الرجلان بن عنقوة مع مسيلمه وشهد له زوراً أن رسول الله ﷺ أشركه في الأمر معه، وألقى إليه شيئاً مما كان يحفظه من القرآن فادّعاه مسيلمه لنفسه، فحصل بذلك فتنة عظيمة لبني حنيفة وقد قتله زيد بن الخطاب رضي الله عنه يوم اليمامة ينظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ٤ / ٩٧. وقيل غير زيد: ينظر: الخليفة، الأنصار في العصر الراشدي، ١٩١.

وأعظم الناس ردة كان بنو حنيفة، ولم يكن قتاله لهم على منع الزكاة فقط، بل قاتلهم على أنهم آمنوا بمسيلمة الكذاب. وكانوا فيما يُقال نحو مائة ألف، وإذا كان أعظم الناس إسلاماً مَنْ قهر المرتدين وقمع الكاذبين على الله ورسوله ﷺ فإن من أعظم الناس جرماً وأقبحهم كذباً من يدافع عن هؤلاء المرتدين، ويفتري على خليفة رسول رب العالمين، كما يفعل ذلك أعداء الصحابة في الماضي والحاضر، في إطار مشروعهم الذي خطط له قادة المجوسية بعد انهيارهم وهزيمتهم على أيدي الصحابة الأكرمين، في أيام خليفة رسول الله أبي بكر الصديق ﷺ وأمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ. وهذا الانهيار الذي لحق بالمجوسية الفارسية هو الذي أورث أعداء الصحابة كل هذا الحقد والكراهية للإسلام الحق والمسلمين المتمسكين بسنة رسول الله ﷺ ومنهج أصحابه الطاهرين. فأصبح عداء الصحابة عند أهل القرآن والسنة هو المؤثر والدليل على المجوسية والردة فهؤلاء هم الذين لا زالوا يعملون جاهدين على حرب الإسلام من داخله، ويجرّسون على تدميره بأشكال وألوان باطنية وظاهرية متعددة؛ ولم تنته حركتهم بعد القضاء على كسرى المجوس ومسيلمة الرفض والردة.

وخولة الحنيفة أم محمد بن الحنفية سرية علي بن أبي طالب ﷺ كانت من بني حنيفة، وبهذا احتج من جوّز سبي المرتدات إذا كان المرتدون محاربين، فإذا كانوا مسلمين معصومين، فكيف استجاز علي بن أبي طالب ﷺ أن يسبي نساءهم، ويطأ من ذلك السبي؟.

وأما الذين قاتلهم أبو بكر الصديق ﷺ على منع الزكاة، فأولئك ناس آخرون، ولم يكونوا يؤدونها، وقالوا: لا نؤديها إليك، بل امتنعوا من أدائها بالكلية، فقاتلهم على هذا، ولم يقاتلهم ليؤدوها إليه، وأتباع الصديق - كأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرهما - يقولون: إذا قالوا: نحن نؤديها ولا ندفعها إلى الإمام، لم يجز قتلهم، لعلمهم بأن الصديق إنما قاتل من امتنع عن أدائها جملة جاحداً لأمر الله فيها، لا من قال: أنا أؤديها بنفسني ولهذا فإن أعداء الصحابة في هذا العصر وقبله أيضاً مبطلون لفريضة الزكاة كما أبطلها سلفهم المرتدون؛ فهم لا يؤدونها وإنما يجرفون ذلك في باطلهم ويقولون: نحن نؤدي الخُمس بدلاً من ذلك، كل ذلك تمسكاً بعقائد المرتدين وإلا فإن

الخمسة يؤخذ من غنائم الكفار بعد تحقيق النصر عليهم ثم يُردُّ الخمس إلى أهله كما جاء ذلك في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانَ وَاللَّهِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: ٤١).

ولكن أعداء الصحابة يؤدونه إلى دهانتهم لاستخدامه في الحرب على الكتاب والسنة وأهلها، وإنفاقه في تغذية الأحقاد ونش الضغائن وكل ما يمزق صفوف المسلمين ويشتت وحدتهم ويفرق جماعتهم ويهدم دولتهم.

وهذا الخطر الدائم الذي تتغذى عليه عقائد أعداء الصحابة في تنام مستمر منذ أن اغتيل عمر الفاروق رضي الله عنه غدرًا بتدبير المجوس في عام ٢٣ هـ وإلى هذا اليوم ١٤٣١ هـ وهذا ما يوجب على كل عاقل غيور على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسهم في إيقاف هذا الشر المستطير وتحذير أهل الإسلام منه ومن نوايا أهله المبيتة على حرب السنة وطمس معالمها وقتل أهلها وهتكهم، مستيحيين في ذلك كل الشرائع ومسقطين كل القيم، وهل من يجترئ على دماء الخلفاء الراشدين وينتقص من الصحابة الأكرمين ويبيع البلاد والأوطان للغزاة والمحتلين يعرف معروفًا أو ينكر منكرًا؟!!

ولو عدَّ هذا المفترى من المتخلفين عن بيعة خليفة رسول الله، المجوس واليهود والنصارى، لكان ذلك من جنس عدِّه لبني حنيفة، بل كفر بني حنيفة من بعض الوجوه كان أعظم من كفر اليهود والنصارى والمجوس؛ فإن أولئك كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وأولئك يقرّون بالجزية، وهؤلاء لا يقرّون بالجزية، وأولئك لهم كتاب أو شبهة كتاب، وهؤلاء اتبعوا مفترياً كذاباً، لكن كان مؤذنه يقول: أشهد أن محمداً ومسيلمة رسولاً الله، وكانوا يجعلون محمداً صلى الله عليه وسلم ومسيلمة سواء سواء، ولعل هذا هو حال أعداء الصحابة في هذا العصر حين يجعلون للنبي صلى الله عليه وسلم أنداداً يشرعون من دون الله تعالى.

وأمر مسيلمة الكذاب الذي يواليه أعداء الصحابة بغضاً بالسنة النبوية، مشهور في جميع الكتب التي يُذكر فيها مثل ذلك، من كتب الحديث والتفسير، والمغازي والفتوح، والفقهاء والأصول والكلام وتاريخ الفرق وغيرها.

وهذا أمر قد خلص إلى العذارى في خدورهن، بل قد أفرد الإخباريون لقتال أهل الردة كتباً سموها كتب (الردة) و (الفتوح) مثل كتاب (الردة) لسيف بن عمر، وكتاب (الردة) للواقدي وغيرهما، يذكرون فيها من تفاصيل أخبار أهل الردة وقاتلهم ما يذكرون كما قد أوردوا مثل ذلك في مغازي رسول الله ﷺ وفتوح الشام. ومن ذلك ما هو متواتر عند الخاصة والعامة، ومنه ما نقله الثقات، ومنه أشياء مقاطيع ومراسيل يحتمل أن تكون صدقاً وكذباً ومنه ما يُعلم أنه ضعيف وكذب. لكن تواتر ردة مسيلمة وقاتل الصديق ﷺ وحربه له كتواتر حرب هرقل وكسرى وقيصر - ونحوهم ممن قاتلهم خليفة رسول الله وأmir المؤمنين عمر وعثمان ﷺ، وتواتر كفر من قاتله النبي ﷺ من اليهود والمشركين، مثل عتبة بن ربيعة وأبي ابن خلف وحبي بن أخطب، وتواتر نفاق عبد الله بن أبي بن سلول، وقاتل الصحابة للمجوس والوثنيين وأمثال ذلك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ المدينة، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده أتبعته، فقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ﷺ وفي يد النبي ﷺ قطعة من جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: (لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريتُ فيك ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني) ثم انصرف عنه. قال ابن عباس فسألت عن قول النبي ﷺ: (أريت فيك ما رأيت) فأخبرني أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن أنفخهما، فنفختها فطارا، فأولتها كذا بين يجران بعدي فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء والآخر مسيلمة)^(١).

- وأما قول مبغض الصحابة (إن عمر ﷺ أنكر قتال أهل الردة) فمن أعظم الكذب والافتراء على عمر ﷺ، فالصحابه كانوا متفقين على قتال مسيلمة وأصحابه ولكن كانت طائفة أخرى

(١) صحيح البخاري: ح (٣٤٢٤). ينظر: منهاج السنة، ٨ / ٣٢٧.

مقرين بالإسلام وامتنعوا عن أداء الزكاة، فهؤلاء حصل لعمر أولاً شبهة في قتالهم حتى ناظره الصديق ﷺ وبين له وجوب قتالهم فرجع إلى قوله وعلم أنه هو الحق.

وعن أبي هريرة أن عمر قال لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)؟ قال أبو بكر: ألم يقل إلا بحقها؟ فإن الزكاة من حقها، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق^(١) وعمر ﷺ احتج بما بلغه أو سمعه من النبي ﷺ فيبين له الصديق أن قوله: (بحقها) يتناول الزكاة، فإنها حق المال. وعن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأني رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها)^(٢) فهذا اللفظ الثاني الذي قاله رسول الله ﷺ بين عمق فقه أبي بكر وسعة علمه، وهو صريح في القتال على أداء الزكاة، وهو مطابق للقرآن. قال تعالى ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَعِدُّوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ٥) فعلق الله تعالى تخلية السبيل على الإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

والأخبار المنقولة عن مانعي فريضة الزكاة أن منهم من كان قد قبض الزكاة ثم أعادها إلى أصحابها لما بلغه موت النبي ﷺ مثل مالك بن نويرة، ومنهم من كان يتربص، ثم هؤلاء الذين

(١) صحيح البخاري: ح (٦٤٠٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، ح (٢٤)، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب قتل من أبي قبول الفرائض، ح (٦٤١٣). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس...، ح (٢٩)، (٣٠)، (٣١).

قاتلهم خليفة رسول الله عليها لما قاتلهم، صارت العمال الذين كانوا على الصدقات زمن النبي ﷺ يقبضونها، كما كانوا يقبضونها في زمنه ويصرفونها كما كانوا يصرفونها.

وكتب الصديق ﷺ لمن كان يستعمله كتاباً للصدقة، فقال: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ والتي أمر بها) وبهذا الكتاب ونظائره يأخذ علماء المسلمين كلهم، فلم يأخذ لنفسه منها شيئاً ولا ولياً أحداً من أقاربه، لا هو ولا عمر ﷺ بخلاف عثمان وعلي رضي الله عنهما فإنهما ولياً من أقاربهما، فإن جاز أن يُطعن في الصديق والفاروق أنهما قاتلا لأخذ مال الزكاة، فالطعن في غيرهما أوجه، فإذا وجب الذبّ عن عرض عثمان وعلي فهو عن أبي بكر وعمر أوجب ﷺ.

وعلي ﷺ يقاتل ليطاع ويتصرف في النفوس والأموال، فكيف يُجعل هذا قتالاً على الدين؟ وأبو بكر ﷺ يقاتل من ارتدّ عن الإسلام ومن ترك ما فرض الله ليطاع الله ورسوله ﷺ فقط، ولا يكون هذا قتالاً على الدين؟!!

وبهذا يتضح أن كل ما يشاع في كتب التاريخ وغيرها عن إساءة بعض الصحابة ﷺ للإدارة إنما هو من بهتان أعدائهم، الذين بلغ ضلالهم أن يخاصموا خير الأمم أصحاب النبي ﷺ وأن ينتقدوا أئمة العدل، ويريدون أن يُسمع لقولهم وهم أسفه من خاصم الكرام؛ فالصحابه خاصمهم المشركون واليهود والنصارى ولم يثبت أن أحداً من هؤلاء اتهمهم في عدالتهم وأمانتهم وزهدهم وعلمهم ودينهم، في حين لم يدع أعداء الصحابة شاردة ولا واردة إلا ورموا بها الصحابة ﷺ حتى اكتشف الناس أنهم بهذا البهتان هم أكذب البشر وأبعدهم عن الحق، وأن كل من يعتقد فيهم خيراً فإنما هو واهم تائه ضال، أو كمن قال الله فيهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٤) فكل من يزعم أنه من أمة المؤمنين ويعلم مقام أصحاب رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة، ثم يتكلم في هذا الشأن ويلتمس عذراً لمن يعادي أصحاب رسول الله ﷺ فهو متهم في فهمه ودينه وأمانته وولائه لله ولرسوله ﷺ وفاقد للموضوعية ومضيق لأمانة النصح لأبناء الأمة.

- وأما الذين عدّهم جاسوس التتار على المسلمين ابن المطهر الحلي، أنهم تخلفوا عن بيعة الصديق ﷺ من أكابر الصحابة، فذلك كذب عليهم، فإن مبايعة هؤلاء لأبي بكر وعمر أشهر من أن تنكر، وهذا مما اتفق عليه أهل العلم بالحديث والسير والمنقولات، وسائر أصناف أهل العلم خلفاً عن سلف، وذكره هنا ليس إلا من باب إظهار انعدام أمانة العلم عند مبغضي الصحابة وبيان جرأتهم على الكذب والتزييف.

- وأسامة بن زيد ما خرج في السرية حتى بايع خليفة رسول الله ولهذا كان يقول له: يا خليفة رسول الله ﷺ وكذلك جميع من ذكره بايعه، لكن خالد بن سعيد بن العاص الأموي ﷺ كان والياً للنبي ﷺ فلما مات النبي ﷺ قال: (لا أكون نائباً لغيره) فترك الولاية، وإلا فهو من المقرين بخلافة الصديق ﷺ ولكن قيل: علي تأخرت بيعته قليلاً لأمر خاصة به، وقيل: بل بايعه ثاني يوم ﷺ وهو الصواب المطابق لواقع تلك المرحلة وبكل حال فقد بايعوه من غير إكراه وبمتمهي الود والإخلاص، ثم جميع الناس بايعوا عمر ﷺ وكذلك عثمان ﷺ وأول من بايعه علي ﷺ وكذلك معاوية ﷺ فيما بعد ومن بايعه الحسن والحسين وأخوهما محمد ابن علي وابن عباس وجميع آل بيت النبي محمد العربي ﷺ ويجب أن يتنبه أي كاتب أو خطيب أو إعلامي إلى هذه المسألة وأن آل بيت نبينا ﷺ هم من قريش سادة العرب، وأن أبغض الناس إلى الرافضة هم قريش وعامة العرب، فإن قالوا آل البيت فعلى الباحث أن يثبت أي بيت يعنون وهذا لا يتضح إلا بمعرفة البيوت التي تقودهم في الحرب على الصحابة وأمة الكتاب والسنة في كل عصر- ومصر، أما في الماضي فقد علم ولاؤهم لابن سبأ وابن ملجم ولآل بيت هولاء المغولي الوثني، وأيام الصليبيين علم ولاؤهم لآل بيت الصليب وتسليم العبيديين بيت المقدس للصليبيين، أما في هذا العصر الذي افتضح فيه ولاؤهم ولم يعد يخفونه لا تقيّة ولا تمويهاً وأن ولاؤهم لكل من يعادي أمة المسلمين ولا سيما العرب الذين هم قوم علي ﷺ والسنة التي هي منهج محمد ﷺ، وظهر حقدهم على لغة العرب وقرآنهم ولم يعد بإمكان أحد أن يخفيه مهما أوتي من التلبيس والتدليس، وهنا يصدق عليهم قول شيخ الإسلام: (فإنهم دائماً يستعينون بالكفار والفجار على

مطالبهم، ويعاونون الكفار والفجار على كثير من مآربهم، وهذا مشهود في كل زمان ومكان، ولو لم يكن إلا صاحب هذا الكتاب "منهاج الندامة" الذي تعاون مع التتار ضد أهل السنة فإنهم يتخذون المغول والكفار أو الفساق أو الجهال، أئمة بهذا الاعتبار^(١).

ولهذا كان ابن المطهر أهلاً لما وصفه به شيخ الإسلام: بأنه حمار وأنه أحمر من عقلاء اليهود، وأن العامة معذورون في قولهم: (الرافضي حمار اليهودي)^(٢) وقد أجاب شيخ الإسلام عن سؤال تطرق إلى ذهن القارئ عندما يرى وصفه للرافضي بهذه الأوصاف من الجهل والبلادة، حتى صار أشبه بالحمار. وهذا السؤال هو إذا كان هذا الرافضي بهذه المثابة، فلماذا يتعب شيخ الإسلام نفسه بالرد عليه؟ فقال: (مصنف هذا الكتاب - الحلي - وأمثاله من الراضية إنما نقابلهم ببعض ما فعلوه بأمة محمد ﷺ سلفاً وخلفاً، فإنهم عمدوا إلى خيار أهل الأرض من الأولين والآخرين بعد النبيين والمرسلين، وإلى خير أمة أخرجت للناس وهم الصحابة رضي الله عنهم؛ فجعلوهم شرار الناس وافتروا عليهم العظائم، وجعلوا حسناتهم سيئات)^(٣) وهذا ما لا يفعله عاقل مؤمن ذلك أن من يتعرض للصحابة بالانتقاص بصطدم مع الكتاب والسنة وما فيها من ثناء على الصحابة ﷺ فضلاً عن إنجازاتهم الحضارية ومواقفهم الأخلاقية.

- وما ذكره الرافضي عن بيت الإيمان بيت أبي قحافة فهو من هذا الباب باب الكذب، فأبو قحافة ﷺ كان بمكة، وكان شيخاً كبيراً أسلم عام الفتح، أتى به أبو بكر إلى النبي ﷺ ورأسه ولحيته مثل الثغامة من شدة بياضه فقال النبي ﷺ: (لو أقررت الشيخ مكانه لأتيناها)^(٤) إكراماً لأبي بكر ﷺ.

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٤ / ١١ - ١١٢.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة، ٧ / ٢٩٠.

(٣) منهاج السنة: ٥ / ١٠٤، المجلسي: بحار الأنوار، ٨ / ٣٠١، وفيها قولهم بتسمية سبعة من أبواب جهنم بأسماء الخلفاء الراشدين ومن تبعهم من الخلفاء الصالحين ﷺ من أمة الكاب والسنة.

(٤) ابن حنبل، المسند، ٣ / ١٦٠.

وليس في الصحابة من أسلم أبوه وأمه وأولاده وأدركوا النبي ﷺ وأدركه أيضاً بنو أولاده: إلا أبو بكر ﷺ من جهة الرجال والنساء. فمحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة: هؤلاء الأربعة كانوا في زمن النبي ﷺ مؤمنين، وعبد الله بن الزبير ابن أسماء بنت أبي بكر ابن أبي قحافة: كلهم أيضاً آمنوا بالنبي ﷺ فهم أهل بيت إيمان، لا يبغضهم إلا منافق أو مرتد، ولا يُعرف في الصحابة مثل هذا لغير بيت أبي بكر ﷺ قال موسى ابن عقبة: " ما نعلم أربعة في الإسلام أدركوا هم وأبناؤهم النبي ﷺ إلا هؤلاء الأربعة: أبو قحافة وابنه أبو بكر وابن ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر، وأبو عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر، واسم أبي عتيق: محمد" (١).

وكان يُقال: للإيمان بيوت وللنفاق بيوت، فبيت أبي بكر الصديق ﷺ من بيوت الإيمان من المهاجرين، وبنو النجار من بيوت الإيمان من الأنصار، وكل من يعاديهم أو يرفض ما أقره فهو من المنافقين.

- وقوله: " إنهم قالوا لأبي قحافة: إن ابنك أكبر الصحابة سناً " كذب ظاهر، وفي الصحابة خلق كثير أسنُّ من أبي بكر ﷺ قال ابن عبد البر: " لا يختلفون أن أبا بكر ﷺ مات وستة ثلاث وستون سنة، وأنه استوفى سنَّ النبي ﷺ إلا ما لا يصح، لكن المأثور عن أبي قحافة أنه لما توفي النبي ﷺ ارتجت مكة، فسمع ذلك أبو قحافة فقال: ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله ﷺ قال: أمر جليل. فمن ولي بعده؟ قالوا: ابنك. قال: فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم. قال: لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع " فيتضح في الافتراءات التي يتوارثها أعداء الصحابة أن خليفة رسول الله كان على الحق؛ ومع الحق ويعمل لجعل الناس يتمسكون بالحق، ويجاهدون من أجله، وبذات الوقت يتضح أن أعداء الصحابة يعملون جاهدين لإبطال الحق وصرف الناس عنه.

(١) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح ٦٣.

- ثم من هذا الذي هو بمكانة خليفة رسول الله حتى يجترئ على الاعتراض على أحكامه فضلاً أن يخوض في الإفك والبهتان فيفتري عليه؟! كيف وهو صاحب رسول الله ﷺ الذي كان يفتي بين يديه ويقدم الآراء والنصائح والمشورة السديدة فيقرها ويقبلها ولا يقدم عليه أحداً في كل شؤون الدنيا والآخرة ولا يرد عليه قولاً ولا ينكر عليه فعلاً، بل إذا ذكر أهل الفتيا من الصحابة ﷺ في حياة رسول الله ﷺ فإنه أول من يذكر أبو بكر ﷺ، وقد سئل ابن عمر رضي الله عنهما: من كان يفتي الناس في زمن رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وروي أيضاً عن القاسم بن محمد. قال: كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ يفتون على عهد رسول ﷺ. وروي أيضاً عن كعب بن مالك ﷺ. قال: كان معاذ بن جبل ﷺ يفتي الناس في حياة رسول ﷺ. وروي أيضاً عن علي بن عبد الله بن دينار الأسلمي قال: كان عبد الرحمن بن عوف ممن يفتي في عهد رسول الله ﷺ. وروي عن سهل بن أبي خيثمة. قال: كان الذين يفتون على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة من المهاجرين، وثلاثة من الأنصار، عمر وعثمان وعلي وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت ﷺ وقد تحصل من هذه الآثار ثمانية وكانوا يفتون والنبى ﷺ حي جمعهم القائل في بيتين. فقال:

وقد كان في عصر النبي جماعة يقومون بالإفتاء قومة قانت
فأربعة أهل الخلافة معهم معاذ وأبي وابن عوف وابن ثابت

- قال شيخ الإسلام: قال السيد النسابة في شرحه لمنظومة ابن العماد في الأنكحة، قال ابن الجوزي في (المدهش): إن الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ عشرة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وعمار ابن ياسر وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري ﷺ فيحصل من كلامها اثنا عشر رجلاً^(١) ممن كان يفتي في حياة رسول الله ﷺ ولكن بدرجات متفاوتة وإن أشهر من كان يفتي ويُقر، أو يفتي الأحكام بين يدي رسول الله ﷺ هو خليفته أبو بكر الصديق ﷺ وعامة علماء الصحابة من أهل

(١) ابن الجوزي: المدهش، ١ / ١٢١.

الفتيا وغيرهم روى علماً عن خليفة رسول الله وفي مقدمتهم: عمر بن الخطاب، وعثمان ابن عفان، وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وابن عمر، وابن عباس وحذيفة وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو ابن العاص وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وأنس بن مالك وأبو هريرة وعقبة بن عامر، وأبو برزة، وأبو أمامة الباهلي ومعقل بن يسار وجابر بن عبد الله وعبد الله ابن الزبير وأبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين، وعبد الرحمن بن أبزي وعبد الله بن معقل، ورافع بن أبي رافع، وطارق بن شهاب وجبير بن الحويرث وقيس بن أبي حازم وسويد بن غفلة وأبو عبد الله بن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي وأوسط البجلي وأبو الطفيل عامر بن وائلة، وعمرو بن جمانة ومرة بن شراحيل الطيب وعائشة أم المؤمنين وغيرهم رضي الله عنهم. وعن ابن عمر أنه سئل من كان يفتي الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: أبو بكر وعمر، ما أعلم غيرهما^(١) وهذا لا يعارض ما سبق فإن المشهور بالفتيا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفته أبو بكر رضي الله عنه ثم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وهما يفتيان في حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي غيابه بينما بقية من يفتي من الصحابة رضي الله عنهم فإنه يفتي في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن نادراً ما يروى أن أحداً أفتى في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى أبي بكر ثم عمر رضي الله عنهم أجمعين.

وكان منهج خليفة رسول الله في الإفتاء إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضي به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضي بها، فإن أعياه البحث في الكتاب والسنة خرج فسأل المسلمين، فقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضي في ذلك بقضاء، فربما اجتمع إليه نفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء، فيقول أبو بكر رضي الله عنه: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا، فإن أعياه البحث بين الصحابة ولم يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم وأدار ما عندهم من رأي وعلم حتى إذا أجمع رأيهم على أمر قضي به وهو واثق مطمئن بأنه على علم

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٢٧-٣٢٨.

ويقين، فلم يحرص عليه أحد شططاً أو وهماً في الإفتاء، وذلك لعميق علمه ودقة فهمه وطول صحبته للنبي ﷺ.

ثالثاً شبهت الرأفة لحو قتل الملك نويرة

ومن شبهات أعداء الصحابة التي يلقونها في أذهان بعض الغافلين والغوغاء وفاقدي الهوية والولاء، الذين يرددون ما يسمعون من غير تفكير أو ترو، حتى ملأ باطلهم كتب التاريخ والأدب والسير وبعض كتب الحديث، قول ابن المطهر الحلي مفترياً على خليفة رسول الله: أنه أهمل حدود الله حاشاه ﷺ فلم يقتص من علم الجهاد والفتوح سيف الله خالد بن الوليد ﷺ ولا حدّه حيث قتل مالك بن نويرة، وكان مسلماً!! وتزوج امرأته في ليلة قتله وأشار عليه عمر ﷺ بقتله فلم يفعل!.

ويزعم أعداء الصحابة أن ذلك لو كان في خلافة علي ﷺ لأقام عليه الحد، وهذا التخريف والتحريف وأمثاله بقدر ما يُظهر قلة الحياء من الله تعالى عندما يجعل هؤلاء من أنفسهم المريضة، مقومين لأفعال سيف الله خالد بن الوليد ولخليفة رسول الله رضي الله عنهما، وكأنهم هم الذين فتحوا الحيرة أو المدائن، وقتلوا مسيلمة الكذاب وأهله الأسود العنسي، وكأنهم هم أبطال اليرموك والقادسية وهاوند؟! إن هذه الجرأة القبيحة على الإعلان بالزيف دليل قاطع على انعدام الفهم والدين عندهم، لأن مجرد إثارة هذه المسألة وأنّ أبا بكر الصديق أو خالد رضي الله عنهما أو أي صحابي أمر أو قتل أو فعل أو أقر، فإنه إنما فعل ما فعله لمصلحة الدين والأمة، وهو المنزهة عن الريبة لأن الرقابة الذاتية موجودة في ضمائرهم؛ وعين الخلافة لم تغفل عن أحد منهم، وإن أي منكر أو أي مردد لتهمة أي تهمة عليهم إنما مرد ذلك إلى الأوهام والأحقاد المولدة للإفك والبهتان؛ وإلى حملات التشويه المستهدفة لأعلام الأمة، وإنما هي الدليل الدامغ على عداوة

الصحابة ومعارضة عدلهم بظلم الباطل وروح الردة^(١) كما فعل ابن المطهر الحلي الذي يعمل جاسوساً على المسلمين عند هولاءكو ويبيح لنفسه أن يعترض على من لم يعترض عليه يوماً سيد الخلق ونبي الأمة رسول الله ﷺ لأنه هو الذي أشرف على تنشئة علمه وفهمه ووجهه وبغضه، وانظر إلى قوله عن ابن نويرة وكان مسلماً وكان أمر المسلمين مما يعنيه بينما قتل مليوناً وثمانمائة ألف^(٢) مسلم من أهل بغداد بتحريض منه وعلى يد سيده الوثني هولاءكو ووحوشه لا يعد أمراً ذا بال! وكما هو حاصل الآن من قتل لأبناء أمة الكتاب والسنة في العراق وغيرها وبالأيدي ذاتها، فهذا النهج بلغ من الوضوح أن يراه عُمِّي العيون والقلوب، ما عدا بعض الهمل الذين نُزِع منهم الفهم والغيرة، وانطفأت في قلوبهم جذوة الولاء للسنة ممن يزعم أنه من أهلها ويقر بهتان أعدائها على أئمتها.

وعلى هذا فإنَّ اتهام أي صحابي إنما هو وجه من وجوه الردة التي يدين بها أعداء الصحابة، ويعملون من أجل تنفيذ مخططاتها بكل ما أوتوا من مكر وغدر وتلبيس؛ ومن لا زال ينطلي عليه هذا الأمر ممن يزعم أنه من أهل السنة فإنها هو بين جاهل غارق في الجهل والغفلة؛ أو ملوث بنزعات الردة ورفض السنة، وإلا بأي عقل يريد هؤلاء أن يقبل أهل السنة بهتان أعداء الصحابة، واتهاماتهم وأضاليلهم بالدفاع عن المرتدين؛ الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة؛ أو الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية؛ أو الذين تمردوا على الخلافة، أو الذين هاجموا المدينة وباشروا القتل بالمسلمين في قبائلهم؟! وبأي عقل وفهم يريد أعداء الصحابة أن نأخذ بأراجيفهم وهذيانهم وظلمتهم، وندع نور الهدى وأحكام العدل والعلم التي تلقتها الأمة بالإجلال والقبول منذ أن أصدرها قائد الأمة يعد نبيها ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ ونفذها الصحابة

(١) ينظر الخليفة: إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق س حامي الإسلام من الرفض والردة، ١٠٦١/٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣/٢٣٥.

الكرام على أرض الواقع لتصبح تشريعاً يحوط الكتاب والسنة من عبث العابثين وعدوان المعتدين، لا يخرج عنه إلا هالك آثم ضال، وعلى هذا المهدي فإن كل من يثبت له أمر فعله صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ ويعتقد أن المرتد محق أو المجترئ في النقد البارد أو ما يُسمى حرية البحث الذي يقوم به بعض أصحاب العقول المريضة فتسول لهم أنفسهم صناعة الإفك والكذب على الصحابة بينما أحدهم يكرع من هذيان أعداء الكتاب والسنة والمستشرقين والملحددين ومراجع الردة وغير ذلك من أباطيل التحريف التي تنسب الخطأ إلى الصحابة رضي الله عنهم؛ فكل من يعتقد ذلك أو يتفوه به فإنما يروج للزندقة وألوان الردة والخروج على الكتاب والسنة.

- قال شيخ الإسلام: - على فرض الأخذ بأباطيلهم - يقال: إن كان ترك قتل قاتل المسلم المعصوم الدم مما يُنكر على الأئمة، كان هذا من أعظم حجة شيعة عثمان على أخيه علي الذي يزعم أعداء الصحابة مموهين على الأمة أنهم يجونه؛ فإن عثمان خير من ملء الأرض من مثل مالك بن نويرة، وهو خليفة المسلمين، وقد قُتل مظلوماً شهيداً بلا تأويل مسوغ لقتله، وعلي لم يقتل قتلته وكانوا في جيشه، وكان هذا من أعظم ما امتنعت به شيعة عثمان عن مبايعة علي، فإن كان علي له عذر شرعي في ترك قتل قتلة عثمان، فعذر أبي بكر في ترك قتل قاتل مالك بن نويرة أقوى، وإن لم يكن لأبي بكر عذر في ذلك فعلي أولى أن لا يكون له عذر في ترك قتل قتلة الشهيد عثمان؛ هذا على فرض صحة هذه الدعوة الباطلة المفتراة على سيف الله المسلول على الكافرين والمرتدين؛ فلماذا يروجون لهذا وهم يعلمون أنه كذب ويسكتون عن ذلك وهم يعلمون أنه يقين؟! أليس هذا من أوضح الأدلة على أن أمر الحق لا يعنيه؟ وإنما هم يتسترون بالزعم بحب علي ﷺ ليهاجموا إخوانه الصحابة بالكذب والبهتان، كل ذلك حقداً على الإسلام والمسلمين، ولإدامة وسائل العمل المتواصل على هدم الإسلام الذي تكفل الله تعالى بحفظ كتابه إلى يوم الدين.

وما يفعله أعداء الصحابة من الإنكار على أبي بكر ﷺ في هذه القضية، وترك إنكار ما هو أعظم منها بحسب قواعد شبهاتهم على علي ﷺ فهذا من فرط جهلهم وتناقضهم وشدة حقدهم

الذي يساوي عندهم الحق مع الباطل، وكذلك إنكارهم على الشهيد عثمان كونه لم يقتل عبید الله بن عمر بالهرمزان المشارك في الإعداد لقتل الفاروق عمر رضي الله عنه هو من هذا الباب باب الحقد والكراهية لأصحاب رسول الله ولدينهم وقرآتهم وأحكامهم العادلة النقية^(١) وبعد كل هذا يبقى صنف المخلطين الذي يسمع لكل ناعق فيثرثر بمثل هذه الأباطيل ويدونها البعض منهم في كتاباته دون أن يفكر أنه ينقل عن الأفاكين الأشرار حلفاء أعداء الإسلام ومطايهاهم في كل عصر ومصر، وأنه يتهم الأخيار الأبرار إخوان الأنبياء وتلامذتهم المخلصين لدينهم.

وبهذا وأمثاله يتأكد لكل عاقل أن كل من يردد أي اتهام لأصحاب رسول الله إن لم يكن على غير دين الصحابة، فإن هذا المردد للباطل إنما يحمل الإرجاف أو بعض أفكار أهل الجاهلية ومشركيها الذين يجترونها كل ما يسمعون فلا يحتكمون إلى عقيدة ولا يحملون هوية وإنما هم غشاء وأهواء وبلاء على الأمة وعبء على السنة.

قال أبو العباس ابن تيمية: وإذا قال القائل: علي رضي الله عنه كان معذوراً في عدم قتل قتلة عثمان، لأن شروط الاستيفاء لم توجد: إما لعدم العلم بأعيان القتلة - أو لتمويههم ومخادعتهم - وإما لعجزه عن القوم لكونهم ذوي شوكة ونحو ذلك.

قيل: فشروط الاستيفاء لم توجد في قتل قاتل مالك بن نويرة، وقتل قاتل الهرمزان، لوجود الشبهة في ذلك، والحدود تُدرأ بالشبهات، هذا على فرض مسامرة إفكهم وأباطيلهم التي يُلبسون بها على الغوغاء الذين ابتليت بهم السنة النبوية، وإلا فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين يُعلمون البشر أجمعين كيف تطبق الحدود، وكيف يقام العدل على القريب والبعيد، دون محاباة أو

(١) قال محب الدين الخطيب: وأما امتناعه عن قتل عبید الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان فإن ذلك باطل، فإن كان لم يفعل فالصحابة متوافرون، والأمر في أوله. وقد قيل: إن الهرمزان سعى في قتل عمر، وحمل الخنجر، وظهر تحت ثيابه، وكان قتل عبید الله له وعثمان رضي الله عنه لم يلب الخلافة بعد، ولعل عثمان كان لا يرى على عبید الله حقاً، لما ثبت عنه من حال الهرمزان وفعله. وروي أن عثمان مكن ابن الهرمزان من عبید الله وقال له: يا بني هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا، فاذهب فاقتله، لكن القمادبان بن الهرمزان عفا عنه... ينظر: ابن العربي، العواصم من القواصم، ١٠٦ - ١٠٨ - ١٤٦.

تدليس، وإذا لم يكن العدل عند أصحاب رسول الله فعند من يكون؟! ومن هنا فإنه لا يتلبس أحد من الناس بتصديق هذه التهم أو بعضها فيقع في قلبه اتهام الصحابة وتصديق أعدائهم، إلا وهو جاهل لا يفرق بين الحق والباطل، وإما حاقد مزيف صنعته التدليس والتلبيس والتشويش والبهتان، فسحقاً لمن يسمع له أو يتقل عنه فضلاً عما يصدق ويعتقد صحة قوله.

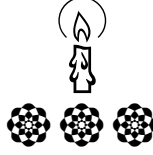
ولا أدل على بهتان أعداء الصحابة من سكوتهم عن المطالبة بدم الخليفة الشهيد عثمان الذي قتل مظلوماً، وهو كافٌ يده ولسانه عملاً بوصية رسول الله ﷺ له عندما أوصاه بالكف عن المنافقين لكي يتكشف أمرهم للأمة ويبوؤوا بالإثم والعدوان.

فهم يفترون على خليفة رسول الله وعلى الخليفة الشهيد عثمان فيقولون إنَّ عمر ﷺ أشار على أبي بكر ﷺ بقتل خالد بن الوليد ﷺ وعلي ﷺ أشار على عثمان ﷺ بقتل عبيد الله بن عمر وكل ذلك مبالغة في التمويه وقلب الحقائق؛ بغضاً وكرهية لمن نشروا الإسلام وحطموا الوثنية والمجوسية والصليبية، وفي كل ذلك يقولون لو أن علياً كان هو الخليفة لأقام الحد على أصحاب رسول الله ﷺ انتصاراً للزنادقة والمرتدين، وعلى الرغم من أن هذه الشبهات لا تزيد عن كونها من أماني أعداء الصحابة التي تدور في أذهانهم، وأنه لا حاجة للرد عليها لبيان مقاصدها وانعدام مسوغاتها وانتشارها على ألسنة خصوم السنة وأعداء الأمة، لهذا يقال لهم لإلجامهم وإبطال بهتانهم ولكي لا تصدقهم الغوغاء من الناس، يكفي لأي حدث أن يثبت أنه حصل في عصر خليفة رسول الله ليثبت فيه العدل والإنصاف دون ريب أو شك، فيقال للمبطلين رداً على تلييسهم: وطلحة والزبير وغيرهما أشاروا على علي بقتل قتلة عثمان، مع أن الذين أشاروا على أبي بكر بالقود، أقام عليهم حجة سلّموا لها: إما لظهور الحق معه، وإما لكون ذلك مما يسوغ فيه الاجتهاد، وعلي ﷺ لما لم يوافق الذين أشاروا عليه بالقود، جرى بينه وبينهم من الحروب ما قد علم، وقتل قتلة عثمان أهون مما جرى من حروب بالجمل وصفين فإذا كان في هذا اجتهاد سائغ، ففي ذلك أولى فأين ألسنتكم عن إظهار مثل هذا إن كنتم صادقين؟!.

وإن قالوا بإفكهم وباطلهم: الشهيد عثمان كان مباح الدم حاشاه ﷺ قيل لهم: فلا يشك أحد في أن إباحة دم مالك بن نُويرة أظهر من إباحة دم الشهيد المظلوم عثمان ﷺ بل مالك بن نُويرة لا يُعرف أنه كان معصوم الدم ولم يقل أحد بذلك سوى الزنادقة والغوغاء^(١) ولم يثبت ذلك عندنا، وأما الشهيد عثمان فقد ثبت بالتواتر ونصوص الكتاب والسنة أنه كان معصوم الدم وأنه من أهل الجنة وأن قتلته وأعوانهم من أهل النار وأنه كان إمام خير وهدى، وبين الشهيد عثمان ومالك بن نُويرة من الفرق ما لا يحصى - عدده إلا الله تعالى، بل كما بين الشهداء الصالحين والمرتدين المخادعين، وكما بين أعداء الصحابة ومحبي الصحابة. ومن قال: إن عثمان ﷺ كان مباح الدم، لم يمكنه أن يجعل علياً ﷺ معصوم الدم، ولا الحسين ﷺ فإن عصمة دم الشهيد عثمان أظهر من عصمة دم علي والحسين رضي الله عنهم أجمعين، وعثمان ﷺ أبعد عن موجبات القتل من علي والحسين، وشبهة قتل عثمان أضعف بكثير من شبهة قتل علي والحسين رضي الله عنهما؛ فإن عثمان ﷺ لم يقتل مسلماً، ولا قاتل أحداً على ولايته ولم يطلب قتال أحد على ولايته أصلاً؛ فلماذا يدافع أعداء الصحابة عن مسيلمة الكذاب المرتد ومالك بن نُويرة ولا يدافعون عن الخليفة الراشد عثمان الذي قتل شهيداً مظلوماً؟! أليست هذه الحجة كافية لإسقاط الأستار عنهم، وعن نواياهم وأهدافهم الرافضة للإسلام والساعية لإحياء الردة وحرب الكتاب والسنة والأمة التي تعمل بهما، وكشف سوءاتهم وأنهم لا يزيدون في كل ما يقولونه عن كونهم امتداداً للزنادقة

(١) مالك بن نُويرة اليربوعي التميمي: كان قد صانع سجاح - المتنبئة - حين قدمت من أرض الجزيرة، فلما اتصلت بمسيلمة الكذاب ثم ترحلت إلى بلادها ندم مالك بن نُويرة على ما كان من أمره، وهو نازل بمكان يقال له البطاح فقصدها خالد بجنوده... فلما وصل البطاح وعليها مالك بن نُويرة، بث خالد السرايا في البطاح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات، إلا ما كان من مالك بن نُويرة فإنه متحير في أمره، متنح عن الناس... ويقال: أن خالد بن الوليد ﷺ استدعى مالك بن نُويرة فأثبه على ما صدر منه من متابعة سجاح، وعلى منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم - أي النبي ﷺ - كان يزعم ذلك، فقال خالد: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار اضرب عنقه، فُضربت عنقه على أنه مرتد والله أعلم... ينظر: ابن كثير البداية والنهاية، ٦/ ٣٢١. فما بعدها. الأعلام ٣/ ١١٢.

والمناققين الذين خرجوا على علي ؑ فقَاتلهم وأباد خضراءهم، وهذه الفرضيات والردود كلها مجارة لما تزعمه الرافضة في شبهاتها ودسائسها على الإسلام والمسلمين، ولكي لا يعلق في أذهان المغفلين والغوغاء ما يثير الشك والريب في نفوسهم على أحد من أصحاب رسول الله، وإلا فإن علياً وعثمان وطلحة والزبير وإخوانهم الآخرين رضي الله عنهم، كانوا لا يحملون لبعضهم البعض سوى الود والمحبة والإخاء على الرغم من بهتان وتشويش أعداء الصحابة، وأنهم هم أول المعنيين بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ (الحجر: ٤٧).



الفصل الرابع

الموقف من الشبهات على بيعته

أبي بكر الصديق رضي عنه يوم السقيفة

المبحث الأول

يوم السقيفة يوم تجلت فيه الشورى وتآلق الحوار

تمهيد

فيوم السقيفة الذي اجتمع فيه بعض المهاجرين مع جماعة من الأنصار ﷺ يوم أغرّ أبلج، مشرق نهاره، ومزهر ليله، تمكن فيه أصحاب رسول الله ﷺ من إسقاط إرث الجاهلية وعاداتها وتقاليدها وثقافتها في اختيار سادتها وقادتها وأئمتها، يوم انتصر- فيه هدي رسول الله ﷺ وشمخت فيه الشورى، وتآلق فيه الحوار العلمي الشرعي العملي الهادف المثمر، يوم ظهر فيه الانقياد إلى الدليل الشرعي المنبثق من صفحات الكتاب والسنة، وأقصى- فيه المفهوم القبلي والحزبي والطائفي والإقليمي، وتقدمت فيه الكفاءة المجردة على ما سواها من وسائل الوصول إلى قيادة الأمة، فسقط في يوم السقيفة العرف القائل بأن الامبراطور يلد امبراطوراً والسلطان حكراً على أبناء الذوات أو أبناء الطائفة حتى لو كانوا من القاصرين أو العجزة أو المتبذلين، أو ممن تعبت بهم قوى خارجة عن إطار الأمة ومتناقضة مع مصالحها وهويتها وغريبة عن عقيدتها أو محاربة لها، وكل ذلك يثبت رسوخ قيم الرسالة في قلوب الصحابة وأفعالهم ومواقفهم على المستويات كافة، ولا سيما قيم الحوار والشورى والانقياد لت نتائجها، مصداقاً لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (الشورى: ٣٨).

فيوم السقيفة تجلّت فيه طاقات أبي بكر الصديق ﷺ وعميق فهمه، وقدراته القيادية الشورية التحاورية الخارقة، ومكانته الباذخة بين أصحاب رسول الله ﷺ وأنه رضي الله عنه كان فلتة من فلتات الزمان التي لن يجود بمثلها، في علمه وفهمه، وحلمه ونباهته، وتمسكه بعقيدته، وحرصه على وحدة أمته؛ وعلى وجوب سيرها على منهج نبيها ﷺ من غير تبديل، فاعتزّ في ذلك اليوم الإسلام وأهله، وذلت فيه الجاهلية وامتداداتها ومراجعها، تأكّد ذلك حين انقاد الجميع لحجج

خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ القطعية التي لا تقبل تأويلاً ولا تفسيراً، بل كانت بينات واضحات وشموس ساطعات، استنار بها المؤمنون، وأعدت بوهج أنوارها التائهين والمترددن إلى صف الأمة وجماعة المسلمين.

فيوم السقيفة أثبت للمسلمين أنهم في قيمهم السامية، هم الأرقى والأنتقى والأتقى، وفي تعاملهم هم الأوفى والأرحم، وأن منظومتهم الأخلاقية الإسلامية برجالها وقيمها هي الأولى بسياسة الدنيا وقيادة البشرية، وكل ذلك اتضح وتبلور في عصر - لا حكم فيه عند قياصرة الصليب وأكاسرة المجوس وغيرهم من عباد الوثن في شؤون الحكم وتداول السلطة إلا للسيف أو المكر والخديعة والمساومات الهابطة التي تجتاح القيم وتُسقط مصالح الشعوب والأمم، وتبتز الضعفاء والأتباع ومن لا ناصر له، لكل هذا ولغيره أصبح يوم السقيفة هدفاً لبهتان أعداء الصحابة ومن يتبنى شبهاتهم وأباطيلهم من المستشرقين العلمانيين، واليهود، والصليبيين، لينزعوا من ميراث أمة الكتاب والسنة، كل ما يؤهلها للسيادة والقيادة ويرفع من شأنها ويشيد بنيانها، مما يوجب على كل مسلم أن يثق بميراث الصحابة ﷺ السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فضلاً عن الميراث العسكري في الجهاد والفتوح الذي لا يجهله إلا من في قلبه مرض، وأن يعلم الجميع يقيناً أن ذلك الميراث الأشم هو محل القدوة والصدارة لكل ميراث أنتجته حضارة إنسانية على مر العصور.

وكان من شأن السقيفة أنه لما توفي النبي ﷺ كان سعد بن عبادة سيد الخزرج ﷺ مريضاً فاجتمع عنده بعض الأنصار ﷺ وكان من الطبيعي أن يتحدثوا بأمر خلافة النبي ﷺ وبمن هو الأصلح لذلك والأولى به، فكان ذلك المجلس منتدى عرضت فيه بعض الأفكار والمقترحات التي جرت على ألسنة من تحدث بها، لم تكن لها أية امتدادات فكرية ولا تجمعات قبلية أو تحالفات حزبية، وإنما أفكار بريئة تؤكد حرص المشاركين فيها على خدمة دينهم ووحدة أمتهم بكل أمانة وشفافية، لكن أعداء الصحابة وإخوانهم المستشرقين اهتبلوا ذلك المجلس وتلك الآراء، ليصنعوا منها وقائع تعبر عما في نفوسهم من أحقاد على هذه الأمة، وأماي يتمنونها في تمزق صفها، وانصرافها عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ولكن الله تعالى خيب آمالهم وأمانيتهم، حين جاء بعض الأنصار إلى

عمر الفاروق ليخبره بأن هناك أفكاراً تطرح حول خلافة النبي ﷺ في سقيفة بني ساعدة، فأخبر عمر أبا بكر الصديق رضي الله عنهما فسارا إلى إخوانهم الأنصار فتبعهم أبو عبيدة عامر بن الجراح ؓ أما عامة الصحابة فكانوا مشغولين في تجهيز رسول الله ﷺ ومنهم من كان في المسجد يذكر الله تعالى ويستعين بالصبر والصلاة على ما أصاب المسلمين من مصيبة لن يصابوا بمثلها أبداً.

فما إن وصل الصديق والفاروق والأمين رضي الله عنهم حتى شاركوا إخوانهم الأنصار فيما كانوا يتحدثون به من أمر الخلافة إذا أنه أمر لا يمكن إلا التحدث به، ولا يمكن السكوت عنه، سواء طرحه عامة الأنصار أو بعضهم أو غيرهم، فكان ذلك المجلس بركة على أمة الكتاب والسنة، وأساساً صلباً لتأصيل أخلاق الشورى والحوار في الأمة، وخيراً ساقه الله إلى المصابين بفقد نبيهم ﷺ حيث بين وزير رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لإخوانهم الأنصار ولأبناء أمتهم أهمية الخلافة وما سيتبع ذلك من مهام وأعمال، ثم بينوا لهم الأولى والأصلح للأمة شرعاً وسياسة، فما كان من الجميع إلا أن التفوا حول خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ؓ الذي يعلم الجميع أنه هو الأقرب إلى رسول الله ﷺ في كل ما كان يقوم به من جهاد وسياسة وتدير لشؤون الأمة وهو الأدرى بما كان يستشره رسول الله ﷺ من أمور يصلح عليها مستقبل أمته، فلم يكن بين الصحابة من يقبل التقدم على أبي بكر الصديق ؓ ذلك أن إشارات الكتاب والسنة جلية بينة لا يمكن لمؤمن تجاوزها.

فيوم السقيفة يوم فريد بين أيام المجد الإسلامي الذي سطره أصحاب رسول الله ﷺ يوم تعانق فيه المهاجرون والأنصار يجددون فيه العهد لرسول الله ﷺ أخوة وإيثارة وصبراً وإبداعاً وجهاداً وعدلاً وفتحاً ورحمة، يوم سادت فيه قيم الكتاب والسنة في إقرار نظام المحاسبة الشاملة للخليفة وللولاة وخضوع الجميع لدستور الكتاب والسنة، وعلى ذات الطريق التي رسمها لهم نبيهم ﷺ يؤكدون ذلك لأمتهم ولنبيهم ﷺ قبل أن يوارى الثرى، لتساقط في ذلك اليوم الأغر أمانى المنافقين، وتتهاوى فيه مخططات المرتدين، وتتقاصر فيه تطلعات اليهود والصليبيين، وتُسحق فيه تدابير المجوس الحاقدين الذين انقلبوا من بين الناس إلى أعداء باطنية،

ومنظمات سبئية، وضغائن شعوبية، وأدوات جاسوسية، وعقائد قبورية، وتحالفات عدوانية، لا همّ لها سوى الكيد والمكر بأمة الكتاب والسنة النبوية! جاحدين أيادي العرب المؤمنين الفاتحين الذين حرروهم من طغيان الأكاسرة، وأخرجوهم إلى عدل الخلافة الراشدة، ومن وثنية عبادة النار، إلى نور التوحيد والإخلاص لله رب العالمين، ومن الإباحية والمشاغبة الأخلاقية التي كانوا عليها، إلى العفاف والطهر والمودة والرحمة، فكافؤوا من أنقذهم من تلك الظلمات والموبقات، بالغدر والاعتيال، والإفك والبهتان، فضلاً عن التزييف والتشويه لجهادهم وعدلهم ونبل معدنهم الذي تعاملوا به معهم، فأعداء الشورى التي أنجزت يوم السقيفة، ومبغضو رجالها البررة، كانوا ولا زالوا أكثر الناس جحوداً ونكراناً للجميل والمعروف ولحقوق الجوار، وألدهم عداوة لمن أحسن إليهم من أمة الكتاب والسنة.

فلما كان أعداء الصحابة وبجميع أصنافهم يعلمون جيداً أنّ يوم السقيفة بعد وفاة النبي ﷺ إنما هو يوم من أيام أبي بكر الصديق ﷺ شنوا عليه حملات الإفك والبهتان والتزييف والنكران! لكنهم اصطدموا بما له ﷺ من مكانة أسس لها رسول الله ﷺ جعلته في قلوب المؤمنين وفي ضمائر الموحدنين، فلم يدع النبي ﷺ مناسبة ذات شأن تمر بالمسلمين إلا وأكد تقديم صاحبه الصديق ﷺ فيها؛ تارة بالتطبيق كما في تأميره على الحج، وفي تقديمه إماماً للصلاة بالأمة وبحضور أئمة الصحابة وقادتهم ورجال آل البيت وسادتهم وفي مقدمتهم العباس وعلي رضي الله عن الآل والصحب جميعاً، وتارة أخرى بالقول أو الإشارة إلى ذلك بعلامات واضحة ثابتة، كما هو في الصحاح والسنن، وبما لا يمكن لجاحد ردها، ولا لمؤمن الجهل بها، ظهر ذلك في عامة سيرة رسول الله ﷺ فضلاً عما ورد من إشارات على ذلك في القرآن الكريم، لهذا فلا تردد في تقديم أبي بكر ﷺ على سائر الأمة بعد رسول الله ﷺ ولا تهاون في البراءة ممن يرفض خلافته في الماضي والحاضر، بل إنّ أي تهاون أو تردد في ذلك إنما هو قبول بنقض إقرار وخيار رسول الله ﷺ وردّ لإجماع المهاجرين والأنصار، وهدم لبناء الأمة في عصور خيريتها التي لا زالت هي الأساس الذي يجب أن يشيد عليه اللاحقون في المعتقد والفكر والهوية، فلا يرفض نتائج الشورى يوم

السقيفة إلا مرتد أو من في قلبه مرض، أو ضال تائه لا قيمة لأقواله ولا لمواقفه في موازين العقيدة والقيم، فمسألة إمامة أبي بكر الصديق ﷺ لا تقبل نقاشاً ولا حواراً فهي من المسلمات التي تلقتها أمة الكتاب والسنة بالقبول والتسليم والرضا، والحمد لها ولكل ما تمخض عنها من قرارات حاسمة ونتائج مفعمة بالعطاء والسداد والتوفيق، فلم يخرج على تلك الخلافة الراشدة إلا مسيلمة الكذاب ومن وافقه من المرتدين والمنافقين، وهذا يؤكد وجوب الحذر ممن يدعو إلى إخضاع مثل هذه المسلمات للآراء القاصرة، أو للروايات الفاسدة المبنية على نوايا ومقاصد هدامة، ظهرت في معتقدات متعددة وثقافات متلونة، وفي مثل متاهات التقريب المخادعة، التي يعمل أدواتها على تقزيم السنة النبوية ورجالها الأفاضل، وتضخيم وإقرار البدع السبئية وأقرامها الأشرار، والتطاول على خيار رسول الله ﷺ وإجماع المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان ممن جاء بعدهم من أمة النبي المختار ﷺ قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١٠٠) .

وقد تبين للقارئ الكريم في الفصل الأول، أن خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ هو أول السابقين وسابق الأولين، وسيأتي المزيد مما يؤكد هذه المرتبة السامية، فلا يوجد تنويه في كتاب الله تعالى بمقامات وأحوال السابقين، ولا ثناء على المؤمنين المتقين، إلا والصديق ﷺ في مقدمة المنوه بهم والمشار إليهم، وهذه بعض الآيات القرآنية الكريمة، التي استنبط العلماء منها إشارات تتوافق مع خلافة النبي ﷺ وتنطبق تماماً على خلافة صاحبه وخياره ﷺ لأمته وخليفته أبي بكر الصديق ﷺ.

• الإشهاد القرآني على خلافة أبي بكر ﷺ

إن بيعة السقيفة حدث فاصل في تاريخ الإسلام لما ترتب عليها من نتائج خطيرة أسهمت في توجيه تاريخ البشرية بأجمعه، فكان من ثمارها الزاكية حماية الكتاب والسنة، كما جاء بهما النبي ﷺ وحماية أمة النبي ﷺ في وحدتها وعقيدتها وعزتها، فاجتماع السقيفة الذي قام على الشورى

والحوار، واحتكم إلى الدليل العلمي، وأسقط موروث الجاهلية القائم على قيم القبيلة ومفاهيم وراثته النسب فقط، إن هذا بذاته يعد فتحاً في العمل السياسي الإسلامي، يجب أن تقاس عليه القيم السياسية المعاصرة، في محاور انطلاقها العملي ليتبين من خلالها العمل السياسي الإسلامي الحق، من العمل السياسي الوهمي، وبيعة السقيفة لم تأخذ نصيبها تماماً عند الحركات التي تتبنى الإصلاح السياسي، ولا الإصلاح الروحي ولا غيرهما، فكان نصيبها التجاهل والتجاوز، والبحث عن نماذج أخرى يبقى فيها هامش لنصرة التجمعات والآراء، هذا عند من ينتسب إلى أهل السنة والجماعة إلا من رحم الله منهم، أما عند أعداء الصحابة فإن نصيب بيعة السقيفة هو الحرب المعلنة الصريحة، لأنها تمثل أمامهم سداً لا يمكن تجاوزه للعبث في الإسلام، ومصير المسلمين، إلا من خلال الطعن في بيعة السقيفة وإمامها الذي يمثل الامتداد الطبيعي لمنهج وسنة رسول الله ﷺ لذلك اخترعت الرافضة فرية الوصية ثم الولاية والإمامة والأئمة، وخدعة آل البيت، والغائب المنتظر في السرداب، وولاية الفقيه، ولعبة التقريب القائمة على إقرار تحريف الفرق المحاربة لبيعة السقيفة على باطلهم، وتخريبهم لعقيدة الأمة وموروثها السياسي، ولكن كل هذا وغيره مما سببته مبعوضو الصحابة، سيصطدم ببيعة السقيفة وسيحتطم على صخرة إجماع المهاجرين والأنصار ﷺ وإمامهم خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق الذي بنى منهج سياسته على جناحي الكتاب والسنة وإجماع المهاجرين والأنصار، فلم يعد هناك مجال للاختراق والتخريب، ولا للتحريف والتزييف، بل صار عند أمة الكتاب والسنة من يعترض على بيعة السقيفة، إنها هو امتداد لأعدائها المرتدين والرافضة الماكرين، لا يحتاج ذلك إلى برهان ولا إلى دليل، وما ذلك إلا لأن الاعتراض على بيعة السقيفة يقود إلى رد الكتاب والسنة وإجماع المهاجرين والأنصار ﷺ وهدم لموروث الإسلام وحضارته الزاهرة.

والتحقيق في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر بها وأرشد إليها ودل أمته عليها، وأمر بأن لا يبقى باب خاص لأحد من أصحابه مفتوح إلى المسجد، إلا باب خليفته أبي بكر، ليتنبه كل غافل عن إمامة أبي بكر وليزداد حرصاً عليها كل عالم بها، وأنها انعقدت باختيار الصحابة

ومبايعتهم له، فتوفر في خلافة الصديق الخبر والأمر والإرشاد الثابت من النبي ﷺ وهناك أقوال أخرى^(١).

فأما الخبر: فقد دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٥٥) ومعاني ومقاصد هذه الآية تتوافق تماماً مع الحال التي كان عليها المسلمون في خلافة أبي بكر ﷺ وتتطابق على الوقائع التي حصلت في عصره ومن بعده خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما ومن بعض الجوانب مع خلافة علي ﷺ فكان حال المسلمين في عصر الخلفاء الثلاثة من العمل الصالح والاستخلاف في الأرض بعد دحر المرتدين ومن بعدهم المجوس والصليبيين، وتمكن الدين وشرع الله في عامة الولايات التي فتحها المسلمون وكانت العبادة في ذلك العصر لله وحده فلا بدع ولا أساطير ولا باطنية ولا رافضية الكل مقموع بسطان الشرع وهيمنة الكتاب والسنة على ما سواهما، وفي عصر الخليفة الرابع ﷺ كان الأمر في هيمنة الدين قائم لكن الأمن لم يستتب في كافة الولايات الإسلامية فتسمرت الفتن في أكثر من إقليم وأخرج بعض أهل البدع رؤسهم وقالوا ببعض خرافاتهم حتى أحرق أمير المؤمنين علي ﷺ مجموعة منهم أعلنوا حينها ما يؤسس لدين الرافضة الذي يجارب الكتاب والسنة في هذا العصر بكل مكر وتزييف وبهتان، ومثلما تؤكد هذه الآية الكريمة شرعية الخلافة في عصر الصديق ﷺ وبطلان ما سواها، فإن مفردات الآية في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٥٤) تتوافق تماماً

(١) ينظر: ابن تيمية، الخلافة والملك، ص ٥٥. والقول الثاني بالنص الخفي؛ وهو قول طوائف من أهل الحديث والمتكلمين، ويروى عن الحسن البصري، وبعض أهل هذا القول يقولون بالنص الجلي، قال ابن حزم: وبهذا نقول. ينظر: ابن حزم، الفصل: ١٠٧/٤.

أيضاً مع خلافة أبي بكر الصديق ﷺ فحين ارتد من ارتد سلط الله تعالى عباده الذين يجبههم ويحبونه الرحماء بالمؤمنين الأشداء على الكافرين، الذين يعملون بأمر الله ولا يبألون بما سوى ذلك، ولا يخافون معوق ولا مرجف يعمل على تشبيطهم، حتى تحقق كل ما جاء في الآية من مواصفات، على أيدي أبي بكر وجنده ﷺ الذين جاهدوا الردة وقادتها المنتهين الكذابين، حتى أخذوا فنتتها وأبادوا خضراء تلك الحركة الجاهلية الضالة، فتم موعود الله لعباده الذي جاء في هذه الآية ليمثل ذلك دلالة واضحة وبشارة طيبة على صحة خلافة الصديق سلامة ما كان يتخذه من إجراءات حاسمة وقرارات صائبة عادت بالأمة إلى ما كان عليه الأمر في حياة رسول الله ﷺ وأصبح حال خلافة الصديق منارة تكشف كل زائغ ومرتد فلا يغمز في هذه الخلافة إلا فاسد المعتقد منحرف القصد رافض لآيات الكتاب ونصوص السنة!.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤) فهذه الآية التي نزلت أيام معركة أحد تعلم الصحابة ﷺ كيف يكون التعلق المطلق بالله تعالى، تنطبق معانيها على ما قام به أبو بكر الصديق ﷺ من مواقف صارمة ضد من تسول لهم أنفسهم بالتخلف عما جاء به النبي ﷺ أو الانحراف عن ذلك المنهج، فكان فيما اتخذه ﷺ من قرارات تستند إلى نصوص الكتاب والسنة يمثل الامتداد الصحيح لعصر الرسالة الذي أكمل الله به الدين وأتم نعمته على المؤمنين، فكان من شكر تلك النعمة الكبرى التمسك التام بهدي النبي ﷺ فكان أبو بكر ﷺ هو إمام الشاكرين، لشدة تمسكه بتعاليم الدين، وذوده عن سنة سيد المرسلين ﷺ.

= والثاني في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ آوَلِي بِأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٦)

وهذا الاستدعاء لم يحصل في عصر النبي ﷺ فلم يكن قتال للمرتدين في حياته ﷺ وإنما حصل قتال المرتدين وقتلهم في عصر خليفته أبي بكر ﷺ الذي قاتل المرتدين وقائدهم مسيلمة

المتنبئ الكذاب على الرغم من كثرتهم وقوتهم، ولم يجعل لهم أبو بكر الصديق ﷺ طريقاً للخلاص من القتل إلا بالتوبة والبراءة من المرتدين والدخول في الإسلام من جديد، ثم قاتل أبو بكر ﷺ بعد الردة الفرس المجوس والروم الصليبيين وكانوا يمثلون أكبر وأقوى دولتين على وجه الأرض آنذاك، فأبو بكر ﷺ قاتل المرتدين من العرب وكانوا من أولي البأس الشديد فإن قال قائل لم يكن هم المعنيون في الآية فإن خليفة النبي ﷺ أبو بكر ﷺ بدأ قتال أشد أهل الأرض قوة في عصره وهم المجوس وأهل الصليب، وبهذا لا يبقى لرافضي ولا مستشرق ولا مرجف أن يقول بغير هذا، فتكون هذه الآيات الكريمة نصوصاً دالة ومرشدة إلى حال الذين خلفوا النبي ﷺ ولم يغيروا ولم يدلوا وهم أبو بكر الصديق والصحابة ﷺ ومن تبعهم بإحسان من الناس وإلى قيام الساعة.

قال ابن عبد البر: وقد استدل قوم من أهل العلم على خلافة أبي بكر بقول الله عز وجل: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ آبَائِهِمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٦).

ومعلوم أن الداعي لأولئك القوم غير النبي ﷺ لأن الله قد منع المخلفين من الأعراب من الخروج مع رسول الله ﷺ بقوله ﷺ: ﴿إِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ (التوبة الآية، ٨٣) وقد أرادوا الخروج معه إلى بعض ما رجوا فيه الغنيمة، فأنزل الله ﷻ: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ يعني قوله: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ و﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ﴾ (يونس الآية، ٦٤).

قال: وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أوضح الدلائل على وجوب طاعة أبي بكر الصديق وإمامته ﷺ، وعد الله

المخلفين عن رسوله إذا أطاعوا الذي يدعوهم بعده بالأجر الحسن وأوعدهم بالعذاب الأليم إن تولوا عنه.

وللعلماء في قول الله عز وجل ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ قولان لا ثالث لهما، أحدهما: أنهم قالوا: أراد بقوله إلى قوم أولي بأس شديد، أهل اليمامة مع مسيلمة الكذاب، وقال آخرون: أراد فارس، فإن كان كما قالوا أهل اليمامة فأبو بكر هو الذي دعاهم إلى قتالهم، وإن كانوا فارس فعمر دعا إلى قتالهم وعمر رضي الله عنه إنما استخلفه أبو بكر رضي الله عنه فعلى أي الوجهين كان فالقرآن يقتضي بما وصفنا إمامة أبي بكر وخلافته رضي الله عنه وإن كان أراد فارس فهو دليل إمامة عمر وخلافته^(١) وأبو بكر رضي الله عنه لم يكتف بالدعوة لقتال الفرس والروم بل جُنِّدَ هم الذين باشرُوا قتالهم وأزالوا هيبتهم وزعزعوا مكانتهم في قلوب الناس وذلك منذ أن بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، ثم بعثه الجيوش إلى الشام، وبعثه خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى العراق لمحاربة الفرس المجوس؛ ففي كل الأحوال هو المعني رضي الله عنه في الآية الكريمة، وإن كانت خلافة عمر تعد أيضاً حسنة من حسنات أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

= والإشارة الثالثة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩) فالشاهد في هذه الآية أن أبا بكر ومن معه من الصحابة والتابعين لم توحشهم الحال التي صار عليها الناس بعد وفاة النبي ﷺ من الردة وتناول المنافقين، واليهود والنصارى، فثبتوا على الأمر الذي تركهم عليه النبي ﷺ وجاهدوا من خالفهم ولم يعبأوا بكثرة وقوة أعدائهم، أمام هدفهم الأسمى المتمثل في العمل على استمرار دعوة النبي ﷺ تسير كما كانت عليه في حياته ﷺ وهذا ما حصل على الوجه الأتم، فكان في ذلك الدلالة على صحة الخلافة وصدق منهجها وضلال من خالفها وهلاكه، وفيها أن أبا بكر ومن معه رضي الله عنهم كانوا أشد الناس حباً لرسول الله ﷺ ولما جاء به وعلى ذلك كان ولاؤهم وبرائهم،

(١) ابن عبد البر: التمهيد، ٢٢/١٣٠.

وعليه قاتلوا فقتلوا وقتلوا ﷺ وكان في ذلك الدليل الأوضح على سمو منازلهم وعلو مراتبهم التي جعلتهم مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، وهذه هي مراتب المجتمع الذي كان يقوده خليفة النبي ﷺ أبو بكر ﷺ لا يشدّ عن ذلك إلا من في قلبه مرض، ومرتبة المحبة هذه وحال المتمسكين بها جاء كما هو في الآية، وحال من يحبهم ويواليهم يبينه ردّ النبي ﷺ على الأعرابي كما جاء ذلك في حديث أنس ﷺ: (أنّ أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال ﷺ: " وما أعددت لها؟" قال: لا شيء والله! إني لقليل الصيام والصلاة، وإني لأحب الله ورسوله، قال ﷺ: إنك مع من أحببت^(١)) قول رسول الله ﷺ: إنك مع من أحببت يعني أن حبك في الله بلّغك إلى مرافقة من تحبه وإن كنت قليل العمل، وجاء في الصحيح بما هو أوفى عن أنس أيضاً قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت للساعة قال: حب الله ورسوله، قال: " فإنك مع من أحببت " قال أنس ﷺ: فما فرحنا بعد الإسلام، فرحاً أشدّ من قول النبي ﷺ فإنك مع من أحببت، قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله ﷺ وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم)^(٢) وشاهد هذه النصوص قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: الآية ٦٩).

فهذه مراتب من قاتل المرتدين وناصح عما جاء به النبي ﷺ من الدين ورد عنه كيد المرتدين والمجوس واليهود والصليبيين، ومن فعلوا ذلك كانوا أهلاً أن يستخلفوا على دين الله وقائدهم الصديق ﷺ كان أهلاً أن يكون خليفة لرسول الله ﷺ وقائداً لهؤلاء الأخيار الذين لم تكن تأخذهم في الله لومة لائم حماية لدينهم وصونا لسنة نبيهم ﷺ.

وهناك آيات أخرى يستدل بها على أولوية الصديق بالخلافة منها قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ

(١) موطأ مالك: رواية محمد بن الحسن، ح (٩٢٩).

(٢) صحيح البخاري: ح (٤٧٧٧).

سَكَيْتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدُهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿التوبة الآية، ٤٠﴾.

ووجه الدلالة في قوله تعالى: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ أَنَّ الخليفة من بعده ﷺ أبو بكر لأن الخليفة لا يكون إلا ثانياً، وإنَّما استحق أن يقال: ثاني اثنين؛ لقيامه بعد النبي ﷺ بالأمر كقيام النبي ﷺ به أولاً، وذلك أنه لما مات النبي ﷺ ارتدت العرب، فقام أبو بكر ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام ويقاثلهم على الدخول في الدين كما فعل النبي ﷺ فاستحق من هذه الجهة، أن يقال في حقه: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ وكذلك في الزكاة فقد قام بالدعوة إليها والمحافظة عليها تامة كما قام بذلك رسول الله ﷺ، ولما امتنع المرتدون قاتلهم أبو بكر ﷺ حتى أَدُوها تامة غير منقوصة.

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة، الآية، ١٠٠).

ودلالة هذه الآية على أحقية الصديق بالخلافة، أَنَّ الهجرة فعل شاق على النفس ومخالف للطبع، فمن أقدم عليه أولاً صار قدوة لغيره في هذه الطاعة، وكان مقوياً لقلب رسول الله ﷺ وسبباً لزوال الوحشة عن خاطره، وكذلك السبق في النصر الذي يؤدي إلى الفوز بمقام عظيم، وإذا ثبت هذا، فإن أسبق الناس إلى الهجرة أبو بكر ﷺ فإنه كان ملازماً ومصاحباً لرسول الله ﷺ في كل موضع ومقام، فكان نصيبه من هذا المنصب أعلى من نصيب غيره، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون إماماً حقاً بعد رسول الله ﷺ فصارت هذه الآية من أدل الدلائل على فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وصحة إمامتهما.

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر الآية، ٨) وفي هذه الآية أن الله سَمَى المهاجرين باسم (الصادقين) وشهد لهم الله عز وجل بالصدق، فإنه لا يقع في الكذب ولا يتخذه خلقاً بحال، وقد أطبق هؤلاء الموصوفون بالصدق على تسمية الصديق ﷺ بـ (خليفة

رسول الله) ولم يستحق أحد ممن استخلفهم رسول الله ﷺ على البلاد في حياته، أن يسمى (خليفة رسول الله) على الإطلاق، إلا الصديق الذي استمر الصحابة ﷺ يدعونه بخليفة رسول الله منذ أن بوبع بالخلافة ، بينما سمي الآخرون بأمر المؤمنين، ومن هنا كانت هذه الآية دالة على خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، وهناك آية أخرى أمر الله تعالى بها المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة الآية، ١١٩).

وكان الحسن البصري، يقسم على ما في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)) ويقول: هو والله أبو بكر وأصحابه، لما ارتدت العرب جاهدتهم أبو بكر الصديق وأصحابه ﷺ حتى ردوهم إلى الإسلام^(١) وهذا كلام يصدقه واقع الأحداث آنذاك.

وجميع الآيات القرآنية الكريمة التي فيها ثناء على الصحابة ﷺ أو تنويه بصدق إيمانهم وجهادهم وقوة ولائهم وما شابه من السبق، والإنفاق، والجهاد، والزهد، والعلم، وحب أعمال الخير، والدعوة إلى الله، والإعداد والمرابطة، وما إلى ذلك من أعمال صالحة يجباها الله ورسوله ﷺ إلا ولأبي بكر الحظ الأوفى فيها، مقرونًا بالإخلاص والتواضع، والثناء العطر.

الإشراك والإشادة إلى خلافة أبي بكر الصديق ﷺ في نصوص الحديث الصحيح تبين في الآيات القرآنية الإشارات الواضحة إلى مجريات كثير من الوقائع المؤثرة، ومواصفات الخليفة الذي سيكون بعد رسول الله ﷺ وجنده الذين لا يجيدون ولا يبدلون المنهج الذي كانوا عليه في حياة النبي ﷺ كذلك في نصوص الأحاديث النبوية الصحيحة إشارات واضحة وإرشادات بيّنة إلى مكانة أبي بكر ﷺ من بعد رسول الله ﷺ وذلك على سبيل الإخبار والأمر والإرشاد والحمد لذلك والرغبة فيه.

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ٦٥، الخليفة: الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف، ٩٤.

فالإخبار جاء في نصوص كثيرة تصرح أو تكتفي أو يُستنبط منها إشارات واضحة تعبر عن مراد النبي ﷺ في مثل قوله: (بينا أنا نائم رأيتني على قلب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع بها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعها ضعفٌ والله يغفر له، قال ابن حجر: - أي أنه على مهل ورفق - ثم استحالت غرباً فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن) (١).

وهذا النص يبين من الذي يتولى النزع إشارة إلى أمر الإسلام بعد رسول الله ﷺ ومن بعده خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ وفيها اقتران دعاء النبي ﷺ بالمغفرة لأبي بكر ﷺ مع الخبر المشير إلى خلافته، وفيه الإشارة إلى الفترة التي سيقضيها في الخلافة، وأنها ستكون قصيرة، قياساً بفترة خلافة الفاروق ﷺ التي ستطول حتى ينتشر الإسلام ويستقر في أصقاع واسعة من الأرض، وهذا هو الذي حصل تماماً بعد وفاة النبي ﷺ والله أعلم.

ومثل هذا قوله ﷺ لأصحابه ذات يوم: (من رأى منكم رؤياً؟) فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء، فَوُزِنَتْ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوَزَنَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوَزَنَ عَمْرٌ وَعَثْمَانُ، فَرَجَحَ عَمْرٌ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ، فَرَأَيْنَا الْكِرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ((٢)) وهذا أيضاً فيه إشارات إلى أمر الخلافة من بعده ليس لأبي بكر فحسب بل لعمر وعثمان ﷺ.

قال الإمام أحمد: (فمن زعم أن علياً بن أبي طالب ﷺ أفضل من أبي بكر ﷺ فقد ردّ الكتاب والسنة! قال الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح الآيات ٢٩) فقدم الله تعالى، أبا بكر ﷺ بعد النبي ﷺ ولم يقدم علياً ﷺ وقال النبي ﷺ " لو كنت

(١) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، الحديث (٣٣٩١) و(٣٤٠٠). مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر، الحديث (٤٤٠٥).

(٢) أبو داود، السنن، كتاب السنة، باب في الخلفاء الحديث (٤٠١٧)؛ الترمذي، كتاب الرؤيا، باب الميزان والدلو (٢٢٨٧) وقال: حديث حسن صحيح.

متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن الله قد اتخذ صاحبكم خليلاً " يعني نفسه ولا نبي بعدي، ومن زعم أن إسلام علي عليه السلام كان أقدم من إسلام أبي بكر عليه السلام فقد أخطأ، لأن أبا بكر عليه السلام أسلم وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة، وعلي عليه السلام يومئذ ابن سبع سنين لم تجر عليه الأحكام والحدود والفرائض^(١) وقال: (احذروا البدع كلها، ولا عين تطرف بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من أبي بكر، ولا بعد أبي بكر عين تطرف أفضل من عمر، ولا بعد عمر عين تطرف أفضل من عثمان عليه السلام)^(٢).

وفي قول الإمام أحمد: (فقدّم الله تعالى، أبا بكر عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقدم علياً عليه السلام) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة من الآية، ٤٠).
ومن أبلغ الأدلة وأصرحها على خلافة أبي بكر عليه السلام في نصوص الحديث الصحيحة، رغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أن يكتب لأبي بكر عليه السلام كتاباً لا ينازعه أحد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء ذلك جلياً واضحاً في قوله صلى الله عليه وآله وسلم لزوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإنّي أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى) ثم قال: (يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)^(٣) وهذا في رواية مسلم، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في رواية البخاري: ((لقد هممتُ أو أردتُ أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد، أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون) ثم قلت: (يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون. وفي رواية أخرى قالت أم المؤمنين رضي الله عنها: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: (ادْعِي لِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَكْتُبُ لَأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا لَا يَخْتَلَفُ عَلَيْهِ بَعْدِي! ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: دَعِيهِ، مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَخْتَلَفَ الْمُؤْمِنُونَ فِي أَبِي بَكْرٍ)^(٤).

(١) ابن حنبل: العقيدة رواية أبي بكر الخلال، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ٦٢. الآلوسي: نعمان بن محمود بن عبد الله، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ت ١٣١٧هـ، قدم له: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ٢١٩.

(٢) الآلوسي: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، ٢١٩.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر (٤٣٩٩).

(٤) ينظر مسند الطيالسي: (١٦١١) ورجاله ثقات.

فهذا إخبار من النبي ﷺ في هذه النصوص الصحيحة، أن الله تعالى قد قضى بتقديم عبده وصاحب نبيه ﷺ ليطم ما بدأه النبي ﷺ في تبليغ الرسالة ونصح الأمة ورد المنحرفين والتائهين إلى الطريق التي كان عليها النبي ﷺ، وفيها إخبار بأن المؤمنين لا يعتقدون الخلافة إلا لأبي بكر الصديق ولا يرضى أحد منهم أن يتقدم على خليفة النبي ﷺ الذي أشار إليه وقدمه في حياته وسره انقياد المسلمين له وصلاتهم خلفه حين رأهم ﷺ في آخر أيامه وهم يصلون خلف أبي بكر ﷺ.

والمتابع للنصوص التي تخص مسألة الخلافة يجد أن الصحابة على علم بمن يلي الأمر بعد النبي ﷺ وأنهم كانوا يتحدثون بذلك في حياة النبي ﷺ ويبلغه قولهم ولا ينكره ولا ينهاهم عن الحديث به، وما ذلك إلا ليؤسس ويمهد لما ستجري عليه الأمور بعد وفاته ﷺ من غير نزاع ولا اختلاف ولا تردد، يبين ذلك ويوضحه ما جاء في قول النبي ﷺ: (أرى الليلة رجلاً صالحاً أن أبا بكر نيط برسول الله، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله وأما تنوط بعضهم ببعض فهذه ولاية هذا الأمر الذي بعث الله نبيه) (١).

وهذه النصوص فيها إخبار واضح، علمه كثير من الصحابة في حياة النبي ﷺ ومن فاته علم هذا الخبر في حياة النبي ﷺ فصدر منه بعض الاجتهاد المخالف لتقديم أبي بكر ﷺ سرعان ما رضي وأقر وتراجع عن قوله بعد أن سمع هذا النص وأمثاله على ألسنة علماء الصحابة ﷺ. والأمر النبوي بتقديم أبي بكر الصديق ﷺ جاء واضحاً في قوله ﷺ للمرأة التي سألته: أرايت إن لم أجدك؟ قال ﷺ: (إن لم تجدني فأتي أبا بكر) (٢) وواضح تسمية النبي ﷺ لصاحبه في هذا الحديث ليعقل هذه المسألة كل من يسمعها فيقر بها أمر به النبي ﷺ ودعا إليه من غير تردد ولا تأويل، ولم يكن هذا النص الصحيح وحيداً في مسألة تقديم أبي بكر ﷺ وهناك نصوص أخرى تدعو إلى تقديم أبي بكر ﷺ ومن بعده عمر ﷺ وتأمير المسلمين بالافتداء بهما بأمر صريح لا يحتاج

(١) سنن أبي دواد: باب في الخلفاء، ح (٤٠١٨) منهاج السنة: ١ / ٤٩١.

(٢) فتح الباري: كتاب فضائل الصحابة، باب لو كنت متخذاً خليلاً، الحديث (٣٦٥٩). (٣٣٨٦) في البخاري.

إلى تأويل، قال النبي ﷺ: (اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر)^(١) قال الشافعي معلقاً على هذا النص: " وفي هذا دليل على أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ " ^(٢) فحين يخاطب النبي ﷺ أصحابه في مسألة الاقتداء والإمامة جهاراً نهاراً وعلى الملأ منهم، في مثل قوله ﷺ: (اقتدوا باللذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)^(٣) وقوله ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)^(٤) فماذا يرتجى منهم غير التسليم والتنفيذ والتقرب إلى الله تعالى في العمل الجاد على تحقيق مراد رسول الله ﷺ والتمسك به على كل حال، فإذا علم هذا بكل هذا الوضوح والجللاء، فما هي قيمة أباطيل أعداء الصحابة من الرافضة والمستشرقين وحلفائهم التائهين، ومن أين جاءوا بما يعارض هذه النصوص؟ وما هي مقاصدهم في معارضة الحقيقة بالباطل سوى العمل على زعزعة الثوابت والتشكيك برموز وأئمة السنة والجماعة؟ وتغذية ثقافة الكراهية والحرق في الأحقاد ورعاية وسائل الفتن!.

فهذا هو حال كل من يخالف ما أشار به النبي ﷺ أو أمر به في مسألة الخلافة، والأمر بتقديم خليفته أبي بكر الصديق ﷺ ومن بعده أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة وهم أمة الإسلام التي حملت الرسالة ونشرت الدين وحافظت على ميراث رسول الله ﷺ المتمثل في الكتاب والسنة، وإن كان هناك من يتحدث بغير هذا ممن يزعم الإسلام فهم طوائف تائهة وفرق ضلت عما جاء به رسول الله ﷺ لم يعد لها هم ولا هدف سوى محاربة الوحيين ومن حملها وجاهد من أجل نشرهما في العالمين وهم الصحابة المكرمين ﷺ.

(١) الألباني: الأحاديث الصحيحة: (٣/٢٣٣-٢٣٦)؛ الصلابي، أبي بكر الصديق، ص ١٥٢. انظر: سنن الترمذي (٣٥٩٥)؛ ومسند الإمام أحمد (٢٢٧٣٤).

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب: ٩٦٩/٣-٩٧١.

(٣) سنن الترمذي: مناقب أبي بكر ﷺ ح (٣٥٦٩) مسند أحمد: ح (٢٢١٨٩) الاستيعاب: ٩٦٩/٣-٩٧١.

(٤) أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة: ١٣/٥-١٧؛ الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء بالأخذ بالنسبة واجتناب البدع: ٥/٤٤-٤٥ فقال: هذا الحديث حسن صحيح .

أما إرشاد النبي ﷺ الصحابه ﷺ إلى تقديم صاحبه أبي بكر في الصلاة، فقد اتضح في قوله ﷺ: (سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر) والنبي ﷺ قال هذا النص وأرشد إلى العمل به في آخر أيامه المباركة بعد أن اشتد عليه المرض وصعبت عليه الحركة والقيام لأداء الصلاة، ومدلول هذا الحديث واضح ومقاصده جلية، والأمر والإرشاد والإشارة كلها ظاهرة فيه، فالنبي ﷺ أمر بإغلاق الأبواب الداخلة إلى المسجد إلا الباب الذي يدخل منه إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ وهو أبو بكر الصديق ﷺ الذي صرح به النص الصحيح على الملأ من المهاجرين والأنصار وحضور آل البيت علي والعباس وغيرهم ﷺ، فأصبحت هذه النصوص حجة لا ترد لا يشغب عليها إلا بقية المنافقين، ولا يعلم على إبطالها إلا من رفض قبول الكتاب والسنة وأعلن الحرب على الإسلام وأهله.

فيتبين مما سبق أن الوجوه الثلاثة الثابتة بالسنة، من الأمر والإرشاد والإشارة إلى خلافة أبي بكر الصديق ﷺ دلّ عليها القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة وهي كثيرة في هذا الباب، وكذلك أقوال الفقهاء والمحدثين والمفكرين من علماء المسلمين، التي تثبت خلافة الصديق ﷺ وتنفي عنها كل شبهة، وتجعل كل من يريد المعارضة لهذه النصوص موضع شبهة ومحل تهمة، يعمل على نقض الثوابت، وإفساد الإجماع، وتحريف الوقائع، ومهاجمة ثمار بيعة يوم السقيفة التي تمكن الصحابة بعدها، من توحيد الأمة، ونشر السنة، ودحر الردة، ونبذ البدعة، وتأصيل مفاهيم الحوار والشورى؛ كأخلاق وقيم ثابتة في إدارة الأزمت، وحل الإشكالات التي تواجه المسلمين، فيتضح أن الصحابة الكرام ﷺ كان لديهم من العلم في خلافة النبي ﷺ وإمامة الأمة بعد وفاته ﷺ ما يكفي لتجاوز محنة فقدانهم لشخصه الكريم ﷺ الذي اعتادوا أن يجدوا عنده حلاً لكل معضل يواجههم في حياتهم.

المبحث الثاني

بعض مؤهلات أبي بكر الصديق رضي الله عنه للخلافة ورد الشبهات عن بيعة السقيفة من مؤهلات

خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه الأول

الأول . مؤهلات خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه للخلافة أتت في الآية بعد نبينا صلى الله عليه وسلم والإسلام حث المسلمين على الجد والإتقان والسبق لإحراز المكانة الأولى والصدارة في ميادين الحياة المثمرة، ولا يمكن أن يحقق الإنسان المرتبة الأولى إلا بعد أن يجعل لنفسه أهدافاً سامية، والنبى صلى الله عليه وسلم هو القدوة لأمته وقد جعل نصب عينيه الوصول إلى أعلى هدف بعد نشر الدين وأداء الرسالة، ألا وهو نيل أسمى مرتبة في الجنة، يظهر ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم لأمته: (إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم سلوا الله لي الوسيلة^(١) فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَزْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ)^(٢).

فكان القرآن الكريم يحث على الفوز والسبق، ويبين مكانة السابقين، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (الواقعة: ١٠-١١-١٢) والسبق لا يكون إلا لمن يحرز المكان الأول، وقد أكد كتاب الله، على هذه المرتبة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: من الآية ١٤) وقال عز وجل: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الزمر: ١٢) وقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٥١). وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم في مقام الصدارة والقدوة، كل منهم على مرتبته التي أوصله إليها سبقه وصبره واجتهاده، فهم جميعاً أوائل وسباقون في ميادين الجهاد

(١) صحيح البخاري: (٤٣٥٠).

(٢) صحيح مسلم: باب استحباب القول مثل قول المؤذن، ح (٥٧٧).

والعطاء والعلم والوفاء والزهد والنصرة وغير ذلك ولكن السابق الأول^(١) والوحيد في كثير من المواقف هو خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بلا منازع ولا منافس، أكد ذلك انقياد المهاجرين والأنصار له وتسليمهم لإمامته يوم السقيفة، وما ذلك إلا لعلمهم بما له من نصيب في الإشارات القرآنية والنصوص النبوية، ولما يشاهدوه من زهده وورعه وتواضعه وثباته وقربه وكمال عقله، وأنه رضي الله عنه:

أول من أسلم^(٢) إسلاماً أزر رسول الله ﷺ وأنسه وأعانته على تحمل أعباء دعوته، ومواجهة صنديد المشركين وما يثيرونه من شكوك وشبهات، وما يصنعونه من عقبات ومعوقات أمام إسلام الناس، واتباعهم لرسول الله ﷺ.

وأول من آمن بكل ما جاء به النبي ﷺ عن ربه بتسليم كامل لا يشوبه تردد أو تساؤل أو مشاورة لأحد، قال ﷺ: (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عكم عنه حين ذكرته له ولا تردد)^(٣).

وأول من صدق النبي ﷺ من بين جميع أصحابه رضي الله عنهم، قال النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ! وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ)^(٤).

وأول من يصدق النبي ﷺ في غيابه كما هو في حال حضوره، مثل ما حصل في ليلة الإسراء، حين قيل لأبي بكر رضي الله عنه: (هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس ثم رجع في ليلة واحدة! قال أبو بكر رضي الله عنه: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فأشهد، إن كان قال ذلك لقد

(١) أحياناً يكون الأول بمعنى الوحيد ذلك أن بعض الأحداث لم تتكرر، وفي هذه اللوحة فإن الأول والوحيد سيكونان بمعنى واحد.

(٢) سنن الترمذي: ح (٣٦٦٧) قال عنه الألباني صحيح، صحيح ابن حبان: ح (٦٨٦٣) قال عنه شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات، مسند البزار: ح (٣٥) ابن كثير: السيرة، ١ / ٤٣٤. وينظر صحيح مسلم، ك. صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة (١٩٢٧).

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ١ / ١٠٨، ٣ / ٢٧. الصالحى: سبل الهدى، ١ / ٢٣٤.

(٤) صحيح البخاري: (٣٣٨٨).

صدق، قالوا: أفتشهد أنه جاء الشام في ليلة واحدة ﷺ؟ قال ﷺ: إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء^(١).

وأول من قام بمسئليته تجاه النبي ﷺ كاملة بهاله وأهله وولده ومواليه، متحملاً تبعات إسلامه في الدفاع والنصرة والإنفاق والهجرة والدعوة، وما وراء ذلك من عنت قريش وصلفها، معلناً إسلامه معتزاً به، منفقاً في سبيله دمه وماله، فلم يسد أحد الثغرة التي سدها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ولم يؤد أحد الذي أداه لدينه ولنبيه ﷺ، لهذا فأى كلام يثار حول تقدم أبي بكر الصديق، ما هو إلا من باب الشغب ووضع العقبات أمام الرؤية الموحدة لقيادة الأمة وإمامتها وخلافة نبيها ﷺ، التي قام بها أبو بكر رضي الله عنه بجدارة وأمانة ونجاح واتباع تام. وأول من قال له رسول الله ﷺ حين أراد الهجرة: (عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي)^(٢) ففاز بصحبة النبي ﷺ بعد الإذن بالهجرة.

وأول من كان يتحسب لهجرة رسول الله ﷺ ويستعد لها، قبل أن ينزل الإذن بها: (فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمْرِ وَهُوَ الْحَبْطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ)^(٣) حتى إذا كان يوم الهجرة كان أبو بكر الصديق قد أعد ما يحتاجه المسافرون من رواحل وزاد، مما يؤكد نباهته وفطنته وحزمه وحسن إعداده.

وأول من كان يعلم بهجرة رسول الله ﷺ، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ظُهْرًا، فَنَادَاهُ فَقَالَ: أَخْرِجْ مِنْ عِنْدِكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، فَقَالَ: أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الصُّحْبَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الصُّحْبَةَ)^(٤).

(١) المستدرک: ح (٤٤٠٧) صحیح. الطبری: مشکل الآثار، (٢٧٥٨) مصنف ابن أبي شيبة: باب ماجاء في حفر زمزم، (٩٧١٩).

(٢) صحیح البخاری: (٢١٣٤).

(٣) صحیح البخاری: باب هجرة النبي ﷺ، ح (٣٦١٦).

(٤) صحیح البخاری: باب غزوة الرجيع ورعل وذکوان، ح (٣٧٨٤).

وأول من كان النبي ﷺ يتصرف بهاله ويدخل بيته من غير حرج، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ يدخل بيت أبي بكر كأنه يدخل بيته، ويصنع بهال أبي بكر كما يصنع بهاله)^(١).

والأول في الكرم والجود حيث أنفق ماله كله في سبيل الله ونصرة رسوله ﷺ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكان أعظم من آمن به أبو بكر الصديق مع كمال عقله وخلقه ودينه في قومه، ومحبته لهم، وعلو قدره فيهم، أنفق ماله كله في سبيل الله، حتى قال له النبي ﷺ: "ما أبقيت لأهلك؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله"^(٢) ولم يعطه النبي ﷺ درهماً واحداً يخصه به، ثم تولى الأمر بعده وترك ما كان معه للمسلمين)^(٣).

وأول من قال عنه عمر رضي الله عنه: (والله لا أسابقك إلى شيء أبداً)^(٤) وفي سنن الترمذي: (قُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا)^(٥) اعترافاً بسبق أبي بكر وتقدمه في ميادين السباق إلى الخير والعلا، فكم في هذا من الدلالات حين يقوله عمر رضي الله عنه.

وأول من وصى رسول الله ﷺ بنفسه وماله، فكان يصيبه ما يصيب رسول الله ﷺ من أذى المشركين ووعيدهم وتهديدهم، قال النبي ﷺ: أبو بكر (وَإِسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ)^(٦).

وأول من شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ في مكة وفي المدينة بعد الهجرة.

وأول من دعا الناس لمتابعة النبي ﷺ بين أهل مكة وبين أبناء القبائل.

والأول في الدعوة إلى الإسلام من بين الصحابة حيث أسلم على يديه الكثير من الناس، ومنهم نصف العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم^(٧).

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١ / ٩٤.

(٢) سنن أبي داود: ح (١٤٢٩).

(٣) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦ / ٥٣.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الزكاة، باب الرجل يخرج ماله، ح (١٦٧٨).

(٥) سنن الترمذي: في مناقب أبي بكر وعمر، (٣٦٠٨) حسن صحيح.

(٦) صحيح البخاري: (٣٣٨٨).

وأول من أعتق المستضعفين من المسلمين وحررهم في سبيل الله تعالى، من الرجال والنساء، قال عروة بن الزبير: (أعتق أبو بكر معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب بلال سابعهم ﷺ)^(١) و (كَانَ عُمَرُ ﷺ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا، يَعْنِي بِلَالاً)^(٢).

وأول من صاهره رسول الله ﷺ من أصحابه الكرام رضي الله عنهم.

وأول من جند أسرته رجالاً - ابنه عبد الله - ونساء - ابنته أسماء - وموالي - مولاه عامر بن فهيرة - ومواشي أغنامه يرهاها عامر فيسقيهم من لبنها ويعفي على آثار عبد الله ﷺ كي لا تكتشف قريش أثره - وكل ذلك نصرة لرسول الله ﷺ.^(٣)

وأول من بنى في فناء بيته مسجداً له معلناً بعبادة الله، فافتتن به نساء وأبناء المشركين^(٤).

وأول من وُصف بما وُصف به رسول الله ﷺ في الأخلاق والقيم، فحين أراد أن يخرج من مكة لقيه ابن الدغنة سيد قبيلة القارة فقال له مثلك لا يخرج: (فَطَافَ ابْنُ الدَّغْنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ مِثْلَهُ وَلَا يُخْرَجُ أَنْخَرَجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمُعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ!)^(٥).

وأول من قال عنه المشركون ما قالوه مفترين على رسول الله صلى الله عليه، قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (الحجر: ٦) وقال المشركون عن أبي بكر لشدة دفاعه عن النبي ﷺ، حين قال: (ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! قالوا: من هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قحافة المجنون)^(٦).

(١) ينظر الخليفة: إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبي بكر الصديق حامي الإسلام من الرفض والردة، ١/ ٣٩٥.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة، (٧٠٢٤).

(٣) صحيح البخاري: ح (٣٤٧١)، إمام الأمة خليفة رسول الله أبي بكر حامي الإسلام من الرفض والردة، ٨٣٢.

(٤) صحيح البخاري: ح (٣٦١٦) (٣٦١٧).

(٥) صحيح البخاري: ح (٣٦١٦).

(٦) صحيح البخاري: ح (٣٦١٦) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٧٨. إمام الأمة: ١ / ٤٣٠.

(٧) المستدرک: ح (٤٤٢٤) قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

وأول من رضي بجوار الله وردّ جوار الجاهلية، حين ردّ جوار ابن الدغنة الذي وقف مع المشركين ضد أبي بكر رضي الله عنه بعد أن جهر بصلاته في فناء بيته^(١).

وأول من دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لإعلان الإسلام في مكة^(٢).

وأول خطيب خطب في المسلمين بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا إلى الله جهاراً على الملأ في مكة بحضور المسلمين والمشركين^(٣).

وأول من ضرب في سبيل الله من أشرف قريش الذين أسلموا، (حتى ما يعرف أنفه من وجهه، وجاءت بنو تيمم تتعادي فأجلوا المشركين عن أبي بكر، وحملوا أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه بيته، ولا يشكون في موته رضي الله عنه)^(٤).

وأول من قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟)^(٥).

وأول من جعل المشركون جائزتهم لمن يأتي به صلى الله عليه وسلم كجائزتهم لمن يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم قال سراقه بن مالك بن جعشم: (جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره)^(٦).

وأول من استشهد بالقرآن دفاعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحين وثب المشركون فأحاطوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في مكة، كان أبو بكر الوحيد الذي يدفعهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي، ويقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ

(١) ينظر صحيح البخاري: ح (٣٦١٦) صحيح ابن حبان: ح (٦٨٦٨).

(٢) السيرة الحلبية: ٢/٢١٦، سبل الهدى والرشاد: ٣/٢٤٨.

(٣) ابن كثير: السيرة النبوية، ١/٤٣٩. المحب الطبري: الرياض النضرة، ١/٣٠.

(٤) ابن كثير: السيرة النبوية، ١/٤٤٠. المحب الطبري: الرياض النضرة، ١/٣٠.

(٥) الحميدي: الجمع بين الصحيحين، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٢).

(٦) السيرة الحلبية: ٢/٢١٦. سبل الهدى والرشاد: ٣/٢٤٨.

(٧) صحيح البخاري: باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، ح (٣٦١٦).

رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (غافر: من الآية ٢٨)^(١) حتى انصرفوا، وكان ذلك من أشد المواضع التي مرت بالنبي ﷺ في مكة قبل الهجرة.

وأول من شهد له القرآن الكريم بأنه الأتقى قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (الليل: ١٧). ويستنبط من قوله الأتقى، أنه هو الأكرم بعد رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات، من الآية ١٣).

وأول من شهد له القرآن بأنه يؤتي ماله في سبيل الله يتزكى لا لغرض أو عرض من الدنيا، قال تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (الشمس: ١٨).

وأول من بشر بأنه سيرضى. قال تعالى في حق أبي بكر رضي الله عنه الذي ينفق ويعتق ويؤتي ماله يتزكى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (الليل: ٢١) وكل من يتصف بهذه الصفات...

وأول من وصفه الله تعالى بـ ﴿ثَانِيِ اثْنَيْنِ﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) مع رسول الله ﷺ. وأول من أفرد له لقب الصحبة قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ وكان معروفاً بذلك حتى عند المشركين الذين كانوا إذا خاطبوا النبي ﷺ عن أبي بكر، قالوا له: صاحبك، وإذا خاطبوا أبا بكر عن النبي ﷺ، قالوا له: صاحبك.

وأول من خوطب بقوله تعالى (لا تَحْزَنْ) (التوبة: من الآية ٤٠) أي على الإسلام وعلى النبي ﷺ لأن الله تعالى تكفل لهذا الأمر بالتمام.

وأول من نال شرف المعية ورعاية الله تعالى مع رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) فلم يعد يذكر أبو بكر إلا ويذكر الله والرسول ﷺ، فيقال: (خليفة رسول الله) أبو بكر ﷺ.

وأول من قال له النبي ﷺ يوم بدر وهما في العريش: " يا أبا بكر أتاك نصر الله. هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع " فلما كان يومئذ التقوا هزم الله المشركين فقتل منهم

(١) صحيح البخاري: فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، ح (٣٤٧٥).

سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً^(١) ثم نزل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ (الأنفال: ٩) فكان أول من بشر بأعظم نصر - من الله تعالى؛ بعد رسول الله ﷺ في ذلك يوم، هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو الوحيد مع رسول الله ﷺ في غرفة القيادة إن صح التعبير (العريش) وبقية الصحابة رضي الله عنهم جند مقاتلون، منهم المبارز، ومنهم الرامي، ومنهم المشارك في التخطيط أو الاستطلاع أو التموين والإمداد، وفي كل هذا إشارات للمتبصرين، بعلو منزلة أبي بكر الصديق الذي أثبت له السيرة أن النبي ﷺ إذا انفرد برجل من أصحابه في الملمات، فإن ذلك الرجل وعلى الأغلب يكون صاحبه الصديق رضي الله عنه، كما حصل يوم الغار، ويوم الهجرة، ويوم بدر في الاستطلاع، وفي العريش وغيرها، مما أهله أن يكون في المكان الذي كان فيه في يوم بيعة السقيفة بسرور واستبشار من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

ومما أثلج صدور المهاجرين وأفر عيون الأنصار والتابعين يوم بيعة السقيفة، علمهم جميعاً أن أبا بكر الصديق كان هو الأول في المواقف التي تخدم الدين، وتسّر سيد المرسلين ﷺ، كما ظهر ذلك في المقال الثالث، فالصديق رضي الله عنه: أول من فاء إلى رسول الله ﷺ يوم أحد بعد انصراف الناس عنه^(٢).

وأول من كان المشركون يسألون عنه إذا أشيعت وفاة رسول الله ﷺ، كما حصل في يوم أحد حين نادى أبو سفيان: (أبي القوم محمد ثلاث مرّات؟ فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرّات، ثم قال أفي القوم: ابن الخطاب ثلاث مرّات...؟)^(٣).

وهذا يبين أن المشركين كانوا يعلمون أن قادة المسلمين كانوا مرتين على النحو الذي يسألون عنه، لما يشاهدون من مواقفهم، ومن التفاف المسلمين حولهم، وهذا ما يعمل أعداء الصحابة

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ٣٤.

(٢) المستدرک: المغازي والسرايا، (٤٣١٥) الضياء المقدسي: الأحاديث المختارة، ١/ ٣٦، (٤٨) زاد المعاد: ٣/ ٢٠٥.

(٣) صحيح البخاري: ح (٢٨١٢).

بمكرهم وكيدهم، على طمسه في ثقافة المسلمين وفي ضمائرهم، ليفصلوا بين الأمة وبين نبيها ﷺ، وبين قيادتها الراشدة التي لن يصلح أمر الأمة إلا باتباعها وموالاتها، والبراءة من أعدائها رافضي خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذلك أنه فضلاً عما سبق ... هو:

أول من حمل راية رسول الله العظيم في أكبر جيش أعدّه وقاده رسول الله ﷺ بنفسه الشريفة، وذلك في غزوة تبوك التي زاد جيشها على الثلاثين ألفاً من الصحابة رضي الله عنهم، قال ابن سعد: (ودفع رسول الله ﷺ رايته العظيمى يوم تبوك إلى أبي بكر، وكانت سوداء)^(١).

وأول من قال فيه رسول الله ﷺ: (لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام ومودته)^(٢).

وأول من قال عنه رسول الله ﷺ: (لا ينبغي لقومٍ فيهم أبو بكرٍ أن يؤمَّهُم غيره)^(٣) وهذا موافق لما في الصحيح من قوله ﷺ: (يا أيُّ الله والمؤمنون إلا أبا بكر)^(٤).

وأول من أرشد النبي ﷺ المسلمين إلى خلافته، يتضح ذلك في ما رواه جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ قَالَ: (أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ امْرَأَةٌ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ كَأَنَّهَا تُرِيدُ الْمَوْتَ قَالَ: إِنْ لَمْ تَجِدِيْنِي فَأْتِيْ أَبَا بَكْرٍ)^(٥).

وأول من قال بعد وفاة النبي ﷺ: (أينقص الدين وأنا حي؟)^(٦).

وأول من حج بالمسلمين أميراً في حياة رسول الله ﷺ، وقد وافق حجه الحج الأكبر حيث كان المشركون لا يصيبون الحج في وقته إلا نادراً للنبيء الذي يؤخرون به وقت الحج، فلما حج

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١٤٣/٢، ابن الجوزي: تلقيح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ٧٤.

(٢) صحيح البخاري: ح (٤٤٦).

(٣) سنن الترمذي: في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٠٦) قال أبو عيسى: حسن غريب. وهذا حديث يصدقه ما في الصحيح مثل ما صدقه الواقع حيث كان أبو بكر هو الخليفة الإمام بعد النبي ﷺ.

(٤) صحيح البخاري: البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ح (٤٤٣٢).

(٥) صحيح البخاري: ح (٦٦٨٠).

(٦) ينظر: سمط النجوم العوالي: الأحاديث في شأن أبي بكر الصديق ﷺ ٤٥٨/٢. مشكاة المصابيح، ٣/ ١٧٠٠.

أبو بكر وافق حجه الحج الأكبر، عن سمرة بن جندب قال: قال النبي ﷺ: (يوم الحج الأكبر يوم حج أبو بكر بالناس)^(١)

وأول من قال عنه رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ)^(٢).

وأول من أدرك الإسلام هو وأبوه وابنه وابن ابنة، قال موسى بن عقبة: (لا نعلم أربعة أدركوا النبي ﷺ هم وأبناؤهم إلا هؤلاء الأربعة: أبو قحافة، وأبو بكر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وأبو عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر، واسم أبي عتيق محمد)^(٣).

والأول من بين الصحابة في موافقة رسول الله ﷺ في إقامته وسفره ورضاه وغضبه وقبوله ورفضه وعطائه ومنعه وسلمه وحره، ولعل يوم الحديبية يؤكد كل ذلك وبينه. وأول صحابي لم يتردد ولم يتلعثم ولم يتأخر في كل ما أمر به رسول الله ﷺ لا في حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته.

وأول من قال: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ﷺ كما هو في خطبته الشهيرة ﷺ.

وأول من قال: (كَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَرْيَغَ)^(٤).

وأول من قال: (وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)^(٥).
وأول من قال: (والله لقرابة رسول الله أحبُّ أن أصل من قرابتي)^(٦).

(١) المعجم الكبير: باب سمرة بن جندب الفزاري، (٦٨٩٤) الأوسط: ح (٢٩٠٩) البيهقي السنن الكبرى: باب تأخير الحج (٨٩٦٨).

(٢) صحيح البخاري: ح (٤٤٦).

(٣) أبو بكر الشيباني: الأحاد والمثاني، ح (٢٢).

(٤) صحيح مسلم: باب قول النبي ج: " لا نورث ما تركنا فهو صدقة " ح (٣٣٠٥).

(٥) صحيح البخاري: ح (٣٤٣٥).

(٦) صحيح البخاري: باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ح (٣٧١٢) (٣٤٣٥) وباب حديث بني النضير: ح (٤٠٣٦).

وأول من قال: (ارقبوا محمداً ﷺ في آل بيته)^(١).

وأول خليفة لم يشرك أحداً من أولاده ولا أقاربه في أمر الخلافة، ولا في الإدارة، ولا في قيادة الجيوش، لا في حياته ولا بعد وفاته رضي الله عنه وكان ابنه عبد الرحمن وابن عمّه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما من أهل الكفءات والمكانة بين المسلمين.

وأول من كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يحلف أنّ: (الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق)^(٢) قال تعالى: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (الزمر: ٣٣).

أول من قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه متمسكاً بإمامته وخلافته، حين قال أبو بكر رضي الله عنه للمسلمين: أَقَلُّتُمْكُمْ بِيَعْتَكُمْ، قال علي: (لا والله لا نقتيلك، ولا نستقتيلك، قدّمك رسول الله ﷺ فمن ذا الذي يؤخرك)^(٣).

وأول من قال عنه علي رضي الله عنه: (إن يُردِ الله عزّ وجل هذه الأمة خيراً يجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم ﷺ على خيرهم - أبو بكر الصديق).

وأول من قال عنه علي بن أبي طالب: إن رسول الله ﷺ لم يمت فجأة، كان بلال يأتيه في مرضه فيؤذنه بالصلاة، فيقول ﷺ: " فهاتوا أبا بكر أن يصلي بالناس " وهو يرى مكاني. فلما قبض، نظر المسلمون فرأوا أنّ رسول الله ﷺ قد ولاه دينهم فولوه أمر دنياهم^(٤).

وأول من قال عنه علي رضي الله عنه: " لما قبض رسول الله ﷺ، نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدّم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضي به رسول الله ﷺ لدينا، فقدّمنا أبا بكر

"^(٥).

(١) صحيح البخاري: باب قرابة النبي ﷺ (٣٧١٣) باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (٣٧٥١).

(٢) المعجم الكبير: ح (١٤) (١٥) أبو بكر الشيباني: الأحاد والمثاني، ح (٦).

(٣) الأجرى: كتاب الشريعة، (١١٦٩) السيوطي: جامع الأحاديث، (٣٤٦٢٤).

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ١/٢٤١. الصالحى: سبل الهدى والرشاد:

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/١٨٣، البلاذري: أنساب الأشراف، ١/٢٤١.

وأول من قال علي عن إمامته في مرض رسول الله ﷺ: " فأمر أبا بكر بالصلاة وهو يرى مكاني، فلما قبض، اختار المسلمون لديناهم من رضيه رسول الله ﷺ لدينهم. فولوا أبا بكر. وكان والله لها أهلاً، ومن ذا كان يؤخره عن مقام رسول الله ﷺ فيه؟! "^(١)

وأول من قال علي عن خلافته، إن رسول الله ﷺ قال: (مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، ولقد تركني ﷺ، وهو يرى مكاني، ولو عهد إلي شيئاً لقمتم به) "^(٢) وهذا حديث موافق لما في الصحاح من قوله ﷺ: "يا أبا الله والمؤمنون إلا أبا بكر" "^(٣).

وأول من قال عنه علي والله لئن أُصبت لا يقوم للإسلام نظام، وذلك (لما ولي الخلافة وارتدت العرب، خرج شاهراً سيفه إلى ذي القصة، فجاءه علي بن أبي طالب، وأخذ بزمام راحلته، وقال له: أين يا خليفة رسول الله؟! أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ، يوم أحد: شِمُّ سيفك لا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أُصبت بك لا يكون للإسلام نظام؛ فرجع وأمضى- الجيش) "^(٤).

أول صحابي شهد له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بأنه: (أشجع الناس) "^(٥).

وأول من شهد له علي بأنه: (خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ) "^(٦).

وأول من قال عنه علي رضي الله عنه: (كنت كثيراً ما أسمع رسول الله ﷺ، يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما) "^(٧).

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ١/٢٤٣.

(٢) البوصيري: تحاف الخيرة المهرة، كتاب النكاح (٣٤٤٩) السيوطي: جامع الأحاديث، مسند علي، ح (٣٤٦٦٥).

(٣) صحيح مسلم: من فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (٤٣٩٩)

(٤) الكامل في التاريخ: ١/٣٩٦، الواقدي: المغازي، ١/٩٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ٦٧. السيرة الحلبية:

٢/٥٠٠. الصواعق المحرقة: ١/٤٦

(٥) مسند البزار: مسند علي ﷺ: ح (٧٦١).

(٦) صحيح البخاري: فضائل الصحابة، (٣٦٧١).

(٧) صحيح البخاري: فضائل الصحابة، ح (٣٦٨٥).

وأول من أعلن علي رضي الله عنه أنه سيجلد مَنْ يُفَضِّلُهُ على أبي بكر الصديق، قال الحكم بن حجل: سمعت علياً يقول: (لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلده حدة المفترى)^(١).
وأول من قال عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما حدثني واحد بحديث عن رسول الله ﷺ إلا استحلفته عليه، إلا أبو بكر الصديق فإنه لا يكذب)^(٢).

وأول من شهد له علي بن أبي طالب ﷺ بأنه خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ عن عبد خير صاحب علي ﷺ قال: قام علي ﷺ فقال: (إن خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر وبعد أبي بكر عمر وأحدثنا أحداً يصنع الله فيها ما شاء)^(٣).

وأول من قال عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (" استخلف أبو بكر رضي الله عنه فأقام واستقام، ثم استخلف عمر رضي الله عنه فأقام واستقام " وكان ذلك بعد معركة الجمل حيث خطب الناس، فقال: " أما بعد، فإن الإمارة لم يعهد إلينا رسول الله ﷺ فيها عهداً فنتبع أمره، ولكننا رأيناها من تلقاء أنفسنا")^(٤).

وأول من قال عنه علي رضي الله عنه: (ولينا الأمر أبا بكر رضي الله عنه فأقام بين أظهرنا، الكلمة جامعة، والأمر واحد، لا يختلف عليه منّا اثنان، ولا يشهد أحد منا على أحد بالشرك، فكنتُ والله أخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بيدي هذه الحدود بين يديه)^(٥).

وأول من قال عنه علي وهو مسجى قبيل دفنه: (رحمك الله أبا بكر كنتَ إلفَ رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشورته)^(٦).

وأول من قال عنه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا)^(٧).

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ٨٣/١.

(٢) البيهقي: شعب الإيمان، (٧٠٧٩).

(٣) مسند أحمد: (١٠٣١) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) الأجرى: كتاب الشريعة، ح (١١٦٨).

(٥) الأجرى: كتاب الشريعة، ح (١١٧٣) الحلبي: السيرة الحلبية، ٤٩٠/٣. سبل الهدى والرشاد: ٣١٦/١٢.

(٦) الضياء المقدسي: أحاديث مختارة، ٢٣٠/١، ح (٣٩٧).

وأول من قال عنه عمر رضي الله عنه يوم بيعة أبي بكر في السقيفة: أنت والله (خيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ) (١).

وأول من قال فيه عمر لأصحاب رسول الله ﷺ جميعاً: (وليس فيكم من تُقَطَّعُ إليه الأعناق مثل أبي بكر) (٢) أي ليس فيكم من تنتهي الأعمار في محاولات الوصول إلى ما وصل إليه ولا يتم ذلك، لسبقه وعلمه وذكائه، ولما أحاطه من التوفيق.

وأول من قال عنه عمر رضي الله عنه: (كَانَ وَاللَّهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتَضَرَّبَ عَنْقِي لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِيَّامٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ) (٣).

وأول من قال عنه عمر رضي الله عنه: (والله لليلة من أبي بكر ويوم؛ خير من عمر) (٤) يشير بذلك إلى موقفه يوم الهجرة، وموقفه يوم الردة بعد وفاة النبي ﷺ.

وأول من قال فيه خالد بن الوليد يوم البيعة: "إنه والله ما صاحب هذا الأمر -يعني أبا بكر- بالمسؤول عنه ولا المختلف فيه، ولا بالمخفي الشخص ولا المغمور القناة" (٥).

وأول من قال عنه الحسن البصري حين سأله عمر بن عبد العزيز: "هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر؟ فقال الحسن: "والله الذي لا إله إلا هو، لا استخلفه حين أمره بالصلاة دون الناس، وهو كان أتقى لله من أن يتوثب عليها" (٦).

(١) المستدرک: کتاب معرفة الصحابة، ح (٤٤٢١) قال عنه: صحيح الاسناد.

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري: فضائل الصحابة، (٢٦٦٨).

(٣) ينظر صحيح البخاري: كتاب الحدود، باب رجم الحبل من الزنا إذا أحصنت ح (٦٣٢٨) صحيح مسلم: كتاب الحدود، باب رجم الثيب من الزنا، ح (٣٢٠١) ابن حنبل، المسند، ١، ح، ٣٩١.

(٤) صحيح البخاري: فضائل الصحابة، (٦٣٢٨).

(٥) السيوطي: الدر المنثور، ٧٦/٥. البيهقي: دلائل النبوة، (٧٣١) أبو الفضل العراقي: المعني عن حمل الأسفار، (٢٢٧٦).

(٦) الكلاعي: الاكتفا بما تضمنه مغازي الثلاثة الخلفاء، ٣٥٧/٢. الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣١٤/١٢.

(٧) البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٤٣/١، ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية، ٣١٢/١.

وأول من توفي من الخلفاء (فما ترك ديناراً ولا درهماً، وكان قد أخذ قبل ذلك ماله فألقاه في بيت المال) (١) وروي أنه قال لما حضرته الوفاة: " ردوا ما عندنا من مال المسلمين فيني لا أخلف في منزلي من ما لهم شيئاً. وأرضي التي بمكان كذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم، أي بدل تفرغه لأعمال الخلافة، فدفع ذلك إلى عمر رضي الله عنه.

وأول من كان ينفق كل ما في بيت المال على الرعية: (فلما توفي أبو بكر ودفن رضي الله عنه، دعا عمر بن الخطاب الأبناء، ودخل بهم بيت مال أبي بكر، ومعه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما، ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه ديناراً ولا درهماً ووجدوا خيشة للسالم فنقضت؛ فوجدوا فيها درهماً! فترحموا على أبي بكر، وكان بالمدينة وزان على عهد رسول الله ﷺ، وكان يزن ما كان عند أبي بكر من مال، فسئل الوزان كم بلغ ذلك المال الذي ورد على أبي بكر؟ قال: مائتي ألف (٢).

وهكذا تستمر القيادة الراشدة في تقديم دروس القيادة المسددة، المبنية على الحوار والشورى، التي تتفانى في خدمة الأمة، ولا ترتجي جزاء على عطائها إلا من الله تعالى، وفي ذلك الحجة البالغة على من جاء من بعدهم ممن يزعم أنه يسير على منهجهم، ويتمسك بهديهم، وهو غارق في الإقليمية أو الحزبية، أو المصالح الشخصية، والنزعات القبلية، التي لا ترى إلا الأتباع والأهواء، وأبناء الطائفة المذهبية أو الإقليمية، التي سُخر لها كل شيء، من بيت المال إلى القضاء إلى الثروة، فأصبحت تجني السُّحت، وتزرع الضغينة، وتبني السراب والوهم، وكل ذلك على حساب الحق والعدل والأخوة والأمانة، ومفارقة سيرة الراشدين، الذين لا يفارقهم إلا متهم، يحصد الخراب والفتن، وينشر الدمار والإحـن، أولئك الذين دفعت الأمة ثمن خنوعها لهيمنة عقائدهم، هواناً وتمزقاً وفقراً وذلة، ولم يكن ذلك ممكناً لو أن أبناء الأمة جعلوا موازين الولاء والبراء؛ والعداء والمحبة؛ قائمة على مناهج الخلفاء الراشدين الذين نشروا العدل والرحمة، فحصدوا الأمن والوحدة، والرفاه والعزة، ولعل في هذا من الدروس والعبر التي يجب على كل مسلم أو داعٍ إلى

(١) عمر الشيباني: كتاب الزهد: ١ / ١١٠. ابن سعد: الطبقات، ٣ / ١٩٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٣ / ٢١٣.

الإصلاح أن يجعلها نصب عينيه، يزن بها الأحداث والشعارات، ويعرف بها المناهج والمسارات، فمن معين الخلافة الراشدة تنبع موارد الإصلاح، وعنهما تصدر مناهج البناء والاستقرار والفلاح، فلا ترتوي الأمة إلا من الأيدي الطاهرة التي تستقي من معين الراشدين، وتسج على منوالهم وتهدي بهديهم، ولا سيما الأول منهم ﷺ بعد نبيهم ﷺ.

وذلك لما اتصف به من الميزات والفضائل والمناقب؛ التي جعلت له القبول المبني على المحبة والموافقة عند جميع الصحابة، تؤكد ذلك في تسابقهم على بيعته يوم السقيفة؛ وما ذلك إلا لما شاهدوه من تقديم النبي ﷺ لصاحبه، وحرصه على أن يكون ذلك التقديم معلوماً في الأمة، فضلاً عما كانوا يرون ويعايشون من مؤهلات أبي بكر ومواقفه، التي تسر النبي ﷺ حتى بعد وفاته، وتقرّ عيون السابقين والتابعين لهم بإحسان، وتشرح صدورهم، وتزرع في نفوسهم الثقة وقوة التمسك بالسنة النبوية، وما ذلك إلا لعلمهم بأن أبا بكر الصديق كان الأول في كل ما تم ذكره، وأنه:

أول الصحابة في العلم قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا)^(١) وقال رسول الله ﷺ: (رأيت كأني أُعطيْتُ عساً مملوءاً لبناً، فشربت منه حتى تملأت، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم، ففضلت منها فضلة، فأعطيتها أبا بكر) قالوا: يا رسول الله هذا علم أعطاكه الله، حتى إذا تملأت منه فضلته، فأعطيتها أبا بكر، فقال رسول الله ﷺ: (قد أصبتم)^(٢).

وأول من كان يفتي بين يدي رسول الله ﷺ، ويُقرّه في ما يفتي به^(٣).

(١) صحيح البخاري: ح (٣٣٨١).

(٢) صحيح ابن حبان: (٦٨٥٤) موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: (٢١٦٨).

(٣) صحيح البخاري: ح (٤٣٢١).

والأول في فقه وعلم مرامي كلام رسول الله ﷺ وفحواه فقد كان وحده الذي فهم ما يرمي إليه رسول الله ﷺ بقوله: إنَّ عبداً خيره الله من أن يؤتية من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده... فقال ابو بكر: (فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا)^(١).

وأول من ساوى بين جميع المسلمين في العطاء فكان ﷺ يعطي: الحرَّ والمملوكَ والحرَّةَ والأمةَ العطاء ذاته لم يفرق بين مسلم وآخر في العطاء المادي^(٢).

وأول من كان يتنزّه عن شرب المسكر في الجاهلية قبل الإسلام^(٣) وأول من دخل الإسلام ولم يسجد لصنم قط، وقد قارب الأربعين في الجاهلية^(٤). والأول في الورع فقد قاء وأخرج ما في معدته تخرجاً من الشبهات أو أن يدخل جسده لقمة من الحرام.

وأول خليفة لم يغيّره السلطة عمّا كان عليه قبل توليها من التواضع، قال رضي الله عنه: (إني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلتُ فيه عن خُلُقٍ كنت عليه)^(٥) أي الخلافة والحكم.

وأول الصحابة في الزهد، والزهد هو عزوف النفس عن حب الدنيا، والمال، واللذات، وعن الميل إلى الأولاد والحواشي وما إلى ذلك، فأتمّ زهده بالمال وعزوف نفسه عن الدنيا فقد علم أنّ أبا بكر رضي الله عنه أسلم وله مال كثير ينيف على أربعين ألفاً، فأنفقها كلها في الله عز وجل، وأعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين في ذات الله عز وجل، ولم يعتق عبداً ذا معونة لينتفع به، بل أعتق كل معذب ومعذبة في الله، إلى أن أذن لرسول الله ﷺ في الهجرة، وما كان بقي لأبي بكر من المال غير ستة آلاف درهم؛ حملها كلها مع رسول الله ﷺ، ولم يُبق لأهله منها درهماً،

(١) صحيح البخاري: (٣٦١٥)

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ح (٦١٧٠) سنن البيهقي الكبرى: ح (١٢٧٦٢).

(٣) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (٩٧ - ١٠٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٣٣-٣٣٤.

(٤) السيرة الحلبية: ح (٤٥٣/١) وينظر الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٦٧. عن نجباء الأبناء، لابن ظفر.

(٥) كنز العمال: ح (١٤٠٧٧) جامع الأحاديث: مسند أبي بكر، (٢٧٥٣٠).

ثم أنفقها في سبيل الله حتى لم يبق له شيء منها، وصارت له عباءة إذا نزل فرشها وإذا ركب لبسها، ثم ولي الخلافة فما اتخذ جارية، ولا توسع في المال، وعدّ عند موته ما أنفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذي لم يستوف منه إلا بعض حقّه، ثم أمر بصرفه إلى بيت المال من صلب ماله الذي حصل له من سهامه في المغازي والمغانم مع رسول الله ﷺ، فهذا هو الزهد في اللذات والمال والدنيا بأسرها، الذي لا يدانيه زهد أحد من الصحابة رضي الله عنهم^(١) فضلاً عن غيرهم من الناس.

وأول الصحابة في السياسة وإدارة الأزمات تبين ذلك من سياسته وإدارته للأحداث المهولة بعد وفاة النبي ﷺ وارتداد العرب وامتناعهم عن أداء الزكاة، واختلال نظام الإسلام، واختلاف آراء الصحابة في قتال المرتدين، فلم يتزلزل أبو بكر رضي الله عنه أمام تلك الأحداث، وصمم على قتالهم وقال: "والله لو منعوني عقلاً لقاتلتهم عليه حتى ينفذ الله أمره" ولم يزل على ذلك حتى ردهم إلى الإسلام حتى حكم على رقاب الأكاسرة وملوك الفرس على سرير ملكهم، فزلزلهم وفتح الله تعالى عليه ما فتح من الأمصار والمدن الكبار وهو مقيم بالمدينة لم يبرح منها^(٢) ومثل ذلك يقال في إنفاذه لجيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وإبقائه له في مكانه أميراً وقائداً كما أمر رسول الله ﷺ، وبقي على ذلك حتى عاد من غزوته ظافراً منتصراً^(٣).

وأول من غضب له رسول الله ﷺ وهو غائب حين صلى بالناس غيره فلما سمع تكبير الصلاة (أَطْلَعَ رَأْسَهُ ﷺ مِنْ حُجْرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: لا، لا، لا، لا، لِيُصَلَّ لِلنَّاسِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، يَقُولُ ذَلِكَ مُغْضَبًا)^(٤)

(١) ينظر أبو حامد المقدسي: الرد على الرافضة، ٢٦٧، ٢٧٥.

(٢) ينظر أبي حامد المقدسي: الرد على الرافضة، ص ٢٧٦.

(٣) مصنف عبد الرزاق: ح (١٩٣٧٢).

(٤) سنن أبي دواد: في استخلاف أبي بكر، ح (٤٠٤٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ١/٢٤٠.

والأول في المكانة والوجاهة عند رسول الله ﷺ فلم يكن يقدم عليه أحداً من أصحابه، ولم يكن يقبل ﷺ أن يغضبه أحد، قال النبي ﷺ محذراً من يخاصم صاحبه الصديق ﷺ: (فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا)^(١).

وأول من خالف النبي ﷺ، وعلم المسلمين كيف يكون الثبات والافتداء بسيد الأنبياء، دون تبديل مع التمسك التام بالسنّة وكما جاء بها النبي ﷺ.

والأول في الشورى عند النبي ﷺ في عامة الحوادث التي مرت بها الأمة، سياسياً واجتماعياً وعسكرياً، وكذلك فيما كان يستشرف به مستقبل الأمة.

والأول في المكانة والوجاهة والسيادة عند الصحابة رضي الله عنهم وعند الأمة إلى هذا اليوم، فقد كان عمر وعلي رضي الله عنهما، يعاقبان من يقدم أحداً على أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٢) فكيف هما فاعلان بمن يطعن به وينال منه رضي الله عنه؟!.

والأول في الإخلاص لله تعالى في كل ما قام به، إذ لم يأخذ مكافأة دنيوية على كل ما قدم من مواقف عظيمة في سبيل الله تعالى، ونصرة الإسلام، قال النبي ﷺ: (مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِيهِ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ)^(٣).

وأول من جمع خصال الخير في يوم واحد شهد له بها النبي ﷺ بالجنة، قال ﷺ لأصحابه: (من أصبح منكم اليوم صائماً؟ فقال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ فقال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ فقال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، قال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)^(٤).

(١) صحيح البخاري: (٣٣٨٨)

(٢) ينظر الخليفة: الموقف ممن يقدم أحداً على خليفة رسول الله أبي بكر الصديق، ٣٦.

(٣) سنن الترمذي: ح (٣٥٩٤) قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، ح (٤٤٠٠) الحميدي: الجمع بين الصحيحين، (٢٧٠٢).

وأول خليفة خوطب بـ يا خليفة رسول الله ﷺ وعلى المستويات كافة^(١) وكان الذين يخاطبونه هم الذين وصفهم الله بالصادقين، قال تعالى: (لِلْمُفْرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحشر: ٨) وعلى هذا فالذين رفضوا خلافته رضي الله عنه، هم الكاذبون.

وأول صحابي أمر النبي ﷺ أن يبقى بابه وخوخته مفتوحان إلى المسجد بعد وفاة النبي ﷺ إشارة إلى خلافته من بعده، قال ﷺ: (لا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ)^(٢) وقال ﷺ: (لا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ)^(٣) فإذا كان رسول الله ﷺ، قد أغلق كل باب وكل خوخة مفتوحة إلى مسجده ﷺ، إلا باب وخوخة أبي بكر الصديق، فإنَّ حال من يريد أن يغلق ما فتح رسول الله، ويفتح ما أغلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، واضحة بينة في قوله تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (النساء: ١١٥) فسحقاً للتائبين والمتنعين، المصنفين والموادرين، لمن يحادَّ الله ورسوله، ويتبع غير سبيل المؤمنين، ممن يردُّ خيار رسول الله ﷺ وإجماع المهاجرين والأنصار.

وأول من صلَّى بالمسلمين بأمر رسول الله ﷺ في مرض وفاته، وصلَّى رسول الله ﷺ إلى جانبه وخلفه في الصف مؤتمماً به رضي الله عنه^(٤).

وأول من سرَّ رسول الله ﷺ وجعله يبتسم وهو في مرض الموت حين رأى النبي ﷺ الصحابة منقادين له يُصلُّون خلفه في مسجد رسول الله ﷺ.

(١) ينظر الخليفة: إمام الأمة وقائدها، ١/ ٩٥ فما بعدها.

(٢) صحيح البخاري: فضائل أبي بكر، ح (٣٣٨١).

(٣) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، ١/ ٧٤٥.

(٤) ابن حنبل: المسند، ح (٢٥٢٩٥) سنن النسائي الكبرى، ك. صلاة الإمام خلف رجل من رعيته، ح (٨٦١) سنن البيهقي: (٤٨٦٦) البداية والنهاية: ٥/ ٢٢٥ وقال صحيح على شرط الشيخين.

وأول رجال هذه الأمة محبة عند رسول الله ﷺ^(١).
وأول من شهد له رسول الله ﷺ أنه يدخل من أي أبواب الجنة شاء^(٢).
وأول من أبى رسول الله ﷺ أن يؤم المسلمين غيره. قال ﷺ: (ويأبى الله ورسوله والمؤمنون
إلا أبا بكر)^(٣).

وأول من وقف في مقام رسول الله ﷺ بعد وفاته إماماً وقائداً وخليفة.
وأول من نعى رسول الله ﷺ، وأعلن نبأ وفاته دون تردد، مع شدة تعلقه به ﷺ المعروف عند
جميع المسلمين، فقد جاء أبو بكر من منزله بعد أن أخبر بوفاة النبي ﷺ وعمر الفاروق يكلم
الناس، فقال أبو بكر: على رسلك يا عمر فأنصت، فأبى إلا أن يتكلم! فلما رآه أبو بكر لا ينصت
لما فيه من الذهول، أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه، أقبلوا عليه وتركوا عمر رضي الله
عنها، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن
كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي
اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٤) قال: فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على
رسول الله ﷺ، حتى تلاها أبو بكر يومئذ، وأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفواههم. قال
أبو هريرة: قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت حتى
وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات^(٤) وكل هذا يثبت أن

(١) البخاري: كتاب المغزي، باب غزوة ذات السلاسل، ح (٤٣٥٨).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، ح (١٨٩٧).

(٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، (٤٤٣١) (٤٤٣٢). منهاج السنة ١ / ٤٩٢ - ٨ / ٥٧٠

٥٧١ / ٨ - ٤٩٦ / ١.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣١١.

الصديق رضي الله عنه أعدّ لمثل هذا اليوم وأشرب القدرة على مواجهة العضلات، وأنه رضي الله عنه، هو:

الأول والأولى في قيادة الأمة وخلافة النبي ﷺ، فحين كان قادة الصحابة، منهم من هو في حالة ذهول، ومنهم من هو في حالة صمت أحرص من هول الفاجعة، ومنهم من أفعد ولم يستطع القيام، جاء القائد الأول في الصحابة الذي أعد لمواجهة مثل هذا الساعة الحرجة، ثابت القلب والجنان وهو أشدّ منهم تألماً على فقد صاحبه ﷺ، فأعلن وفاته ليقوم المسلمون بواجبهم تجاه رسالة النبي ﷺ وأمته دون تأخير، وهذا ما حصل في يوم السقيفة حيث تداول من حضر - من الصحابة أمر خلافة النبي ﷺ، فكان الإجماع على بيعة أبي بكر الصديق خليفة للنبي ﷺ، وإماماً وقائداً للأمة، ولم يتخلف أحد ممن كان في السقيفة عن بيعة أبي بكر، فإذا ذكرت بعض الروايات أنّ حواراً دار في السقيفة قبل البيعة؛ فإنّ هذا ليس انتقاصاً لما حصل في ذلك اليوم، بل هو شهادة فخر على أنّ بيعة أبي بكر الصديق تمت بعد الحوار والمشاورة وتداول الرأي والاستناد إلى الدليل الشرعي العلمي، ثم الاتفاق على أنّ الصديق هو الأولى والأقدر على سدّ الفراغ الذي تركه رسول الله ﷺ بعد وفاته؛ وعلى الصعد كافة، أما المتعلقين ببعض مفردات الحوار للتشكيك بإنجاز الصحابة الكبير المتمثل في بيعة خليفتهم وإمامهم يوم السقيفة، فإنّ هؤلاء متعلقين بالوهم وأماني السوء وكرهية الأمة، وهم ممن أعاظهم اجتماع المسلمين وتوحد صفهم، واتحاد كلمتهم، وتمسكهم بسنة نبيهم ﷺ، ومواقفهم الحاقدة هذه في الماضي والحاضر لا غرابة فيها، بل الغرابة والريبة بمن يثق بهم أو يرجو منهم خيراً لأمة الكتاب والسنة، فمتى كان المنافقون والمرتدون يجوبون وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم؟! ومتى كان الذين يرفضون خلافة أبي بكر الصديق يقبلون استقرار الأمة وأمنها وعافيتها ونجاح قيادتها؟! فالمشوشون على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة إنّما هم أقوام وتّرثهم وحدة الأمة، وسلامة عقيدتها، وألفة أبنائها، فلا زالوا يتحينون الفرص للطعن بعقيدتها وتفتيت وحدتها، مستعينين على ذلك بحملات الإفك والتزييف، والغدر والتحريف، والتحالف مع الغزاة والمعتدين على الأمة،

مستهدفين إنجازات الصحابة في ذلك اليوم الذي تجلت فيه الشورى، وتآلق الحوار، يوم السقيفة الذي جنت الأمة منه عامة النجاحات التي بنت عليها أمجادها، والشمار التي كونت مفردات حضارتها المشرقة.

فلا شك أن رجلاً يشهد له خير الناس بعد الأنبياء وهم الصحابة رضي الله عنهم، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: من الآية ١١٠) بأنه كان خيرهم وأحبهم إلى رسول الله ﷺ، ويخاطبونه بيا خليفة رسول الله؛ حباً وطاعة له، وثقة به، وإجلالاً لمكانته، ويعاقبون من يفضل أحداً منهم أو من غيرهم عليه بعد النبي ﷺ لا شك أنه خير كله، وفي كل مواقفه العلمية والسياسية والاقتصادية، وفي بيعته يوم السقيفة وقبلها وبعدها، وأن المحروم من حُرْم بيعته، والمخذول من خصمه، والضال من أبغضه، والتائه من اعتقد أن هناك من هو أولى منه بخلافة النبي ﷺ وذلك أنه هو (ثاني اثنين) كان الله معها، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه، هو:

أول من قال له الصحابة رضي الله عنهم: (يا خليفة رسول الله: أنت والله خيرنا)^(١).

وأول من فوضه الصحابة رضي الله عنهم، في اختيار خليفة لهم في حياته، ذلك أن ثقتهم بخياره أكثر من ثقتهم بخيار أنفسهم، فاختر لهم عمر الفاروق، فكان خير اختيار لأمة محمد ﷺ، سرَّ به المؤمنين، وأغاظ به أعداء الدين.

وأول من كان الصحابة رضي الله عنهم يجمعون على أنه هو الخليفة بعد النبي ﷺ وفي حياته ﷺ، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ما كنا نختلف في عهد رسول الله ﷺ، أن الخليفة بعده هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(٢).

وأول من قاتل أولي البأس الشديد من المرتدين والمجوس والصلبيين، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ آبَائِهِمْ أُولَئِكَ قَوْمٌ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا فَإِنْ تَطِيعُوا

(١) المعجم الأوسط: ح (٨٥٩٧).

(٢) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/٩٣.

يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ١٦) فالذي قاتل أولي البأس الشديد ممن ذكرتهم هذه الآية؛ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فهو الذي قاتل المرتدين الذي يقودهم مسيلمة الكذاب، وكانوا أولي قوة وأولي بأس شديد؛ حتى انهزموا أو استسلموا أو أسلموا، والله تعالى دعا المخلفين من الأعراب إلى القتال مع من يقاتل أولي البأس الشديد، ووعدهم بالأجر الحسن على ذلك، وهذا دليل على وجوب طاعة الصديق رضي الله عنه، وبما يفحم الذين يجتروا الإفك فيما يكتبون منكرين لإمامة أبي بكر الصديق، فالنبي ﷺ لم يقاتل مرتدين وإنما قاتل المشركين، وخليفة رسول الله قاتل المرتدين، وكذلك قاتل الفرس والروم، وجميعهم أولي قوة وأولي بأس شديد، وانتصر عليهم وأدخل الرعب في قلوبهم؛ فهل ينكر هذا إلا مفضوح بالكذب والنفاق؟! من الذين لا زالوا يعلنون الحرب على يوم السقيفة الذي جاء بأبي بكر خليفة للمسلمين، فهل يستطيع أحد أن ينكر هذا النص القرآني الذي يشهد لسيد بيعة السقيفة أبي بكر الصديق بأنه هو الذي قاتل أولي البأس الشديد، وأن هذا النص دعا إلى طاعة من يقاتل هذا الصنف وأكد على التعاون معه، وهؤلاء لم يقاتلهم إلا جند الصديق الذين تحقق على أيديهم موعود الله لعباده المؤمنين، وقد حذرت هذه الآية المخالفين الخارجين عن الطاعة بالعذاب الأليم، مما يطمس بهتان أعداء الصحابة ومن يتعاون معهم ممن لا زال يجتر باطلهم وبهتانهم؟ فأبو بكر الصديق رضي الله عنه، هو:

أول المعنيين بعد وفاة النبي ﷺ، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١) فما إن استقام أمر الخلافة وعاد جيش أسامة حتى خاض أبو بكر حروب الردة التي انتهت بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كما كان الأمر على عهد رسول الله ﷺ من غير أي تغيير أو تأخير.

وأول من تمسك بكل ما أمر به رسول الله ﷺ، دون أي تبديل بل باتباع واقتداء كاملين، تبين ذلك حين أنفذ جيش أسامة إلى الشام؛ على الرغم من كثرة المطالبين بتأخير إرسال ذلك الجيش، خشية على المدينة من أخطار المرتدين، مع إقرار أسامة قائداً لذلك الجيش كما اختاره

رسول الله ﷺ ، والتمسك بإمارته على الرغم من كثرة المطالبين بتغييره بمن هو أكثر خبرة وأكبر سناً! وكذلك كان ﷺ في قتال المرتدين .

وأول من قال: (وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ)^(١).

وأول من قال: (وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا فَا - أَوْ عَقَالًا - كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا)^(٢).

وأول من قاتل الفرس المجوس بجيوش نظامية من المسلمين، حتى كسر شوكتهم، ونزع هيبتهم، وزلزل أركان دولتهم، كما هو مدون في كتب التاريخ والفتوح والسير وغيرها، وهذا من أهم الأسباب التي جعلت أعداء الصحابة المؤدبين للمجوس يشنون حرب الزيف والبهتان على يوم السقيفة وسيده الصديق رضي الله عنه .

وأول الخلفاء زحف إلى الروم بجيوش المسلمين لإدخالهم في الإسلام، أو إخضاعهم لأحكام الشرع، أو طردهم من بلاد العرب والمسلمين^(٣) وتوفي رضي الله عنه وكانت جيوش الخلافة الراشدة تنشر النور والعدل والرحمة في بلاد الشام وما حولها .

وأول قائد مسلم واجه الروم والفرس ومن تعاون معهم من الأتباع والمنتفعين، أي الغرب والشرق في وقت واحد، وانتصر عليهم في جهاده لهم عسكرياً وأخلاقياً وحضارياً، كما حصل ذلك في معركة الفراض على تخوم الشام والعراق والجزيرة حيث استعان الروم بمسالح الفرس التي كانت قريبة منهم واستمدوا بعض حلفائهم من القبائل العربية التي لم تدخل الإسلام بعد، فهزمهم جند الصديق بقيادة خالد بن الوليد هزيمة تاريخية نادرة لم تحصل مثلها في

(١) صحيح البخاري: قتل من أبي قبول الفرائض، ح (٦٤١٣).

(٢) صحيح البخاري: ح (٦٤١٣) (٦٧٤١).

(٣) ينظر إمام الأمة خليفة رسول الله أبو بكر الصديق حامي الإسلام من الرفضة والردة، ٢ / ١١٨٥ .

موقعة أخرى حيث لم يجتمع الفرس والروم ووثنيو العرب في موقعة واحدة آنذاك سوى في معركة الفراض^(١) وإن كان تعاونهم هذا لم ينقطع على مر التاريخ.

وأول خليفة ورثه والداه، أسلمت أمه قديماً، وهي أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وأبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، فورثه أبواه جميعاً وكانا قد أسلما وماتت أم أبي بكر قبل أبيه، وعاش أبوه بعده ستة أشهر وقيل سنة^(٢).

وأول من لحق برسول الله ﷺ من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. وأول من دُفن مع رسول الله ﷺ بعد وفاته، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) لتكون معية دائمة مستمرة في الدارين الأولى والآخرة.

وأول من تنشق عنه الأرض بعد رسول الله ﷺ من أمته، قال ﷺ: (أول من تنشق عنه الأرض أنا، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فتتنشق عنهم، فأبعث بينهم)^(٣) فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ هم قادة الأمة ووزراء النبي ﷺ، وأفراد موكبه في الآخرة، كما كانوا في الدنيا، فأين يكون مكان من يتبرأ منهم؟! من أولئك الزنادقة الأفاكين؛ الذين يُسمون وزيري رسول الله أبي بكر وعمر بصنمي قريش، ويسمونهم بالجَبْتِ والطاغوت وما ذلك إلا لأنهم وحدوا أمة محمد ﷺ وحفظوا الكتاب والسنة، وأطفأوا نار المجوس، وأخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد! ثم ما هو حال من يدعو إلى محبة أعداء الصحابة؟! المتعبدون بشتمهم والنيل منهم؟! أولئك الذين يخادعون المسلمين باسم فتنة التقريب على حساب أمن الأمة وسلامة عقيدتها، فلا شك أنهم لن يكونوا في مكان واحد، فليحذر الذين لا يباليون مع من يسرون، فيتخالفون مع أعداء أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ ومع الذين ينالون من الصحابة،

(١) ينظر إمام الأمة خليفة رسول الله أبو بكر الصديق حامي الإسلام من الرفضة والردة، ٢/ ١١٦٦.

(٢) المعجم الكبير: ح (٢) المستدرک: (٥٠٦٦) وينظر معرفة الصحابة: من اسمه عثمان، ١٤/ ٦٤.

(٣) المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح: ٤٤٢٩. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فليحذروا أن لا يكون مع الصحابة ولا مع نبيهم ﷺ، ولا في مواكبهم الطاهرة الزكية السائرة إلى الجنة.

فأبو بكر: أول من يدخل الجنة من أمة النبي ^(١) قال ﷺ: "أخذ جبريل بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي، فقال أبو بكر: يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أراه، فقال النبي ﷺ: (أما إنك أول من يدخله من أمتي) ^(٢).

وأبو بكر: الأول في كل موقف محمود، ومشهد مرموق بعد النبي ﷺ، فلا يذكر خير إلا وهو يطرق بابه، ولا مجد إلا وهو آخذ بناصيته، والناظر في سيرته رضي الله عنه، يجد يده بيد صاحبه ﷺ، وقدمه على قدمه، فهو الموافق لرسول الله ﷺ في كل ما قام به في حياته، وهو المحقق كل ما أمر به ﷺ بعد وفاته، وهو الذي كان ينظر بعين النبوة إلى كل ما يحيط بالأمة من أحداث فلم تنزله الملئآت، ولم تشغله التمردات الرافضة لخلافته والمبطله للزكاة، ولم يتهيب فارس المجوس ولا صليبية الروم، بل علم الأمة كيف تكون جرأة المؤمنين على الظلمة والمتجبرين من الوثنيين والمشركين، ومن يتعاون معهم من الرافضة والمرتدين، ولم يرض بموقف لا تكون أمته في القمة من أمجاده بطولة وفداء، وهي السيدة عليه في القيم والأخلاق والرحمة والوفاء، فحقق في فترة خلافته القصيرة من الإنجازات التي يعجز عن القيام بجزء منها عمالقة القادة وأكابر المهويين، مما أوغر عليه قلوب أعداء الصحابة الذين لا زالوا يشنون حملات الإفك والبهتان والتزييف على يوم السقفة وما حقق للأمة من ثمار يانعة هنية، حفظت الهوية، وصانت العقيدة ووحدت الأمة، فجزاه الله عن دينه ونبيه وأمته؛ بخير ما جزى الصديقين عن أنبيائهم ودينهم وأممهم.

فالصديق رضي الله عنه هو الأول عند أمة الكتاب والسنة بلا منازع، وهو قائدها وإمامها بعد رسول الله ﷺ، لا ينكر هذا إلا من زاغت عقيدته، وضل طريقه، ومات ضميره، وأظلم

(١) أبي داود: السنن، أول كتاب السنة. باب في الخلفاء، ح (٤٦٥٢).

(٢) المستدر: باب: أبو بكر الصديق (٤٤٤٤) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وجدانه، ولقد علم أعداؤه بأنه الأول فهم حين يذكرونه يسمونه الأول على الرغم من كل أحقادهم التي تغلي في صدورهم عليه رضي الله عنه.

فها هم أعداء الصحابة الذين حاربوا مرجعية الكتاب والسنة، ورفضوا خلافة أبي بكر الصديق وافتروا الأكاذيب على يوم السقيفة، وتمنوا ولازالوا يتمنون لو أن مسيملة الكذاب وجنده المرتدين انتصروا على الصحابة، لكي لا ترتفع راية التوحيد والفتوح وأمجاد المسلمين في العالمين، ولكي لا يسجل لهم التاريخ ما نشره بين الناس من العدل والعلم والرحمة في أيام أبي بكر الصديق التي كانت أعظم ثمار يوم السقيفة، فأولئك الماكرون وعلى الرغم من كل أحقادهم على أبي بكر الصديق؛ فإنهم لا زالوا يسمونه: الأول فهو الأول عند الرافضة الحاقدين، الذين يسرهم التعاون مع المرتدين والغزاة المعتدين؛ لإسقاط خلافة رسول الله ﷺ من قلوب المؤمنين، ولكنهم على الرغم من جحودهم لخلافته! فإنهم إذا ذكروه في كتبهم قالوا عنه الأول، وهم يقولون ذلك في الذم والشتم، وإذا ذكروا الفاروق قالوا عنه: الثاني، فالأول الصديق والثاني الفاروق رضي الله عنهما على السنة أعدائهم وفي أمهات كتبهم، وهذا مفصل في آداب زيارة عاشوراء عندهم، حيث يبالغون في شتم الشيخين رضي الله عنهما ويسمونهما الأول والثاني، لتشهد ألسنتهم على تناقضهم، وليتبين للناس أن الله تعالى أبى إلا أن يظهر زيفهم، ويوقعهم في شرّ مكرهم، فهم يقولون عن أبي بكر: الأول ويعترفون بأنه الأول، لكنهم يصرون على انتقاصه وشتمه رضي الله عنه، وما ذلك إلا لأنهم ناصبوا الكتاب والسنة ومن نصرهما؛ حقداً وبغياً وظلماً وتزييفاً، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (البروج: ٢٠).

فيتأكد مما سبق أن مكان السقيفة معلوم مرموق، وأن مكانتها عند المسلمين كانت سامية مشهورة، وأنهم كانوا في حياة النبي ﷺ؛ يجلسون ويتحدثون فيها، وأن ذلك مما اعتاده الصحابة رضي الله عنهم.

وتبين أن مكانة الصديق رضي الله عنه كانت معلومة لديهم جميعاً لا يختلف عليها اثنان، وذلك لما شاهدوا من موافقه ومن خصوصياته عند النبي ﷺ ولما يستنبطونه من نصوص الآيات

والأحاديث التي تنوه بمكانته، وترشد إلى طاعته، وتحمّد خلافته رضي الله عنه، وتبين أنّ كل من يناهض بيعة السقيفة إنّما هو من أنصار أعدائها المرتدين والمنافقين، ذلك أنّ الناس انقسموا بعد وفاة النبي ﷺ تحت رايتين، راية أبي بكر التي ارتفعت ببيعة الصحابة لها يوم السقيفة، وراية مسيلمة الكذاب ومن تعاون معه من المرتدين المكذّبين لرسالة النبي ﷺ، ومن هنا تأتي خطورة من يرفض خلافة الصديق رضي الله عنه، ذلك أنّه لا مكان لرافض بيعة السقيفة إلاّ تحت راية مسيلمة الكذاب، فالباحث المتابع لا يجد بعد وفاة النبي ﷺ إلاّ رايتين! راية المخبتين المتواضعين المؤمنين، أصحاب رسول الله ﷺ، وراية المفسدين الماكرين المتعالين على الناس، المحاربين للصالحين والمفترين عليهم الأباطيل والأوهام، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣) وهذه العاقبة الطيبة هي التي تحققت لأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، الذين أنجزوا بيعة السقيفة بكل أخوة وصدق وأمانة ووفاء، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أرد على شبهة أعداء الصحابة ٤. في المملوق ﷺ نرويت مقالة أعجبتني
 إنّ مما يلفت النظر ويثير الاهتمام استهداف أعداء الصحابة لبيعة السقيفة وأخبارها والعمل المستمر على تشويه وقائعها وتزييف إنجازاتها وتسفيه أئمتها وقادتها، وطمس معالمها وقلب حقائقها، وتأليف الكتب ونشر المقالات والندوات وإنشاء المواقع والفضائيات التي تعلن الحرب وبكل أشكالها على بيعة السقيفة وإنجازتها الفذة، وتعمل بكل طاقاتها على إقصاء وطمس كل معلومة صحيحة عنها، وتثقيف الفرق الرافضة لبيعة السقيفة ومن يسمع لهم؛ على أنّ يوم السقيفة هو أساس مصائبهم وموطن هزيمتهم، وأنّ على جميع أعداء الصحابة الاستنفار وعلى الجهات كافة لنشر ثقافة الكراهية والتحريض وحب الانتقام المبني على أخبار مكذوبة وصفات مقلوبة، أكدوا فيها على غوغائهم أنّ نتائج تلك الثقافة لا تظهر إلاّ بزرع الشك بالكتاب والسنة، وتشجيع الشتم واللعن والطعن والافتراء على الصحابة رضي الله عنهم!! فأصبح أس

معتقداتهم، وقواعد ثقافتهم، وحصاد طقوسهم، يقوم على صناعة الضد المفترى لفضائل الصحابة، ومناقبهم الصحيحة، وصناعة المعايير ووضع المثالب عليهم، لتشويه سيرتهم الناصعة النقية! في غارة شعوبية مجوسية سبئية رافضية، مستمرة في تضليلها وتغذية أحقادها، والنفخ في زوابعها، منذ أربعة عشر قرناً، يعينها على التوسع والالتفاف على الحقيقة، كثرة المداهين والمتنفعين، وغياب الجهد الجماعي المواجه لهذه الغارة العمياء، وعدم التعامل معهم بالمثل عند أهل السنة، حتى أصبح أبناء الأمة غرباء في أوطانهم! ونوابت هذه الفرق الهدامة هم المتصرفون في أكثر شؤون الأمة، في حالة من العجز والغفلة والتفريط وموت الحمية على الدين، عند عامة أبناء أمة السنة والجماعة في هذا العصر، إلا من رحم الله تعالى.

وهذا بقدر ما يثير الغرابة والريبة والاشمئزاز والأسى، فإنه يؤكد وجوب التصدي الجماعي الشامل لهذه الأحقاد المتأصلة في قلوب أعداء الصحابة على بيعة السقيفة وكل ما له صلة بها، ذلك أن إنجازات قادتها ومخططاتهم الرشيدة، سدّت على الحركات الشعوبية الرافضية السبئية ومن يتواطأ معهم؛ كل وسائل المكر والتشكيك التي كانوا يروّجون العمل في دهاليزها، وهذا يوجب على كل مسلم محب لرسول الله وأصحابه وآل بيته رضي الله عنهم، أن يجعل من أولى اهتماماته نشر حقيقة اجتماع يوم السقيفة، وتفسير كل موقف أو كلمة حصلت في ذلك الاجتماع على الوجه الصحيح، والإشادة بإنجازات ذلك اليوم الأغر الذي كان سبباً مباشراً في حفظ الدين ووحدة الأمة، فمن لا يثق بأئمة الأمة يوم السقيفة فإنه لن يثق بأحد من المسلمين، وستبقى مخاطره قائمة وشروره مستطيرة على عقيدة الأمة وأمنها وميراثها المادي والمعنوي، وعلى هذا فإن بيعة السقيفة تعد أحد الموازين التي تظهر على كفتيها حقيقة المواقف وأهلها، فمن يزعم الإسلام فيوم السقيفة من خير أيامه، ومن ادعى الدفاع عن قضايا الأمة فمن بيعة السقيفة تنطلق قضاياها، وعلى آثار الصديق تسير كتائبها، كيف لا ومن يرفض صحبة الصديق يرد القرآن! قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ (التوبة: من الآية ٤٠) ومن يرفض بيعة السقيفة لن يكون إلا في صفوف المرتدين.

ولما كان أكثر مبغضي الصحابة من بقايا المجوس، فإن من يشاركونهم أحقادهم على الصحابة وهو يزعم الانتماء العربي فإنما هذا الانتفاء في الظاهر فقط، وللتمويه والتضليل، لأنّ العربي إذا أبغض سادة العرب أصحاب رسول الله ﷺ، من المهاجرين - وفيهم آل البيت - والأنصار رضي الله عنهم أجمعين، فإنه أسقط عروبتة وفارق معتقد أهل السنّة والجماعة، وأنّ دعوتهم الانتماء العربي أو دعوة محبة آل البيت لمن هذه حاله، إنّما هي وسائل للمخادعة والإيهام، لم نرثها عن سلف أمتنا، فالصحابي من آل البيت مبجل بين الصحابة، والتابعي منهم مبجل بين التابعين، وهكذا على مرّ العصور فال بيت نبينا هم قرة عين أمتنا، ولم يكونوا في يوم بمعزل عن أمتهم وهمومها وشجونها، فمن يريد أن يجعل منهم خصوماً وأعداء لأمتهم ولإخوانهم من المهاجرين والأنصار؛ فهذا مفضوح النوايا خائب المقاصد، فكم من عدو أو عبد لآل البيت وأمتهم أمّة الكتاب والسنّة، وصل إلى حكم كثير من البلاد باسم آل البيت، ثم استخدم كل سلطاته لطمس دين آل البيت وسنّة نبيهم وحرب أمتهم وإقصاء لغتهم؟! ثم يتبين أن بيتهم الذي كانوا يدعون له هو غير البيت الذي يرفعونه شعاراً! وأنه لا صلة لهم بآل بيت النبي الهاشمي العربي! ذلك أنّ هؤلاء المتسلقين إلى الخمس والمتعة والطعن بالصحابة، وإلى كثير من السلطات باسم آل البيت، هم حرب على طهر آل البيت وأمانتهم، وسنّة النبي ﷺ ولغته وميراث أمته، فمن أين يأتي انتسابهم إلى النبي ﷺ وهم يطعنون بزوجاته ووزيريه؟ ويقدمون يوم النيروز عيد النار ويؤرخون بتاريخه؟! مضاهاةً ليوم هجرة النبي وليوم اجتماع أمته في بيعة السقيفة المباركة.

فمن يزعم أنّه عربي ويبغض الصحابة ويريد أن يفرق بينهم وبين آل البيت فهذا انسلخ عن أمته، ومزق هويته، وخرج من نسبه، وتعجم قلبه ودمه، وصار من شرار الناس، لأن شرار العرب هم المتشبهون بالعجم، وخيار العجم هم المتشبهون بالعرب، قال ﷺ: (خِيَارُ عَجَمِكُمْ، الْمُتَشَبِّهُونَ بِعَرَبِكُمْ، وَشَرَارُ عَرَبِكُمْ الْمُتَشَبِّهُونَ بِعَجَمِكُمْ)^(١).

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ١/١٠٧.

وهذا النص يحكم على من يزعم أنه عربي وفي قلبه غل على أحد من الصحابة بأنه من الأشرار أتباع الأعداء، فإذا كان ورثة المجوسية ومن وافقهم يبغضون الصحابة، فربما لأنهم يعتقدون أن الصحابة سلبوهم ملك طواغيتهم من الأكاسرة، وأطفأوا نارهم التي كان عليها مدار معتقدتهم، أما العربي الذي يبغض الصحابة فما مسوغه في كراهِيتهم؟ أيكره الصحابة لأنهم وحدوا الأمة في يوم السقيفة؟ أم لأنهم أفسلوا حركة الردة الجاهلية؟ أم لأنهم أورثوا المسلمين مجد الفتوح؟ ونشر الإسلام في العالمين؟ والقضاء على طغيان المجوس والصليبيين؟!.

فالعربي الذي يبغض الصحابة ما هو إلا من بقايا المنافقين والمرتدين، وإلا فليبحث كل عاقل في صفحات الأحداث السياسية والعقدية ولينظر هل يجد أحداً من العرب خالف الصحابة سوى المنافقين والمرتدين؟! فالذين يقتطعون بعض الألفاظ التي ترد في سياق أحاديث أخبار الأمة، ليموهوا بها على الجهلة وأهل الأهواء، وليستروا فيها أحقادهم وإفكهم، فإنهم من تلك الفرق الهدامة الضالة!.

أما تزييفهم لقول أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه قبيل وفاته، الذي جاء في معرض تحذيره للأمة من النزاع والفرقة، ودعوته إلى الوحدة والشورى، والتمسك بالأخوة والحوار كما تعاون المسلمون وتشاوروا يوم السقيفة، فقال: (... فَلَمَّا سَكَتَ - خَطِيبُ الْأَنْصَارِ - أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَكُنْتُ قَدْ زَوَّرْتُ مَقَالَةً أَعْجَبْتَنِي أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ: وَكُنْتُ أَدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الْحَدِّ فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رِسْلِكَ فَكْرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبْتَنِي فِي تَزْوِيرِي إِلَّا قَالَ فِي بَدِيَّتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا...) (١).

فأول ما يجب أن يعلمه المسلم أن الفاروق رضي الله عنه، لم يتكلم بما كان هياًه وأعدده في نفسه، وهو يستشرف به الأحداث ويستعد لها قبل وقوعها، ويختار في ذهنه الكلمات التي تجمع القلوب

(١) صحيح البخاري: حديث السقيفة، ح (٦٣٢٨).

وتوحد الصفوف، حباً لأمته وخشية عليها من فتن الماكرين، لا كما يفتره عليه أعداءُ بيعة السقيفة وأتباعهم التائهين، الذين يقبلون الحقّ باطلاً وزُراً!!!.

ولكي يعرف المسلم أنّ الفاروق رضي الله عنه كان يمثل القمة في الفهم والصدق والحذر والحرص على السنّة والجماعة، وأنّ من ينال منه إنما هو داعية إلى الردة والفتنة، فإنّه لابد من معرفة معاني كلمة (زورت) في لغة العرب، وهي الكلمة التي أعدها الفاروق في نفسه ولم ينطق بشيء منها، لكي يعلم المسلم حقيقة أعداء الصحابة وزيفهم وبهتانهم.

فكلمة زورت في لغة العرب تعني: (هيأت وأصلحت. والتزوير: إصلاح الشيء.ء. وكلام مزور: أي مُحَسَّنٌ)^(١) و(التَزْوِيرُ: التَّقْوِيمُ والتَّحْسِينُ، ومنه: كَلَامٌ مَزُورٌ. والتَزْوِيرُ: إِكْرَامُ الضَّيْفِ، زَوَّرُوا ضَيْفَكُمْ)^(٢) أي: أكرموه، وجاء في معناها أيضاً: (زورتُ الكلامَ وزوتيه أي هيأته في نفسي)^(٣) و(زَوَّرْتُ الشيءَ: حَسَّنْتُهُ وقَوَّمْتُهُ)^(٤) و(الإنسانُ يُزَوِّرُ كلاماً، أي: يُقَوِّمُهُ قبل أن يتكلم به)^(٥) (وقال الأصمعيّ: التَزْوِيرُ: تَهْيِئَةُ الكلامِ وتقديره، والإنسانُ يُزَوِّرُ كلاماً، وهو أن يُقَوِّمَهُ ويُتَقَنَّهُ قبل أن يتكلّم به)^(٦) وسمع ابن الأعرابي يقول: (كُلُّ إِصْلَاحٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَهُوَ تَزْوِيرٌ. وقال أبو زيد: التَزْوِيرُ: هو التَزْوِيقُ والتَّحْسِينُ. وقال الأصمعيّ: التَزْوِيرُ: تَهْيِئَةُ الكلامِ وتقديره، والإنسانُ يُزَوِّرُ كلاماً، وهو أن يُقَوِّمَهُ ويُتَقَنَّهُ قبل أن يتكلّم به. وَزَوَّرَ الرَّائِرُ تَزْوِيراً: أَكْرَمَهُ. قال

(١) ابن الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي. ٧٩٨/٢. ابن منظور: لسان العرب، ٣٣٧/٤.

(٢) الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة، ٣/٣٠٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٣٦٥.

(٤) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ) الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٦٤٧.

(٥) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (١٠٠-١٧٥هـ)، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢، ١٤١٠هـ، ج٧، ص٣٨٠.

(٦) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٦، ص٤٨٢.

أَبُو زَيْدٍ: زَوَّرُوا فُلَانًا؛ أَي: أَذْبَحُوا لَهُ وَأَكْرَمُوهُ (١) وَ(زَوَّرْتُ الْكَلَامَ: قَوَّيْتَهُ وَشَدَّدْتَهُ) (٢) وَقَالَ
الْأَمِيرُ الْقَائِدُ الْبَطْلُ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ يَرْحَمُهُ اللَّهُ:

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً تَزَوَّرْتُمَا مِنْ مُحْكَمَاتِ الرَّسَائِلِ (٣)

وبعد كل هذه التفسيرات الراقية، والمعاني السامية، لما أراد أن يقوله أمير المؤمنين الفاروق يوم
السقيفة، فهل هناك من هو أذكى وأبهى وأجمل وأسمى منه، ومن مقاصده سوى صاحبه؟ ثم
هل هناك أمكر وأضل وأحقد وأخطر على الإسلام والمسلمين ممن ينال منه ومن صاحبه؟! ولا
سيما بعد أن تأكد القارئ الكريم أن الفاروق لم يقل ما كان هياً وأعدّه وقومه في خاطره، ليقوله
بين يدي قائده الصديق وإخوانه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين، وسحقاً
لأعدائهم ولمن يحسن الظن فيهم من التائيهين والمتنعين.

فيتين أن ما أتقنه واستحضره الفاروق في نفسه ولم يتكلم به، يعد في منتهى الروعة الدالة على
سعة آفاقه ودقة تخطيطه، وقمة عطائه السياسي المبني على حب وحدة المسلمين، وسلامة
عقيدتهم، ولكن لما كان دين أعداء الفاروق قائم على البهتان والزور تركوا مقاصده النبيلة، وما
يجب عليه فعله آنذاك، وأمسكوا بلفظة واحدة من المتشابهة (زورت) من غير أن يفكروا في
معناها! فظنوا لتشابه اللفظ أنها على طريقتهم ومنهج معتقدتهم، فوقعوا في سوء نواياهم
وفضحوا أنفسهم بعدم تفرقتهم بين شهادة الزور التي تقوم عليها أعمدة ثقافتهم، وبين هيات
وأصلحت!! فالفاروق يتكلم بلغة السنة القائمة على الإصلاح والتواصل والإلتقان وذكر محاسن
الآخرين، وأعداء بيعة السقيفة يتكلمون بالزور والبهتان ولغة المعاييب والمثالب! فشتان بين أهل
الإصلاح وأهل الزيف والزور.

(١) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ١/ ٢٩٠٥.

(٢) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، ج ٢، ص ٣٠٣، باب زور.

(٣) ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت ٤٥٨ هـ: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد
هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠ م.

فالفاروق سمى ما قدره وأتقنه كلاماً قبل التلفظ به، ولم يقل: تكلمت، أي أعددت كلاماً وتأملته واختبرته في نفسي كأنني تكلمت به، خشية أن يكون فيه سبباً لفرقة، أو إغضباً لأحد من المسلمين، إذا تكلمت به قبل تزويره وتقويمه، فوزنه في ميزان الشرع والمصلحة والحكمة والسياسة، ولم يدع باباً للشك والظن والشبهة، فبلغ فيما أعدّه في ذهنه منتهى السداد والصواب؛ الذي يستحسنه سامعه ويصدقه وينصره، لقوة حجته، ووضوح برهانه، وإتقان سبكه، وصحة مراميه، وجميل مقاصده، وهذا شأن ذوي التروي والقيادة والعلم والنباهة والحكمة، خوفاً على أنفسهم من وقوع الزلل الذي يأتي غالباً مع العجلة.

فالذي أثار عليه أعداء الصحابة كل هذه الضجة المفتعلة، عبارة عن خاطر خطر في ذهن الفاروق رضي الله عنه ولم يتكلم به! فأوقعتهم أحقادهم الدفينة على الفاروق رضي الله عنه في هذه الفرية الكبرى! التي لا يقع فيها إلا منزوع الفهم والحياء، وفاقد العدل والإنصاف! فملاًوا فيها كتبهم وخطبهم، ومواقعهم الألكترونية، وفضائياتهم الإعلامية! في حملات من البهتان المتعمد، لتزييف الفعل الصحيح السديد الرشيد، المتوافق مع المقام والمصلحة، وحال المسلمين المجتمعين في السقيفة رضي الله عنهم.

فيتضح أن قول أعداء الفاروق قول سمح مفترى مكذوب، مع سبق الإصرار على التضليل الذي يتوافق مع حال أعداء الصحابة، العاملين على تفريق الأمة، وتسعير الفتن بين أبنائها! فضلاً عن مخالفته للحقيقة وللغة آل البيت والصحابة رضي الله عنهم، فتفسيرهم قائم على الوهم والافتراض والتخيل، ذلك أن الفاروق لم يقل شيئاً مما هياه في ذهنه، وأنه اكتفى بما قاله الصديق آنذاك على سجيته سليقة وبداهة، فكان في قوة حجته، ووضوح أدلته، وشمول مقاصده، سبباً كافياً لتسابق المهاجرين والأنصار على بيعته رضي الله عنهم أجمعين، وخروجهم من السقيفة يداً واحدة على أعداء الله ورسوله ﷺ، فيا خزي أعداء الصحابة في الدنيا، لرفضهم الدخول في جماعة المؤمنين، ويا ويلهم في الآخرة من بهتانهم وجحودهم الحق المبين! ولكن مع كل هذه القبائح التي يدين بها أعداء الصحابة، فإنّه لا غرابة فيما يقولون ويفترون ويفعلون، ولكن الغرابة

في من يصدقهم أو يظن أنهم سيعملون في يوم من الأيام ما ينفع أمة الصديق والفاروق رضي الله عنهما، أو يتوافق مع مصلحة المسلمين؟!.

الخلاصة أن النتيجة السديدة الموفقة التي تمت في بيعة السقيفة، فأقرت عيون الموحدين، وأثلجت صدور المؤمنين؛ هي التي جعلت أعداء الصحابة يسبحون في أحوال الكذب والبهتان؛ لعلهم ينالون من رجال يوم السقيفة نيلاً يفرق أمتهم، ويزرع عقيدتهم، فخيب الله مساعيهم، وارتدت سهامهم إلى نحورهم، فسقطوا في هاوية بغض أولياء الله المتقين؛ من الخلفاء الراشدين، والصحابة المكرمين، ومخادعتهم لآل البيت الطاهرين، فأقصوا أنفسهم عن سنة سيد المرسلين، وفارقوا جماعة المسلمين، وراحوا يصنعون سنناً تتوافق مع أهوائهم، وتحاكي أحقادهم على الصحابة، وتعمل على تضليل الناس وصرْفهم عن الحق، وعمّا جاء به النبي ﷺ من الهدى والنور، قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُضْرَفُونَ﴾ (يونس: ٣٢).

أرد على شبيكأت بيعة أبي بكر الصديق ﷺ قاتمة فتمت

فأعداء الصحابة شرُّ ابتليت به أمة القرآن منذ الصدر الأول، فهم يزعمون الإسلام ويتكلمون بما يتكلم به المسلمون، ويلبسون لبوس المسلمين، ولكن لا هم لهم في كل نشاطاتهم سوى البحث عن المعايير والمثالب والشبهات في سير أصحاب رسول الله ﷺ، وفي المتشابه أو فيما لم يثبت، أو فيما صدر عن بعضهم في حالة غضب أو غفلة، أو فجأة، أو وهم، لعلهم يجدون شبهة، فإذا وجدوا شيئاً من ذلك، تنادوا فيما بينهم أن هلمُّوا إلى بغيتكم، فأوقدوا نيران البهتان، واحشوا السرايب بالتلبيس والمكر بأمة أبي بكر وعمر وعثمان، زعزعوا لهم كل حقيقة، وانشروا الشك في كل صحيح، وواصلوا نسيج الردة على ذات المنهج، وانظروا في كل ما قاله المنافقون وابعثوه من جديد! وافعلوا ما يفعله الشياطين للسحرة، حين يسمعون الكلمة من الحقيقة ثم يزيدون عليها مائة كلمة من الكذب والباطل! واجعلوا ذلك ثقافة لكل من في قلبه مرض، ثم جملوا ذلك

الضلال بالحديث عن آل البيت وحقوقهم المسلوبة بزعمهم، وحرّضوا على أهل السنّة والجماعة!
من عصر الخلفاء الراشدين إلى أتباعهم المعاصرين!.

فهذا منهج الرافضة المخالفين في التعامل مع الأمة، فإذا أحسّوا بملل أو فتور أتباعهم أغروهم
بذكر أجر المتعة والمتمتعين، وثواب من يشتم ويلعن أصحاب النبي الأمين ﷺ، وجائزة من يغش
أو يؤذي أو يغدر بأحد من أهل السنّة الغافلين! وهكذا شأنهم في مجالسهم ومدارسهم! حتى
جعلوا من ذلك ديناً تغذيه أحقادهم، وتسقيه أو هامهم، على أمة لا تحرك رسمياً ساكناً، تدرأ به
هذا الشر عن نفسها! فتواجه هذا الخطر الذي تمدد فسرطن الكثير من بلاد المسلمين!.

وإذا أراد الباحث المتجرد أن ينظر في تاريخ أعداء الصحابة الذين يزعمون أنهم من المسلمين،
فإنه لا يجد لهم مشاركة في موقف نبيل من مواقف المسلمين، فهم لم يفتحوا بلداً ولم يهدوا ضالاً،
ولم يجاهدوا محتلاً، وسياستهم قائمة على التحالف مع الغزاة والمحتلين، والعمل بكل الوسائل
على تشويه مناقب الصحابة المكرمين، واللائتقام من أتباعهم بالتعاون مع كل المعتدين على أمة
المسلمين، وتلوّث تاريخ الفاتحين، والطعن بالأئمة المحدثين، والعمل الجاد على إفساد ميراث
الأنصار والمهاجرين، الذي لا يضاهيه ميراث أمة أخرى، لا في رحمته وعدله، ولا في قوته
ونظامه، ولا في نقائه ووفائه! فأصبح أعداء الصحابة فتنة متجددة متلوننة، وشرّاً قريباً، وبلاء
مميّتاً، وجبت مقاومته، وسد جميع منافذه، حفاظاً على وحدة الأمة وأمنها وسلامة عقيدتها، وكل
مقصر في هذا الميدان، إنّما هو مفرط بمصير الأمة وحاضرها ومستقبلها، لا حجة له ولا عذر
تحت أي ذريعة يستتر خلفها!.

ومن جملة شرور أعداء الصحابة؛ غارتهم الحاقدة على بيعة السقيفة، وإجماع المهاجرين
والأنصار على إمامة أبي بكر الصديق! وعملهم المتواصل على تشويه نتاج ذلك اليوم الأغر الذي
تجلت فيه الشورى وتألّق الحوار الأخوي الشرعي، الذي أثمر أرقى بيعة، وأجمل وأقوى نظام
رشيد سديد يقوم على الحوار والشورى، وأنجب أفضقه وأشجع وأحبّ خليفة وقائد للمسلمين،
تمكن بحزمه وجده وخبرته وعميق إيمانه؛ من بعث الأمة من جديد، والسير بها على خطى النبي

ﷺ، وهذا ما أعاظ رافضي الخلافة ومبغضي السنّة وجعلهم يسلكون كل مسلك للتعتيم على بيعة السقيفة وتشويه يومها المشرق المبين.

فلما لم تسعفهم وسائلهم الماكرة في الوصول إلى أمانهم الباطلة، ويثسوا من إيجاد مطعن على بيعة أبي بكر الصديق التي يحوطها إجماع المهاجرين والأنصار، ولغوا في باب الشبهات وارتكاب الموبقات العلمية، وقلب الحقائق وامتهان صنعة الدس والوضع، فشنوا غارات البتر والتزييف والبهتان على خطبة أمير المؤمنين الفاروق، التي كما يجذر فيها من تجاوز أخلاق الشورى والحوار، وقيم التعاون والتمسك بالجماعة، فهجموا على كلمة " فلتة " التي وردت فيها، وقالوا إنّ الفاروق يشك في بيعة الصديق! وهذا من فرط جهلهم، وشدة حقدهم، الذي أعمى بصائرهم عن الفهم والنظر والتدقيق، الذي لو سلكوا مسالكه لوجدوا أنّ نسبة هذه الكلمة ابتداء إلى الفاروق إنّما هي فرية من أباطيلهم التي يدينون بها، كما فعلوا ذلك في كلمة " زورت " ولتبين لهم أنّ هذه الكلمة قالها أحد المسلمين في مكة، ثم نقلت إلى أمير المؤمنين الذي أراد أن يُحذر منها في مكة، فأشير عليه أن يجعل خطبته عنها في المدينة، وهذا ما جاء في الصحيح عن ابن عباسٍ قال: (كُنْتُ أَقْرَى رَجُلًا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَبَيَّنَّا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بَيْمَنِي، وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حَجَّةِ حَجَّهَا، إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ؟ يَقُولُ: لَوْ قَد مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فُلْتَةً فَتَمَّتْ، فَغَضِبَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمُ الْعَشِيَّةِ فِي النَّاسِ فَمَحْذَرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطِيرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطِيرٍ، وَأَنْ لَا يَعُوهَا، وَأَنْ لَا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَأَمْهَلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهَجْرَةِ وَالسُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ

وَأَشْرَافِ النَّاسِ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعِي أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَتَكَ، وَيَضْعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَا وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ (...)^(١).

وبهذا النص الصحيح تفشل أكبر وأوسع هجمة رافضية سبئية، يرددها من ورائهم الغوغاء وأهل الأهواء، على بيعة السقيفة، ويتأكد أن الرافضة يكذبون في نسبتها وفي تفسيرها، ويفترون على الصحابة للطعن والتشويش والتشكيك في أفضل أيامهم بعد وفاة النبي ﷺ، وأن الذي قال: إِنَّ بِيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ كَانَتْ فِلْتَةً؛ هو رجل ينقل عن رجل آخر، فنقلها لأمير المؤمنين عمر فعضب عمر ﷺ حين سمع كلمة فلتة، وكانت السبب وراء خطبته التي جاءت في المدينة فذكر فيها هذه الكلمة، للتحذير والتخويف من تجاوز حق المسلمين في الشورى والحوار والاتفاق، وبهذا يكون ما يملأ به الرافضة كتبهم ونهج بلاغتهم في نسبة هذه الكلمة إلى عمر الفاروق ابتداء إنما هو محض البهتان وصريح الكذب، وأنه لا يجوز السماع إلى شبهاتهم، ولا نقلها بحجة الرد عليها! وأن على أبناء السنة النجباء أن يُبينوا لأمتهم الحقيقة كما هي، من غير شك في حملة الرسالة، وحمأة السنّة، وصنّاع الفتوح.

وشرح معاني ومناسبة كلمة " زورت " و " فلتة " وأمثالها على الوجه الصحيح المتوافق مع الحقيقة ولغة العرب، مع التحذير الدائم والحازم من الركون إلى كتب أو صحافة أو فضائيات من لا يؤمن ببيعة السقيفة، والشك بكل من له أدنى صلة بهم، أو بجمعياتهم وإعلامهم ونواديبهم وفضائياتهم، ولعل مما يجب الوقوف عنده هنا؛ هو بيان وتوضيح معاني كلمة " فلتة " في لغة العرب:

فالعرب تقول: كان ذلك الأمر فلتة، أي فجأة، إذا لم يكن عن تردد ولا تدبر. والفلتة: آخر ليلة من كل شهر، ويقال: هي آخر يوم من الشهر الذي بعده الشهر الحرام^(٢) قال الشاعر:

هاجَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَشْرَاطِ نَافِحَةٌ فِي فَلْتَةٍ بَيْنَ إِظْلَامٍ وَإِشْفَارٍ^(٣).

(١) صحيح البخاري: ح (٦٣٢٨).

(٢) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١/ ٢٦٠. وينظر الزمخشري: أساس البلاغة، ١/ ٣٧٥.

والفَلْتَةُ: آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ أَوْ آخِرُ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ الَّذِي بَعْدَهُ الشَّهْرُ الْحَرَامُ، وَافْتَلَتَ الْكَلَامُ: ارْتَجَلَهُ^(١) وَ (بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا) قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: (أَرَادَ فُجَاءَةً، وَكَانَتْ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا لَمْ يَنْتَظَرْ بِهَا الْعَوَامُّ، إِنَّهَا ابْتَدَرَهَا أَكَابِرُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَعَامَّةِ الْأَنْصَارِ، إِلَّا تِلْكَ الطَّيْرَةَ الَّتِي كَانَتْ مِنْ بَعْضِهِمْ، ثُمَّ أَصْفَقَ الْكُلُّ لَهُ، لِمُعْرِفَتِهِمْ أَنَّ لَيْسَ لِأَبِي بَكْرٍ مُنَازَعٌ، وَلَا شَرِيكٌ فِي الْفَضْلِ، وَلَمْ يَكُنْ يُحْتَاجُ فِي أَمْرِهِ إِلَى نَظَرٍ وَلَا مُشَاوَرَةٍ)^(٢).

وفي نوادر العرب قولهم: إنه لَكَلْتَةٌ فلتة كفتة، أي يشب جميعاً فلا يُستمكن منه لاجتماع وثبته^(٣) وقال الشاعر العربي:

وغارة بين اليوم والأمس فلتة تداركتها ركضاً بسيدٍ عمرد
والعرب تقول عن الذئب: "السيد" وبه سمى الشاعر حصانه، وشبه فرسه في سرعته به بـ
"فلتة"^(٤) والفَلْتَةُ: آخِرُ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ الَّذِي بَعْدَهُ الشَّهْرُ الْحَرَامُ، كَأَخِرِ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ
وذلك أن الرجل يرى فيه ثأره فربما توانى فيه فإذا كان الغد دخل الشهر الحرام ففاتته فيسمى
ذلك اليوم فلتة قال الشاعر:

فسائلٌ لقيطاً وأشياعها ولا تدعنَ واسألنَ جعفرًا
غداة العروبة من فلتة لمن تركوا الدار والمحصرًا
فيقال: كان ذلك الأمر فلتة أي مفاجأة^(٥).

(١) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١/ ٣٥١.

(٢) الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ١/ ٢٠١.

(٣) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، ٩/ ٤٩٤.

(٤) الأزهري: تهذيب اللغة، ٣/ ٣٤٨.

(٥) "العمرد" الطويل. وقال غير الأصمعي: العمرد: السريع. الأخفش: الاختيارين، ٦٧.

(٦) الفراهيدي: العين، ٨/ ١٢٢.

وفي شرح نهج البلاغة يظهر مكر أعداء الصحابة في تفسير هذه الكلمة، حين يشرح ابن أبي الحديد معانيها وما قيل فيها وحوها، فلا يدع شبهةً إلا ويذكرها! ولا مغمزاً إلا ويورده، حتى إذا علم أنه استفترغ ما في جعبته من الشبهات، تظاهر بالجد قائلاً: "إلا أن الإنصاف أن عمر لم يخرج الكلام مخرج الدم لأمر أبي بكر، وإنما أراد باللفظة محض حقيقتها في اللغة، ذكر صاحب الصحاح أن الفلته الأمر الذي يعمل فجأة^(١).

وروي بدل قول الفاروق: (زورت) أنه قال: (رويت) من الرؤية ضد البديهة، ويؤيده قوله عن أبي بكر: فما ترك من كلمة أعجبتني في رويتي إلا قالها في بديهته^(٢).

وقال ابن حجر: كان العرب لا يشهرون السلاح في الأشهر الحرم، فكان من له ثأر تربص، فإذا جاءت تلك الليلة، انتهاز الفرصة من قبل أن يتحقق انسلاخ الشهر، فيتمكن ممن يريد إيقاع الشر به، وهو آمن، فيترتب على ذلك الشر الكثير، فشبّه عمر الحياة النبوية بالشهر الحرام، والفلته بما وقع من أهل الردة، ووقى الله شر ذلك بيعة أبي بكر؛ لما وقع منه من النهوض في قتالهم، وإخماد شوكتهم، فلم ينشأ عن بيعة أبي بكر شر، بل أطاعه الناس كلهم، من حضر- البيعة ومن غاب عنها، فالمراد بالفلته: ما وقع من مخالفة الأنصار وما أراده بعضهم من مبايعة سعد ابن عبادة رضي الله عنه^(٣).

وقول عمر رضي الله عنه في خطبته: "وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر"^(٤) قال الخطابي: يريد أن السابق منكم الذي لا يلحق في الفضل، لا يصل إلى منزلة أبي بكر، فلا يطمع

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج بلاغة الشريف الرضي، ٢/ ٢٣، وذكرها في حوالي عشرين موضعاً من ذلك الكتاب، ويتفنن في تمرير الطعون والشك في بيعة السقيفة، في تدليس خبيث حتى إذا ظن أن زيفه ظهر زعم أن هناك من لا يقبل الشك في بيعة الصديق، بل إنه يشكك فيما لم يشكك به عاقل وهو حب الفاروق للصديق وإخلاصه له رضي الله عنهما كما هو ثابت في سيرتهما وفي الصحيحين.

(٢) ينظر ابن حجر: فتح الباري، ١٢/ ١٤٩-١٥٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن حجر: فتح الباري، ١٢/ ١٤٩-١٥٧، شرح الحديث، (٦٣٢٨).

أحد أن يقع له مثل ما وقع لأبي بكر من المبايعة له أولاً في الملاء اليسير، ثم اجتماع الناس عليه، وعدم اختلافهم عليه، لما تحققوا من استحقاقه، فلم يحتاجوا في أمره إلى نظر، ولا إلى مشاوره أخرى، وليس غيره في ذلك مثله، لما اجتمع فيه من الصفات المحمودة من قيامه في أمر الله، ولين جانبه للمسلمين، وحسن خلقه، ومعرفته بالسياسة، وورعه التام، ومن لا يوجد فيه مثل صفاته، لا يؤمن من مبايعته عن غير مشورة الاختلاف الذي ينشأ عنه الشر، وعبر بقوله: تقطع الأعناق لكون الناظر إلى السابق تمتد عنقه لينظر، فإذا لم يحصل مقصوده من سبق من يريد سبقه، قيل: انقطعت عنقه، وقال ابن التين: هو مثل يقال للفارس الجواد تقطعت أعناق الخيل دون لحاقه.

ومن الشبهات الباردة التي يتمسك بها الرافضة حتى جعلوها من مكونات عقيدتهم، قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، بأنه لم يكن يعتقد وجوب إمامته، ولا استحقاقه للخلافة) وهذا القول الشنيع قاله الرافضة للتشويش والطنع فقط، وهي مقالة لا مطعن لهم فيها، وتدل على سوء نواياهم وقبح مقاصدهم وتعمدهم الخطأ والبهتان!.

وهذه المقالة تدل على ذكاء الصديق رضي الله عنه، ونباهته وسداده، ودقة استشرافه لمستقبل الأمة، أيد ذلك بيعة الأمة بعد وفاته للفاروق دون أي تردد، فكأن الصديق حين أشار على الأنصار أنه يرضى لهم عمر رضي الله عنه إنما كان يقدمه للقادم من الأيام فعلى من في السقيفة أن يعلم ذلك ويرضاه!! أما الصديق رضي الله عنه فهو يعلم أنه لا يوجد مهاجري يقبل التقدم عليه لعلمهم بمكانته وسابقته وعلمه.

قال ابن حجر: والجواب على شبهة الرافضة هذه من أوجه، أحدها: أن ذلك كان تواضعاً منه، والثاني لتجويزه إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وإن كان من الحق له فله أن يتبرع لغيره، الثالث: أنه علم أن كلاً من عمر وأبا عبيدة، لا يرضى أن يتقدمه، فأراد بذلك الإشارة إلى أنه لو قدر أنه لا يدخل في ذلك، لكان الأمر منحصراً فيهما، ومن ثم لما حضره الموت استخلف عمر؛ لكون أبي عبيدة كان إذ ذاك غائباً في الجهاد منشغلاً في فتح الشام، وقد دلّ قول عمر: (وَاللَّهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتَضَرَّبَ عُنُقِي لَا يُقَرَّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِيَّامِي، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ) على

صحة الاحتمال المذكور، واستدل بقول أبي بكر: أحد هذين الرجلين، أنّ شرط الإمام أن يكون واحداً، كما ثبت في النص الصريح الصحيح: (إِذَا بُوِيعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَأَقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا)^(١) قال الخطابي في قول عمر في حق سعد: اقتلوه، أي اجعلوه كمن قتل^(٢) بالإعراض عنه، وذلك حين كان الحوار في السقيفة قبل بيعة سعد لأبي بكر رضي الله عنهم أجمعين، والعرب تقول: قتله الله، أي "دفع الله شره" فلا لوم على العجم وأذنانهم فيما يهرفون ويفترون، ولكن اللوم على من يزعم أنه من أهل السنة والجماعة ثم يتشكك ببهتان الرافضة وأوامهم وأمانتهم الفاسدة.

وبهذه الجولة يتبين المعنى الحقيقي لكلمة فلتة، ويتضح أنّ الفاروق رضي الله عنه لم يقلها ابتداءً، وأنها نُقلت إليه فغضب حين سماعها، ويتأكد أنّ أعداء الصحابة من الرافضة والمستشرقين، ومن يأخذ عنهم، أو يتعاون معهم، إنّها هم أقوام يحملون الغل والحقد على الصحابة رضي الله عنهم، ويفتقدون للموضوعية والأمانة العلمية، وبالتالي لا يجوز أن تؤخذ أخبار السلف وقادة الأمة وأئمتها، عن أحد من الرافضة مطلقاً، ولا عن من يأخذ عنهم، ولا يجوز الثقة بتأويلاتهم ولا حججهم، لأنها لا تخرج عن طور الشبهات المصنوعة، والأحقاد المنقوثة، فلا مصلحة في سماعها ولا في كتابتها؛ إلا من باب التحذير منها، ذلك أن من يبحث عن المعايير والمطاعن على الشيخين، فإنه سيكون أكثر حرصاً على الطعن بأمّتهم، وعلى هذا لا يجوز سماع خطاباتهم ولا فضائياتهم؛ إلا لمن يعلم مناهجهم العلمية المبنية على البهتان والإيهام والتدليس والقذف، ولا يجوز طباعة صحيفة أو كتاب لهم، أو نشر مقال أو مسلسل وما شابه ذلك، لأن عقيدتهم قائمة على الطعن بأصحاب وأزواج رسول الله ﷺ، وموروثهم العلمي بأجمعه موبوء بالإفك والشعوبية والحقد على أمة السنّة والجماعة، ولم تكن ثقافة أمة السنّة والجماعة في يوم من الأيام بحاجة إلى شيء من أخبار وعلوم الرافضة ومن شاكلهم، كيف وهي الأمة التي تمتلك أضخم وأوسع وأصح، موروث علمي ثقافي، موزون مدقق محقق، وهذا يدعو

(١) صحيح مسلم: ح (٣٤٤٤).

(٢) ابن حجر: فتح الباري، ١٢/١٤٩-١٥٧.

إلى التأكيد مرة أخرى على هذه المسألة، التي لا تقبل الاجتهاد ولا التأويل، فمن لا يثق بالشيخين، ولا بالصحيحين، لا يوثق به، ولا يُعوَّل على فهمه ولا على علمه، ولا يؤتمن على أمر من أمور الأمة، بل هو شر متجسد يزرع الشك والريبة، ويذر الفتن! ومن تجاوز هذه الحقائق وظنَّ غيرها، فهو إما جاهل لا يتابع، أو منتفع يميل مع الريح حيث مالت، أو شعوبي متزندق متلبس بالرفض، أو مجاهر بالردة، يعمل على تمزيق وحدة المسلمين، وهدم ميراث أمة السنَّة والجماعة! الذي ورثته عن نبيها ﷺ، وأصحابه الكرام الذين أنجزوا بيعة السقيفة في يوم تجلت فيه الشورى وتألقت الحوار، فرضي الله عنهم، وعمَّن تبعهم بإحسان من قادة هذه الأمة وعامتها إلى يوم الدين.

المبحث الثالث

جدور بيعة الأنصار يوم السقيفة بدأت من بيعة العقبة الكبرى قبل الهجرة النبوية

فإذا ذُكر السمع والطاعة والإيثار فإنَّ الأنصار ﷺ هم أئمة هذه الميادين وسادتها؛ الذين علّموا المسلمين كيف يكون الحب في الله، والبغض في الله، والصبر على تبعات ذلك، ولا يمكن لأي متابع أن يتجاهل أنّ الأنصار ﷺ بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وعلى أن لا ينازعوا الأمر أهله، وذلك قبل أن يهاجر إليهم ﷺ وقبل أن تقوم للإسلام دولة مستقلة، فهم الذين بايعوا على الأثرة، وتقديم الإخوان في الله على النفس في متاع الدنيا وسلطاتها، وإذا كان كثير من الناس يقتتلون على المتاع والزخرف فإنَّ الأنصار ﷺ يكثرون عند المغرم ويقبلون عند المغنم، إثارةً على أنفسهم، وحرصاً على نصره الإسلام، ورضى بها عند الله تعالى، وقد بلغ من حالهم هذا أن النبي ﷺ نوه بذلك لأبي طلحة ﷺ حين دخل عليه في وجعه الذي مات فيه، فقال ﷺ: (أقرىء قومك السلام فإنهم ما علمت أعفة صبر)^(١).

وهذا ما أدركه فيهم أعداء الصحابة، فعملوا بما يستطيعون من البهتان والافتراء وصناعة الأحاديث والروايات التي تطعن بصفاء إيمانهم وعميق إخلاصهم لدينهم وأمتهم، ولتشويه موقفهم السامي يوم السقيفة الذي انقادوا فيه لهدي الكتاب والسنة، ذلك الموقف الذي جعلهم في محل القدوة في العمل بنتائج الشورى وثمار الحوار المبني على الدليل الصحيح المجرد من السعي وراء المكاسب التي يتلبس بها كثير من أذعياء الشورى والحوار في هذا العصر، نصره لأحزابهم وطوائفهم وفرقهم!

فالموقف الأنصاري النبيل الذي اتضح يوم بيعة السقيفة، أغاظ الرافضة والمستشرقين ومرضى القلوب وفاسدي الولاء، وجعلهم يهاجمون الأنصار ويفترون على المهاجرين، لطمس

(١) المستدرک: ح (٦٩٧٣) صحيح الإسناد ولم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح.

ذلك الإنجاز الأخلاقي الحضاري الرائع، الذي مكن من دحر الفتنة، وسحق الردة، وتوحيد الأمة، وأكد الوفاء التام للعهود التي قطعها الأنصار على أنفسهم قبل الهجرة، ولحرمان أمة الكتاب والسنة من العمل الجاد مرة أخرى لإحياء أخلاق المهاجرين والأنصار في الشورى والحوار، ولتلويث سمعة الأنصار، والعمل على زعزعة مكانتهم في نفوس التابعين لهم بإحسان، ولطمس القيم النبوية التي كانوا يخلصون لها في مواجهة الاستبداد، قبل بيعة السقيفة وبعدها، وفاء لرسول الله ﷺ، كل هذا يفعله أعداء الصحابة حرباً على تمسك الأنصار بها في كل أحوالهم، قال جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: دَخَلْنَا عَلَى عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ؓ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، حَدَّثَ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ، سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ﷺ: (دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعَنَا، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا، أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةَ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ؛ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)^(١).

وفي الصحيح أيضاً، قال عبادة ؓ: (بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ)^(٢).

فهذه النصوص الصحيحة تبين لكل عاقل، امتدادات وجذور ولاء الأنصار وبيعتهم لدولة الإسلام، ولأئمتها وقادتها، من غير لبس ولا تأويل يتسلل من خلاله المخالفون وأهل الأهواء، ومعلوم عند عامة المسلمين شروط بيعة العقبة الأولى والثانية وأن النبي ﷺ لم يتعهد للأنصار بشيء من الدنيا لا من زخرفها ولا من سلطانها تبين ذلك في رده على الأنصار الذين بايعوه يوم العقبة الكبرى قبل الهجرة حين (انطلق النبي ﷺ ومعه العباس عمه ؓ إلى السبعين من الأنصار عند العقبة، تحت الشجرة، فقال: ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة، فإن عليكم من المشركين عيناً، وإن تعلموا بكم يفضحوكم، فقال قائلهم وهو أبو أمامة: سل يا محمد لربك ما شئت، ثم

(١) صحيح البخاري: (٦٥٣٢)

(٢) صحيح البخاري: (٦٦٦٠).

سل لنفسك ولأصحابك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله عز وجل؛ وعليكم إذا فعلنا ذلك؟ قال: فقال ﷺ: أسألكم لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا، وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال ﷺ: لكم الجنة! قالوا ﷺ: فلك ذلك^(١).

فهذه شروط بيعة العقبة وهذه جائزتها، فهل هناك أوفى من رسول الله ﷺ؟ وهل هناك أوفى من الأنصار لعهودهم؟ وهل أبقت هذه الشروط بوضوحها وصدقها قولاً لقائل، أو فضاء لمغرض متسلل متقوّل؟ فماذا يريد الرافضة الآثمون الذين ينشرون الباطل؟ ويسوّقون للردة! فهل يريدون أن ينقض الأنصار بيعتهم لرسول الله ﷺ ويخالفون شروطها حاشاهم رضي الله عنهم؟! وذلك حين يتهمونهم بالتأخر عن بيعة أبي بكر ﷺ يوم السقيفة؟! أم يريدون أن يطعنوا بسيد الخرج سعد بن عبادة ﷺ أحد نقباء هذه البيعة وقادتها؟^(٢) أم يريد الآثمون أن يطعنوا برسول الله ﷺ الصادق الأمين؟! أم يريدون كل ذلك؟! إن المتابع لهذه النصوص يعلم يقيناً أنّ كل ما جرى في السقيفة لم يخرج عن هذه الروح السامية المتعالية عن الدنيا، وأن المشوشين على بيعة السقيفة إنما هم من بقية الأحزاب والمنافقين الذين لازالت تحدثهم أمانيتهم المريضة بإمكانية تشويه الصورة الناصعة بالوفاء والعطاء للأنصار ﷺ ولكن أنّى لهم ذلك؟ وهذه النصوص الصحيحة الصريحة تحاصر إفكهم وتفضح بهتانهم، فلا يصدقهم إلا مريض القلب فاسد الإيمان، ولا يقبل رواياتهم المبتوثة في كثير من المصادر التاريخية والأدبية وغيرها، إلا فاقد الولاء للكتاب والسنة!

فما الغرابة بعد معرفة إخلاص الأنصار ووفائهم هذا، أن يكون إنجاز بيعة السقيفة بهذه الروح المتسامية الفائضة الشفافية والرقى، وبهذه السرعة المذهلة، والأخوة المتينة، والانقياد التام للدليل الشرعي، وبعد هذا كيف لا تكون بيعة خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ فلتة من

(١) مسند أحمد: ح (١٧١١٩) تعليق شعيب الأرناؤوط: مرسل صحيح.

(٢) أبو بكر الشيباني: الأحاد والمثاني، (١٨٢٣)

فلتات الدهر التي لا يجود بمثلها، ولا بمثل رجالها وأخلاقهم ووفائهم، وهيبة وجلال إمامهم وقائدهم الصديق الأكبر ﷺ؟.

إن يوم السقيفة كان إنجازات متعددة في إنجاز واحد، وانتصارات كبيرة في يوم واحد، جمعه رجال كانوا يشكلون بمواقفهم دريئة لحماية الأمة وقيم الرسالة، وكانوا هم الرديف الأول لإخوانهم المهاجرين، وفروا لهم كل سبل ووسائل العمل المفضي لإنجاز الوحدة وحماية التوحيد، وتثبيت قيم الكتاب والسنة، والانطلاق نحو الفتوح، فيوم السقيفة كان انتصاراً للعقيدة وللوحدة، وإنجازاً لأرقى قيم الشورى وأخلاق الحوار، التي أسهم في تأصيلها وتحقيق أهدافها على أرض الواقع، عفاف المهاجرين ونباهتهم ونبههم، وروح الإيثار التي تعمر قلوب الأنصار ﷺ، الذين امتلأت قلوبهم بحب الجماعة، والامثال التام لهدى رسول الله ﷺ القائل: (اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشيٌّ كأن رأسه زبيبة)^(١) وقوله ﷺ: (عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ)^(٢).

فالأنصار يذكرون وصايا رسول الله ﷺ لرجالهم وسادتهم في مثل قوله ﷺ لعبادة ﷺ: (عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ وَلَا تَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ لَكَ ... مَا لَمْ يَأْمُرُوكَ بِإِثْمٍ بَوَاحًا)^(٣) ومن سواهم يفي لرسول الله ﷺ؟ وهم أهل الوفاء والصدق؟ وبالقدر الذي يذكرون فيه تلك الشروط الواضحة، فإنهم يعملون كل ما في وسعهم لإنجازها على الوجه المرضي، سعياً وراء جوائزهم الكبرى ألا وهي الجنة! فهل يريد الراضية وإخوانهم من أهل البهتان والضلال، حين يفترون على الأنصار ﷺ أنهم خالفوا المهاجرين ﷺ يوم بيعة السقيفة؟ أن يقايض الأنصار الجنة بلعاعة من الدنيا زائلة؟ فهذه

(١) الجمع بين الصحيحين: (٢٠٨٠)

(٢) صحيح مسلم: ح (٤٨٦٠).

(٣) مسند أحمد: (٢١٦٧٥) (٢٢٧٨٧) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط الشيخين، البحر الزخار مسند البزار: (٢٣٤٦).

النصوص والمواقف لا تسمح لمدلس أن يمرر أي شبهة تنال من موقفهم السامي في بيعة أبي بكر رضي الله عنه، بل كل من يثير الشبهات على بيعة السقيفة يقع تحت سياط هذه النصوص التي لا ترحم شعوبياً ولا مفترياً، حتى تعريهم وتفضحهم أمام جمهور الأمة، وتطبع على أعناقهم بأنهم هم أهل الإفك والبهتان، وعلامتهم في كل عصر وزمان الطعن بالمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فبأي لسان يستطيل ورثة المنافقين وبقايا الردة على أهل الصدق والوفاء، وماذا يجنون من حربهم السرية والمعلنة على المهاجرين والأنصار، وهل أبغض الصحابة عاقل رشيد؟ وهل نال منهم سوى رافضي مفضوح؟ أو شعوبي منبوذ مهتوك؟!.

فالولاء والوفاء، والروح الوثابة التي يتمتع بها الأنصار رضي الله عنهم جعلت مواقفهم، تنبض إخلاصاً لكل ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل ما فيه نصره الإسلام وعز المسلمين، حتى صار الأنصار رضي الله عنهم بمواقفهم تلك حجة على طلاب الدنيا ومكاسبها في هذا العصر، الذي ثبت فيه ومن دون أدنى شك أنه لا عز ولا نصر ولا وحدة ولا سلامة للعقيدة إلا باستحضار قيم وأخلاقيات بيعة يوم السقيفة الذي جمع رجاله بين الوفاء والإيثار والإخلاص والاتباع، قال وائثة بن الأسقع رضي الله عنه:
(خَرَجْتُ مُهَاجِرًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَصَلَّى، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ النَّاسَ بَيْنَ خَارِجٍ وَقَائِمٍ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا يَرَى جَالِسًا إِلَّا دَنَا إِلَيْهِ، فَيَسْأَلُهُ: هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟ وَبَدَأَ بِالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّلَاثِ، حَتَّى دَنَا إِلَيَّ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: وَمَا حَاجَتُكَ؟ قُلْتُ: الْإِسْلَامُ قَالَ: هُوَ خَيْرٌ لَكَ قَالَ: وَتُهَاجِرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ صلى الله عليه وسلم: هِجْرَةُ الْبَادِيَةِ أَوْ هِجْرَةُ الْبَاتِيَةِ؟ فَقُلْتُ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: هِجْرَةُ الْبَاتِيَةِ، وَهِجْرَةُ الْبَادِيَةِ أَنْ تُثَبَّتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهِجْرَةُ الْبَادِيَةِ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى أَهْلِكَ وَعَلَيْكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَكْرَهِكَ وَمَنْشَطِكَ، وَأَثَرَةَ عَلَيْكَ، قَالَ: فَبَسَطْتُ يَدِي إِلَيْهِ صلى الله عليه وسلم فَبَايَعْتُهُ، فَاسْتَنْتَنِي لِي حِينَ لَمْ أَسْتَنْتَنِي لِنَفْسِي، قَالَ: مَا اسْتَطَعْتَ، وَنَادَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَخَرَجْتُ إِلَى أَهْلِي، فَوَافَيْتُ أَبِي جَالِسًا فِي الشَّمْسِ مُسْتَدْبِرَهَا، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِتَسْلِيمِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لِي: صَبَوْتَ؟ فَقُلْتُ: بَلْ أَسَلَمْتُ، فَقَالَ: لَعَلَّ اللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ لَكَ وَلَنَا فِيهِ خَيْرًا، فَرَضِيَتْ بِذَلِكَ مِنْهُ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَهُ، إِذْ أَتَيْتَنِي أُخْتِي تُسَلِّمُ

عَلِيٍّ، فَقُلْتُ: يَا أُخْتُ زَوْدِي زَادَ الْمُرَاةَ أَخَاهَا غَازِيًا قَالَ: فَآتَتْ بَعَجِينَ فِي دَلْوٍ، وَالِدَلْوِ فِي مِرْوَدٍ، فَأَقْبَلْتُ وَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَجَعَلْتُ أُنَادِي: أَلَا مَنْ يَحْمِلُ رَجُلًا لَهُ سَهْمُهُ؟ فَنَادَانِي شَيْخٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: لَنَا سَهْمُهُ عَلَى أَنْ يَحْمِلَ عَقِبَهُ وَطَعَامَهُ مَعَنَا قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: فَبَسَّرَ عَلِيَّ بِرَكَّةٍ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ خَيْرِ صَاحِبٍ، زَادَنِي حَمَلَانًا عَلَى مَا شَارَطْتُهُ، وَخَصَّنِي بِطَعَامٍ سِوَى مَا أَطْعَمَ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا أَفَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا فَأَصَابْتَنِي فَلَانُصُ قَالَ: فَسُقْتُهُنَّ حَتَّى أَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي خِبَابِهِ، فَدَعَوْتُهُ، فَخَرَجَ، فَفَعَدَ عَلَيَّ حَقِيبةً مِنْ حَقَائِبِ إِبِلِهِ، ثُمَّ قَالَ: سُقْتُهُنَّ مُقْبِلَاتٍ، فَسُقْتُهُنَّ مُقْبِلَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُقْتُهُنَّ مُدْبِرَاتٍ، فَسُقْتُهُنَّ مُدْبِرَاتٍ، فَقَالَ: مَا أَرَى فَلَانُصَكَ إِلَّا كِرَامًا قَالَ: قُلْتُ: إِنَّهَا هِيَ غَنِيمَتُكَ الَّتِي شَرَطْتَ لَكَ قَالَ: خُذْ فَلَانُصَكَ يَا ابْنَ أَخِي، فَغَيْرِ سَهْمِكَ أَرَدْنَا»^(١)

أي أراد الأنصاري ﷺ سهم الأجر من الله تعالى وهذه هي مقاصد الأنصار ﷺ وشيمهم التي امتازوا بها، فسمت بهم إلى مواطن القدوة في التضحية والعطاء والبناء، فمن يريد أن يجعلهم طلاب دنيا فإنها يريد أن يناطح الواقع الذي كانوا عليه، في رسم تاريخهم بحسب رغباته، وأن ينوبوا عنه في استبدال الأخوة مع المهاجرين؛ بالفتنة والشغب عليهم، وهذه هي أماني الرافضة التي يبنون عليها ثقافتهم في صناعة المظلوميات الوهمية، تارة باسم آل البيت، وتارة باسم الأنصار، لكن الناظر في كل ما ينفثه أعداء الصحابة من ثقافة الحقد والكرامية في نفوس أتباعهم، فإنه يجد أحقادهم تشمل كل عربي سواء كان أنصاريًا أو هاشميًا، فكم هي أحقادهم على العباس عم النبي ﷺ أو على ابنه عبد الله ترجمان القرآن ﷺ؟! فهذه الوقائع تفرض على أبناء أمة الكتاب والسنة، أن لا يصدقوا أحدًا في قلبه غل على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فمن الذي كان يجارب الصحابة ويبغضهم سوى اليهود والمنافقين ثم المرتدين، وفي هذا العصر- فإن علامة ورثة اليهود والمنافقين هي بغض الصحابة المكرمين ﷺ، فكل من في قلبه حقد على أحد منهم، فإنه من ورثة هؤلاء المحاربيين لله ولرسوله ﷺ، وهذه مسائل لا تقبل تأويلًا ولا تردداً،

(١) الأحاد والمثاني: ذكر وائلة بن الأسقع (٩٢١).

بلغت خطورتها أنها تجعل كل من يداهن الرافضة في صف أجدادهم الذين حاربوا النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ولا عذر لمدلس أو مهزوم يريد أن يكون مطية لأعداء الإسلام، فيسوغ حرب الرافضة السرية والمعلنة على الصحابة والسنة المطهرة وأهلها، فلا يبغض أحداً من الصحابة ﷺ ولا يكذب السنة مسلم صحيح الإسلام.

•وقف الأنصار يوم السقيفة وبيعة أبي بكر الصديق ﷺ

أما موقف الأنصار يوم السقيفة وما حصل من حوار بين أفراد منهم ﷺ مع الصديق والفاروق والأمين ﷺ فإنه لم يخرج عن إشارات وإرشادات النبي ﷺ التي سبق ذكر بعضها، بعد أن اتضحت تلك الإشارات وتبينت لمن كان يجهلها ولمن لم يسمع بها، فموقف الأنصار يوم السقيفة لا يخرج عن باب المشاورة والحوار الهادف إلى تحقيق أفضل النتائج في إدارة دولة المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ ولم يكن أحد من الأنصار الذين تكلموا في السقيفة، يريد الخلافة لمكاسب قومية، أو لمزايا إقليمية، أو لمنافع شخصية، فالحوار الذي دار في السقيفة كان مبنياً على حسابات مشروعة وأهداف نبيلة، ومن تكلم من الأنصار أمثال سعد والحباب بن المنذر رضي الله عنهما، لم يكونا دخيلين على الشورى وإدارة الأحداث في عصر الرسول ﷺ فهما على إدراك تام لنتائج جهاد المسلمين وتبعاته، وأنّ هناك كثيراً من القبائل العربية لا تنظر بارتياح إلى الأنصار ﷺ وجهادهم الذي أزاح كثيراً من عتاة تلك القبائل عن مواقعهم، نصرته لله ولرسوله ﷺ وأنّهم كانوا يرون بعين الإحساس الأمني المبني على تجاربهم أنّ الأمر مع هؤلاء لم ينته بعد، وأنّ الأنصار يجب أن يكون لهم مشاركة مباشرة في إدارة الأحداث، لكي لا يؤخذوا على حين غرة من بعض تلك القبائل، وهذا أمر أقرّه المهاجرون، إلا أنّهم قالوا لإخوانهم الأنصار نحن وأنتم في هذا الأمر سواء، كما سيتبين في موضعه، والمقصود من هذا الكلام أنّ مجلس السقيفة وحوار الأنصار لم يكن نابعاً من أهواء ومصالح، وإنّما له ما يسوغه في حسابات المتكلمين واجتهاداتهم، على أنّ المتابع لحدث اجتماع السقيفة يجب أن لا يغيب عنه في كل مفردة يبحث فيها؛ نوايا ومقاصد أعداء

الصحابة الذين يجعلون من الحبة قبة ويعملون على قراءة الأحداث من منظورهم المنكوس، الذي يعمل على حشر الأحداث في زوايا الفتن والكراهية، لكي يتوافق ذلك مع مقاصدهم الهدامة وثقافتهم الحاقدة.

فالرافضة في موازينهم المطففة ليس للصحابة ﷺ عندهم أي فضل، بل كل صاحب فضل في الإسلام يعده الرافضة شرّاً! ويعملون على مقاومته حتى أصبح عداؤهم للصحابة يمثل أكبر أركان منظومة عقائدهم، ومن زيفهم وحيفهم وتربصهم بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم دائماً يفسرون أعمال الصحابة ﷺ بعكس الحقيقة! فإن اجتمع الصحابة وتشاوروا وتجاوزوا في أمر الأمة، واتفقوا على ما يحفظ هويتها، ويتوافق مع مصالحها وينصر عقيدتها، فإن الرافضة ببهتانهم يُحوّلون ذلك إلى ما هو ضده، فيفترون على الصحابة ﷺ ما يعبر عن نواياهم الفاسدة وأحقادهم الدفينة وأمانهم الهدامة! فإن اجتهدوا ولم يجتمعوا فهم طواغيت مستبدون حاشاهم ﷺ وإن اجتمعوا فإن اجتماعهم لا يخرج عن كونه مؤامرة وتحزباً وسلباً وامتهاناً لآل البيت! وشعار آل البيت هذا معلوم لكل حصيف أنه ليس بيت نبينا ﷺ فهم يكرهون كل ما هو عربي في لغته وعقيدته وأي صلة به! وشعار آل البيت لم يعرف بهذا المنهج الذي يدين به الرافضة إلا بعد سقوط الدولة المجوسية وانهار الحكم في آل البيت الفارسي، الذي كان يمثله عبدة النار، ولو أحبّ الرافضة آل بيت نبينا ﷺ لأحبوا قومه العرب وقادتهم وأئمتهم الصحابة ﷺ، ولغة كتابه العربية ولما دانوا برفض سنته، ونشر الثقافة الشعوبية الحاقدة ضد أمته وصحابته ﷺ فهم دائماً يصورون خير المسلمين شرّاً.

وكل هذا يؤكد على منهجية علمية عملية واحدة تتمثل في أنّ الموقف ممن ينال من الصحابة، هو الحكم عليه بأنه ملوث بإفرازات الثقافات الشعوبية، وأعضاء الفرق الرافضية، وبقايا ورثة الهوية المجوسية، المحاربين للإسلام وللمسلمين، هذا إن لم يكن من تلك الفرق، وهؤلاء يمثلون شرّاً مستطيراً على هوية الأمة وأمنها وعقيدتها! لا يصمت عنهم إلا مخذول، ولا يتعاون معهم إلا مردّول؛ مفرط في هويته وأمن أمته وولائه لعقيدته؟

وعلى القارئ النبوية أن يرصد كل كلمة نابية وموقف مريب أو اتهام أو شغب على الصحابة ﷺ سواء كان ذلك في كتاب أو فضائية أو مسلسل أو مجلة أو غير ذلك، فيضعه في سلة الرفض دون أي تردد، لأن الأنصار أهل الفلاح والكرم والجهد أسمى وأكرم من كل ما يتصوره الرفض الذين لا يبحثون إلا عن السقطات والعورات، وما يقطع وشائج الأخوة والمودة بين المسلمين، فكل ما دونه التاريخ، في تاريخ الطبري وابن الأثير وابن أعثم الكوفي وغيرهم كثير من الكتب التاريخية، فضلاً عن كتب الرفض مثل كتاب تاريخ يعقوبي، وتاريخ المسعودي مروج الذهب، والإمامة والسياسة المدسوس عامته على علماء السنة، ونهج البلاغة المنسوب لأمير المؤمنين علي ﷺ وكتاب وقعة صفين للمنقري الرافضي، وكتاب الردة للواقدي، وكتاب الأغاني للأصفهاني، وكتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الرافضي المعتزلي، وكثير من كتب التاريخ الإسلامي التي كتبها مسلمون فاشتملت في صفحاتها على روايات الرفض من غير أن تعالجها أو تنبه إلى هتان رواياتها!.

فعلى المسلم أن يجعل ميزانه في قراءة الروايات التي تتكلم عن يوم السقيفة، أخلاق الصحابة ونبلهم ودقة ألفاظهم وبعدهم عن التهم والشتم والطعن، فمتى ما وجد القارئ شيئاً من هذه الحوارات الهابطة، فليعلم أنها تعبر عن فساد وانحدر أخلاق أعداء الصحابة، وبراءة الصحابة من كل ما يجرم المروءة ويسيء إلى المحاور، وكل من يشك في هذه القاعدة فما عليه إلا أن يراجع موقفه ومعتقده في أصحاب رسول الله ﷺ أما ما جاء في رواية الصحيح عن وصف أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ للموقف يوم السقيفة، فليعلم أنه جاء في ساعة غضب من أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ، حين بلغه أن هناك من يريد أن يجعل من نفسه مثل أبي بكر الصديق ﷺ! ومعلوم أن هذا عند عمر ﷺ يعد من الموبقات لا تليق بخيار الناس من الصحابة ﷺ فجاء كلامه في خطبته الشهيرة التي ألقاها قبيل استشهاده ﷺ في معرض التحذير والإنذار والتخويف والتهويل من أن يعتقد أحد من المسلمين أنه بمنزلة أبي بكر الصديق ﷺ فيقدم على الدعوة إلى بيعة نفسه من غير مشورة المسلمين، محتجاً بموقف الصحابة من بيعة أبي بكر ﷺ من غير أن يفكر أن أبا بكر ﷺ لا

يقاس به أحد من الناس بعد الأنبياء، وأن ما حصل له من بيعة يوم السقيفة كان لمواصفات خاصة به ﷺ وأن المقارنة به غير ممكنة، وهذا أمر كان يعاقب عليه عمر ومن بعده علي رضي الله عنهما، فأبو بكر ﷺ لا يُقارن بأحد من الناس بعد النبي ﷺ بل هو فلتة من فلتات الزمان التي لا يوجد بمثلها مرة أخرى، لذلك لا يحق لأحد من الصحابة ﷺ مهما سمت منزلته أن يُجيز لنفسه ما أجازه المسلمون لخليفة نبيهم ﷺ الذي كانوا يتسابقون على بيعته، ويتنافسون في طاعته، وبيتغون من التقرب إليه رضي رسول الله ﷺ وتنفيذ وصاياه ﷺ التي أشارت وأرشدت وألحت على تقديم أبي بكر وطاعته وحمدت السابقين إلى ذلك ونوهت بفضلهم وصواب مواقفهم، وهذه رواية الصحيح توضح الموقف بعد وفاة النبي ﷺ فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ (أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْحِ قَالَ إِسْمَاعِيلُ: يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ، فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ قَالَ بَأْبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُدَيْقُكَ اللَّهُ الْمُؤْتَبِينَ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رَسُولِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمَدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِيَّاهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَن يَصَرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤) قَالَ: فَتَشَجَّ النَّاسُ يَبْكُونَ، قَالَ: وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَنَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَتَكَلَّمَ حَتَّى أَبْلَغَ النَّاسَ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَ لَنَا مِنْكُمْ أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لَا وَلَكِنَّا الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا فَبَايَعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ

بَنَ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ عُمَرُ بَلْ تُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ فَقَالَ قَائِلٌ: فَتَلْتُمُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فَقَالَ عُمَرُ: قَتَلَهُ اللَّهُ... قَالَتْ - أم المؤمنين -: فَمَا كَانَتْ مِنْ خُطْبَتَيْهِمَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلَّا نَفَعَ اللَّهُ بِهَا، لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ النَّاسَ وَإِنَّ فِيهِمْ لِنِفَاقًا، فَردَّهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، ثُمَّ لَقَدْ بَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ الْهُدَى، وَعَرَفَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَخَرَجُوا بِهِ يَتْلُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ... الْآيَةُ﴾^(١).

فهذا النص واضح في أن ما يتداوله الرافضة والمستشرقون ومن هو على شاكلتهم، من تهم للصحابة بالتناحر والخلاف يوم السقيفة، ما هو إلا بهتان وافتراء على الصحابة ﷺ يؤكد ما جاء في هذا النص الصحيح من أدب جم يتعامل به الصحابة فيما بينهم، وأن الأمر لم يزد عن عرض وجهات نظر كل منهم بالحوار والتشاور، حتى استقر الأمر على بيعة أبي بكر ﷺ بالاتفاق والإجماع، وهذا الاتفاق والإجماع هو الذي أغاظ الرافضة، فراحوا يفترون الأباطيل المكشوفة لتوافقها مع أخلاقياتهم المبنية على الوهم والإفك، فتناقلها المستشرقون ومن في قلبه مرض من الكتاب والمؤرخين والإعلاميين فأسهموا في نشر الباطل المخالف للنصوص الصحيحة ولأخلاقيات وآداب وقيم الصحابة ﷺ.

وفي هذا النص أن الفاروق ﷺ أصابه الدهول من هول الصدمة وأنه لم يستوعب أن النبي ﷺ قد توفي، وظن أن من يتحدث بذلك إنما هو من المرجفين، معتقداً أن النبي ﷺ لم يميت، بناء على أدلة يحفظها لم تكن متوافقه مع الحقيقة كما أشار هو ﷺ إلى ذلك في اليوم الثاني يوم البيعة العامة، عن أنس ﷺ: (أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الْآخِرَةَ حِينَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَذَلِكَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَشَهَّدَ وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، قَالَ: كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَدْبُرْنَا - يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرَهُمْ - فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ هَدَى اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَانِي اثْنَيْنِ فَإِنَّهُ أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ

(١) صحيح البخاري: ح (٣٣٩٤).

بِأَمْرِكُمْ فَقَوْمُوا فَبَايَعُوهُ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَتْ
بَيْعَةُ الْعَامَّةِ عَلَى الْمُنْبِرِ^(١) فكان موقف عمر رضي الله عنه عارضاً سرعان ما تخلى عنه حين سمع أبا بكر رضي الله عنه .
لكن الرفضية كما هو متفق عليه عنهم، لا يدعون فرصة فيها مجال للفتنة تمر دون أن يمتطوها
لصناعة البهتان وإلصاقه بأمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه واتهامهم له بأنه كان يفتعل ذلك
الموقف، كما فعل ذلك المفتري الرفضي رضا مظفر في كتابه الزائف عن السقيفة^(٢) وهذا إن دلَّ
على شيء فإنما يدل على أصالة التصنع والإيهام والخداع في عقيدة أعداء الصحابة حتى حملهم
ذلك على رمي الآخرين بما هم عليه من التلبس والتدليس، وتصنع البكاء والحزن والطم في
المناسبات السياسية التي حولوها إلى مناسبات دينية يضخون من خلالها في عقول وقلوب أبناء

(١) صحيح البخاري: ح (٦٦٧٩).

(٢) الرفضي محمد رضا مظفر: السقيفة المطبوع في قُم، ص ١٤٣. وهناك كثير من أمثال هذا الرفضية-تحدثوا عن
السقيفة فطمسوا كل ما جاء فيها من قيم الأخوة والشورى والحوار والاحتكام إلى الأدلة الشرعية، وراحوا يبحثون
عن بعض الألفاظ التي تحمل أكثر من وجه لينفخوا فيها أباطيلهم وأمانيتهم، وليحجبوا عن الأمة فقه بيعة السقيفة
الذي يمثل أسمى فقه في السياسة والشورى وإدارة الأزمات الكبرى، فلم يدع الرفضية ومن يأخذ عنهم كتاباً ولا
مناسبة إلا وحاولوا دس البهتان فيها على بيعة السقيفة، ثم ذهبوا إلى الآيات والنصوص التي وردت في المناقشين
وإخوانهم ممن مثل سلف الرفضية وأعداء الصحابة من اليهود والمنافيين فأسقطوا تلك الآيات والنصوص على
الصحابة رضي الله عنهم ليردوا القرآن الذي يثني على الصحابة والنصوص النبوية التي تنوه بقضائهم ومناقبهم وتفضح
أعداءهم، وهذا المنهج المنكوس الفاسد تأثر به بعض من كتب بنية الدفاع عن يوم السقيفة فأحسن في كثير من
صفحات كتابته، لكنه جعل كتابه سفينة لحمل بهتان الرفضية وعرضه على أهل السنة، ثم العمل بعد ذلك على الرد
عليه بعد ترويجه، وهذا منهج لا يأتي بفائدة لأن مجرد نقل روايات الرفضية يعطيها قيمة وكأن لها أساساً من الصحة،
وهذا يمثل شهادة زور، لا ينبغي لعاقل أن يخوض فيها، فعلى الحضيف من أهل السنة ممن يتصدى لأباطيل الرفضية أن
لا يُشرع باطلهم بنقله في كتبه، فيكون بذلك كمن يقول لقرائه من الممكن أن يكون السراب ماء، وثقافة الرفضية
ورواياتهم فاقدة للشرعية العلمية، فلم تزد في يوم من الأيام على أنها فن من فنون البهتان وثقافة الكراهية، التي
صنعوها لأتباعهم لكي يعلموهم كراهية السنّة وأهلها، فعلى من يرد على أباطيل الرفضية أن يُضمن ردوده ما يبطل كل
ما يثرونه من غير أن يكون سبباً في نشر باطلهم ونقله إلى أبناء أمته فيضرب من حيث يريد النفع، وفي نشر الحقيقة المجردة
إبطال لسحر الرفضية ومن يشاركهم البهتان على الصحابة رضي الله عنهم.

ملتهم ثقافة الحقد، ويجددون الكراهية وحب الانتقام من أهل السنّة لإسهام أجدادهم الصحابة
ﷺ في تحرير الناس من عبادة النار وطواغيت المجوس! ومثل ذلك تلقفهم لقول الفاروق ﷺ:
(هَيَأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي) وفي روايات (زوّرت) وقد جاء الرد على هذه الشبهة مفصلاً تحت
عنوان معنى قول: (زورت) فأعداء الصحابة لا يرون إلا الفتنة وما يقرب إليها من قول أو فعل
أو عمل، فيقتطعون النصوص ويحرفون توجيهها ويضيفون إليها ما يبدل معناها ويغير محتواها
وهذه منهجية ثابتة في تعاملهم مع الصحابة فلا يصدقهم عاقل ولا ينقل وينشر بهتانهم بحجة
الرد عليه إلا ساذج ذلك أن هدفهم هو نشر الشبهات، فعندما يشاركونهم بعض الكتاب نشر
أباطيلهم بزعم الرد عليها، فإنما يحقق بذلك مبتغاهم ووقع في شركهم، فكل ما يصدر عنهم
بحق الصحابة مردود إن كان صحيحاً وهذا لا يحصل إلا نادراً فالكاتب المسلم غني بما في
الصحاح عن مثل هذا، وإن كان كذباً وهذا هو المعمول به عندهم، فما أغنى المسلم أن يشارك
أعداء الصحابة في نقل الباطل والبهتان وما يسيء إلى أئمة الأمة ورموزها.

أما خليفة رسول الله ﷺ الصديق ﷺ فقد اتضح في ذلك اليوم لكل منصف أسباب تمسك
النبي ﷺ به وحرصه الشديد على إثبات إمامته ﷺ وذلك بصلاته إماماً بالمهاجرين وفيهم آل
البيت ﷺ والأَنْصار من الأوس والخزرج ﷺ، واتضح مقامه وثباته وإمامته وقيادته وتميزه عن
غيره من إخوانه الصحابة ﷺ حين أعلن بجرأة لا نظير لها وثبات لا يتزعزع وفاة حبيبه وصاحبه
رسول الله ﷺ وحين وجد من لا يريد أن يصدّق الخبر لشدة وطأته على قلوبهم المتعلقة برسول
الله ﷺ جاءهم بالأدلة التي لا يمكن الرد عليها ولا تأويلها، وذلك حين قال كلمته: (من كان
يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت) فأيقن المسلمون جميعاً
بهذه الحقيقة التي لا يريدون تصديقها، فاضطرب كثير منهم؛ فمنهم من دُهِش فحولط، ومنهم
من أقعد فلم يُطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية،
كما حصل مع عمر الفاروق ﷺ وما ذلك إلا لشدة تعلقهم برسول الله ﷺ وعميق حبهم له ﷺ.

وبهذا الموقف العظيم من أبي بكر رضي الله عنه استيقظ عامة المسلمين من هول الفاجعة، ولا سيما بعد أن تلا عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤) فانطلق المسلمون يتلمسون مهامهم وواجباتهم بعد الذي سمعوه من قائدهم وإمامهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلموا أنه لا بد من غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه ودفنه، يجري عليه ما يجري على البشر في شأن الحياة والموت، وعلموا أنه لا بد من اختيار خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله ومتابعة ما بدأ به صلى الله عليه وآله فانشغل بعضهم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وبعضهم جلس في المسجد فيما بين مصلِّ وداعٍ وتالٍ لكتاب الله، وما بين باكٍ ومتألِّم على فراق النبي صلى الله عليه وآله ووافق ذلك أن كان سعد بن عبادَةَ الخزرجي رضي الله عنه مريضاً يرقد في سقيفته سقيفة بني ساعدة التي طالما كانت ملتقى الأنصار وغيرهم من المسلمين، فتحدثوا بمسألة خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا أمر تحدث فيه كل مسلم آنذاك إن لم يكن مع جلسائه فمع نفسه، إذ إن ذلك يشغل بال جميع المسلمين، وخلال ذلك الحديث اقترح البعض ترشيح سعد بن عبادَةَ سيد الخزرج لهذا المنصب، وهؤلاء لم يتنبهوا إلى ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله ونبه عليه قبيل وفاته صلى الله عليه وآله وهو تقديم أبي بكر رضي الله عنه إماماً في المسلمين، ولم يسمعوا قول النبي صلى الله عليه وآله: (الأئمة من قريش) فلم يتنبهوا لتلك الإشارات والإرشادات النبوية بشأن خلافته صلى الله عليه وآله:

وقال آخرون من الخزرج إنَّ هذا الأمر في قريش، وهم ممن تنبه لإشارات النبي صلى الله عليه وآله وترغيبه في تقديم صاحبه الصديق رضي الله عنه وآخرون قالوا للمهاجرين: اقضوا أمركم ولا حاجة لاستشارة الأنصار فيه، وهذا سمعه الصديق والفاروق والأمين رضي الله عنهم وهم في طريقهم إلى السقيفة، حين التقوا برجلين صالحين من الأنصار: (فَقَالَا لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَقْرُبُوهُمْ اقضُوا أَمْرَكُمْ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ فَنُطَلَّقَنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ)^(١) وآخرون لم يتكلموا بشيء من هذا، وهذا هو عامة ما كان عليه أمر الأنصار رضي الله عنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مما يؤكد أن أمر اجتماعهم في السقيفة

(١) صحيح البخاري: ح (٦٣٢٨) وينظر ابن تيمية: الخلافة والملك، ٥٥. هناك من قال بأن خلافة الصديق جاءت بالنص الخفي، منهم الحسن البصري، ومنهم من قال بالنص الجلي، قال ابن حزم: وبهذا نقول: ينظر الفصل: ١٠٧/٤.

ليس له إلا الدوافع الطيبة المحمودة، المتوافقة مع سيرتهم وحرصهم على مصلحة الإسلام والمسلمين.

وما إن وصل المهاجرون الثلاثة رضي الله عنهم إلى السقيفة حتى بدأوا الحوار والتشاور مع إخوانهم الأنصار رضي الله عنهم حول مسألة الخلافة التي كان لا بد لهم من التهاور فيها، وفي ذلك اليوم وتلك الساعة! سواء اجتمع الأنصار أو لم يجتمعوا! ذلك أن أمر الخلافة يعني الجميع بكل أبعاده، وبعد بدء الحوار تبين من خلاله أن الأنصار ليس لديهم موقف مسبق، ولا رأي موحد حول الخلافة ومرشحها، وهذا يدحض حجج دعاة الفتن ومن لا زال يحاول الاصطيد في الماء العكر، فأدلى المتحاورون بما لديهم من أفكار واقتراحات، ولم يترك من تلك الآراء والمقترحات أمر إلا وأصغى المهاجرون له، وردوا عليه الرد المناسب له شرعاً ومصلحة، فلم تثبت الآراء التي تحدث بها متحدثوا الأنصار رضي الله عنهم لأنها كانت مبنية على اجتهادات شخصية، وحسابات سياسية أو عسكرية لم تكن دقيقة في كل تفاصيلها، وسرعان ما بدد المخاوف منها ومن تبعاتها، أئمة الأمة وقادتها الصديق والفاروق والأمين رضي الله عنهم وكلما سمع الأنصار من إخوانهم المهاجرين رداً وتوضيحاً لما كانوا يطرحونه على مائدة الحوار، كلما تبخرت هواجسهم، وتبددت مخاوفهم على مصير دعوتهم، وازادوا طمأنينة على مستقبل الإسلام والمسلمين، لما كانوا يسمعون من إجابات وتفصيل تجاوزت ما كان يقدمه خطباء الأنصار.

ومما أسهم في حسم مسألة الحوار واختصار تفاصيله أن الأنصار رضي الله عنهم لم يكونوا مجمعين على رأي واحد في مسألة الخلافة، ولم يستندوا فيما قدموه من أفكار إلى أدلة شرعية من نصوص الكتاب والسنة، كما سيتضح ذلك، ولا إلى مشروع متكامل يعالج مسألة الخلافة ومستقبل الأمة، وعامة ما احتجوا به هو تخوفهم على مستقبل الإسلام، وجهادهم وتضحياتهم ومكانتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كله متفق عليه، لم يكن بحاجة إلى حوار لأنه معلوم عند المهاجرين ويعترفون به ويشكرون للأنصار مساعيهم وجهادهم وإيوائهم، وهذا ذكره الصديق رضي الله عنه في حوار، وأكد على تفاصيله إلى حد لو تكلم به أحد من الأنصار لما استطاع أن يقوم به المقام الذي قامه أبو بكر

الصدّيق ﷺ، ومن هذه الزاوية كان القبول التام عند المهاجرين والأنصار ﷺ لكل ما طرحه أبو بكر الصدّيق ﷺ في السقيفة لقوة حجته، وبيان أدلته الشرعية، وصدق منطقته، ونبيل غايته، وعميق رحمته، وشمول مقاصده، حتى قال عمر ﷺ في خطبته قبيل وفاته، واصفاً موقف الصدّيق البطولي المذهل يوم السقيفة معجباً به، قال: (تُمْ تَكَلَّمُ أَبُو بَكْرٍ، فَتَكَلَّمُ أَبْلَغَ النَّاسِ) (١).

ولما كان لقاء السقيفة له ما بعده من نتائج حاسمة، وأن من نجا منه نجا من أول فتنة حذر منها رسول الله ﷺ في قوله: (ثَلَاثَةٌ مَنْ نَجَا مِنْهَا نَجَا: مَنْ نَجَا عِنْدَ قَتْلِ مُؤْمِنٍ فَقَدْ نَجَا، وَمَنْ نَجَا عِنْدَ قَتْلِ خَلِيفَةٍ قُتِلَ مَظْلُومًا وَهُوَ مُصْطَبِرٌ يُعْطَى الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ فَقَدْ نَجَا، وَمَنْ نَجَا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ فَقَدْ نَجَا) (٢) وأن الصحابة ﷺ باتفاقهم والتفافهم حول إمامهم الصدّيق ﷺ نجحوا في أصعب امتحان يمرون به، استاء من ذلك أعداؤهم في الماضي والحاضر، فجعلوا من بيعة السقيفة غرضاً لسهامهم، وميداناً لأباطيلهم، يقذفون أهل السقيفة بما يدور في أدمغتهم من خيالات، وما في قلوبهم من وساوس وأمانى، فيطعنون بحملة الدين وحماته وأنصاره، ليهدموا كيانه ويدمروا بنيانه، ولكن الله حائل بينهم وبين ما يشتهون، فأصبح الطعن ببيعة السقيفة وخلافة الصدّيق ﷺ طعناً بالنبي ﷺ ورسالته التي سار أبو بكر ﷺ على منهجها من غير تبديل ولا تحويل، وصار الولاء لبيعة السقيفة من علامات المؤمنين، ولا سيما الصالحين، العاملين على وحدة الأمة، الموالين لأئمتها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر، الآية، ١٠) وقال ﷺ: (آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ ﷺ) (٣) فمن يطعن بالصحابة يرد القرآن والسنة، ومن وقع في ذلك لم يعد لقوله ولا لموقفه، قيمة علمية أو معنوية ذلك أنه خارج دائرة الأمة ومعتقداتها وهويتها.

(١) صحيح البخاري: ح (٣٣٩٤).

(٢) الطبراني: المعجم الكبير، ح (١٤٢١٣).

(٣) صحيح البخاري: ح (١٦).

أهم موآقف الأنصار يوم السقيفة

تبلور للأنصار يوم السقيفة اتجاهان واضحان، أحدهما: يدعو لمبايعة سعد بن عبادة رضي الله عنه والآخر: يرى أن المهاجرين هم الأولى بخلافة النبي صلى الله عليه وآله وهم الأدرى والأكثر خبرة في إدارة سفينة الإسلام، ولعل في هذين الموقفين رداً على المغرضين الذين لا يدعون فرصة فيها مجال للطعن في الإسلام إلا واهتبلوها، فراحوا يروجون أن المسلمين انقسموا على أنفسهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مهاجرين وأنصار رضي الله عنهم وهذه الفرية؛ يردها الواقع الذي كان عليه المسلمون، ففي مسألة الخلافة كان أعلام الأنصار من أهل العلم والفقه، يدعون إلى ترك أمر الخلافة بأيدي المهاجرين، وآخرون دعوا لبيعة سعد رضي الله عنه مسوغين ذلك بأعذار وحجج كانوا يعتقدون صحتها، فتبين لهم أن ما قدمه الصديق رضي الله عنه في السقيفة هو الأولى بالاتباع، فتركوا ما كانوا يعتقدونه في مسألة الخلافة واتبعوا المنهج الذي برهن على صحته أبو بكر الصديق رضي الله عنه مستدلاً عليه بالوقائع والنصوص، وهذا سيتضح من خلال هذين الموقفين.

أولاً: الدعوة لبيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه

سبق القول أن الذين دعوا إلى بيعة سعد رضي الله عنه لم تكن لديهم أدلة أو إشارات تستند إلى نصوص شرعية، وإنما احتجوا بوقائع وأحداث كانت محل اتفاق، واعتمدوا على عدة محاور لا تخرج عن هذا الإطار، وإن كان عامة ما روي عنها هو من كلام المؤرخين والإخباريين الذين لا يتحفظون من توجيه الأحداث باتجاه رغباتهم وولاءاتهم، ومن ذلك ما نسبوه إلى الأنصار فشاع عنهم في كتب التاريخ والأدب، كقول بعض خطبائهم: ((إن الله تعالى نقل النبي صلى الله عليه وآله من داره فكنا أنصاره، وكانت أرضنا مهاجرة وقراره، وإنا قاسمناكم الأموال وكفيناكم الأعمال، وأنزلناكم الديار، نحن أنصار الرسول صلى الله عليه وآله وكتيبة الإسلام، ولنا من الفضائل ما أنتم به أعلم، فنحن أنصار

الله ولنا الإمامة في الناس))^(١) وهذه الرواية أوردها الواقدي وهو معلوم بميوله وتشيعه وأساطيره، وأنه متروك الحديث، ولكن لعل إيرادها هنا يسكت حملتها والمروجين لها، فيقال لهم لم يُعرف عن الأنصار رضي الله عنهم أنهم كانوا يمتنون في عطائهم ولا يتأخرون في كرمهم وجهادهم، وهم الذين يكثرون عند المغرم ويقلون عند المغنم، وهذا ما شهد لهم به كتاب الله في قوله تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فمن يؤثر على نفسه وهو في أشد الحاجة لا يمنّ على أخيه في الإسلام وشريكه في المصير، فهذه الرواية لا تتوافق مع حال الأنصار رضي الله عنهم وكرم أخلاقهم.

وقول آخرين: (يا معشر الأنصار ما عبد الله علانية إلا في بلادكم، ولا اجتمعت الصلاة إلا في مساجدكم، ولا دانت العرب بالإيمان إلا بأسيافكم، فأنتم أحقّ الناس بالأمر)^(٢). وهذا النص أيضاً لا يمكن التسليم له وقد أورده ابن أبي الحديد، وهو معتزلي رافضي، وهو نص يعبر عن أماني أعداء الصحابة بطريقة أو بأخرى، وإن كان لا يحمل مغالطات كثيرة في طياته! لكنه طمس دور المهاجرين وجهادهم وصبرهم وتضحياتهم! وهذا منطلق لم يؤثر عن الأنصار رضي الله عنهم ويناقض شدة مودتهم للمهاجرين ومحبتهم لهم واعترافهم بفضلهم وسبقهم؟ ولا يتفق مع ما هو معروف عن الأنصار من الإنصاف والإيثار؛ فهم لا يغمطون أحداً حقه، ولا يعني هذا أنّ الصحابة من أهل العصمة، ولكنهم أقلّ الناس خطأ وأكثرهم إنصافاً، والنص لا يتفق مع خُلُق الصحابة وسمتهم وصدقهم، فهو موضع ريبة وتهمة، ولا يوجد ما يثبت صحته في المتن ولا في السند.

(١) الواقدي: الردة، ٣٨، محمد بن عمر الواقدي متروك الحديث، قال عنه الإمام أحمد: كذاب يقرب الحديث، وقال

عنه الذهبي: واستقر الإجماع على وهن الواقدي، الذهبي: ميزان الاعتدال، ٣/٦٦٢.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٦/٨٠.

وروي أنّ هناك من دعا إلى إقامة أميرين، واحد من المهاجرين وآخر من الأنصار ﷺ قائلين: (يا معشر المهاجرين: إنّ رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان) وقال آخر: (فإنّ أبا هؤلاء ما نقول فمننا أمير ومنهم أمير)^(١).

ومن الحوار الذي دار قول الحباب بن المنذر ﷺ: (أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ... والله إنّ شئتم لنعيدنها جذعة)^(٢) فقوله: (أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب) من غير زيادة ورد في الصحيح، والمعنى أنّ قائله يشير إلى أنّه صاحب خبرة واسعة، وله باع طويلة في مثل هذه الأمور، وأنّه من خلال خبرته وتجاربه يرى الحل بأن يكون أمير من الأنصار وآخر من المهاجرين، وهذا أمر رده عليه المهاجرون في حوارهم بالحجة الصحيحة، وأنه لا يستقيم ولا يمكن العمل به لما يترتب عليه من تضارب في الآراء، وتداخل في المهام والصلاحيات وما إلى ذلك، وسيوضح رد المهاجرين ﷺ عند بيان موقفهم في الحوار والشورى يوم السقيفة.

لكن أهل الأهواء المبغضين لأصحاب رسول الله ﷺ ورثة حديث الإفك أضافوا إلى النص الصحيح ما يفسده ويحول معناه الذي صدر من رجل معروف برأيه وحسن مشورته إلى قول رجل غوغائي يعمل على نشر الفتنة بين المسلمين وحاشاه ﷺ فأضاف المفترون إلى قوله المذكور قولهم: (والله إنّ شئتم لنعيدنها جذعة) أي نعيدها فتية متجددة، ويقصدون بذلك الفتنة والحرب، وهذا المنطق الذي يريد أن يخرج الصحابة ﷺ عن أخلاقهم وحرصهم على أمن أمتهم، وطاعة أئمتهم، يؤكّد هوية قائله الدخيلة، ويبيّن مقاصده الرامية إلى زرع الضغينة، والهادفة إلى تشويه إنجاز يوم السقيفة الذي كبت الله به وجوه المنافقين، وأرغم به أنوف الرافضة الحاقدين، فهذا المنطق الغريب عن مجرى الحوار يبين زيف هذه الإضافة ويؤكد بطلانها؛ إذ لم يكن هناك في

(١) الطبري: تاريخ، ٢٠٦/٣، ابن كثير: مسند الفاروق، ٥٣٢/٢، الخليفة: الإنصاف، ١٠٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٠٦/٢، ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة، ٣٨/٢، الإنصاف، ١٠٠. وقوله: جذيلها المحكك: الجذيل، عود ينصب للإبل لتحتك به، أراد أن رأيه يُستشفى به. والعذيق: تصغير عذق وهو النخلة. لسان العرب: مادة (رجب).

يوم من الأيام حرب أو خلاف بين الأنصار والمهاجرين ﷺ فكيف يريد إعادة شيء لم يكن ولم يوجد والحمد لله تعالى؟! .

وما روي عن خلاف حاد بين الحُباب بن المنذر وبين عمر ﷺ في السقيفة فهو مما نفخ فيه الرافضة من أكاذيبهم ليأتي على غير الوجه الصحيح، وقد روي أن عمر ﷺ لم يُغضب الحُباب بن المنذر س منذ عهد رسول الله ﷺ قال عمر ﷺ: (فلما كان الحُباب بن المنذر هو الذي يجيني لم يكن لي معه كلام، لأنه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله ج فنهاني عنه، فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوؤه أبداً) (١) هذا فضلاً أن ما يروى عن الحُباب في هذه المنازعة مخالف لما عهد عنه من الحكمة وحسن الرأي كما تبين ذلك في موضعه.

فالتمعن الدقيق في نصوص الخلاف عامة يثير الانتباه إلى عدة مسائل منها فقدانها للسند الصحيح، واشتمالها لطروحات لم تكن معروفة في عصر الرسالة، فلم يُعرف عن النبي ﷺ أنه كان إذا أرسل رجلاً من المهاجرين قرن معه آخر من الأنصار ولا العكس، ولم يكن المسلمون في عصر النبي ﷺ إلا إخوة متوادين متعاونين يفتدي بعضهم بعضاً بأرواحهم وما يملكون، والشواهد على هذا ناصعة في عامة ما جرى من أحداث بين المسلمين والمشركين.

وزعم الواقدي أن رجلاً من الأنصار خاطب الأنصار محذراً لهم بقوله: (وأنتم يا معشر- الأنصار: إن قدمتم قريشاً على أنفسكم يتقدمونكم إلى يوم القيامة) (٢)

وهذا النص لم أطلع عليه في كتاب معتمد، وهو نص مناقض لموقف الأنصار من إخوانهم المهاجرين المبني على إثارةهم في المال، واقتنائهم في ساحات النزال، وهو مناقض لكتاب الله تعالى الذي قدم المهاجرين على الأنصار في كافة نصوصه، وهو نص تشتم منه رائحة الدعوة إلى الفتنة، مما يجعله متناقضاً مع قيم المودة التي تربط بين المسلمين في مجتمع عصر- الرسالة، وبعيداً عن أخلاقيات الحوار والشورى، التي دارت في سقيفة بني ساعدة، وكان محورها الاحتجاج

(١) الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة: ١٢/١ .

(٢) الواقدي، الردة، ص ٣٢ .

بالأدلة الصحيحة التي تثبت صواب قائلها، وأنَّ أيَّ خروج عن تلك الأخلاقيات السليمة، لا يعود على صاحبه إلا بالعزلة وتفرق من حوله، فلم يكن بين الصحابة من يخرج على الدليل الصحيح المستند إلى الكتاب والسنة، أو المستنبط من أحكامها.

فهذه هي أهم الآراء والتوجهات التي روي أنَّ طائفة من الأنصار تداولوها يوم السقيفة، لكي يسوغوا مطالبتهم بخلافة رسول الله ﷺ وهي فضلاً عن ضعف روايتها وغرابة طرحها عن أخلاق الصحابة ﷺ الذين عرف عنهم الزهد في جانب الإمارة والمسؤولية، لما يترتب على ذلك من الخوف من الوقوع في التقصير بحق الرعية، أو الوقوع في الظلم، وما يتبع ذلك من آثام هم يفرون منها، لتنافسهم على الدرجات العلا في الآخرة، وعلى الفوز بالقرب من رسول الله ﷺ الذي تعلقت به قلوبهم وأرواحهم، مما يؤكد غرابتها عن أريحية الأنصار ﷺ وإيثارهم وحبهم لإخوانهم المهاجرين ﷺ.

وهذه النصوص بعامتها أغفلت دور المهاجرين، وصورت الحدث من زاوية واحدة هي زاوية المصلحة الذاتية فقط؛ فهم يريدون الحكم والخلافة، أو المشاركة على قدم المساواة مع المهاجرين مناصفة، أو العودة إلى أحكام الجاهلية، كما جاء في إحدى هذه الروايات أنَّ أحدهم قال مهدداً بأنَّه سيعيدها جذعة ليس من أجل الدين والعقيدة، وإنما من أجل المصلحة، وهذا يشير إلى أفكار الرافضة التي صنعتها وأصابهم التي دونتها، ما يفقد هذه النصوص الثقة بها، ويؤدي إلى اتهامها والريبة بها وبمن يشيعها ويعمل على نشرها!

وفضلاً عما سبق فإنَّ هذه الحجج عارية من أي تأصيل شرعي، فلا تحمل في طياتها مصالح نشر الإسلام وحمائته، ولا الجهاد في سبيل الله من أجل تبليغه، ولا تعترف بمقام أئمة الصحابة وقادتهم ومستشاري النبي ﷺ وأعوانه المقربين إليه، وما نبه إليه ﷺ من وجوب حفظ مكانتهم ﷺ وعدم التقدم عليهم، وعامة هذه النصوص لا تستند إلى أدلة علمية تنبثق من آيات الله تعالى في القرآن الكريم، أو من أحاديث رسول الله ﷺ مما يؤكد أنها لم تصدر عن بعض الأنصار بهذه الصياغة، فإن كان طرح البعض منها، فإنَّ هناك من أضاف إليها وعمل على تحريف محتواها،

ليتمكن أعداء الصحابة من إشاعتها، واستخدامها في حربهم على الإسلام والمسلمين، واستعمالها في التشويش والتشويه، والنيل من أخوة المهاجرين والأنصار ﷺ مما يعريها من الصحة والمصدقية، ويفقدها القبول والشرعية، ويدعو إلى التحذير منها وممن يتداولها، ويؤكد على بطلانها ومخالفتها للنصوص الصحيحة وواقع الأحداث آنذاك.

خلاصة موقف سعد بن عباد من خلافة الصديق ﷺ

إن سعد بن عباد ﷺ قد بايع أبا بكر بالخلافة في أعقاب الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة، وروي أن ابن عمه بشير بن سعد الأنصاري كان أول من بايع الصديق ﷺ ولم يثبت النقل الصحيح أية أزمة سياسية أو اجتماعية، بين المهاجرين والأنصار بل كانت بيعة السقيفة التي تمت في دار سعد ﷺ وفي سقيفته، سبباً في زيادة التعاون على مواجهة المنافقين والمتردين، ومن بعدهم المجوس والصليبيين، كما ثبت ذلك بالنقل الصحيح، الذي أثبت أيضاً أن أعداء الصحابة لا زالوا يعيشون أزمة أخلاقية وعقائدية وسياسية منذ بيعة السقيفة.

وعلى الرغم من محاولات الرافضة الطعن في موقف سعد ﷺ يوم السقيفة وتبني بعض الكتاب والمؤرخين من أصحاب الأهواء لأفكار الرافضة، في محاولة جعل سعد بن عباد ﷺ منافساً للمهاجرين يسعى للخلافة بشره، ويدبر لها المؤامرات، ويستعمل في الوصول إليها أساليب التفرقة بين المسلمين! على الرغم من ذلك فإن تاريخه الناصح بالجهاد والعطاء والولاء يأبى قبول أي شيء من هذه الأباطيل، ذلك أنه كان أحد نقباء الأنصار الذين بايعوا النبي ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وهو الذي مثل هدفاً أساسياً لمشركي قريش حين تعقبوه فاخطفوه قرب مكة، وربطوا يديه إلى عنقه وأدخلوه مكة أسيراً، حتى أنقذه منهم حليفه جبير بن مطعم بن عدي؛ الذي كان سعد ﷺ يجير تجارته في المدينة، وهو ممن حظي بمقام أهل بدر ومنزلتهم لصدق نيته ورسوخ عزمته في جهاد المشركين، وكان من بيت جود وكرم شهد له بذلك رسول الله ﷺ في أكثر من موقف، وكان النبي ﷺ يأخذ برأيه في مواقف فاصلة، كما حصل في غزوة الخندق عندما استشاره سعد بن معاذ ﷺ في إعطاء ثلث تمر المدينة لعبيدة بن حصن

الفزاري، لينقض تحالفه مع قريش، فكان رد السعدين ﷺ يدل على عمق الإيمان وكمال التضحية لديهما، فمواقف سعد س مشهورة ومعلومة، فهل يقبل عاقل أن يُتهم هذا الصحابي الجليل صاحب الماضي المجيد في خدمة الإسلام، بأنه كان يريد أن يبعث العصبية الجاهلية يوم السقيفة لكي يحصل على منصب سياسي لم يكن ينتظر من يتحمل أعباءه سوى السهر والنصب والتعب المتواصل؟!.

لقد أسفَّ الرافضة ومن أخذ عنهم حين اتهموا سعداً ﷺ بأنه كان لا يصلي بصلاة المسلمين ولا يفيض في الحج بإفاضتهم! وكأنهم أرادوا بذلك أن يوجدوا مسوغاً لما يفعلونه هم من مفارقة المسلمين في عبادتهم وجماعتهم، وقد ثبت في النقل الصحيح ما يدحض ذلك ويفضح قائله، وأن سعداً بايع أبا بكر ﷺ فعندما تكلم أبو بكر ﷺ يوم السقيفة، فذكر فضل الأنصار وقال: ولقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: (لو سلك الناس وادياً، وسلك الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار) ثم ذكَّر سعد بن عبادة ﷺ بقول فضل وحجة لاترد فقال أبو بكر: (ولقد علمت ياسعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم! قال سعد: صدقت! نحن الوزراء وأنتم الأمراء)^(١) (فتتابع القوم على البيعة وبايع سعد)^(٢) وَعِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ طَرِيقِ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَقَالَ: "وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ يَا سَعْدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَأَنْتَ قَاعِدٌ: قُرَيْشٌ وُلاةٌ هَذَا الْأَمْرَ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ ﷺ: صَدَقْتَ"^(٣) وروى ابن الجوزي عن السلمى، قال: (قام سعد بن عبادة يوم السقيفة فبايع)^(٤)

(١) الساعاتي: الفتح الرباني شرح مسند أحمد بن حنبل الشيباني، ح (٢٣-٢٩) منهاج السنة، ١/٥٣٦، وينظر صحيح

مسلم بشرح النووي، ح (١٨١٨) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ٧٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/٢٢٣، ابن أبي الحديد الرافضي المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ٢/٤٠، ٦/١٠.

(٣) فتح الباري: ١٠/٤٦٩، شرح الحديث (٣٣٩٤).

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ٣/٢١٦، تاريخ الطبري: ٣/٢٢٣. الإنصاف: ١١٩.

فبيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه ثابتة، وبها يتحقق إجماع الأنصار علىبيعة الخليفة أبي بكر، ولا يعود أي معنى للترويج لرواية باطلة، يتناقضها مؤرخوا الرفضة، من أمثال: ابراهيم بيضون في كتابه الأنصار والرسول صلى الله عليه وسلم ورضا مظفر في كتاب السقيفة المطبوع في قُم، ومن يأخذ عنهم من الغافلين والتائهيين والمغرضين، بل سيكون ذلك مناقضاً للواقع واتهاماً خطيراً، أن ينسب لسيد الأنصار العمل على شق عصا المسلمين، والتنكر لكل ما قدمه من نصره وجهاد وإيثار للمهاجرين، والطعن بإسلامه من خلال ما ينسب إليه من قول: (لا أبايعكم حتى أرميكم بها في كنانتي، وأخضب سنان رحمي، وأضرب بسيفي، فكان لا يصلي بصلاتهم ولا يجتمع بجماعتهم ولا يقضي بقضائهم ولا يفيض بإفاضتهم)^(١) أي في الحج، فهذه الرواية التي استغلت للطعن بوحدة المهاجرين والأنصار وصدق أخوتهم ماهي إلا رواية رافضية باطلة: ذلك أن راويها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضي صاحب هوى مبغض للصحابة رضي الله عنهم يبحث عن المعايير والمثالب وما يغذي الفتن ويمزق الصفوف، وهو: (إخباري تالف لا يوثق به، شيعي محترق صاحب أخبارهم)^(٢) ولا سيما في المسائل الخلافية، قال الذهبي عن هذه الرواية: وإسنادها كما ترى أي في غاية الضعف^(٣) أما متنها فهو يناقض سيرة سعد بن عبادة رضي الله عنه وما في عنقه منبيعة على السمع والطاعة، ولما روي له من مناقب توضح منزلته العالية في الصالحين^(٤) وتنفي عنه أباطيل الماكرين، من أعداء الصحابة، وإخوانهم المستشرقين، والكتاب التائهيين.

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٢٢٣.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال، ٤/ ٤٩٢.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١/ ٢٠٠-٢٧٦.

(٤) ينظر الإنصاف فيها وقع في العصر الراشدي من الخلاف، ١٢٠.

ثانياً: الأنصار الذين دعوا لمبايعة المهاجرين

وعلى الرغم مما سبق من نصوص وآراء دعا فيها بعض الأنصار إلى أن تكون الخلافة في الأنصار فإنّ هناك فريقاً آخر منهم، كان يرى أنّ الخلافة في المهاجرين، وأنّ هذا الأمر في قريش، مما يوحي بأنّ لديهم تصوراً عن هذه المسألة، وأنّهم لم يكونوا بعيدين عن فهم المقاصد والإشارات القرآنية، والأحاديث النبوية، التي تشير إلى مسألة الخلافة، ومواصفات القائمين على شؤونها، اتضح ذلك فيما قاله بشير بن سعد الحارثي الخزرجي، الذي ذكر فضائل الأنصار وعظيم ما قدموه من جهاد وتضحيات، وأنهم لا يبتغون من ذلك سوى رضا الله تعالى، وطاعة النبي ﷺ وأكد تلاحم الأنصار والمهاجرين، وأنّه لو كانت مطالبة بعض الأنصار حقاً، لما عارضهم إخوانهم المهاجرون، وقال بشير ﷺ: (ألا إنّ محمداً ﷺ من قريش وقومه أولى به، وإيم الله لا يراني الله أنازعكم هذا الأمر أبداً، فاتقوا الله ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم)^(١).

وأضاف منبهاً الأنصار المطالبين بالخلافة، بقوله: (لو كان ماتدعون حقاً لم أعرض عليكم فيه، فإن قلت: بأننا آوينا ونصرنا، فما أعطاهم الله خير مما أعطيتهم^(٢) فلا تكونوا كالذين ﴿بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (من الآية ٢٨) وأكد ذلك أسيد بن حضير الأشهلي ﷺ فقال: (إن هذا الأمر في قريش دونكم ، فمن قدموه قدموه، ومن أخروه فأخروه)^(٣) وتابعهم عويم بن ساعدة العمري الأوسي ﷺ مخاطباً الأنصار ﷺ قائلاً: (إن الخلافة لا تكون إلا لأهل النبوة، فاجعلوها حيث جعلها الله عز وجل)^(٤) وقال معن بن عدي منكرأ على الأنصار ﷺ الذين دعوا إلى أن تكون الخلافة فيهم: (والله ما مات رسول الله ﷺ حتى صلّى بنا أبو بكر الصديق ﷺ

(١) بدران، تهذيب تاريخ دمشق: ٣/ ٢٦٥، ابن أعمش، الفتوح: ٤/ ١؛ ابن الأثير، الكامل، ٢/ ٢٢٤.

(٢) السيوطي: تاريخ خلفاء رسول الله ﷺ ص ٦٠.

(٣) الواقدي، الردة، ص ٣٣؛ ابن أعمش، الفتوح: ٣/ ١.

(٤) الواقدي، الردة، ص ٣٣؛ ابن أعمش، الفتوح: ٣/ ١.

فعلمنا ﷺ أنه قد رضيه لنا، لأنّ الصلاة عماد الدين^(١) وحسم زيد بن ثابت النجاري الأنصاري ﷺ موقف الأنصار في السقيفة، فقال ﷺ: (إنّ رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإنما الإمام يكون من المهاجرين ونحن أنصارهم، كما كنا أنصار رسول الله ﷺ ثم أخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم، فبايعه عمر، ثم بايعه المهاجرون والأنصار)^(٢).

وهذه النصوص التي أدلى بها علماء من الأنصار وسادة في قبائلهم، فيها الضعيف كما هو ظاهر من محتواه ومن رواته، وفيها ما هو متوافق مع فهم الأنصار لدورهم الريادي في حماية الدين وحراسة العقيدة التي جاء بها النبي ﷺ لتبقى كما هي، وليستمر دورهم على ما كان عليه في زمن رسول الله ج من النصر والحماية، وفاء لبيعة العقبة الأولى والثانية التي بايعوا فيها رسول الله ﷺ على النصر وأن لهم الجنة، إن وفوا بتلك الشروط، فيتضح الموقف الحقيقي لهؤلاء القوم، الذين لا يعرف عنهم سوى العطاء والإيثار، والاستعداد الدائم للتضحية من أجل سلامة الدين، وأنّ وحدة وأخوة الأنصار والمهاجرين ﷺ كانت تمثل السند المتين الذي استند إليها الدعاة والمجاهدون في ساعات المحن والشدة، فكانت الملجأ الأمين من كل خطر، والمنجاة من كل فتنة، واتضح في هذه النصوص أيضاً المنطق السليم المعبر عن وشائج الأخوة والمودة الموافقة لأخلاق الصحابة ومتانة أخوتهم ﷺ كما تبين إدراكهم لمفهوم حديث: (الأئمة من قريش) فيما طرحوه من آراء ومقترحات، وما قدموه من أفكار وفهم عن رسول الله ﷺ حين قدم صاحبه الصديق ﷺ إماماً يصلي بالمسلمين في حياة رسول الله ﷺ.

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب: ٤/١٤٤١. ابن أعثم، الفتوح ٣/٤.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف: ٤/٥٦١، ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣٠/٢٨٨. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٧.

ثالثاً: ما احتج به المهاجرون ﷺ في أمر الخلافة

لا يوجد أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يجهل مكانة الصديق ﷺ عند رسول الله ﷺ وقربه منه وانفراده مع النبي ﷺ في كثير من المواقف الفاصلة، مثل يوم الهجرة، وفي العريش يوم بدر، ويوم صلح الحديبية، وغير ذلك من أمور السياسة والتعامل مع أعداء الإسلام ومع القبائل الموالية للإسلام، وشؤون الدعوة ووسائل التعامل مع تلك القبائل، واستقبال الوفود والتحاور معهم وما إلى ذلك، وفي كل تلك الشؤون كان أبو بكر ﷺ قريباً من رسول الله ﷺ والمسلمون يرون ذلك ويعلمونه، إلا أن الذي أصاب المسلمين بوفاة النبي ﷺ كان امتحاناً عسيراً، ولم يثبت فيه إلا أولو العزم، وكان أصعب ما في ذلك الامتحان هو إقرار وفاة النبي ﷺ وإعلانها على الملأ لكي يعود الناس إلى رشدهم وتلمس طريقهم الذي كانوا عليه ومن ثم القيام بواجباتهم تجاه دعوتهم ودولتهم الناشئة، فكان العبء الأكبر في كل ذلك يقع على أبي بكر الصديق ﷺ وكان حاله أشبه برجل ركب مع قوم في سيارة ثم تعرضوا لحادث أليم، أغمي فيه على من كان في السيارة من الركاب، وبقي هو في تمام الوعي، فكان الواجب يملي عليه أن يوظف المغمى عليهم، ليساعده على علاج المصابين، وإعداد السيارة كما كانت والسير بها إلى ذات الهدف، وإتمام الرحلة بنجاح، وهذا ما فعله أبو بكر الصديق ﷺ حين أعلن عن وفاة النبي ﷺ بجرأة متناهية وثبات عظيم، وذكر المسلمين بأن الله حي لا يموت، وأن عليهم القيام بمهامهم دون أي تردد، وقد جاء هذا مفصلاً في الصحيح وبعده روايات، منها رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ، يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ، فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ! قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي- إِلَّا ذَلِكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ قَالَ: بِأبي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُدَيْقُكَ اللَّهُ الْمُؤْتَتِينَ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ! فَحَمِدَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ! وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ! وَقَالَ ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠)

وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾. (١٤٤) قَالَ: فَشَجَّ النَّاسُ يَبْكُونَ، قَالَ: وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَاسْكَنَهُ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي، حَشِشْتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَ لَنَا مِنْ أَمِيرٍ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا وَلَكِنَّا الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا، فَبَايَعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَانْتِ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ فَقَالَ قَائِلٌ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ! فَقَالَ عُمَرُ قَتَلَهُ اللَّهُ... قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا كَانَتْ مِنْ حُطْبَتَيْهَا مِنْ حُطْبَةٍ إِلَّا نَفَعَ اللَّهُ بِهَا لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ النَّاسَ وَإِنَّ فِيهِمْ لِنِفَاقًا فَرَدَّهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ ثُمَّ لَقَدْ بَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ الْهُدَى وَعَرَفَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ وَخَرَجُوا بِهِ يَتْلُونَ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ... إِلَى الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

وجاء في شرح ألفاظ هذا الحديث أن (السُّنْحُ) من مَنَازِلِ بَنِي الْحَارِثِ مِنَ الْخَزْرَجِ بِالْعَوَالِي، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ مِيلٌ، وَقَوْلُ عُمَرَ صلى الله عليه وسلم: (مَا كَانَ يَفْعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ) يَعْنِي عَدَمَ مَوْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حِينَئِذٍ، وَقَدْ ذَكَرَ عُمَرُ مُسْتَنَدَهُ فِي ذَلِكَ، قَوْلُهُ: (لَا يُدْبِقُكَ اللَّهُ الْمُؤْتَتِينَ) أَيِ إِنْ حَيَاتِهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْقَبْرِ لَا يَعْقِبُهَا مَوْتٌ بَلْ يَسْتَمِرُّ حَيًّا، وَالْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءُ فِي قُبُورِهِمْ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْحِكْمَةُ فِي تَعْرِيفِ الْمُؤْتَتِينَ، حَيْثُ قَالَ: لَا يُدْبِقُكَ اللَّهُ الْمُؤْتَتِينَ، أَيِ الْمَعْرُوفَتَيْنِ الْمَشْهُورَتَيْنِ الْوَاقِعَتَيْنِ لِكُلِّ أَحَدٍ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَمَّا وَفُوعُ الْحَلْفِ مِنْ عُمَرَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ فَبَنَاهُ عَلَى ظَنِّهِ الَّذِي آدَاهُ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ، وَفِيهِ

(١) صحيح البخاري: ح (٣٣٩٤).

بَيَانَ رُجْحَانَ عِلْمِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ عَلَى عُمَرَ ﷺ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ وَكَذَلِكَ رُجْحَانَهُ عَلَيْهِمْ لِثَبَاتِهِ ﷺ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ^(١).

وقوله: (أَيُّهَا الْخَالِفُ عَلَى رَسُولِكَ) أَيُّ هَيْئَتِكَ وَلَا تَسْتَعْجَلْ، فَأَبَى عُمَرَ، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ، فَهَالَ النَّاسَ إِلَيْهِ وَتَرَكَوا عُمَرَ، وَقَدْ اعْتَدَرَ عُمَرَ عَنْ ذَلِكَ كَمَا بَيْنَهُ ابْنُ حَجْرٍ فِي "بَابِ الِاسْتِخْلَافِ" مِنْ كِتَابِ الْأَحْكَامِ.

وقوله: (فَنَشِخَ النَّاسَ) بَفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِ الْمُعْجَمَةِ بَعْدَهَا جِيمٍ، أَيُّ بَكُّوا بِغَيْرِ انْتِخَابٍ، وَقَوْلُهُ: (اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ) هُوَ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذَلَيْمِ بْنِ حَارِثَةَ الْخُزْرَجِيِّ ثُمَّ السَّاعِدِيِّ، وَكَانَ كَبِيرَ الْخُزْرَجِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي آخِرِ السِّيَرَةِ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَسْهَلِ انْحَاذُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَمَنْ مَعَهُ وَهُؤُلَاءِ مِنَ الْأَوْسِ، وَهَذَا يُؤَكِّدُ أَنَّ الْأَنْصَارَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَوْقِفٌ مُوَحَّدٌ يَوْمَ السَّقِيفَةِ، بِعَكْسِ مَا يَشِيعُهُ الْمُبْغِضُونَ لَوْحِدَةِ الصَّحَابَةِ وَأَخْوَتِهِمْ.

وقوله: (ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ) بِنِصْبٍ أَبْلَغَ عَلَى الْحَالِ، وَيَجُوزُ الرَّفْعُ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ، أَيُّ تَكَلَّمَ رَجُلٌ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ: النَّصْبُ أَوْجَهُ لِيَكُونَ تَأْكِيدًا لِمَدْحِهِ وَصَرْفِ الْوَهْمِ عَنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدَ مَوْصُوفًا بِذَلِكَ غَيْرِهِ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا تَرَكَ كَلِمَةً أَعْجَبْتَنِي فِي تَرْوِيرِي - أَيُّ تَهْيِئَتِي وَإِعْدَادِي - إِلَّا قَالَهَا فِي بَدِيئَتِهِ وَأَفْضَلَ حَتَّى سَكَتَ"^(٢).

وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ "فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا أَنْزَلَ فِي الْأَنْصَارِ وَلَا ذَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ شَأْنِهِمْ إِلَّا ذَكَرَهُ" وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ بَيَانُ بَعْضِ ذَلِكَ الْكَلَامِ وَهُوَ "أَمَّا بَعْدُ: فَمَا ذَكَرْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ أَهْلُهُ، وَلَكِنْ تَعْرِفُ الْعَرَبَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا" وَعَرَفَ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ بَعْدُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ "هُمُ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا"

(١) ابن حجر: فتح الباري: ١٠/٤٦٥، شرح الحديث (٣٣٩٤).

(٢) ابن حجر: فتح الباري: ١٠/٤٦٦، شرح الحديث (٣٣٩٤).

وَأَعْرَبَهُمْ أَحْسَابًا " وَالْمُرَادُ بِالذَّارِ مَكَّةَ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ أَرَادَ بِالذَّارِ أَهْلَ الدَّارِ وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: " خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ.... " وَقَوْلُهُ ﷺ: " أَحْسَابًا " الْحَسَبُ الْفِعَالُ الْحَسَانُ مَا خُوذَ مِنْ الْحِسَابِ إِذَا عَدُّوا مَنَاقِبَهُمْ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَ كَانَ أَعْظَمَ حَسَبًا، وَيُقَالُ النَّسَبُ لِلآبَاءِ وَالْحَسَبُ لِلْأَفْعَالِ^(١).

قال ابن حجر: وَوَقَعَ فِي آخِرِ الْمُعَاذِي لِمُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ قَالَ فِي حُطْبَتِهِ: " وَكُنَّا مَعَشَرَ الْمُهَاجِرِينَ أَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا وَنَحْنُ عَشِيرَتُهُ وَأَقَارِبُهُ وَدُورُ رَحْمِهِ، وَلَكِنْ تَصَلَّحَ الْعَرَبُ إِلَّا بَرَجْلًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَالْنَّاسُ لِقُرَيْشٍ تَبِعَ، وَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَشُرَكَائُنَا فِي دِينِ اللَّهِ، وَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْنَا، وَأَنْتُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِفَضِيلَةِ إِخْوَانِكُمْ، وَأَنْ لَا تَحْسُدُوهُمْ عَلَى خَيْرٍ " ^(٢).

وقوله ﷺ: (فَقَالَ حُبَابٌ) بِضَمِّ الْمُهْمَلَةِ وَمَوْحَدَتَيْنِ الْأُولَى خَفِيفَةً (ابْنُ الْمُنْذِرِ) أَيِ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ الْخَزْرَجِيِّ ثُمَّ السَّلَمِيِّ بَفَتْحَتَيْنِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ذُو الرَّأْيِ^(٣) - أَيِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَشِيرُ بِالرَّأْيِ فَيَقْبَلُهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فَعَلَ فِي رَأْيِهِ بِمَنْزِلِ مَعْسَكِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَبِوُجُوبِ تَغْوِيرِ آبَارِ بَدْرِ لِكَيْ لَا يَنْتَفِعَ مِنْهَا الْمُشْرِكُونَ، وَكَذَلِكَ مَشُورَتُهُ يَوْمَ خَيْبَرَ بِأَنْ يَغِيرَ الْمُسْلِمُونَ مَكَانَ مَعْسَكِهِمْ لِكَيْ لَا تَطَاهَمَ سَهَامُ الْيَهُودِ، وَقَبْلَ مِنْهُ ذَلِكَ.

وكان رأيه يوم السقيفة يتمثل بقوله: (مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ) لكن هذا الرأي لم يكن هو الصواب فردّ عليه بالحجة والدليل، وحين علم الأدلة في تقديم أبي بكر ﷺ وحديث " الأئمة من قريش " سكت واتبع الدليل وترك الرأي، لكن أعداء الصحابة لا زالوا يبنون على الباطل، فيقتطعون بعض النصوص، ويبترون الحوار حول بعض المسائل، ليتسنى لهم تغذية موارد الفتن وضمان استمرارها - والطعن في ولاء الأنصار ﷺ وانتقاص تضحياتهم.

(١) فتح الباري: ١٠/٤٦٧، شرح الحديث (٣٣٩٤).

(٢) فتح الباري المصدر السابق.

(٣) فتح الباري: ١٠/٤٦٨، شرح الحديث (٣٣٩٤).

قال ابن حجر: وَزَادَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْحَبَابَ قَالَ: "أَنَا جُدَيْلُهَا الْمُحَكَّكَ، وَعُدَيْتُهَا الْمُرَجَّبُ" وَشَرَحَ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ أَنَّ الْعُدَيْقَ تَصْغِيرُ عَدْقٍ وَهُوَ النَّخْلَةُ، وَالْمُرَجَّبُ، أَيُّ يُدْعَمُ النَّخْلَةُ إِذَا كَثُرَ حَمَلُهَا، وَالْجُدَيْلُ بِالتَّصْغِيرِ أَيُّضًا، وَالْجُدَلُ عُوْدٌ يُنْصَبُ لِلْإِبْلِ الْجُرْبَاءِ لِتَحْتَكَّ فِيهِ، وَالْمُحَكَّكَ فَارَادَ أَنَّهُ يُسْتَشْفَى بِرَأْيِهِ^(١) وَكَانَ كَذَلِكَ ﷺ فِي حُسْنِ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ، فَمَا أَنْ تَبِينَ لَهُ الْحَقُّ حَتَّى أَخَذَ بِهِ وَانْحَازَ لَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ عَنْهُ فِيهَا بَعْدَ إِلا خَيْرًا، وَعَلَى الْقَارِئِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ دَسَائِسِ أَعْدَاءِ الصَّحَابَةِ فِيمَا يَتَنَاقَلُونَهُ وَيَبْثُونَهُ فِي كِتَابِهِمْ وَإِعْلَامِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ وَخَطْبِهِمْ، عَمَّا حَصَلَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ مِنْ حِوَارٍ وَتَشَاوُرٍ، وَاقْتِطَاعِهِمْ لِمَوَاطِنِ الْخِلَافِ وَالنِّزَاعِ، الَّتِي تَأْتِي فِي طَيِّبَاتِ الْحِوَارِ، ثُمَّ تُحْلَى بِالِاتِّفَاقِ أَوْ التَّجَاوُزِ، وَيُنْتَهَى مِنْهَا وَكَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ، لَكِنْ أَعْدَاءُ الصَّحَابَةِ يَطْمَسُونَ مَوَاطِنَ اللِّقَاءِ وَالْأَخُوَّةِ وَالتَّرَاحُمِ وَالتَّجَاوُزِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيوظفون ما يبدر من البعض منهم في سياق الحِوَارِ، وَكَأَنَّهُمْ لَا يَرِيدُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ أَنْ يَتَحَاوَرُوا وَلَا أَنْ يَتَشَاوَرُوا، وَإِذَا حَصَلَ بَيْنَهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنَّ أَعْدَاءَ الصَّحَابَةِ بِيغْيِهِمْ يُبَدِّلُونَ كُلَّ مَحَاسِنِهِ إِلَى قَبَائِحٍ فَيَنْشُرُونَهَا وَيَعْلَمُونَهَا لِأَتْبَاعِهِمْ، حَتَّى لَا يَعْلَمُوا عَنِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ هُمْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، إِلا كُلَّ مَا هُوَ قَبِيحٌ وَخِلَافٌ وَتَنَازُعٌ وَشَرٌّ، وَهَذَا يَفْرُضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِذَا وَجَدَ رَأْيًا لِلرَّافِضَةِ فِي الصَّحَابَةِ ﷺ أَنْ يَضْرِبَ بِهِ عَرَضَ الْحَائِطِ وَيَلْقِي بِهِ فِي سَلَةِ الْإِهْمَالِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ إِلا عَلَى أَنَّهُ رَأْيُ عَدُوِّ حَاقِدٍ مَآكِرٍ فَاقِدٍ لِلْإِنصَافِ وَالمَوْضُوعِيَّةِ، يَجْعَلُ الْخَيْرَ شَرًّا وَالْأَخُوَّةَ عَدَاوَةً.

فَالصَّحَابَةُ ﷺ إِنْ صَدَرَ مِنَ الْبَعْضِ مِنْهُمْ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ فِي غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ بِأَنَّ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَحْرَصُ وَأَوْلَى بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ وَمِنْهُمْ الْحَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ ﷺ فَهِيَ هِيَ يَفْسِرُ أَسْبَابَ قَوْلِهِ: "مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ" كَمَا جَاءَ ذَلِكَ مَفْصَلًا فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ عَنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: "فَقَامَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ وَكَانَ بَدْرِيًّا فَقَالَ: "مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَنْفَسُ عَلَيْكُمْ هَذَا الْأَمْرَ، وَلَكِنَّا نَخَافُ أَنْ يَلِيَهُ أَقْوَامٌ قَتَلْنَا

(١) فتح الباري المصدر السابق.

آبَاءُهُمْ وَإِخْوَتَهُمْ. قَالَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه: إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَمُتْ إِنْ اسْتَطَعْتَ. قَالَ فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَقَالَ: نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، وَهَذَا الْأَمْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. قَالَ فَبَايَعَ النَّاسَ وَأَوْلَهُمْ بِشِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَالِدِ النَّعْمَانِ ^(١).

قال الخطابي: الحامل للقائل: منّا أمير ومنكم أمير " كأنّه لم يكن يبلغه حكم الإمارة في الإسلام، واختصاص ذلك بقريش، فلما بلغه أمسك عن قوله، وبايع هو وقومه رضي الله عنه أبو بكر رضي الله عنه" ^(٢).

وجاء عند أحمد من طريق أبي نصر عن أبي سعيد " فقام زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: جَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا فَبَايَعُوهُ ^(٣) فاعتمد المسلمون قول زيد رضي الله عنه وهو الذي عمل به الأنصار يوم السقيفة وفيما بعده وهو الذي يمثل رأيهم الحق في إخوانهم المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين، أما أعداء الصحابة فلا قيمة لأقوالهم ولا لأفعالهم، لأنها مبنية على الوهم وأماني الفتن وبغض الصحابة رضي الله عنهم.

ومن مواقف أعداء الصحابة الزائفة في تغطيتها لأخبار يوم السقيفة، خطفهم لكلمة عمر رضي الله عنه التي قالها في حال غضبه لأخيه سعد بن عبادة رضي الله عنه حين قال قائل من الأنصار: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ، أَوْ "أَبْقُوا سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ لَا تَطْؤُوهُ" وذلك لشدة ازدحامهم وسرعة إجابتهم وتسابقهم على بيعه أبي بكر رضي الله عنه، فقال عمر رضي الله عنه في حال غضبه " قَتَلَهُ اللَّهُ " فهو في معرض الدعاء عليه، واللوم له، ودعوة لنسيان موقفه الذي تحلى عنه، ورجع إلى رأي الجماعة، بعد أن تبين له في الحوار وجه الحقيقة والصواب.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/١٨٢، تاريخ دمشق: ٣٠/٢٧٥، فتح الباري: ١٠/٤٦٩، ٧/٣١، بإسناد مرسل صحيح، شرح الحديث (٣٣٩٤)، ٧/٣١، بإسناد مرسل صحيح.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٣/١٨٢، فتح الباري: ٧/٣١، قال ابن حجر: اسناده صحيح مرسلا.

(٣) فتح الباري: ١٠/٤٦٩، شرح الحديث (٣٣٩٤). ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/١٨٢.

فاجتماع السقيفة وما طرأ فيها من حوار وتشاور، على الرغم مما حصل فيه من تعارض في بعض الأفكار؛ لكنه كان فرصة ليعبر فيه كل من أراد المشاركة في الحوار ممن حضر، بما يراه هو الصواب والخير، فمن المتحدثين من ألح برأيه، ومنهم من اكتفى بالإشارة إليه، ومنهم من عاد ورجع عنه، والأكثر ممن حضر في السقيفة من الأنصار لم يشارك ولم يتكلم واكتفى بالسماع، وحين باشر الصحابة في بيعة الصديق لم يعد لكل ما قيل في درج الحوار أي أثر، بل كان التنافس على السبق في البيعة هو همّ المجتمعين في السقيفة ﷺ على الرغم من كل ما يثيره أعداء الصحابة ويميل إلى إقرارهم عليه حلفاؤهم الجدد التائهون من دعاة التقريب المفرطون بالثواب وبمكانة أئمة الأمة ورموزها الشاخحة.

فكلمة "قتله الله" يقولها العرب عند الحديث عن الأمر العجب المثير، وعند الفعل الخارق، وعند كل ما يثير الانتباه والاستغراب من الفعل الحسن وغيره، فقتله الله كلمة تقال في أكثر من موضع، ولأكثر من مناسبة، والعرب معتادون على قولها وسماها، لذلك لم نسمع لها أثراً في ذلك المجلس ولا بعده، وما يثار حولها إنما هو للتشويه وزرع الضغائن والتحريض على الفتنة، والاصطياد في الماء العكر، ولا يستطيع باحث أن يقول أنه كان لتلك الكلمة أثر على التواصل والتعاون بين المتحدثين في يوم السقيفة الأغر، أو بعده من الأيام والمواقف، فكيف إذا كان من قال تلك الكلمة ﷺ فسّر الأمر وأنهى خلاف الرواة حولها؟ وبين أن قوله ذلك جاء عارضاً في ساعة غضب لم يكن له أبعاد قبله ولا بعده، قال أمير المؤمنين عمر ﷺ: "فَقُلْتُ وَأَنَا مُغْضَبٌ قَتَلَ اللَّهُ سَعْدًا"^(١) وهذا نص يفسد على الرافضة أمانيتهم بنشر الفتنة بين المسلمين وتغذية الأحقاد على الصحابة المكرمين ﷺ ويدعو كل من يحسن الظن في الرافضة إلى مراجعة موقفه منهم، لأن من لا يُبجل الصحابة ويُجلهم، فإنه لن يجل أتباعهم ومحبيهم!

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: باب الزجر عن الرغبة عن الآباء، (٤١٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ١١/٣.

قال ابن حجر: وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة) وفي رواية ابن عباس عن عمر رضي الله عنه قال: "وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة، فلم أكره مما قال غيرها" وقد أشتكى قول أبي بكر هذا مع معرفته بأنه الأحق بالخلافة، بقربنة تقديمه في الصلاة وغير ذلك، والجواب أنه استحب أن يزكي نفسه فيقول مثلاً رضيت لكم نفسي، وانضم إلى ذلك أنه علم أن كلاً منهما لا يقبل ذلك، وقد أفصح عمر بذلك في القصة، وأبو عبيدة بطريق الأولى لأنه دون عمر في الفضل باتفاق أهل السنة، ويكفي أبا بكر رضي الله عنه كونه جعل الاختيار في ذلك لنفسه فلم ينكر ذلك عليه أحد، ففيه إيحاء إلى أنه الأحق، فظهر أنه ليس في كلامه تصريح بتخليه من الأمر.

ومما قاله عمر رضي الله عنه يوم السقيفة: (يا معشر الأنصار أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يؤم بالناس؟ فأياكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر) قال ابن حجر: وأخرجه الإسماعيلي في مسند عمر رضي الله عنه بلفظ: "فأياكم يجترئ أن يتقدم أبا بكر؟ فقالوا: لا أينا" قال: وأصله عند أحمد وسنده جيد^(١).

وقوله: فقال عمر: (بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي رواية ابن عباس عن عمر رضي الله عنه قال: فقلت: "أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون ثم الأنصار" وفي معازي موسى بن عتبة عن ابن شهاب الزهري: قال: "فقام أسيد بن الحضير وبشير بن سعد وغيرهما من الأنصار فبايعوا أبا بكر، ثم وثب أهل السقيفة يتدرون البيعة".

وقوله: (فالت عائشة فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها) أي من خطبتي أبي بكر وعمر، و"من" الأولى تبعيضية أو بيانية، والثانية زائدة، ثم شرحت ذلك فقالت رضي الله عنها:

(١) سنن النسائي: ح (٧٧٦) وذكر ابن حجر أنه حديث حسن قال: وأصله عند أحمد بسند جيد، وحسنه الترمذي وابن حبان في صحيحه، ينظر فتح الباري: شرح الحديث (٦٣٢٨) ابن عبد البر: التمهيد، ٢٢/١٢٨، (٢) فتح الباري: ١٠/٤٧١.

(لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرَ النَّاسَ) أَيِ بِقَوْلِهِ الْمَذْكُورِ، وَقَوْلَهَا: (وَإِنَّ فِيهِمْ لِنَفَاقًا) أَيِ إِنَّ فِي بَعْضٍ مِنْ سَمِعِ خُطْبَةَ الْفَارُوقِ   مُنَافِقِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ عَرَّضَ بِهِمْ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ الْمُتَقَدِّمِ^(١).

على أن ذلك كان من الفاروق   وهو يخاطب في الناس معتقداً أن النبي   لم يمّت بعد، وأن من يتكلم بذلك متهم عند عمر   آنذاك، لكنه حين سمع كلام الصديق   أقرّ بوفاة النبي   واعتذر عما بدر منه من كلام في حال ذهوله وظنه أن النبي   لم يمّت آنذاك، وهذا الموقف العارض انتهزه الرافضي رضا مظفر في كتابه السقيفة، ليدافع عن المنافقين، وليطعن بأمر المؤمنين عمر   فظهر في تعليقاته وتوجيهاته لمفردات موقف الفاروق   وخطبته، ما يؤكد لكل مسلم أن حرب الرافضة على الصحابة   إنما هي حرب قذرة غارقة في أحوال الكذب والبهتان والتزييف، منافحة عن كل شبهة وفرية، ومدافعة عن كل مبغض لأصحاب رسول الله  ! وهذا ما عبر عنه رضا مظفر في تحليلاته الفاسدة، واستنباطاته الحاقدة، المنزوعة الحياء والأدب، الفاقدة للموضوعية، المجردة من الفهم الصحيح، والأمانة العلمية.

الحاصل أن النبي   منذ أن أمر صاحبه الصديق   أن يصلي في الناس، حين كان   في أيام مرضه الأخيرة، علم عامة المسلمين مضمون هذه الرسالة وأيقنوا بها من خلال مشاهدتهم لشدة حرص النبي   على أنه لا يؤم المسلمين غير أبي بكر الصديق  ، فضلاً عما كانوا يشاهدونه ويسمعونه من مواقفه وعلمه، الذي يقرّه النبي   عليه، فضلاً عما لأبي بكر   من فضائل تفرد بعامتها عند رسول الله   ولم يشركه فيها أحد من الصحابة، مما يعد من خصائص أبي بكر   وما رافق ذلك من نصوص تشير وترشد إلى مكانته   ووجوب تقديمه وعدم التقدم عليه، ومن كل ذلك علم عامة المهاجرين وكثير من الأنصار رضي الله عنهم أجمعين، أنه لا شرعية لأحد أن يتقدم على أبي بكر الصديق   وإنما كان الحوار والتشاور لتوضيح مسألة خلافة أبي بكر   لمن لا علم له بما يؤيدها من نصوص وإشارات، وهذا ما حرص عمر   على نشره

(١) فتح الباري: ١٠/٤٧٣، شرح الحديث، (٣٣٩٤).

والمحاجة عليه يوم السقيفة، وعلى مباشرة تنفيذ ما أرشد وأشار إليه النبي ﷺ في تقديم صاحبه أبي بكر ﷺ وهذا ما أشار إليه الفاروق ﷺ في خطبته التي وصف فيها الموقف الذي كان عليه المسلمون بعد وفاة النبي ﷺ ومنها حال المهاجرين ﷺ في قوله: (وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَاَنْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ)^(١)

وهذا النص الصحيح يشير إلى التفاف المهاجرين حول أبي بكر ﷺ يستأنسون به من وحشة فراق رسول الله ﷺ ولكن لم تذكر النصوص أن حواراً دار بين المهاجرين حول الخلافة، وكان أمرها مبتوت به عندهم لا يحتاج إلى حوار ولا مشاور، وكان حديثهم يتناول حدث الساعة وهو وفاة النبي ﷺ والنص الصحيح هنا يذكر أن عمر الفاروق ﷺ هو الذي اقترح على أبي بكر ﷺ أن يذهبوا إلى الأنصار ﷺ فأجابه أبو بكر إلى ذلك، وهذا يخالف الروايات الأخرى التي تذكر أن الأنصار اجتمعوا في السقيفة فجاء من أخبر عمر ﷺ ثم قام عمر بإخبار أبي بكر ﷺ وعلى أي كان الأمر فإن المهاجرين لم يكن في حسابهم أن يتجاوزوا الأنصار، لأنهم يعلمون أنهم شركاؤهم في عامة أمر الإسلام وهم إخوانهم الذين لا يمكن الاستغناء عنهم، فذهب من المهاجرين كما سبق ثلاثة فقط، وهم الصديق والفاروق عمر والأمين أبو عبيدة ﷺ وحين ذهبوا إلى السقيفة سمعوا ممن تحدث من الأنصار ﷺ وأصغوا إلى ما اقترحه خطباؤهم ثم ردوا على مقترحاتهم وآرائهم ردوداً علمية عملية تزيل كل شبهة وتضع الأمور في نصابها الصحيح بشكل لا يمكن تجاوزه، قال سالم بن عبيد ﷺ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ ﷺ: (كَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ نَعَمْ! فَعَلِمُوا أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: دُونَكُمْ صَاحِبِكُمْ لِبَنِي عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَعْني فِي غُسْلِهِ يُلُونُ أَمْرَهُ ثُمَّ خَرَجَ، فَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ يَتَشَاوَرُونَ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ يَتَشَاوَرُونَ إِذْ قَالُوا: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِنَّ هُمْ فِي هَذَا الْحَقِّ نَصِيبًا، فَاَنْطَلِقُوا؛ فَأَتُوا الْأَنْصَارَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: مِنَّا رَجُلٌ وَمِنْكُمْ رَجُلٌ، فَقَالَ

(١) صحيح البخاري: ح (٦٣٢٨).

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: سَيِّفَانِ فِي غَمْدٍ وَاحِدٍ إِذَا لَا يَصْطَلِحَا، فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه وَقَالَ مَنْ هَذَا الَّذِي لَهُ هَذِهِ الثَّلَاثُ: (إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ) مَنْ هُمَا؟ (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ) مَنْ صَاحِبُهُ؟ (لَا تَحْزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) مَعَ مَنْ هُوَ؟! فَبَسَطَ عُمَرُ يَدَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ: بَايَعُوهُ، فَبَايَعَ النَّاسُ أَحْسَنَ بَيْعَةٍ وَأَجْمَلَهَا^(١) وهذا النص وفيه احتجاج عمر رضي الله عنه هذا وفيه بيعة الناس كافة من غير استثناء ثابت في الصحيح، قال: (ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ، ثُمَّ قَالَ رضي الله عنه: بَايَعُوهُ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ رضي الله عنه)^(٢) والناس هنا هم المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم فلم تذكر هذه النصوص الصحيحة تحلف أحد ممن شهد البيعة في اليوم الأول يوم السقيفة، ولا في اليوم الثاني في البيعة العامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهذه نصوص صريحة صحيحة لا يمكن تجاوزها قبل التنبيه إلى عدة أمور منها أن الصحابة حين مرت فيهم محنة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلجؤون إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد الله تعالى يشوننه أشجانهم وأحزانهم، بل ويستفسرون منه فيها هو واقع مشاهد أمامهم! لكنهم لا يريدون أن يصدقوا الواقع لشدة مرارته المتمثلة بفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم! حتى إذا أقر أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعلن بذلك، أقر الصحابة بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم! وما ذلك إلا لعلمهم بأن الصديق رضي الله عنه هو أولهم صحبة للنبي صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر رضي الله عنه: (ألست أحق الناس بهذا الأمر؟ ألست أول من أسلم؟ ألست صاحب كذا؟)^(٣) وهو أقربهم إليه صلى الله عليه وسلم فإن كان الأول والأقرب يقر بذلك المصاب الجلل فلم يعد هناك حيلة للانفلات من هذا الاعتراف المرير كما اتضح ذلك جلياً في رواية الصحيح.

وتبين فيه أن الصديق رضي الله عنه هو المتصرف في تسيير دفة الأمور الكبرى التي من أهمها كيفية التعامل مع جدث رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاهر المشرف، وذلك حين أشار رضي الله عنه على آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سنن البيهقي الكبرى: ح (١٦٩٩٠) سنن النسائي الكبرى: ح (١٦٣٢٦). الواقدي، الردة، ص ٣٥؛ ابن أعثم، الفتوح: ٤/٣.

(٢) صحيح البخاري: ح (٣٣٩٤).

(٣) الألباني: صحيح السيرة النبوية، ١٢٠، صحيح الأحاديث المختارة: (١٩،٢٠) صحيح وضعيف سنن الترمذي: (٣٦٦٧).

وقال لهم دونكم صاحبكم ﷺ أي باشروا غسله وتجهيزه وهذا أمر لم يقدم عليه أحد من الآل ولا الأصحاب ﷺ لهيبة رسول الله ﷺ لكن الصديق ﷺ لقربه وعلمه وفهمه عن النبي ﷺ كان يأمر وينهى ولا يجد إلا السمع والطاعة والأنس بما يأمر به وينهى عنه ﷺ من جميع الصحابة ﷺ ثقة به واعترافاً بمكانه من النبي ﷺ وبمكانته في الأمة.

ثم كانت المشورة بالذهاب إلى الأنصار ﷺ والمشاركة فيما يتشاورون به، ولعل من اللافت للنظر أن المهاجرين لم يستنكروا اجتماع الأنصار في السقيفة ولم ينتقصوهم حقهم، بل أقرّوا ذلك ودخلوا في جملة المحاورين، فكان من طرح الأفكار من الأنصار ﷺ يسمع له المهاجرون ﷺ ثم يردون عليه الرد العلمي العملي المقنع، فكان من أهم ما قاله الأنصاري المتكلم في السقيفة، الحُباب بن المنذر ﷺ أنه أشار واقترح على المهاجرين أن يكون هناك أمير أنصاري وآخر مهاجري، فكان رد عمر ﷺ أن سيفان في غمد واحد لا يجتمعان، ثم بين أنه لا يمكن بحال من الأحوال التقدم على أبي بكر الصديق ﷺ.

ولما تكلم أبو بكر الصديق ﷺ يوم السقيفة، لم يترك شيئاً أنزل في الأنصار، ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا ذكره، فكان الصديق ﷺ موفقاً فيما طرحه من أفكار وفيما ذكره من مكارم الأنصار، وكان مقنعاً في تفنيده للشبهات التي تساءل عنها بعض الأنصار، حتى نال إعجاب عمر ﷺ بل أذهله الصديق في دقته وفهمه لروح الشورى ومعالجته لما طرح فيها من إشكالات فكان أبو بكر ﷺ يدير الحوار والشورى بجدارة علمية وروح أخوية، وقيادة راشدية، لم تدع قولاً لقائل ولا شبهة لمتردد، فأرضى الجميع، وأجاب السائلين، وأرشد الحائرين، ومسح حزن المحزونين وأذهب وحشة المستوحشين، وآنس المغترين بعد فراق نبيهم ﷺ فكان فيه العزاء الأمثل في ذلك المصاب الأكبر، وكأن الله تعالى ادخر للأمة في ذلك المصاب عبده الصديق ﷺ ليفاجئ الجميع بذلك الثبات الذي يوازي ثبات الجبال، وتلك الروح الصافية الواثقة، التي تبث في كل قلب يراها أو يسمعها الصبر واليقين والرضى بقضاء الله تعالى، حتى أعجب ذلك الموقف عمر الفاروق ﷺ وهو في أشد حالات الألم والحيرة مما حصل له بفقدان النبي ﷺ وأزال عنه كل

تردد وذهول ووجل، فقال يصف خطاب الصديق ﷺ بقوله: (تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس) أي علماً وجزالة وبيانا وفهماً، وإجابة على كل ما يشغل المسلمين ويزيل حيرتهم ودهشتهم. ومما قاله أبو بكر الصديق ﷺ في الرد على مقترح الحباب ﷺ حينذاك، قوله: (وإنه لا يحل أن يكون للمسلمين أميران، فإنه مهما يكن ذلك، يختلف أمرهم وأحكامهم، وتتفرق جماعتهم، ويتنازعوا فيما بينهم، هنالك تترك السنة، وتظهر البدعة، وتعظم الفتنة، وليس لأحد على ذلك صلاح) ^(١) وَقَالَ ﷺ فِيمَا يَحْتَجُّ بِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ: (بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَنَوَاصِينَا إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ وَكُنَّا مَعَشَرَ الْمُهَاجِرِينَ أَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا وَنَحْنُ عَشِيرَتُهُ وَأَقَارِبُهُ) ^(٢).

ثم استدلل أبو بكر ﷺ بأدلة أخرى من الكتاب والسنة، وبين بأن الله تعالى قدّم المهاجرين على الأنصار فيما ذكرهم فيه من القرآن الكريم، وأنهم أول من عبد الله وآمن بالله ورسوله ﷺ فلم يستوحشوا لقلة عددهم، وامتناع قومهم عليهم وإيذائهم لهم. وقال لإخوانه الأنصار: سماكم الله تعالى: (المفلحين) وسمانا (الصادقين) كما في سورة الحشر (الآية ٨، الآية ٩)، ثم أمركم عز وجل بأن تكونوا معنا، فقال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) (التوبة، الآية، ١١٩) كما ذكرهم بقول النبي ﷺ: (الأئمة من قريش).

وكان أبو بكر ﷺ يدلي بأدلته هذه مقرونة بالثناء على الأنصار ﷺ والاعتراف بفضلهم في الإسلام، فقال: (يا معشر الأنصار إننا لا ننكر حقكم ولا ينكر حقكم مؤمن، وإنا والله ما أصبنا خيراً إلا شاركتمونا فيه) ^(٣) وأبدى لهم عن مشاعر إخوانهم المهاجرين تجاههم ومكانة الأنصار

(١) سنن النسائي الكبرى: ح (١٦٣٢٧). سنن البيهقي الكبرى: ح (١٦٩٩١).

(٢) سنن البيهقي الكبرى: ح (١٢٢٧٣).

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف: ٥٧٣ / ٨.

عندهم، فقال: (فأنتم أحبّ النَّاسِ إلينا وأكرمهم علينا، وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة، وأنتم أنصار الله ورسوله ﷺ وأنتم إخواننا في كتاب الله، وشركاؤنا في الدين)^(١) ثم ختم حوارهِ ذلك بالإفصاح عن مكانة المهاجرين والأنصار ﷺ فقال: (نحن الأمراء وأنتم الوزراء)^(٢) وبهذا العرض والاستدلال والاحتجاج الواضح أقام أبو بكر البينة في مسألة الخلافة وبمنطقه العذب وفصاحته وإنصافه ورفقه وحرصه على وحدة المسلمين أوجد لهذه الحجّة التي أقامها القبول الكامل في قلوب ونفوس إخوانه الأنصار في السقيفة.

فظهر في يوم السقيفة الإجماع على أنه ليس في الأمة من يئاثل صاحب رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ وأن أختيار المسلمين لو أمضوا حياتهم في العمل الصالح حتى نهاية أعمارهم، لما بلغوا مرتبته ومكانته ﷺ اتضح ذلك في قول الفاروق ﷺ الذي أقره المهاجرون والأنصار ﷺ: (وَكَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقَطِّعُ الْأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ)^(٣) قال المهلب: إن الخلافة لا تكون إلا في قریش، وأدلة ذلك كثيرة، منها أنه ﷺ أوصى من ولي أمر المسلمين بالأنصار، وفيه دليل واضح على أن لا حق لهم في الخلافة^(٤) ووصايا النبي ﷺ بالأنصار ﷺ يتناولها المسلمون جيلاً عن جيل، بوجوب القبول من محسنهم والتجاوز عن مسيئهم ﷺ.

ومثل هذا وصية النبي ﷺ بآل البيت ﷺ حيث أوصى ﷺ أمته بآل بيته ﷺ مما يشير إلى أن الخلافة ليست فيهم، ولو كانت الخلافة فيهم أو في الأنصار رضي الله عنهم أجمعين، لأوصى الأنصار أو آل البيت بأمته ﷺ وفي هذا فقه دقيق يعقله العالمون، فيقطع بوضوحه جميع أسباب الشغب والتشويش التي يتسلح بها الرافضة المارقون على إجماع الأمة، وإرشاد النبي ﷺ على أمر

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ٥٧٣/٨ .

(٢) الطبري، تاريخ: ٢٠٣/٣؛ وكيع، أخبار القضاة، ص ٢٣ .

(٣) فتح الباري: ١٢/١٤٩ - ١٥٧ .

(٤) المصدر السابق: ٤٧١/١٠، شرح الحديث (٣٣٩٤).

الخلافة الراشدة، وهذا هو الذي يعمل به أهل الفهم والإخلاص والتجربة؛ من عقلاء الأمة وقادتها الموقفين.

وقول علي بن أبي طالب عليه السلام: " إنَّ نبيكم صلى الله عليه وآله نبي الرحمة، لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة، مرض ليالي وأياماً، يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة، وهو يرى مكاني، فيقول صلى الله عليه وآله: أتت أبا بكر فليصل بالناس، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله نظرت في أمري، فإذا الصلاة عظم الإسلام، وقوام الدين، فرضينا لدنيانا، من رضيه رسول الله صلى الله عليه وآله لدينا فبايعنا أبا بكر ^(١) .

وأكد المهاجرون على سابقتهم وسرعة إجابتهم لداعي الإيمان، وقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وأنهم عشيرته صلى الله عليه وآله الذين شاركوه هموم الدعوة ومواجهة صلف المشركين وحمل الرسالة، وذلك قبل اتصال الأنصار برسول الله صلى الله عليه وآله وأنهم أوسط العرب نسباً، كما نوه أبو بكر صلى الله عليه وآله بمكانة قريش بين العرب وأن: (ليس من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة نسب، وأن العرب لا تقر إلى علي رجل من قريش لأنهم أفصح الناس السنة وأوسط العرب داراً، وأكثر الناس سجية في العرب) ^(٢) وهذا يصدق الواقع الذي قام في الدولة الإسلامية، فكم حصل فيها من التنازع والتخاصم على أمر الخلافة؛ فلم يقم أحد من غير قريش يدعو لنفسه بالخلافة، وإنما يحصل الخلاف بين رجال من قريش، فتنقسم قبائل العرب إلى أقسام كل منها يدعو ويعمل لنصرة من يراه هو الأولى بالخلافة من رجال قريش، فيقاتل ويقتل ويُقتل من أجل ذلك، وهذا ما حصل لمن وقف مع علي أو مع معاوية وعبد الله بن الزبير صلى الله عليه وآله ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك، وغير هؤلاء مما يُصدق مقولة الصديق صلى الله عليه وآله ويوضح ثقل قريش وأثرها الفاعل آنذاك.

(١) ابن عبد البر: التمهيد، ١٢٨/٢٢ .

(٢) الصنعاني، المصنف: ٥ / ٤٤٠؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ٨ / ٥٣٧ .

ومما استشهد به عمر رضي الله عنه في حوارهِ مع الأنصار رضي الله عنهم قوله: (ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الأئمة من قريش؟ قالوا: بلى قال: فأياكم يتقدم أبا بكر؟ فقالوا: لا أحد فسلمت لهم الأنصار وقالوا نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر نستغفر الله نستغفر الله) (١)

فيظهر أن ما احتج به المهاجرون رضي الله عنهم على من دعا إلى الخلافة من إخوانهم الأنصار رضي الله عنهم لم يهمل ما كانوا يتحدثون به ويحتكمون إليه، ليكون ذلك أقطع للشغب وأسرع للقبول، فكأن أبا بكر رضي الله عنه قال لهم: (إن كان هذا الأمر معشر الأنصار، إنما يستحق بالحسب ويستوجب بالقرابة، فقريش أكرم حسباً وأقرب قرابة، وإن كان إنما يستحق بالفضل في الدين، فالسابقون الأولون من المهاجرين المقدمين عليكم في جميع القرآن أولى به) (٢)

فلما أبصر الأنصار المحاورون في مسألة الخلافة وجه الحق والصواب، لحقوا بالطاعة وأعطوا المقادة، بعد أن تذكر من كان ناسياً، وعلم من كان جاهلاً، ورضي من كان طامعاً، واقتنعوا بأهلية إخوانهم المهاجرين للخلافة، ولا سيما بعد أن دعم المهاجرون حججهم بنصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فلا يستطيع أحد أن يقول إنَّ أحداً منهم رد على أبي بكر كلمة واحدة! مما يؤكد فقه أبي بكر وقوة حجته وأيضاً مكانته بين المهاجرين والأنصار المنبثقة من المواصفات التي جبل عليها ولما يعلمون من بمقامه الذي نوه به النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من مكان وأكثر من مناسبة، وبمكانته التي أشار وأرشد المسلمين إليها، كما اتضح ذلك في الأحاديث النبوية السابقة مثل قوله صلى الله عليه وسلم للمرأة التي سألته إن رجعت إليه ولم تجده، فقال صلى الله عليه وسلم: (إن لم تجديني فأتي أبا بكر) (٣).

(١) ابن حنبل، المسند: ٥ / ٣٧٦٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣ / ٩٧٠؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق: ٣٠ / ٢٨٦، ٢٧٢.

(٢) الجاحظ، العثمانية، ص ١٧٧.

(٣) البخاري، مع شرحه فتح الباري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، الحديث (٧٢٢٠)؛ وفي صحيح البخاري (٦٦٨٠).

وغني عن القول أنه لم يشارك في الحوار يوم السقيفة سوى ثلاثة من المهاجرين، وهذا يؤكد أنه لا معنى لأي قول يفسر ما حدث بغير الحوار والتشاور، وأما من يصور حوار السقيفة على أنه نزاع بين الأنصار والمهاجرين الذين مثلهم الصديق والفاروق والأمين ﷺ فإنه مفترٍ على الحقيقة، سالك لطريق الباطل، منتصر للنفاق والردة، لا يستطيع أن يذكر اسماً آخر من المهاجرين سوى هؤلاء الثلاثة له مشاركة في الحوار، وربما لحق بهم بعد ذلك بعض المهاجرين لينالوا شرف سبق البيعة في يوم السقيفة، والاستجابة لما أشار إليه رسول الله ﷺ من تقديم صاحبه أبي بكر الصديق ﷺ و التعاون معه وطاعته ومؤازرته.

المبحث الرابع حديث الأئمة من قريش

الأئمة من قريش
ولما كان حديث (الأئمة من قريش)^(١) أو (إن هذا الأمر في قريش)^(٢) له أثر واضح في الاستدلال على أولوية قريش في خلافة النبي ﷺ فمن المناسب النظر في نصوصه ومعانيه والوقوف عنده وقفة خاطفة، تبين مقاصده وآراء أعلام الفقهاء والمحدثين حوله، وموقف الأنصار منه، وتزليل عنه الإبهام والتشويش الذي لحق به من بعض من قصر علمهم من المفكرين والكتاب المعاصرين، الذين أنكروا أن يكون هذا حديثاً نبوياً، معتمدين في ذلك على كتب التاريخ وعلى استنتاجاتهم المبنية على اجتهاداتهم الخاصة، التي تثبت وتنفي ما تراه، بعيداً عن قواعد الإثبات والنفي، عند أهل الجرح والتعديل.

قال ابن التين: إنما قال بعض الأنصار ﷺ: "منا أمير ومنكم أمير" على ما عرفوه من عادة العرب أن لا يتأمر على القبيلة إلا من يكون منها، فلما سمعوا حديث "الأئمة من قريش" رجعوا عن ذلك وأدعوا. قال ابن حجر: وحديث "الأئمة من قريش" ذكرنا من أخرجه بهذا اللفظ في كتاب الأحكام، ولم يقع في هذه القصة إلا بمعناه، وقد جمعت طرقة عن نحو "أربعين صحابياً" لما بلغني أن بعض فضلاء العصر ذكر أنه لم يرو إلا عن أبي بكر الصديق ﷺ وأستدل به الداودي على أن إقامة الخليفة سنة مؤكدة لأئمتهم أقاموا مدة لم يكن لهم إمام حتى بويع أبو بكر، وتُعقب بالاتفاق على فرضيتها وبأئمتهم تركوا لأجل إقامتها أعظم المهيات وهو التشاغل بدفن

(١) مسند أحمد: ح (١٢٤٣٣) قال شعيب الأرئوط: حديث صحيح بطرقه وشواهد وأهنا إسناد ضعيف لجهالة بكر بن وهب، (١٩٧٩٢) قال شعيب: صحيح لغيره وهذا إسناد قوي، مصنف ابن أبي شيبة: ح (٣٣٠٥٥).
(٢) ابن أبي شيبة، المصنف: ٥ / ٥٤٤ .

النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى فَرَعُوا مِنْهَا، وَالْمُدَّةُ الْمَذْكُورَةُ زَمَنٌ يَسِيرٌ فِي بَعْضِ يَوْمٍ يُعْتَفَرُ مِثْلَهُ لِاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَاسْتُدْلِلَ بِقَوْلِ الْأَنْصَارِ " مِنْ أَمِيرٍ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ " عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَسْتَخْلِفْ، وَبِذَلِكَ صَرَّحَ عُمَرُ كَمَا سَيَأْتِي؛ وَوَجْهَ الدَّلَالَةِ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ فِي مَقَامٍ مَنْ لَا يَخَافُ شَيْئًا وَلَا يَتَّقِيهِ، وَكَذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ " سَأَلَتْ عَائِشَةُ: مَنْ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْلِفًا؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ. قِيلَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ: عُمَرُ. قِيلَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ " وَوَجَدْتُ فِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَأَلَ عَائِشَةَ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي " الْمُفْهَمِ ": لَوْ كَانَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ نَصٌّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى تَعْيِينِ أَحَدٍ بَعِيْنِهِ لِلْخِلَافَةِ لَمَا اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ وَلَا تَفَاوَضُوا فِيهِ، قَالَ: وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَاسْتَدَدَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ نَصَّ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ بِأُصُولِ كَلِمَةٍ وَقَرَائِنِ حَالِيَةٍ، تَقْتَضِي أَنَّهُ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ وَأَوْلَى بِالْخِلَافَةِ ﷺ، وَذَكَرَ ابْنُ حَجْرٍ بَعْضَ تِلْكَ الدَّلَائِلِ فِي تَرْجَمَتِهِ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، وَبَعْضَهَا فِي الْوَفَاةِ النَّبَوِيَّةِ آخِرِ الْمَغَازِي ^(١).

وأولوية قريش بالخلافة ثابتة بنصوص صريحة صحيحة، ورد الحديث فيها بصيغ متعددة ورواؤه من المهاجرين والأنصار، مما يقطع الطريق على كل مشكك أو متردد في إثبات هذا المفهوم الذي أثبتته الأحداث، وصدقه الواقع الذي لا يمكن طمسه ولا كتمانه، لكن اللافت للنظر أن هذا الحديث الصريح أصبح عرضة لحمولات من التشكيك والتأويل والتحريف، فزعم البعض أنه شعار رفعته قريش لاستلاب الخلافة من إخوانهم الأنصار، وقال آخرون: إن هذا النص إنما هو (رأي أبي بكر الصديق وليس حديثاً رواه عن رسول الله) وإنما كان (فكراً سياسياً قرشياً، كان شائعاً في ذلك العصر، يعكس ثقل قريش في المجتمع العربي في ذلك الحين) وأن عبارات (الأئمة من قريش) و(الناس تبع لقريش) ما هي إلا من ذلك الفكر ^(٢).

ولا يخفى أن هذا التشكيك لا يحمل معنى من الصحة ولا وجهاً من الحقيقة، لفقدانه الدليل الشرعي، ولتناقضه مع الواقع السياسي، ولطعنه في أخوة المهاجرين والأنصار ﷺ وفي متانة

(١) ابن حجر: فتح الباري، ١٠ / ٤٧٢.

(٢) ينظر عمارة: الإسلام وفلسفة الحكم، ٣٩٣، الإنصاف، ١٠٨.

الأساس الذي بُنيت عليه وحدة هذه الأمة، ولغمزه بموقف الأنصار المؤيد والموالي للخلفاء الراشدين القرشيين ﷺ.

وكل هذا يؤكد أهمية عرض نصوصه، وبيان الشروط التي قيدته، ثم ذكر من قال بإجماع الأمة على صحته والعمل به، والإشارة إلى بعض المشككين بصحته أو النافين له، فنصوص هذا الحديث وردت في الصحيحين وكتب الحديث الأخرى، بألفاظ متعددة، وأسانيد مختلفة، ففي صحيح البخاري عن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبَّه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين)^(١) وفي رواية أخرى: (لا يزال الإسلام عزيزاً بخلفاء كلهم من قريش)^(٢).

وعن جابر بن سمرة قال سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعْهَا فَقَالَ أَبِي إِنَّهُ قَالَ كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ)^(٣).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ " الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ، إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكُمْ حَقًّا؛ وَلَكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا مِثْلَ ذَلِكَ، مَا إِنْ اسْتَرْجَمُوا رَجْمًا، وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَوْا، وَإِنْ حَكَمُوا عَدَلُوا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"^(٤).

وعن عليٍّ ﷺ قال: " الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَنْ فَارَقَ الْجُمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ نَزَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ"^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: (النَّاسُ تَبِعَ لِقْرِيشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ؛ مُسْلِمُهُمْ لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ لِكَافِرِهِمْ)^(٦) وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (النَّاسُ تَبِعَ لِقْرِيشٍ فِي الْخَيْرِ

(١) صحيح البخاري: ح (٦٦٠٦) فتح الباري: كتاب الأحكام، باب الأئمة من قريش، الحديث (٧١٣٩) صحيح

مسلم بشرح النووي: كتاب الإمارة، الحديث (٦٦٢٧).

(٢) صحيح البخاري: ح (٦٦٨٢).

(٣) صحيح مسلم: ح (٣٣٩٥).

(٤) مسند أحمد: (١١٨٥٩) المسند الجامع، باب الإمارة: ٢/١١١٢. مسند أحمد: (١٢٤٣٣) قال شعيب الأرناؤوط:

صحيح بطرقه وشواهداً (١٩٧٩٢) وقال: صحيح لغيره وهذا إسناد قوي، مصنف ابن أبي شيبة: (٣٣٠٥٥).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ح (٣٨٣١٠).

والشر) (٣) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنّ هذا الأمر في قريش) (٣)
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لقريش: (إنّ هذا الأمر فيكم وأنتم ولاته) (٤)
وقال النبي ﷺ: (قدموا قريش ولا تقدّموها) (٥).

والأحاديث النبوية التي تبين أن أمر الخلافة في قريش منتشرة، أورد ابن حجر أحاديث كثيرة منها تحت باب "الأمراء من قريش" أسندها إلى كتب السنن والمسانيد والمصنفات، مثل حديث: (ألا إنّ الأمراء من قريش) و(إن الملك في قريش) وغيرها، والأحاديث في هذا الباب لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب الحديث، وقد رويت بألفاظ متعددة، إلا أنها متقاربة تؤكد جميعها أن أمر الخلافة في قريش فقط، وما سوى ذلك من الولايات يتساوى فيه جميع المسلمين.

أما القيود التي حددت الإمارة في قريش، فإنّها حدّرت من الانقياد الأعمى لهم، وأنّ هذا الأمر فيهم ما أقاموا الدين، كما تبين في حديث معاوية رضي الله عنه ومن القيود الأخرى على صحة الإمامة في قريش، ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه: (ما إن استرحموا رحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).

وبهذا تحذر الأحاديث من اتباع قريش إن زاغوا عن الحكم، بما أنزل الله قال تعالى: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكفرون ﴾ فإن لم يحكموا بشرع الله تعالى، ويفوا بمثل هذه الشروط، فإنهم سيصبحون خطراً على الأمة، وحذرت الأحاديث الشريفة من اتباعهم على غير ما أنزل الله، ودعت إلى اجتنابهم والبعد عنهم واعتزالهم، قال رسول الله ﷺ: (إنّ هلاك أمتي أو

(١) صحيح مسلم: (٣٣٩٠)؛ وصحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإمارة، الحديث (١٨١٨).

(٢) صحيح مسلم: ح (٣٣٩١).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٤٤٥/٥.

(٤) مسند أحمد: ح (١٦٤٥٢).

(٥) ابن أبي عاصم: السنة، ٦٧٣/٢.

فساد أمتي رؤوس أغلبيمة سفهاء من قريش^(١) وعندما سُئل ﷺ: فما تأمرنا؟ قال ﷺ: (لو أنّ النَّاس اعتزلوهم)^(٢).

ومن هذه النصوص تتضح الصورة كاملة لمسألة (الأئمة من قريش) وأن الأنصار انقادوا لقريش ضمن هذه الضوابط وعلى هذه الأسس، وهذا ما أكدوه في بيعاتهم لرسول الله على السمع والطاعة، والصبر على الأثرة، وأن لا ينازعوا الأمر أهله، إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان^(٣).

و. فـلـكـ بـالإجماع على حـلـث الأئمة من قريش

قال الإمام النووي: وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة، فكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم، فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين، ومن بعدهم بالأحايث الصحيحة، قال القاضي عياض: اشتراط كونه قرشياً، هو مذهب العلماء كافة، قال واحتج به أبو بكر وعمر ﷺ على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد، قال القاضي: وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع ولم ينقل عن السلف فيها قول ولا نقل يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار^(٤).

وقال ابن حزم تعليقاً على قول أنس بن مالك الأنصاري السالف الذكر: (الأئمة من قريش): وهذه الرواية جاءت مجيء التواتر؛ رواها أنس بن مالك الأنصاري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وجابن بن سمرة، وعبادة بن الصامت الأنصاريين، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمر القرشيين. وتعدد طرق هذه الروايات يعطيها قوة الرواية المتواترة.

(١) مسند أحمد: باب الإمارة، (٧٩٦١).

(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، (٦٦٢٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢/٢٠٠، ابن حجر: فتح الباري: شرح الحديث، (٧١٤٠).

وقال ابن حجر: قد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابياً لما بلغني أن بعض فضلاء العصر، ذكر أنه لم يرد إلا عن أبي بكر الصديق^(١).

وقال أبو بكر الباقلاني: (ويجب أن يعلم أن الإمامة لا تصلح إلا لمن تجتمع فيه شرائط منها: (أن يكون قرشياً) وعمل المسلمون به قرناً بعد قرن، وانعقد الإجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الخلاف بين المسلمين^(٢) وبعد أن تبين عمل الأنصار والمهاجرين بهذا الحديث ومن بعدهم عامة الصحابة والتابعين، فإن الأئمة الأربعة قالوا به أيضاً.

روي ذلك عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت^(٣) وقال الإمام مالك بن أنس: (ولا يكون الإمام إلا قرشياً، وغيره لا حكم له إلا أن يدعو إلى الإمام القرشي)^(٤) وروي ذلك عن محمد بن إدريس الشافعي^(٥).

وقال أحمد بن حنبل: والخليفة يجب أن: (يعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها، ويجبهم لحديث النبي ﷺ: (حبهم إيمان وبغضهم نفاق)^(٦) ولا يقول بقول الشعوبية، وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل، فإن لهم بدعاً ونفاقاً وخلافاً)^(٧) وقال: (الخلافه في قریش ما بقي من الناس اثنان ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم ولا نُقَرُّ لغيرهم

(١) فتح الباري: باب الأمراء من قریش، شرح الحديث، (٧١٤٠) وينظر الدميجي: الإمامة العظمى، ٢٦٥.

(٢) فتح الباري: شرح الحديث، (٧١٤٠) الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ٦٩، الدميجي: الإمامة العظمى، ٢٧٥.

(٣) ينظر البغدادي: أصول الدين، ٢٧٥.

(٤) ابن العربي: أحكام القرآن، ١٧٢١/٤.

(٥) الشافعي: كتاب الأم، ١/١٤٣.

(٦)

(٧) ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ١/٣٠. ابن حنبل: العقيدة رواية أبي بكر الخلال، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ٨١.

إلى قيام الساعة) وقال ابن حزم: (لا يستحق الخلافة إلا قرشي)^(١) ومن قال بذلك من أعلام المسلمين الإيجي والماوردي وأبو حامد الغزالي وابن خلدون^(٢).
ومن المُحدّثين محمد رشيد رضا، قال: أما الإجماع على اشتراط القرشية فقد ثبت بالنقل والعقل، رواه ثقات المُحدّثين واستدل به المتكلمون وفقهاء مذاهب السنة كلهم وجرى عليه العمل بتسليم الأنصار لقريش ثم إذعان السواد الأعظم من الأمة عدة قرون^(٣) وفي النظم السياسية في الإسلام اشتراط النسب القرشي ثابت بالشرع عن طريقين: السنة والإجماع^(٤).

وجرى الإمامة في قريش من غير أهل السنة والجماعة

ومن يرى أن الإمامة لا تصح إلا في قريش: الإمامية، إلا أنهم زعموا أنها لا تكون إلا في علي بن أبي طالب وأولاده عليه السلام وأنها تسلسلت من أمير المؤمنين علي إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى أبنائهم ثم إلى محمد بن الحسن العسكري المنتظر^(٥) وواضح أنّ هذا في بنيات خيالهم فقط إذ أن أسماء أئمة المسلمين وخلفائهم معلومة لدى الصغير والكبير ولدى المسلمين والكافرين وليس لها أئمة سوى الراشدين وعلى ترتيبهم الذي جعلهم به المهاجرون والأنصار ثم من سار على منهجهم واتبعهم بإحسان من المسلمين.

الراوندية: وهم أتباع أبي هريرة الراوندي من فرقة الكيسانية إلا أنهم يعتقدون أنها لا تصح إلا في ولد العباس بن عبد المطلب ثم أولاد أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني^(٦).

(١) ابن حزم: الفصل، ١٠٩/٤.

(٢) ينظر الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف، ١١٢.

(٣) رضا: الخلافة أو الإمامة العظمى، ١٩.

(٤) ينظر محمد أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام، ١٩٣.

(٥) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ٩٥.

(٦) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ١/٩٦.

وأتباع زيد بن علي بن الحسين عليه السلام كان من مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، وهم يرون أن الخلافة في علي ثم ولده من فاطمة رضي الله عنها سواء كان حسنياً أو حسينياً^(١). وهناك بعض الفرق الغالية التي تتعلق بآل البيت ترى أن الخلافة لا تتجاوز واحداً منهم وعامتهم يحصرونها في ذرية علي بن أبي طالب ولا سيما من أبناء فاطمة رضي الله عنها^(٢). وهناك من يرى عدم اشتراط القرشية في الخلافة: أول هؤلاء الخوارج وهم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء كان في زمن الخلفاء الراشدين عليهم السلام أو من جاء بعدهم^(٣) ويأتي في مقدمتهم الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. والخوارج أجازوا أن تكون الإمامة في قريش وأجازوا أن لا يكون في العالم إمام أصلاً وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبداً أو حراً أو نبطياً أو قرشياً^(٤). وبعض المعتزلة يميزون الإمامة في غير قريش إلا أنهم لا يميزون تقديم النبطي على القرشي أما جمهور المعتزلة فيشترط النسب القرشي، وممن قال بعدم اشتراط القرشية من الكتاب المحدثين العقاد في: الديمقراطية في الإسلام^(٥) والخربوطلي: في الإسلام والخلافة^(٦). وصلاح الدين دبوس في: الخليفة توليته وعزله^(٧) ومحمد عمارة في: المعتزلة وأصول الحكم، وإبراهيم بيضون في: الأنصار والرسول عليه السلام قال: وما لبث

(١) الملل والنحل، ١٠ / ١١٢.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ١٠ / ١٢٧.

(٣) المصدر السابق، ١ / ٨٤. الإنصاف: ١١٣.

(٤) الملل والنحل: ١ / ٦٤.

(٥) العقاد: الديمقراطية في الإسلام، ٦٩.

(٦) الإسلام والخلافة: ٨.

(٧) الخليفة توليته وعزله: ٢٧٠.

المهاجرون أن سيطروا على الموقف في ظل شعارهم: الأئمة من قريش ... وانفض جمع الأنصار^(١).

وقال عمارة: روى الطبري وغيره خبر السقيفة بطرق متعددة خالية كلها من ذكر الاحتجاج بالخبر المروي للأئمة من قريش فهو رأي لأبي بكر رضي الله عنه وليس حديثاً رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم!^(٢)

ولعل هذا الجهل بهذا الحديث الذي تبينت طرقه ورواته وتعددت نصوصه ومصادره، ما يبين عمق الصلة بين التاريخ الإسلامي والحديث النبوي الشريف، فلو اعتمد الكاتب على كتب الحديث لما جعل من تاريخ الطبري مصدراً للحكم على إثبات الحديث أو نفيه، وعلى هذا يتضح بطلان وضعف هذا الرأي الذي لا يستند إلى دليل نقلي ولا إلى شاهد عقلي، والنقل الصحيح أثبت هذا الحديث، وواقع الأمة التي قدمت قريشاً يؤكد عملها به ومن ثم لا حجة بأقوال الشواذ عن إجماع الأمة من الخوارج والروافض، أو ممن ينكر النص الصحيح ويقول بهواه تحقيقاً لأغراض في نفسه، أو ممن لا يمتلك شيئاً عن علوم الحديث وقواعده العلمية الدقيقة، فيصدر الأحكام بلا زمام ولا خطام، وربما تأكيداً لأهواء مسبقة أو لجهل متراكم في فقه تاريخ الأمة.

ومما سبق يتضح أن للأنصار تصوراً تاماً عن مسألة الخلافة وأنها لم تكن مجهولة عندهم، وأن حديث "الأئمة من قريش" كان يرويه كثير منهم، وأن الذين تحدثوا يوم السقيفة لم يكن لديهم علم به، فلما علموا به، ورواه لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. سكتوا عما كانوا يطالبون به^(٣) عملاً بالدليل واستجابة للنص، ولهذا لم يراجع الصديق رضي الله عنه أحد من الأنصار رضي الله عنهم عندما استشهد به، فأمر الخلافة تم بالتشاور والاحتكام إلى النصوص الشرعية والعقلية التي أثبتت أحقية قريش بها، ولم يسمع عن أحد من الأنصار بعد بيعة السقيفة، أنه دعا لنفسه بالخلافة، مما يؤكد اقتناع الأنصار رضي الله عنهم وتصديقهم لما تم التوصل إليه من نتائج الحوار والشورى.

(١) الأنصار والرسول ج: ٥٨، الحجاز والدولة الإسلامية، ١٠.

(٢) المعتزلة وأصول الحكم: ١٧٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ٢٠٠/١٢، رضا الخلافة أو الإمامة العظمى، ١٩.

فلم يعد مقبولاً أن تُجهل كل هذه الحقائق أو تُتجاهل، وينكر وجود الأحاديث الصحيحة سنداً ومنتناً، أو يزعم أنها شعار رفعتة قريش لاستلاب الخلافة من الأنصار ﷺ فيغمز برابطة الأخوة بينهم ويطعن في وحدة الأمة، ويقدم المسوغات الزائفة، لهدم الأساس الذي بنيت عليه وحدتها، في دعوات مغرضة تشوبها السمات الشعوبية التي يعميها حقدّها على العرب خاصة وعلى المسلمين عامة عن كل حق وحقيقة.

قال الإمام أحمد بن حنبل: إن على الخليفة أن " يعرف للعرب حقهم وفضلهم وسابقتهم، ويحبهم، ولا يقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي، الذين لا يحبون العرب، ولا يقرون لهم بفضل " (١).

فنسبة هذه النصوص الحديثية الصحيحة إلى أبي بكر ﷺ أو القول بأنها شعار لقريش نسبة باطلة وفرية باردة، وأقوال مردودة، تفتقد المصدقية العلمية، وتخالف واقع الحياة الذي كان عليه المسلمون في العصر الراشدي وصدر الإسلام، ذلك العصر الذي قام أساساً على جهود المهاجرين والأنصار ﷺ ومن تبعهم بإحسان من أبناء أمتهم.

وما سبق يؤكد إجماع المهاجرين والأنصار على بيعة أبي بكر الصديق ﷺ ومن جاء من بعده من الخلفاء الراشدين ﷺ وعلى الترتيب المعروف عنهم، وهم في ذلك يسرون على هدي ما لديهم من إشارات قرآنية وإرشادات نبوية واجتهادات علمية ومشاورات شرعية، أوصلتهم إلى أسمى ما يصل إليه أئمة الدعاة وبناء الحضارات، لا يشغب عليهم ويشوش على منهجهم إلا تائه أو حاقد أو رافض لما جاء به رسول الله ﷺ فالصحابه ﷺ وتابعوهم من أمة الكتاب والسنة كانوا يسرون على بصيرة من أمرهم، متمسكين بهدي النبوة مسترشدين بإشاراتها:

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَعَ غُلَامِي أَخْبَرَنِي بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ جُمُعَةٍ عَشِيَّةَ رَجْمِ الْأَسْلَمِيِّ

(١) ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ١/ ٣٠.

يَقُولُ: لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: عُصْبَةُ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ الْبَيْتَ الْأَبْيَضَ بَيْنَ كِسْرَى وَآلِ كِسْرَى، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِذَا أَعْطَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَدَكُمْ خَيْرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَنَا فَارَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ^(١).

فبيعة السقيفة تمت على علم وهدى نبوي صحيح وإجماع من المهاجرين والأنصار مثلت الأساس الذي انطلقت منه الأمة انطلاقتها الكبرى بعد وفاة النبي ﷺ في الفتوح والدعوة والبناء، لا يرتاب فيها إلا جاهل، ولا يشكك بمنهجها ووسائلها وثمارها؛ إلا بقايا المنافقين وأنصار المرتدين، أما الأنصار ﷺ فكانوا خير قدوة لمن جاء بعدهم من المسلمين؛ في الحرص على سلامة العقيدة ووحدة الأمة، وكان وفاؤهم لشروطبيعة العقبة في السمع والطاعة والصبر على الأثرة، وعدم منازعة الأمر أهله، كلها معان راسخة في مواقفهم، ثبتوا عليها فلم يغيروا ولم يبدلوا فنالوا عليها ثناء رسول الله ﷺ ومن بعده ثناء المهاجرين، وأسهمت في بناء مكانة عليّة للأنصار في قلوب المسلمين قلّ نظيرها، قال خليفة رسول الله أبو بكر الصديق نحن والأنصار كما قال القائل:

أَبُوا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنْ أَمْنَا تُلَاقِي الَّذِي يَقْلُونَ مَنَا مَلَّتْ^(٢)
وهذا واقع المسلمين لا زال يشهد للأنصار ﷺ بجميل الخصال وكريم الفعال، وعظيم الوفاء وشدة الغيرة والحمية على الكتاب والسنة، فهم الشاهد والمعيار عند الأوفياء والمخلصين لدينهم وعقيدتهم، فقد ذهب الأنصار وبقيت مواقفهم ومنهجهم الثابت في الدعوة إلى النصرّة والصبر على الأثرة، شاخصاً ينادي العاملين على نصرّة الدين وحماية الأمة أن هذا الطريق عطاء وفداء ووفاء، لا نجاح فيه لغير أهل الإخلاص والتقوى، الصابرين على الغربة والوحشة والأثرة، لا يلتفتون إلى الدنيا وحطامها الزائل، وبعد كل ما تقدم من أدلة وثوابت تبين أنّبيعة

(١) مسند أحمد: ح (١٩٩٤).

(٢) الكاندهلوي: حياة الصحابة، باب النصرّة، ١/ ٣٧٧.

السقيفة المباركة كانت بيعة نور وهدى، واتباع واقتداء، ويبقى السؤال الكبير يلاحق الرافضة والمرتدين، وإخوانهم من التائبين والمنتفعين، وكل من يرفض خلافة أبي بكر الصديق ﷺ لماذا تبغضون بيعة السقيفة إن كنتم مؤمنين؟!.

السؤال الكبير لأعداء الصحابة لماذا تغيبهم بيعة السقيفة ﷺ أنوا مؤمنين فلماذا يغيب أعداء الصحابة يوم السقيفة؟! وقد تبين فيما سبق من مؤهلات أبي بكر الصديق للخلافة أنه (الأول) في الأمة بعد نبينا ﷺ من بين جميع الصحابة؟! مع ما له من سبق حاسم، ومواقف سامية تفرد بها، ونصوص نبوية جازمة تنوه بمكانته ومناقبه وفضائله، وتحذر من تجاوزه، أو محاولة التقدم عليه، فلماذا يغيبهم يوم السقيفة؟! ومن لا يقرّ بتقديم أبي بكر الصديق ﷺ يُغضب رسول الله ﷺ الذي أراد أن يكتب له كتاباً حين قال لوجه الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (ادعي لي أبا بكرٍ أباً وأخاكِ حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى مُتمنٍ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكرٍ)^(١) فإذا علم هذا فلن تكون هناك غرابة في أن الصديق كان هو المرشح الوحيد لجميع المسلمين يوم السقيفة، وبإشارة ورغبة وإرشاد من رسول الله ﷺ، وأن كل من في السقيفة بايعه ولم يتخلف أحد عن البيعة، كما بايعه جميع الصحابة الذين كانوا في المدينة البيعة العامة في المسجد النبوي المبارك، وما ورد عن موقف سعد بن عباد وبعض من كان معه رضي الله عنهم، إنهما كان أمراً عارضاً، زال حين تجلّت لهم الأدلة الشرعية التي تقدم بها الصديق والفاروق في حوارهم الأخوي الراقي الذي تمّ مع من كان في السقيفة، فالغرابة كل الغرابة فيمن يُصدّق بأنّه كان هناك منافس لأبي بكر في يوم السقيفة أو بعده، فيسقط خيار النبي ﷺ، وإجماع المهاجرين والأنصار الذي تجلّى حين قال لهم عمر الفاروق رضي الله عنه في السقيفة: (من هذا الذي له هذه الثلاث؟! " إذ هما في الغار" من

(١) صحيح مسلم: (٦٣٣٢).

هما؟! " إذ يقول لصاحبه " من صاحبه؟! " لا تحزن إنَّ الله معنا " مع من؟! فبسط عمر يد أبي بكر رضي الله عنهما فقال بايعوه فبايع الناس أحسن بيعة وأجملها ^(١).

فلماذا يغيظهم اجتماع المسلمين ووحدهم؟ وبيعة المهاجرين والأنصار وطاعتهم؟ ولماذا تغيظهم بيعة السقيفة ورسول الله ﷺ أغلق كل باب وخوذة تؤدي إلى المسجد إلا باب وخوذة خليفته أبي بكر الصديق؟ ^(٢) فمن يغتاز من بيعة السقيفة إنَّما يردّ ما أمر به وأشار إليه النبي ﷺ، وينقض الواقع الذي عاشته الأمة آنذاك؟ وينشر ما يُردده المخالفون من أباطيل وافتراءات؟ ذلك إنَّه لا يستطيع باحث أن يثبت برواية صحيحة أن هناك من تخلف عن الصلاة خلف الصديق إمام الصحابة بعد رسول الله ﷺ! أو تخلف عن نفيه الذي قاده رضي الله عنه بنفسه لمواجهة المرتدين! وكيف يغتاز من يزعم أنه مسلم من بيعة السقيفة، ولا يستطيع باحث أن يثبت أن هناك صحابياً واحداً لم يخاطب الصديق بـ "يا خليفة رسول الله؟! " إلا إذا كان باحثاً من إخوان الرافضي الأفاك أبي مخنف لوط بن يحيى الإخباري التالف المحترق الذي لا يوثق به، كما أجمع على ذلك أهل الجرح والتعديل، ذلك المفترى الذي لوّث تاريخ ابن جرير الطبري بأباطيله وأحقاده على أصحاب رسول الله ﷺ، ثم تناقل رواياته المكذوبة بعض من أراد أن يبين زيفها ولكنّه لم يحذر منها بما فيه الكفاية، أو أهل الأهواء والجهلة ممن لا علم لهم ولا دراية، بمكر وبهتان أعداء الصحابة وأحقادهم التي لا زالوا يؤزّونها، وينفخون في نيرانها، ويسبحون في أوحالها، مستهدفين يوم السقيفة وما أئيع فيه من الثمار التي أسهم أبو بكر إسهاماً مباشراً في قطافها ووضعها في سلة المصالح العليا للأمة، مما جعل الصحابة لا يرضون سواه خليفة لرسول الله ﷺ، يتجلى ذلك في انقيادهم التام لأبي بكر الصديق ﷺ، وحرصهم على تخصيصه بخصوصية لقب " خليفة رسول الله "، بروح تبعث على الحب والاعتزاز؛ والأصالة والطاعة والتفاؤل في كل شؤون حياتهم، وهم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر: من الآية ٨).

(١) البيهقي: السنن الكبرى، ح (١٦٩٩٠) النسائي: السنن الكبرى، ح (٧١١٧)

(٢) صحيح البخاري: فضائل أبي بكر، ح (٣٣٨١) ح (٤٤٧) صحيح مسلم: ح (٤١٤٦).

فالصادقون يسمون الصديق خليفة رسول الله ويأتمون بإمامته، ويفخرون بقيادته، والمنافقون يشاركون مسيلمة الكذاب في حربه على الصديق والصادقين، فيخترعون الأباطيل، وينشرون الأوهام، للتشويش على الخلافة الراشدة انتصاراً للمرتدين!! وانتقاماً من أبناء خير القرون الصحابة المكرمين، ومن تبعهم بإحسان من الذين افتدوا السنة وأطفؤوا فتن المخالفين الضالين!!.

ففي الصلاة التي هي أهم شعائر الدين كان الصحابة ينادون الصديق بيا خليفة رسول الله، فحين قرأ يوماً في صلاة الفجر بسورة (البقرة) حتى سلّم منها قريباً من طلوع الشمس، قالوا: يا خليفة رسول الله؟ كادت الشمس تطلع! فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين^(١) والشاهد أن أحبّ الأسماء التي ينادي بها الصحابة قائدهم هو "خليفة رسول الله".

وفي العطاء قال زيد بن أسلم عن أبيه. قال: ولي أبو بكر الصديق ﷺ فقسم بين الناس بالسوية، فليل لأبي بكر: يا خليفة رسول الله لو فضلت المهاجرين والأنصار، فقال ﷺ: أشترى منهم شراً! فأمّا هذا المعاش فالأسوة فيه خير من الأثرة^(٢) فكان المسلمون في عصره سواء.

وحين أمر الصديق ﷺ سيف الله خالد بن الوليد بمواجهة المرتدين الذين رفضوا الزكاة وتمردوا على خليفة رسول الله، كتب معه كتاباً فيه: (هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد، حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام إلى ضلالة الجاهلية...)^(٣).

وفي الزهد والخشوع قال زيد بن أرقم ﷺ: كنا مع أبي بكر ﷺ، فدعا بشراب، فأتي بهاء وعسل، فلما أدناه من فيه بكى وبكى حتى بكى أصحابه، فسكتوا وما سكت، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أنهم لن يقدروا على مسألته، قال: ثم مسح عينيه فقالوا: يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال: كنت مع رسول الله ﷺ فرأيتُه يدفع عن نفسه شيئاً، ولم أرَ معه أحداً فقلت: يا رسول الله، ما الذي تدفع

(١) البيهقي: السنن الكبرى، ح (٣٨٢٦). ابن القيم: زاد المعاد، فصل في إطالة الركعة الأولى، ١/٢٠٣.

(٢) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قسم الفيء والغنيمة، باب: التسوية بين الناس في القسمة ح ١٣٢٦٤.

(٣) ابن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول ﷺ، قتال أهل الردة، ١/١٩٩.

عن نفسك؟ قال: "هذه الدنيا مُثَلَّتْ لي، فقلت لها: إليك عني، ثم رجعت فقالت: إن أفلتت منِّي فلن يفلت مني من بعدك"^(١).

ومع قادة الجيوش قال يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما: يا خليفة رسول الله! إمّا أن تتركب وإمّا أن أنزل وأمشي معك، فقال: إني لست براكب ولست بتاركك أن تنزل، إني أحتسب هذا الخطو في سبيل الله^(٢)، وعن عقبه بن عامر، أنّه قدم على أبي بكر الصديق برأس " يناق البطريق " فأنكر ذلك. فقال: يا خليفة رسول الله! فإتّهم يفعلون ذلك بنا قال: فاستناب بفارس والروم؟! لا تحمل إليّ رأساً، فإنما يكفي الكتاب والخبر^(٣) وفي هذا لفتة تبين أخلاقيات الحرب المبنية على الرحمة والإنسانية عند المسلمين، بعكس أخلاقيات أعدائهم الذين لا زالوا يتشفون بالضعيف والأسير بل حتى في جثث القتلى.

وفي البيعة العامة التي تمت في المسجد النبوي الشريف، في اليوم الثاني من بيعة السقيفة قال علي بن أبي طالب لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما معتذراً عن انشغاله عن الحضور في اليوم الأول، يوم السقيفة: (لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه. وقال الزبير رضي الله عنه مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعاه)^(٤) فعلي والزبير رضي الله عنهما - لا تثريب عليهما - أي: لا لوم عليهما؛ لأنهما لم يكن لديهما علم بالمشاورة والحوار الذي تم في السقيفة، ولأنّه لم يُطلب من المهاجرين الحضور إليها، ولم يكن يعلم ذلك إلا القليل منهم، وخليفة رسول الله أعذرهم وتمت

(١) البيهقي: شعب الإيمان. باب: في الزهد وقصر الأمل، ح ١٠٥١٨.

(٢) سعيد بن منصور: السنن، ك: ما يؤمر به الجيوش إذا خرجوا، ح ٢٣٨٣.

(٣) ينظر سعيد بن منصور: السنن. كتاب: باب ما جاء في حمل الرؤوس، ح ٢٦٤٩.

(٤) البيهقي: السنن الكبرى، ك. قتال أهل البغي. باب الأئمة من قريش، ح ١٧٠٠٦. الحاكم: المستدرک علی الصحیحین ٣/ ٨٠. وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأت عليه، فقال: هذا حديث يسوي بدنة، فقلت: يسوي بدنة؟! بل هو يسوي بدرة. والبدرة: الصرة من الدراهم.

بيعتهم في البيعة العامة، لكن المذهل أنّ علياً والزبير رضي الله عنهما يعتذران لخليفة رسول الله، والرافضة وإخوانهم من المستشرقين والعلمانيين يُنصبون أنفسهم الحاقدة مدافعين عنها؛ وكأنهم يريدون القول: لماذا لم يُجمهرا الناس ويحرضوا على الفتنة، ويذهبوا إلى السقيفة ويحدثا شرخاً في وحدة المسلمين، ليثلجوا بذلك صدور الزنادقة والماكرين بأمة المسلمين، فيحققوا آمالهم في تسعير الفتنة بين الأنصار والمهاجرين! ليفسد ذلك المجلس الأخوي العارض الذي انعقد في السقيفة، فعالج بروية وبساطة ومسؤولية أعظم حدث واجه المسلمين! وأكد مسألة محسومة مقطوعاً بها عند أكثر الصحابة في حياة رسول الله ﷺ وإن كان البعض منهم لا علم لهم بما نبه إليه النبي ﷺ!.

ومثلاً كان الحوار والتشاور الذي حصل في السقيفة بين الصحابة أمراً طبيعياً، فإنّ موقف أعداء الصحابة الحاقد والمحارب لبيعة السقيفة؛ أمر لا غرابة فيه، ذلك أنّ بهتانهم وتزييفهم لتلك البيعة منهج من مناهج حربهم على الإسلام والمسلمين، ومتى كان الرافضة لا يخوضون في أوحال النفاق والردة، وهم يقدسون قاتل أمير المؤمنين الفاروق عمر رضي الله عنه!! ومتى كان المستشرقون لا يحرثون في زوابع الفتن؟! وأعاصير التحريض والكرامية؟! التي يدور فيها كثير من التائهيين والمنتفعين ومن لا هوية لهم؛ ممن يسبحون في السراب، ويحصدون في الوهم!. فالؤمنون في خير القرون، يخاطبون الصديق بيا خليفة رسول الله، ويجعلون من أنفسهم الزكية جنداً بين يديه، وبعد هذا يأتي المنافقون والمرتدون ليصنعوا الشبهات، ويفتروا الأباطيل، فيلبسوا بها على من لا علم لهم، أو على أهل الأهواء، ليجندوهم في العمل على هدم وحدة المسلمين وتحريف عقيدتهم، وطمس انتصاراتهم.

فلماذا تغيظهم بيعة السقيفة لو كانوا مؤمنين؟! وأبو بكر الصديق هو الذي بصّر الأمة يوم وفاة النبي ﷺ حتى استقر حالها على أتم وجه وأجمله؟! وهو الذي وحّد كلمة الصحابة في السقيفة وعالج شبهاتها، حتى تعانقت قلوبهم أخوة وعطاء ووفاء للنبي ﷺ ولرسالته الخالدة؟!!

فلماذا يغيظهم يوم السقيفة ولولاه لاستبيحت المدينة على أيدي طلائع المرتدين من بني عبس وذيبيان في ذي القصة؟! ولماذا تغيظهم بيعة السقيفة ولولاهما لما كان نصر يوم اليمامة على مرجع الردة الأكبر مسيلمة الكذاب وجنده؟ ولولاهما لما توحدت جزيرة العرب بعد وفاة النبي ﷺ؟! ولما كانت اليرموك وأجنادين وذات الصواري وفتوح الشام وما بعدها في الغرب؟ ولولاهما لما كانت القادسية ونهاوند وتُسْتَر وما بعدها من فتوح في الشرق؟! ولماذا يغيظهم يوم السقيفة ولولاه ما كانت " بغداد ولا كابل " من بلاد المسلمين؟! ولماذا يغيظهم يوم السقيفة ولولاه لبقيت فارس تحت نير أكاسرة المجوس الظالمين؟!

ثم لماذا لا نحذر أعداء بيعة السقيفة ونحذر منهم ونتوجس منهم كل شرّ وغدر؟ ونرتاب بهم وبكل من له صلة بهم؟! كيف لا وهم شركاء في كل مصيبة ومأساة مسّت الأمة بنيرانها، فمن اغتال الفاروق في محرابه؟! ومن غدر بذئ النورين بين أوراق مصحفه؟! ومن ضرب علياً على باب مسجده؟! ومن طعن الحسن بن علي في فخذه؟! ومن غرّر بالحسين وخذله وغدر به في كربلاء يوم مخرجه؟! ومن لا زال يجدد مأساته الرهيبة في كل عام مرات ومرات؟! فيزرع الضغينة ويذر الكراهية، ليصنع من صديدها أفيون الحقد على أمة الصحابة ومن تبعهم بإحسان! ومن لا زال ينشر الشك بالكتاب والسنة؟ ويوقد الفتن بين المسلمين؟ ويفتري على أئمة الأئمة؟ ويزيف عقيدتهم؟ ومن لا زال يزرع الكيانات الطائفية؟ ويقسم الدويلات الطفيلية؟ داخل الدول والأوطان الأم؟! تمزيقاً للوحدة وتسعيراً للفتنة؟! إلى غير هذا من مساوئ ورزايا تتأجج شرورها على عامة أمصار الأمة وامتداداتها الجغرافية والعقدية! أليس كل من يفعل هذا وغيره والكثير من البلايا؛ هم أدوات الردة، ونواقيس الفتنة، ومطايا الغزاة والمعتدين، أعداء الصحابة الراضين لبيعة السقيفة التي أشرق يومها على الأمة أخوة ومودة ووحدة وعزة وسلاماً؟!

وبعد كل هذا لماذا لا يغيظنا أعداء يوم السقيفة؟! وهم ينشرون ثقافة الكراهية بكل ألوانها ضد رايات السقيفة وأبطالها الذين وحدوا الأمة، وحملوا الرسالة، وحفظوا العقيدة؟! ولماذا تتعامل

معهم وأيديهم ملطخة بدماء أئمتنا وخلفاء نبينا ﷺ؟! وكيف نأمنهم وأيديهم بيد كل عدو وغاز
وحاقد ومستببح لأمة الكتاب والسنة، وحرمتها وعقيدتها وأخلاقها؟!
فإقرار بيعة السقيفة سيبقى علامة على صحة الإيمان وموالاته النبي ﷺ وخلفائه الراشدين،
وسيبقى رفضها حرباً على آل البيت الطيبين، وموالاته للزنادقة والشعوبيين، وانتصاراً للشيطان
الأكبر ومراجع الماكزين، فمن يرفض خلافة أبي بكر الصديق يضع نفسه ومعتقده خارج جماعة
المسلمين، ويؤكد تعاونه مع أعداء الدين، ومن يوالي هؤلاء أو يقاربهم أو يُزين باطلهم، فإنه
متواطئ مع المعتدين على كتاب الله وسنة النبي الأمين ﷺ.

فبمثل هذه القواعد؛ تقاس المواقف والسياسات؛ التي يتبناها من يزعم أنه يعمل على نصرته
الدين، وحماية وحدة المسلمين، وموالاته من قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ
الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ (النور: من الآية ٥٥) أولئك الذين تحقق لهم موعود الله تعالى فاستخلفهم عزَّ
وجل بعد نبيه ﷺ، ومكَّن لهم دينهم وأورثهم تركته امبراطوريتي فارس المجوسية والروم
الصليبية، بعد أن أنجزوا بيعة السقيفة بأخوة وإخلاص، وهذا من أهم الأسباب التي أغاظت
أعداء الصحابة، فصبوا جام غضبهم وبهتانهم على يوم السقيفة الأغر، ليفسدوا ثماره اليانعة!
ومما زاد في أحقادهم أن أغلب مراجعهم المحاربة ليوم السقيفة لم ينالوا إلا الخيبة والخذلان،
على الرغم من كل وسائل الغدر والمكر والبهتان التي عملوا بها، مما اضطرهم لابتكار معتقدات
مناقضة للسنة، وأفكار حاقدة على أهلها، تغذيها الأباطيل والأوهام، وتسوسها المنافع والأهواء،
فأسبغوا عليها صفة السرية الباطنية، التي حبيت إليهم ميراث المنافقين المتمثل في معتقد التقيَّة،
ليتسلحوا به في حربهم الشعواء على ميراث الكتاب والسنة، فأصبحوا شراً يتطير ويتجدد كلما
اجتاح الأمة غزو عسكري أو فكري أو سياسي، فإن كانت الغلبة فيه للغزاة فإن أعداء يوم
السقيفة يمسون بسواري رايات المعتدين، ويُسخرُّون أموالهم ومعتقداتهم وغير ذلك لنصرتهم،
ويُجرِّمون على المسلمين جهادهم، كما حصل ذلك أيام اجتراح الرافضة العبيديون تونس وقتلهم

لأربعة آلاف ما بين عالم وعابد من خيار أهل السنة والجماعة فيها، وكما حصل أيام غزو الصليبيين لبيت المقدس، حين انسحب العبيديون من أمامهم وتركوا الأقصى فريسة سهلة لهم، فقتل أكثر من سبعين ألفاً ممن في المسجد وما حوله وكما حصل أيام هولاءكو والتتار حين خدعوا الخليفة العباسي الشاب الذي لا تجربة له المستعصم بالله وحاشيته، وساقوهم إلى حتوفهم ومصارعهم، ثم استباحوا بغداد وأمة السنّة والجماعة فيها حتى قُتل مئات الألوف من أهلها، وتأكد هذا واتضح قريباً في هذا العصر، حين جاؤوا يحفّون بمواكب (بريمر) الصليبي مصففين ومحرضين ومخادعين، حتى دمر مكونات دولة كاملة، حيث فكك جيشها! ومزق أهلها إلى طوائف يقتل بعضهم بعضاً! ونسف وزاراتها! وسحق كوادرها! وسرق آثارها وخزائنها! واغتال علماءها! ونزع بهجتها، وكوّث حُرمتها، وأعدم أمنها وحريتها، وهكذا يكون المصير البائس المخزي، حين يغفل المؤمنون عن الحذر من أعدائهم، ويثقون بأعداء بيعة السقيفة، أو يأمنون جوارهم، أو يتعاونون معهم، أو يظنون فيهم خيراً في يوم من الأيام، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَبْهِكُم بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ (النساء: ١٤١).

لهذا ولغيره الكثير؛ أصبحت موالاة الصديق رضي الله عنه، وطاعته ومتابعته والاعتزاز بنشر سيرته، فضلاً عن حبه والافتداء به، والثقة بكل ما قام به من جهاد وتعليم وسياسة وإنفاق في سبيل الله تعالى، من علامات الإيثار والرشاد والسداد، مثلما أنّ مناصبته العداة والتشكيك، علامة الجحود والنفاق، فعلى المسلمين في هذا العصر معرفة سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه المتكفلة لمن عرفها وعمل بها؛ بمواجهة وسائل الزندقة والردة، ومعرفة سيرة الجند الذين بايعوا الصديق يوم السقيفة بأيديهم الطاهرة، التي دفعت الشر- وردت الكيد الذي استهدف دين المسلمين وهويتهم، فأصبح من حق الذين أنجزوا بيعة السقيفة على الأمة المحبة والتقدير وجميل

الافتداء بهم، والبراءة ممن لا يحبهم ويواليهم، فالؤمن يحب الصحابة جميعاً ويواليهم، ويبرأ من أعدائهم ومنتقصيهم، قال إسحاق بن سويد العدوي:

ولكني أحبُّ بكل قلبي وأعلم أن ذلك من الصواب
رسول الله والصدِّيق حبّاً به أرجو غداً حسن الثواب
وحب الطيب الفاروق عندي كحب أخي الظما برد الشراب
وعثمان بن عفان شهيد نقبي لم يكن دنس الثياب^(١).

فكان سلف الأمة يحبون الصحابة جميعاً، وينزلون كل واحد منهم منزلته، ويجلون الذين أنجزوا بيعة السقيفة، وجعلوا منها علامة فارقة بين الصادقين جند الصدِّيق ومن تبعهم بإحسان، وبين الغادرين قتلة الخلفاء الراشدين ومن تبعهم باطنية وتقيّة وعدوان.

فهذا وغيره الكثير يفرض على أبناء أمة الكتاب والسنة رعاة ورعية، التعاون على استئصال بذور الفتنة هذه، وتتبع مُسعريها، وإسكات فحيحهم، وفضح وسائلهم الغادرة، وهتك أستارهم المظلمة، وإمالة بقايا موروث التقيّة والرذّة؛ من كل كتاب علمي، ومنهج دراسي، ومحفل اجتماعي ومقال صحفي، وخبر إعلامي، ومجلس شعبي، وأن كل من بصّر على نشر شيء من أباطيلهم التي تتهم أحداً من الصحابة، أو تشكك في نزاهتهم وأخوتهم وإخلاصهم، وعظيم إنجازاتهم للدين والأمة، ولا سيما في بيعة أبي بكر يوم السقيفة، إنّما هو الشر الذي يجب على المخلصين ردّ شبهاته، وتبديد باطله، والتحذير من آفاته وممن يثنها ويغذيها، أو يسمع لها ويصمت عنها، ذلك أن أهداف هذا الصنف، المتلبس في بغض الخلفاء الراشدين، هدم الأساس الذي بنت عليه الأمة حضارتها، وأن يقوضوا وحدتها، ويُحرّفوا عقيدتها، وينكثوا غزلها في الحياة الاجتماعية العفيفة، والسياسية الشريفة، والاقتصادية النظيفة، وفي الفتوح ورحمتها، والأخلاق السامية وعظمتها.

(١) ابن معين: تاريخ يحيى بن معين رواية الدوري، ٤/١٧٧. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٩/٥٠٤.

فلماذا يغيظهم يوم السقيفة إن كانوا مؤمنين؟! ولماذا تغيظهم بيعة السقيفة والله تعالى يقول
 منوهاً بمكارم صاحبها أبي بكر الصديق: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ
 اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ
 تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؟! (التوبة: ٤٠).
 فالمؤمنون يستمدون من يوم السقيفة الإخلاص لعقيدتهم، والاتباع لنبیهم ﷺ، والحرص
 على وحدة أمتهم، ويتمسكون في التعامل فيما بينهم بأخلاق الحوار والشورى، فيصنعون الأمن،
 وينشرون العدل، ويقىمون المحبة، وينتجون السلام، على منهج إمامهم وخليفتهم أبي بكر
 الصديق ﷺ؛ الذي قال فيه القائل واصفاً سبقة وتفردة:

بِاللَّهِ لَا يَدْرِكُ أَيَّامَهُ ذُو مِئْزَرٍ حَافٍ وَلَا ذُورِءٍ
 مَنْ يَسْعُ كَيْ يَدْرِكَ أَيَّامَهُ مَجْتَهِدُ الشَّدِّ بِأَرْضِ فِضَاءٍ^(١).

وفي الختام لا يسعني إلا أن أرفع يدي متضرعاً إلى المولى عز وجل، أن يجعل عملي هذا
 خالصاً لوجهه الكريم، نقياً من كل شائبة، وأن يدخره لي لظلمة القبر وعبور السراط، يوم لا
 ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأسأله بكرمه وجوده أن يجعله سبباً لوحدة أبناء
 الأمة على سنة نبينا ﷺ ويزيد في محبتهم لأبي بكر الصديق ﷺ وغيرتهم على أصحاب رسول الله
 ﷺ فيوالون من يواليهم ويبرؤون ممن يعاديهم، وأسأله بكرمه أن يحشني ووالدي وذريتي، ومن
 له حق علي؛ ممن أعانني أو أسدى لي معروفاً، ومحبي أبي بكر الصديق ﷺ مع المهاجرين والأنصار
 ﷺ تحت ظلال راية نبينا محمد ﷺ وعلى ضفاف نهره الشريف، وأركان حوضه المنيف، إنّه نعم
 المولى ونعم النصير، وأستغفر الله العظيم من كل خطأ وزلل وشطط، وآخر دعوانا أن الحمد لله
 رب العالمين.

عمان: ٢١/٧/٢٠١٠م.

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢/٢١٨، ٣٠/٤٤٤. المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ١/١٩٧.

أهم المراجع والمصادر

- * ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري، ت (٦٠٦هـ).
- أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيحة، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
- * ابن أحمد: عبد الله بن أحمد بن حنبل، ت ٢٩٠هـ-٩٠٣م.
- السنة: تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار القلم، الدمام، ١٤٠٦هـ.
- * الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت ٣٣٠هـ-٩٤١م.
- مقالات الإسلاميين: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، (بلا.تا).
- * الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ٤٣٠هـ-١٠٣٨م.
- معرفة الصحابة: تحقيق: محمد راضي، مكتبة دار العلوم والحكم، المدينة، ط ١. ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- * ابن أعثم: أحمد بن محمد بن علي الكوفي، ت ٣١٤هـ-٩٢٧م.
- الفتوح: بإشراف: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف، حيدرآباد، ط ١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- * الألباني: محمد ناصر الدين الألباني.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض.
- * الألوسي: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الألوسي (المتوفى: ١٣١٧هـ).
- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: قدم له: علي المدني، مطبعة المدني، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- * عبد الباقي: محمد فؤاد عبد الباقي.

- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، مصدر الكتاب: موقع مكتبة المشكاة.
- * البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ت ٢٥٦هـ - ٨٦٩م.
- الجامع الصحيح المختصر: تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، اليمامة، ط ٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- * ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، ت ٤٦٣هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مصدر الكتاب: موقع الوراق.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، مؤسسة القرطبة، مصدر الكتاب: موقع مكتبة المدينة المنورة.
- * البزار: أحمد بن عمر بن عبد الخالق العتكي، ت ٢٩٢هـ - ٩٠٤م.
- البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٩هـ - ١٩٨١م.
- * البسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي، ت ٣٤٧هـ.
- المعرفة والتاريخ: تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت.
- * البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٢٧٩هـ - ٨٩٢م.
- الشيخان وولديهما، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- * البوصيري: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، ت ٨٤٠هـ.
- تحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- * بيضون: إبراهيم بيضون.
- الأنصار والرسول ﷺ، إشكاليات الهجرة في الدولة الإسلامية الأولى، معهد الإنشاء العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الحجاز والدولة الإسلامية، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- * البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ت ٤٥٨هـ - ١٠٦٥م.

- السنن الكبرى: تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- * الترمذي: حمد بن عيسى بن سورة، أبو عيسى، ت ٢٧٩ هـ.
- سنن الترمذي، دار الفكر، ١٣٩٨ هـ.
- * ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت ٧٢٨ هـ.
- منهاج السنة النبوية: تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة لأولى.
- مجموع الفتاوى: تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- * الجزائري: طاهر الجزائري.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، حلب، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- * ابن الجزري: أبو السعادات محمد بن المبارك الجزري.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود أحمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- * ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي، ت ٥٩٧ هـ.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٨ هـ.
- صفة الصفوة: تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعة جي، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ.
- المدهش: تحقيق: د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م.
- * الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- * الحاكم: أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، ت ٤٠٥ هـ - ١٠١٤ م.
- المستدرک علی الصحیحین: تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

- *ابن حبان: محمد بن حبان بن أبي حاتم التميمي البُستي، ت ٣٥٤هـ - ٩٦٥م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الثقات: تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ط ١، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ترتيب: الأمير علاء الدين علي المتوفى ٧٣٩هـ - ١٣٣٨م. ضبط نصه: كمال يوسف الحوت، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- *ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م.
- الإصابة في تمييز الصحابة: تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرون، دار الريان، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- تهذيب التهذيب: مصدر الكتاب: موقع اليعسوب (المكتبة الشاملة).
- لسان الميزان: تحقيق: دائرة المعارف النظامية، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١٤٠٦٣هـ - ١٩٨٦م.
- *ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد أبو حامد، ت ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م.
- شرح نهج البلاغة: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجليل، (بلا.ط) ١٤٠٧هـ.
- *ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ت ٤٥٦هـ - ١٠٦٣م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٥هـ - ١٣٩٥م.
- *ابن حجر الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- *الحلبي: علي بن برهان الدين الحلبي.
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- *الحميدي: عبد الله بن الزبير القرشي، ت ٢١٩هـ - ٨٣٤م.

- الجمع بين الصحيحين، تحقيق: علي البواب، دار ابن حزم، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- * ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ - ٨٥٥م.
- مسند أحمد: تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- * ابن أبي العز الحنفي: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (المتوفى: ٧٩٢هـ).
- شرح العقيدة الطحاوية: تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- * ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري.
- صحيح ابن خزيمة: تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ.
- * الخلال: أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر.
- السنة: تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ.
- * الخليفة: حامد محمد الخليفة.
- الإنصاف في ما وقع في العصر الراشدي من الخلاف، دار القلم، دمشق، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الموقف من الشبهات على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبي بكر الصديق عليه السلام، حامي الإسلام من الرفض والردة، مطبعة الحسام، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- * أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥هـ - ٨٨٨م.
- سنن أبي داود: دراسة وفهرسة: كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- * الدليمي: طه حامد الدليمي.
- المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق وأصول الباطل (صورة عن الأصل).

- *الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت ٦٧٣هـ-٧٤٨م.
- سير أعلام النبلاء: تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (بلا.تا).
*رضا: محمد رشيد.
- الخلافة أو الإمامة العظمى، مطبعة المنار، (بلا.ط) ١٣٤١هـ-١٩٢٢م.
*الزبيري: المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، ت ٢٣٦هـ.
- نسب قریش: تحقيق: أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٨٢م.
*الساعاتي: محمد عبد الرحمن البنا المعروف بالساعاتي.
- الفتح الرباني، ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مع شرحه بلوغ الأمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.تا).
- * ابن سعد: محمد بن سعد بن منق البصري الزهري، ت ٢٣٠هـ.
- الطبقات الكبرى: إعداد: رياض عبد الله عبد الهادي، دار التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.
- *سعيد بن منصور: سعيد بن منصور الخراساني، ت ٢٢٧هـ-٨٤١م.
- سنن سعيد بن منصور: تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، ط ١، ١٤٠٣هـ.
*ابن سيد الناس: محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس.
- عيون الأثر، مصدر الكتاب: موقع اليعسوب.
- *ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت ٤٥٨هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم: تحقيق: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
*السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت ٩١١هـ-١٥٠٥م.
- تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.

- الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- *الشافعي: محمد بن إدريس، ت ٢٠٤هـ - ٨١٩م.
- كتاب الأم، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- *الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، ت ٥٤٨هـ.
- الملل والنحل: تحقيق: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٤هـ.
- * ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، ت ٢٣٥هـ.
- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار: تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- *أبو بكر الشيباني: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني.
- الآحاد والمثاني: تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، جاز الياض، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- *الصاحب: الصاحب بن عباد.
- المحيط في اللغة، مصدر الكتاب: موقع اليعسوب.
- *الصالحى: محمد بن يوسف الصالحى الشامى.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، مصدر الكتاب: موقع اليعسوب.
- *الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام، ت ٢١١هـ - ٨٢٦م.
- المصنف، ومعه كتاب الجامع لمعمر بن راشد الأزدي رواية عبد الرزاق: تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- *الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني.
- المعجم الكبير: تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط ١، (بلا.م) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- المعجم الأوسط: طارق بن عوض الله، عبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

- مسند الشاميين: تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- *الطنطاوي: علي الطنطاوي، أبو بكر الصديق، دار المنارة، السعودية، ط ٣، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م.
- *الطيالسي: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي.
- مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
- *ابن أبي عاصم: أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك أبو بكر.
- السنة، مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث.
- *ابن العربي: حمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس.
- أحكام القرآن، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.
- *ابن عساکر: علي بن الحسين بن هبة الله، ت ٥٧١ هـ-١١٤٨ م.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م.
- *العقاد: عباس محمود العقاد.
- الديمقراطية في الإسلام، دار المعارف، مصر، ط ٤، (بلا.تا).
- عبقرية الصديق، المكتبة العصرية، صيدا.
- *أبو الفضل العراقي: أبو الفضل العراقي، ت ٨٠٦ هـ.
- المغني عن حمل الأسفار: تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م.
- *الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ت ٥٠٥ هـ-١١١١ م.
- فقه السيرة: تحقيق العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، دمشق، ط ٧، ١٩٩٨ م.
- *الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ت ١٠٠-١٧٥ هـ.

- العين: تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط ٢، ١٤١٠هـ.

*الفريابي: جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي.

- صفة المنافق: تحقيق: بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

*الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، ت ٨١٧هـ - ١٤١٤م.

- القاموس المحيط: إعداد: عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.

*القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري، ت ٦٧١هـ - ١٢٧٢م.

- الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

*ابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ.

- زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

*الكاندهلوي: محمد يوسف، ت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

- حياة الصحابة: تحقيق: نايف العباس ومحمد علي دولة، القاهرة، (بلا.ط)، (بلا.تا).

*ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل الدمشقي، ت ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م.

- تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

- البداية والنهاية: تحقيق: أحمد أبو ملحمة وآخرون، دار البيان للتراث، القاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ.

*الكلاعي: سليمان بن موسى الأندلسي، ت ٦٣٤هـ - ١٢٣٦م.

- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.

*اللالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم، ت ٤١٨هـ - ١٠٢٧م.

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: تحقيق: أحمد الغامدي، دار طيبة الرياض، ط ٣، ١٩٩٤م.

*ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥هـ-٨٨٨م.

- سنن ابن ماجة: تحقيق: صدقي العطار، دار الفكر، بيروت، (بلا ط) ١٤١٥هـ.
*مال الله: محمد مال الله.

- موقف الخميني من أهل السنة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

*مالك: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبغي، ت ١٧٩هـ-٧٩٥م.

- موطأ مالك: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
*المجلسي: محمد باقر المجلسي الرافضي.

- بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

*المحب الطبري: أبو جعفر أحمد بن عبد الله، ت ٦٩٤هـ-١٢٩٥م.

- الرياض النضرة في مناقب العشرة: تحقيق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦هـ.

*المزي: جمال الدين أبي الحداد يوسف المز، ت ٧٤٢هـ-١٣٤١م.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

*المسعودي: أبي الحسن علي بن السحين، ت ٣٦٤هـ-٩٥٧م.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه عبد الأمير علي مهنا، الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

*مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، ت ٢٦١هـ-٨٧٤م.

- صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

*المقدسي: أبي القاسم علي بن بلبان المقدسي، ت ٦٨٤هـ.

- تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق: تحقيق: محيي الدين مستو، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- * ابن معين: يحيى بن معين أبو زكريا، ت ٢٣٣هـ-٨٤٧م.
- تاريخ يحيى بن معين رواية الدوري: تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- * ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي، ت ٦٢٦هـ-١٢٢٨م.
- لسان العرب: تنسيق وتعليق: مكتب تحقيق التراث، جاز الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٣هـ.
- * النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ت ٣٠٣هـ-٩١٥م.
- السنن الكبرى: تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- * نعمة الجزائري الرافي: ت ١١١٢هـ.
- الأنوار النعمانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- * النووي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف، ت ٦٧٦هـ-١٢٧٧م.
- تهذيب الأسماء واللغات، دارالكتب العلمية، بيروت، ط ١، (بلا تا).
- صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٣٩٢هـ.
- * هارون: عبد السلام هارون.
- تهذيب سيرة ابن هشام، مكتبة السنة، مصر، ط ١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- * ابن هشام: عبد الملك بن هشام الحميري، ت ٢١٨هـ-٨٣٣م.
- السيرة النبوية: تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
- * الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، ت ٩٧٥هـ-١٥٦٧م.

- كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال: تحقيق: بكري حياني وصفوت السقا، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- *الهيتمي: أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر.
- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن التركي، وكامل الخراط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩٧ م.
- *الواقدي: محمد بن وافد، ت ٢٠٧ هـ - ٨٢٢ م.
- الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشباني: تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- *ياقوت: شهاب الدين الحموي البغدادي، ت ٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م.
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- *أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي.
- مسند أبي يعلى: تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- طبقات الحنابلة وذيله لابن أبي رجب الحنبلي ت ٧٩٥ هـ - ١٣٩٢ م. دار المعرفة، بيروت، (بلا.تا).